حامت الطالبة ثريا عبدالله عثمان إدريس بإصلاح
ما ورد في الرسالة. طبقاً للمناقشة

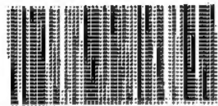
عبدالفتاح إسماعيل شلبي
عبدالعزيز أحمد علام
أحمد علم الدين الجندي

١٤١٠/١٠/١٨هـ

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا العربية
فرع اللغة

الصِّيَغ الفِعْلِيَّة في القرآن الكريم

أصواتاً وأبنية ودلالة



رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة



إعداد

الطالبة / ثريا عبدالله عثمان إدريس



إشراف

الأستاذ الدكتور / أحمد علم الدين الجندي

المجلد الأول

١٤١٠هـ / ١٩٨٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

"قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ
لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ"

الآية ٢٨ ، الزمر

الإهداء

إلى أرواح

أئمة اللغة وعلمائها
وكلّ من وهب نفسه وفكره
للبحث اللغوي
قديمًا وحديثًا

وإلى من منحاني حرية الفكر
وهيَّأني للمضي في طريق العلم
واحتملا تقصيري في كثير من حقوقهما
لأحقق ما تصبو إليه نفسي

إلى والديَّ الكريمين

أهدي هذه الدراسة

ثُرَيَّا

شُكْرٌ...
وَوَفَاءٌ...
وَدُعَاءٌ...

أما الشكر: **فلله** أولًا وآخرًا عدد ما احتوى هذا البحث من حروف ونقط وفواصل بل أضعافها مضاعفة، فما سطرت كلمة فيه إلا بتيسيره، وما اهتديت إلى فكرة جديدة وما قدمت من تحليل ودراسة إلا بتدبيره وتقديره سبحانه وتعالى له الحمد كثيرًا والشكر جزيلًا.

ثم إلى أستاذي الفاضل المشرف على الرسالة: الدكتور **أحمد علم الدين الجندي** برًّا بعلمه الواسع، وأستاذيته الرائدة، وما قدمه من توجيهات سديدة مخلصة، وآراء منهجية بناءة، وما بذله من جهد ورعاية لهذا العمل حتى يسر الله له أن يخرج على يديه ثمرة يانعة.

وإلى **عضوي لجنة المناقشة** الموقرين على تفضلهما بقراءة الرسالة ومناقشتها.

وإلى **الرفقة الصفوة** التي صحبتني في مرحلة الضبط والمراجعة والفهرسة مضحية بالكثير من وقتها وراحتها - أسجل أسمى معاني التقدير والوفاء.

وإلى كل من كانت له عليَّ أيادٍ بيضاء من شقيقاتي وأشقائي.

وإلى كل من شملني بسؤال مخلص مشفوعًا بتمنيات صادقة ممن تربطني به صلة مودة أو قربى...

فإليهم جميعًا..

شكرٌ.. ووفاءٌ..

ودعاءٌ موصول متجدد...

مع كل قيام وصلاة...

ثُرَيَّا

بسم الله الرحمن الرحيم

عنوان الرسالة : الصيغ الفعلية في القرآن الكريم أصواتا وأبنية ودلالة .

الدرجة العلمية : الدكتوراه .

اسم الطالبة : ثريا عبدالله عثمان إدريس .

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى دراسة الصيغ الفعلية في القرآن الكريم وما يعرض لأدائها في ضوء علمي الأصوات والدلالة إلى جانب علم الصرف ، مع الوقوف على ظاهرة تعدد الصيغ للفعل الواحد ، ومدى علاقة تعدد الصيغ باختلاف اللهجات.

وقد انتظمت مادة البحث بعد المقدمة والتمهيد في أقسام وأبواب وفصول ومباحث ، لحقتها خاتمة أردفت بالفهارس العامة ، مع معجم خاص بالأفعال التي قرئت بصيغ متعددة.

وقد توزعت الصيغ على النحو التالي :

أولا ـ صيغ التحول الداخلي المحض وتنقسم إلى قسمين :

ـ القسم الأول : صيغ شكلتها الصوائت ، ويقع في بابين .

ـ القسم الثاني : صيغتا التضعيف (فعّل) والمد (فاعل) ، ويقع في بابين .

ثانيا ـ صيغ التحول الداخلي والإلصاق :

(أفعل) ، (تفاعل) ، (تفعّل) ، (افتعل) ، (انفعل) ، (استفعل) ، توزعت على ستة أبواب ، تلاها باب سابع للصيغ النادرة : (افعلّ) (افعالّ) (افعأل) (افعوعل) .

ثالثا ـ صيغ الرباعي : (فعلل) ، (افعللّ) ، (افعنلل) ، (فيعل) ، (تفيعل) ، وتوزعت على بابين .

ومن النتائج الهامة التي انتهت إليها الدراسة :

١ ـ أثبت البحث أن القراءات القرآنية حققت نظام تعدد الصيغ للفعل الواحد على مستوى عال ، لأسباب بعضها صوتي ، وبعضها دلالي .

٢ ـ أوضحت الدراسة اتساع ظاهرة تعاقب الصوائت.

٣ ـ أثبت البحث أن المغايرة ظاهرة صوتية تقوم على تبادل الصوائت ، والصيغ الفعلية في القرآن الكريم تمثلها أوفى تمثيل .

٤ ـ دلّ البحث على مدى العلاقة بين صيغتي : (فعّل) و(فاعل) ، وبين : (تفعّل) ، و (تفاعل) حيث اشتركتا في قراءة كثير من الأفعال ، وقد وجهت هذه العلاقة في ضوء ظاهرة المخالفة.

٥ ـ كشف البحث من خلال القراءات عن مدى تأثر صائت (فاء) افتعل بالإدغام ، حيث يتردد بين التحقيق والاختلاس والتسكين .

٦ ـ دلّ البحث على سعة العلاقة الدلالية بين صيغ الإلصاق ، وصيغ التحول الداخلي المحض ، وكذلك بين صيغ الإلصاق مع بعضها .

٧ ـ رجّح البحث اشتقاق الرباعي المكرر الصوامت من أصل ثلاثي مضعف العين (فعّل) .

الطالبة	المشرف	عميد كلية اللغة العربية
ثريا عبدالله عثمان إدريس	أ.د/ أحمد علم الدين الجندي	د/ محمد بن مريسي الحارثي

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

(أ)

مقدمـــة

موضوع البحث ، أهدافه ، دوافعه ، منهج البحث فيه ، مصادره

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين أفصح من نطق بالضاد ، وبعد :

فإن البحث في كتاب الله من أعظم وأجل ما يسعى إليه الفكر الإنساني حيث يجد فيه الباحث اللغوى خاصة غايته ومبتغاه ،فالقرآن مصدر لغوى عظيم ورافد خصب للدراسات الصوتية والصرفية والدلاليـة ، ولولاه ما وصلت الدراسات اللغوية إلى ما وصلت إليه ،فهو كما وُصِفَ أعظـم نص إلهى وصل الينا .

من هذا المنهل العريق في أصالته و إعجازه في محتواه خرجت هذه الدراسة :

(الصيغ الفعلية في القرآن الكريم : أصواتاً وأبنية ودلالة) .

ولما تتمتع به لغة القرآن من وفرة هائلة في الصيغ الفعليـة، حيث تتفرع عن الجذر الثلاثي يقوم التشكيل الصوتي بدور أساسي فـي أدائها ،كما يكون للدلالة دور فعّال في تنويعها وتعددها .

من أجل هذا قامت الدراسة على مستويات التحليل اللغوى الثلاثة هي :

(علم الأصوات) (علم الصرف) (علم الدلالة)

فالأصوات بصفاتها المختلفة من جهر وهمس وشدة ورخاوة و تفخيم و ترقيق ،وما بينها من علاقة كالتماثل والتخالف والإدغام والإظهار والإعلال والإبدال تؤثر في تركيب الصيغ وتشكيلها ،حيث تتأثر الأصوات وتؤثر

فيها ،كما تتأثر كذلك بالمعنى و ترتبط به كما يكون لأصوات الصيغة أثر في تنويع المعنى وإبرازه .

ويمكن تلخيص أهداف هذه الدراسة في الجوانب التالية :

١ - تتبُّع الصيغ الفعلية في القرآن الكريم وقراءاته بكل أنواعها.
٢ - الوقوف على تعدد الصيغ للفعل الواحد أو ما يُعرف بتعدد الوجوه.
٣ - دراسة هذه الصيغ وما يعرض لأدائها في ضوء عِلْمَيْ الأصوات والدلالة إلى جانب علم الصرف.
٤ - محاولة ربط تعدد الصيغ باختلاف اللهجات ،وبيان مدى علاقة الصيغ القرآنية باللهجات العربية القديمة.

وقد شدني لهذه الدراسة ما وجدته من روعة الأداء القرآني ممثلا في تنويع الصيغ ،وما يصحبه من تغيرات صوتية تتصل بطبيعة الصوائت ،وعلاقتها بالصوامت . وما يعرض للصوائت من تعاقب وتبديل وحذف . وقد دعاني إلى هذا العمل أيضا رغبة ملحة في النفس إلى تقديم دراسة صوتية صرفية دلالية مشتركة تبرز أهم الجوانب فيها ،وأدق الملامح منها ،وقد كان لأستاذي الفاضل : الدكتور أحمد علم الدين الجندي المشرف على هذه الرسالة الفضل في توجيهي إلى اختيار الموضوع وأفادني بالكثير من خبراته العلمية الواسعة والتي ساعدتني على المضيّ قدما في دراسة هذا الموضوع والتعرف على أبعاده ،ومعالجة قضاياه ومسائله بروية ودقة.

وقد اقتضت طبيعة الدراسة : الاعتماد على منهج علمي أقرب ما يكون إلى المنهج الوصفي التحليلي ،وذلك في دراسة الظواهر الصوتية والدلالية في النصوص القرآنية مع الوقوف على آراء القدماء والمحدثين فيها.

وقد قمت بدراسة كل صيغة على حدة ، لإبراز ما عرض لها من تغييرات صوتية تتصل بطبيعتها ، ومعرفة الدلالات التي تحتملها ، إلى جانب الوقوف على التركيب الصوتي لكل صيغة.

كما جعلت الأفعال الواردة في المصحف أساسا للدراسة إلى جانب القراءات.

وقد اعتمدت في عرض الأفعال على إيرادها بنصها القرآني ثم أذكر الآية التي ورد فيها الفعل ثم القراءة الواردة فيه منسوبة إلى من قرأ بها مع ذكر نوع القراءة أمتواترة هي أم شاذة ؟

وقد رتبت أفعال كل صيغة على مخارج الأصوات ابتداء بأصوات الفم وانتهاء بأصوات الحنجرة ، وذلك حسب ورودها في الصامت الثاني من الجذر الثلاثي (عين) الصيغة ، لأنها الموضع الأساسي في تنويع صيغ الماضي الثلاثي وصيغ المغايرة ، كما أنها أقل أصوات الصيغة تعرضا للحذف والتغيير .

وقد قسمت البحث إلى أبواب وفصول ومباحث تسبقها مقدمة وتمهيد وتتبعها خاتمة تلخص أهم النتائج مع معجم للصيغ الفعلية في القرآن وقراءاته .

المقدمة : وقد تناولت أهمية البحث ودوافعه وأهدافه وسبب اختيار الموضوع .

التمهيد : وقد قدمت فيه دراسة وافية عن الصيغ واشتقاقها وتطورها وعلاقتها بعلم الأصوات وعلم الدلالة وختمتها بعرض سريع للتعريف بالقراءات وأنواعها وأشهر القراء بكل نوع منها .

ثم جاء تقسيم الموضوع على النحو التالي :

أولا : صيغ التحول الداخلي المحض :

(القسم الأول) : صيغ شكلتها الصوائت

ويقع في بابين :

الباب الأول : عرضت فيه لصيغ الثلاثي المجرد موضحة دور الصوائت في تشكيلها ، ويتضمن أربعة فصول :

الفصل الأول : تعاقب الصوائت على عين (فعل).

الفصل الثاني : صيغ المغايرة.

الفصل الثالث : صيغ المماثلة.

الفصل الرابع : صيغ نادرة.

الباب الثاني : وفيه درست المستوى الصوتي لصيغ الثلاثي المجرد ، وتضمن الفصول التالية :

الفصل الأول : تأثر الصوائت.

الفصل الثاني : التأثر بالصوامت المتماثلة.

الفصل الثالث : التأثر بالإبدال.

الفصل الرابع : التأثر بالقلب المكاني.

الفصل الخامس : التأثر بالهمز.

(القسم الثاني) : صيغتا التضعيف والمد.

الباب الأول : وقدمت فيه دراسة شاملة على المستوى البنائي والصوتي والدلالي لصيغة (فعَّل)

ويتوزع على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : التركيب الصوتي والتحول الداخلي لصيغة (فعَّل).

الفصل الثاني : المستوى الصوتي لصيغة (فعّل)

الفصل الثالث : المستوى الدلالي لصيغة (فعّل)

الباب الثاني : وتناولت فيه دراسة صيغة (فاعل)

ويحتوي على ثلاثة فصول :

الفصل الأوّل : التركيب الصوتي والتحول الداخلي لصيغة (فاعل).

الفصل الثاني : المستوى الصوتي لصيغة (فاعل)

الفصل الثالث : المستوى الدلالي لصيغة (فاعل)

ثانيا : صيغ التحول الداخلي والإلصاق.

وهي موزعة على سبعة أبواب :

الباب الأوّل : وفيه وقفت على ما ورد على صيغة (أفعل) من أفعال القرآن وقراءاته وما تؤديه من تشكيل صوتي وما تحتمله من دلالات.

وقد خرج في ثلاثة فصول :

الفصل الأوّل : التركيب الصوتي والتحول الداخلي لصيغة (أفعل)

الفصل الثاني : المستوى الصوتي لصيغة (أفعل)

الفصل الثالث : المستوى الدلالي لصيغة (أفعل)

الباب الثاني : وقد تناول البحث في الأفعال الواردة على صيغة (تفاعل) وتشكيلها الصوتي ومعانيها

واشتمل على الفصول التالية :

الفصل الأوّل : التركيب الصوتي والبنائي لصيغة (تفاعل)

الفصل الثاني : المستوى الصوتي لصيغة (تفاعل)

الفصل الثالث : المستوى الدلالي لصيغة (تفاعل)

الباب الثالث : وقدمت فيه دراسة للأفعال القرآنية الواردة على صيغة (تفعّل) على المستويات الثلاثة ،

وقد قسم على ثلاثة فصول :

الفصل الأوّل : التركيب الصوتي والبنائي لصيغة (تفعّل)

الفصل الثاني : المستوى الصوتي لصيغة (تفعّل)

الفصل الثالث : المستوى الدلالي لصيغة (تفعّل)

الباب الرابع : وتناولت فيه دراسة الأفعال الواردة على صيغة (افتعل)

ويشمل الفصول التالية :

الفصل الأوّل : التركيب الصوتي والتحول الداخلي لصيغة (افتعل)

الفصل الثاني : المستوى الصوتي لصيغة (افتعل)

الفصل الثالث : المستوى الدلالي لصيغة (افتعل)

الباب الخامس : ودرست فيه الأفعال الواردة على صيغة (انفعل) أصواتا وأبنية ودلالة .

و يتضمن الفصول التالية :

الفصل الأوّل : التركيب الصوتي والتحول الداخلي لصيغة (انفعل)

الفصل الثاني : المستوى الصوتي لصيغة (انفعل)

الفصل الثالث : المستوى الدلالي لصيغة (انفعل)

الباب السادس : وعرضت فيه للأفعال القرآنية الواردة على (استفعـــل) أبنية وأصواتاً ودلالة .

ويقع في ثلاثة فصول :

الفصل الأول : التركيب الصوتي والتحول الداخلي لصيغة (استفعل)

الفصل الثاني : المستوى الصوتي لصيغة (استفعل)

الفصل الثالث : المستوى الدلالي لصيغة (استفعل) .

الباب السابع : وذكرت فيه الصيغ النادرة وما ورد عليها من أفعال القرآن وما قرئ به .

ويحتوي على الفصول التالية :

الفصل الأول : صيغة التحول الداخلي وتكرار الصامت الثالث (افعلّ) .

الفصل الثاني : صيغة التحول الداخلي ومد الصامت الثاني (افعالّ) .

الفصل الثالث : صيغة التحول الداخلي وهمز صوت المد (افعألّ) .

الفصل الرابع : صيغة التحول الداخلي وتكرار الصامت الثاني ذات الواو (افعوعل) .

وقد ختمت كل فصل من فصول الدلالة بتصنيف يمثل دلالات الصيغة الواردة في القرآن .

ثالثا : صيغ الرباعي :

وتتوزع على بابين :

الباب الأول : وعالجت فيه ما ورد من أفعال القرآن على صيغة

التحول الداخلي المحقق (فعلل) ويقع في فصلين :

الفصل الأول : الرباعي المختلف الصوامت .

الفصل الثاني : الرباعي المكرر الصوامت.

الباب الثاني : واشتمل البحث فيه على ما قرئ به على صيغ الإلحاق

وكان موزعاً على الفصول التالية :

الفصل الأول : صيغة افعلل .

الفصل الثاني : صيغة افعنلل .

الفصل الثالث : صيغة فيعل .

الفصل الرابع : صيغة تفيعل .

وقد جاءت الخاتمة ملخصة لأهم النتائج التي انتهى إليها البحث في الصيغ الفعلية في القرآن الكريم ، وتتبعها الفهارس العامة.

أما مصادري ومراجعي فقد اشتملت على أمهات كتب التراث وتنوعت بين مخطوط ومطبوع فكانت في القراءات وكتب التفسير والأصوات واللهجات والدلالة والنحو والصرف والمعاجم ، وكان المصدر الأساسي الذي جمعت منه مادتي الأساسية ورافقتني طوال هذه الرحلة هو كتاب الله عزوجل

أما أهم المصادر المخطوطة في القراءات فهي :

- الكامل في القراءات الخمسين للهذلي وكتاب الروضة في القراءات الإحدى عشرة للمالكي وشواذ القراءة للكرماني .

ومن المصادر المطبوعة :

- كتاب إعراب القرآن للنحاس ،والحجة في القراءات السبعة لابن خالويه ،والمحتسب لابن جني ،والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها والتبصرة لمكي القيسي وحجة القراءات لأبي زرعة والسبعة لابن مجاهد والتيسير للداني والجامع لأحكام القرآن للقرطبي والعنوان في القراءات السبع للمقرى ،والحجة لأبي علي الفارسي ،والإقناع لابن الباذش ،وإملاء ما من به الرحمن للعكبرى والبحر المحيط لأبي حيان ورسم المصحف العثماني ،د/شلبي .

ومن الكتب التي تناولت الدلالة القرآنية :

- معاني القرآن وإعرابه للزجاج وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ، والعمدة في غريب القرآن لمكي القيسي وتفسير غريب القرآن للسجستاني ،والأشباه والنظائر في الألفاظ القرآنية للثعالبي .

ومن كتب اللغة والنحو والصرف :

- الكتاب لسيبويه (ط: بولاق) و (ط: هارون) وإصلاح المنطق لابن السكيت ،والمنصف والخصائص وسر صناعة الإعراب لابن جني ، وشرح الملوكي في التصريف لابن يعيش والأصول في النحو لابن السراج . والممتع في التصريف وتقريب المقرب لأبي حيان ،والإبدال لأبي الطيب اللغوى وأسرار العربية لابن الأنبارى وبغية الآمال في معرفة مستقبل الأفعال وارتشاف الضرب لأبي حيان .

ومن كتب الأصوات :

- الرعاية لمكي ،والتمهيد لابن الجزرى ،والمفيد في علم التجويد للمرادى .

وفي الدراسات القرآنية واللغوية (الإمالة في القراءات واللهجات) ، د/ عبد الفتاح شلبي .

ومن الكتب التي تبحث في الدلالة :

- الاقتضاء للفرق بين الذال والضاد والظاء للداني ، وذكر الفرق بين الأحرف الخمسة للبطليوسي وأساس البلاغة للزمخشري .

ومن المعاجم :

- العين للخليل بن أحمد ، والصحاح للجوهري ، والمخصص لابن سيده ، ولسان العرب لابن منظور ، وتاج العروس للزبيدي ، والأفعال لابن القطاع والأفعال للسرقسطي ، ومقاييس اللغة والمجمل لابن فارس .

ومن الكتب الحديثة التي استعنت بها في دراسة القراءات وتحليلها :

- الأصوات اللغوية ، وفي اللهجات العربية ، ومن أسرار اللغة د / إبراهيم أنيس ، واللهجات العربية في التراث ، د / الجندي ، وأثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ، وفي التطور اللغوي والمنهج الصوتي في البنية العربية والقراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ، د / عبد الصبور شاهين ، وعلم اللغة العام (الأصوات) ودراسات في علم اللغة ، د / بشر ، وعلم اللغة ومقدمة للقارئ العربي ، د / السعران ، وأسس علم اللغة ، ماريو باى ، والعربية الفصحى ، هنرى فليش ، ومناهج البحث في اللغة ، واللغة العربية معناها ومبناها ، د / تمام حسان ، وأصوات اللغة ، د / عبد الرحمن أيوب ، ودراسة الصوت اللغوى ، د / أحمد مختار ، وفقه اللغات السامية ، كارل بروكلمان ، والتطور اللغوى ، والمدخل إلى علم اللغة وفصول في فقه اللغة ، د / رمضان عبد التواب ، والتطور النحوى ، برجشتراسر ، وعلم الصوتيات ، د / عبد الله ربيع ، و د / عبد العزيز علام ، والتشكيل الصوتي في

اللغة العربية ، د / سليمان العاني ، والتطور اللغوى التاريخي ، د / إبراهيم السمرائي ، و من وظائف الصوت اللغوى ، د / كشك .

و من كتب الدلالة الحديثة :

- دلالة الألفاظ ، د / أنيس ، وعلم الدلالة ، د / أحمد مختار عمر ، والدلالة اللغوية عند العرب ، د / عبد الكريم مجاهد ، وعلم الدلالة في الكتب العربية ، د / أحمد حماد .

بالإضافة إلى العديد من المقالات والبحوث العلمية نذكر منها على سبيل المثال :

- حروف تشبه الحركات ، ومسطرة اللغوى ، د / أنيس ، وبين الأصول والفروع في التغيير الصوتي والصرفي وظاهرة لهجية واحدة في قبيلة هذيل ، ودراسات في النظام الصرفي الصوتي ، د / الجندى ، والتفكير الصوتي في ضوء سر صناعة الإعراب لهنرى فليش ، والنظريات الصوتية في كتاب سيبويه للطيب البكوشي وأبنية الفعل في اللغات السامية ، د / رمضان عبد التواب .

أما الصعوبات التي واجهتني فلعل أعظمها وأشقها الحرص الشديد على حفظ ورعاية النصوص القرآنية ، فقد كنت شديدة الحذر والحيطة في كتابة الآيات وضبطها مراعية في ذلك الرسم العثماني تعظيماً لكتاب الله عز وجل ليبقى محتفظاً برسمه المعتمد في المصاحف العثمانية ..

و من الصعوبات التي أرهقتني كثيرا توثيق القراءات والتأكد من صحة الرواية ، وخاصة الشاذ منها ، وتوزيع القراءات على الصيغ كان عملا مضنيا وإن كنت قد أفدت كثيرا من عمل الأستاذ عضيمة رحمه الله في كتابه : دراسات لأسلوب القرآن ، إلا أن هناك بعض الأخطاء والمآخذ في التوزيع ،

وحسبه ما قدمه ، ولذلك كان لا بد من التحقيق والتأكد من الصيغة التي وردت عليها القراءة قبل تثبيتها ودراستها .

وللقارئ أن يتدبر معي مدى المعاناة التي عاشتها الطالبة مع بحث توزعت دراسته بين القرآن وقراءات وبطون المعاجم وكتب اللغة والأصوات والدلالة والتصريف متناولا جميع صيغ القرآن وما ورد على هذه الصيغ من قراءات فقد حرصت ما أمكنني دراسة كل ما ورد منها وتم ذلك كله في ضوء ظروف مرضية قاسية عاشتها الباحثة وما زالت تعيشها، والله يشهد . وحسبي أن هذا البحث عمل في كتاب الله ولوجهه الكريم خالصا ليغفر لي ما قد يقع من خطأ أو تجاوز.

*

وقبل أن أضع القلم لا بد من كلمة عرفان وتقدير وشكر تؤدى لأصحابها بعد الحمد والثناء على الله عز وجل .

أحيي أستاذي الفاضل المشرف : الدكتور أحمد علم الدين الجندي وأخصه بوافر شكري وتقديري وعرفاني ، حيث ساندني كثيرا وشد من عزيمتي مريضة وباحثة ، وما فتئ يوجهني وينير لي السبيل ويذلل الكثير من الصعوبات التي واجهت البحث ويهدئ من روعي كلما جنحت سفينتي واشتد هلعي حتى يسر الله لهذا البحث أن يخرج على يديه فله الدعاء بدوام العافية ليقدم المزيد من المشاركات العلمية التي يحتاجها الكثير من طلابه وطالباته.

أما جامعة أم القرى هذا الصرح العلمي العملاق الذى احتواني علما وفكرا على مدى سنوات من العمر ممثلا في أساتذتي الأفاضل الذين

أدين لهم بما فتح الله به عليّ وعلى رأسهم مدير الجامعة الدكتـــور راشد الراجح فلهم أعظم الشكر ودوام الوفاء وأصدق العرفان .

وأخص كذلك بالشكر وبالغ التقدير عميد كلية اللغة العربية السابق الدكتور عليان بن محمد الحازمي وعميدها الحالي الدكتور محمد بن مريسي الحارثي ، ورئيس قسم الدراسات العليا العربية الأستاذ الدكتور حسـن ابن محمد باجودة .

كما أتقدم بوافر الشكر إلى الرئاسة العامة لتعليم البنات ممثلة فـي الرئيس العام والوكيل : الدكتور عبدالله العجلان على إتاحتهما الفرصة لإكمال دراستي للدكتوراه في جامعة أم القرى .

وللزميلات الفضليات دعاء خالصا بالتوفيق والسداد على ماحظيت به من مساعدة جليلة ، وأسأل الله أن يجـزيهن عنـي خير الجزاء .

الباحثة

ثريا عبدالله إدريس

التمهيد

ويتناول الموضوعات التالية :

أولًا : تعريف الصيغة .
ثانيًا : علاقة الصيغ بالأصوات .
ثالثًا : علاقة الصيغ بالدلالة .
رابعًا : القرآن والقراءات .

اللغة العربية لغة عريقة ،ذات أقيسة دقيقة ،مبتكرة ،تحظى بوفرة كبيرة في أصواتها الصامتة مع قلة صوائتها (حركاتها) .

وهي لغة ذات جذور [1] كغيرها من الساميات ،ويغلب على جذورها أنها ثلاثية الصوامت ،وقد تكون ثنائية أو رباعية ،ويلعب الاشتقاق دورا كبيرا في توليد هذه الجذور ،وتوسيعها مع الاحتفاظ بالصوامت الأصلية (الجذر) . Radical .

غير أن هذه الجذور لا يمكن استعمالها إلّا من خلال تشكيلات متنوعة من الصيغ . فالجذور تبقى جامدة ما لم تصب في قوالب أو صيغ معينة . ومن هنا تتضح علاقة الجذور بالصيغ ،فهي التي تهبها الحياة ،ولذلك فإن الكلمة العربية تخضع لظاهرتين [2] متداخلتين تكمل كل واحدة منهما الأخرى وهما :

١ - ظاهرة الحركة الاشتقاقية : وهي الأصل المشترك في جميع الكلمات التي تشمل نفس الجذر الصامتي .

٢ - ظاهرة الصياغة : وهي الهيئة التي تكون عليها الكلمة عند الاستعمال .

ولهذا فإنّ اللغة العربية تتقدم على أخواتها بالقدرة على استغلال الجذور الثلاثية في توليد صيغ جديدة ،بل إن ذلك يعد من عبقريتها التي تكاد تنفرد بها .

---

(١) في التطور اللغوى : ٣١ (د/ عبد الصبور شاهين ،ط: أولى ، مكتبة دار العلوم) القاهرة ١٩٧٥م .

(٢) ينظر : دراسات في فقه اللغة : ٣٢٨ (د/ صبحي الصالح ، ط/ ثانية ،دار العلم للملايين ،بيروت ١٩٨٠م) .

ولما كان موضوع هذه الدراسة هو : (الصيغ الفعلية في القرآن الكريم أصواتا وأبنية ودلالة) فإننا سنقف على دلالة الصيغ لغة واصطلاحا وتكوينا مع الالتفات إلى علاقة الصيغ بالأبنية والأصوات والدلالة .

أولا : الصيــغ :

ونتعرف عليها من جانبين :

أ - دلالتها المعجمية :

ورد الجذر (ص و غ) في المعاجم للدلالة على معان متعددة :

١ - الدلالة على الهيئة والسبك :

جاء في تاج العروس : " صاغ الشيء يصوغه صوغا : (هيأه على مثال مستقيم وسبكه عليه (فانصاغ)" (١) .

٢ - الدلالة على القدر :

ذكرها صاحب الصحاح فقال : " صغت الشيء أصوغه صوغا .. وهذا صوغ هذا إذا كان على قدره" (٢) .

٣ - الدلالة على التقدير والمثال والصورة :

ورد في المصباح : " الصيغة العمل والتقدير وصيغة القول كذا أي مثاله وصورته " (٣) .

---

(١) تاج العروس : ٥٣٣/٢٣ (طبعة الكويت) .

(٢) الصحاح ٤/ ١٣٢٤ للجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار - (ط : ثانية ، ١٩٨٢ م) .

(٣) المصباح المنير ١/ ٣٥٢ للفيومي ، تحقيق عبد العظيم الشناوى دار المعارف بمصر .

٤ - الدلالة على الترتيب :

ويشير إليها صاحب اللسان قائلا : " وصاغ شعرا وكلاما أي وضعه ورتبه ".(١)

فالصيغة في ضوء الدلالة المعجمية جملة من المعاني المتقاربة تدل على نظام خاص .

ب - دلالتها الاصطلاحية :

عند القدماء :

١ - وهي مرادفة للبنية عند أكثرهم.(٢)

٢ - كما أنها مرادفة لمعنى (البناء) و (الوزن) و (الهيئة) وإلى هذا الرأي ذهب الرضي فقال : " المراد من بناء الكلمة ووزنها وصيغتها : هيأتها التي يمكن أن يشاركها فيها غيرها ، وهي عدد حروفها المرتبة وحركاتها المعينة وسكونها مع اعتبار الحروف الزائدة والأصلية كل في موضعه ".(٣)

عند المحدثين :

أشكال وقوالب للتعبير عن المعاني .

١ - (د/تمام حسان) يرى أن الصيغة تلخيص شكلي لجمهرة من العلامات لا حصر لها ترد على ألسنة المتكلمين باللغة الفصحى كل يوم بل في كل ثانية من دقيقة من ساعة من يوم والناس

---

(١) اللسان : (ص و غ) ٤٤٣/٨ (دار صادر بيروت) .

(٢) ينظر : شرح التصريح ٣٥٢/٢ .

(٣) حاشية الشيخ أحمد الرفاعي على شرح بحرق اليمني على لامية الأفعال : ٤ وحاشية الصبان : ٢٣٦/٤ .

ينطقون العلامات ولا ينطقون هذه التلخيصات الشكلية ".(١)

ثم نبّه على أن هناك فرقا بين (الصيغة) و (الميزان)

فالصيغة (مبنى صرفي) والميزان (مبنى صوتي).

٢ - (د/ مصطفى النحاس) يذهب إلى أن الصيغ في اللغة العربية :
" ما هي إلا قوالب فكرية تصب فيها المعاني العامة فتحددها
وتعطيها حجمها ومعناها ".(٢) وهي بهذا المفهوم ظاهرة
لغوية طبيعية وصحية .(٢)

٣ - كما أنها مرادفة لهذه المصطلحات : (الهيئة) (البناء)
(القالب) (الصورة) (الشكل).(٣)

٤ - خصها بعض المحدثين(٤) بالأبنية المقيسة ، وجعل الأبنية
عامة في المقيسات وغير المقيسات .

غير أن بعضهم الآخر(٥) اتّجه إلى تحديد المصطلحات ،فذكر
أن المراد بأوزان العربية : أبواب الأفعال من ثلاثية ومزيد فيها ،
والمراد بصيغها : أوزان الأسماء من مشتقة وغير مشتقة ،وذلك أمنا للبس.

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها : ١٤٤ ،ط/ ثانية ، الهيئة المصرية العامة ، ١٩٧٩م .

(٢) مدخل إلى دراسة الصرف العربي : ١٣٠ (د/ عبد العزيز عتيق ، ط/ ثانية ،دار النهضة بمصر ١٩٧٤م).

(٣) فقه اللغة : ١١٢ (محمد المبارك ،ط/ ثالثة ،دار الفكر بيروت ١٩٦٨).

(٤) معجم المصطلحات النحوية والصرفية : ١٢٩ (ط/ أولى ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ، ١٤٠٥هـ).

(٥) في تصريف الأسماء : ١١٨ (د/ عبد الرحمن شاهين ، مكتبة الشباب ،القاهرة ، ١٩٧٧م).

ونبه على أنه لا فرق بين معنى (وزن) و (صيغة) ،وهو بخلاف الرأى الذى ذهب إليه (د/ تمام حسان).

وأرى أن الصيغ في واقعها ما هي إلا تشكيلات صوتية متنوعة تعرض للجذر الثلاثي (ف ع ل) بإضافة الصوائت أو تكرار أحد أصواته ،لتأدية دلالات اللغة المتنوعة .

أهمية الصيغ :

وفي ضوء التعريفات السابقة يمكن تلخيص أهمية الصيغ :

١ - إن هذه الصيغ تصلح لأن تستخدم أداة من أدوات الكشف عن الحدود بين الكلمات في السياق ... ولذلك فإن اتخاذ الصيغ الصرفية أداة من أدوات خلق الحدود بين الكلمات في السياق ميزة اللغة العربية من كبريات ميزاتها التي تفاخر بها.(١)

٢ - وسيلة التوليد والارتجال في اللغة ، ولذلك فإن العناصر القابلة للتحول والتطور في اللغة هي المفردات ذات الصيغ (أى العناصر ذات الصيغ الاشتقاقية).(٢)

٣ - أحد العناصر الأساسية في تكوين الكلمة .

٤ - تخصص المعنى وتحدده .

٥ - الصيغة تحدد المادة الأصلية من المزيدة في الكلمة .(٣)

---

(١) مناهج البحث في اللغة : ٢١٠ أ د/ تمام حسان ،دار الثقافة الدار البيضاء ،المغرب سنة ١٩٧٩م).

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها ١٥١.

(٣) ينظر فقه اللغة ١١٥،١١٨ (محمد المبارك).

أما المجال الذى يتناول الصيغ بالدراسة والبحث فلا يقتصر - كما هو شائع - على علم الصرف أو ما يعرف حديثا بالمورفولوجي (Morphology) وهو علم دراسة أبنية الصيغ أو الأبنية الصرفية (١) وإنما تدرس في ضوء مستويات التحليل اللغوى الثلاثة وهي : (علم الصرف) و (علم الأصوات) و (علم الدلالة) . إذ أننا لا ندرس صيغا مجردة .

ويرى بعض المحدثين (٢) أن صيغ الأفعال الثلاثية لا تدخل في باب الصرف وإنما هي من مباحث متن اللغة والمعجمات لكونها من قضايا الثروة اللفظية ، كما يلعب اختلاف اللهجات دورا كبيرا في تعددها وتنوعها .

ونضيف إلى هذا الرأى ضرورة ربطها بأبحاث علم الأصوات ، فهي تعتمد في تشكيلها على مستويات صوتية تتمثل في تشكيل الصوائت وتنوعها على الصامت الثاني من الصيغة الثلاثية . ولهذا التنويع مبرراته الصوتية والتي سنقف عليها فيما بعد .

---

(١) أصول تراثية في علم اللغة : ٢٠٣ (د / كريم زكي حسام الدين ، ط / ثانية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٥ م) .

(٢) دراسات في علم اللغة : ٢٣٥ وما بعدها (د / بشر ، ط / تاسعة دار المعارف بمصر ١٩٨٦ م) .

كيف تتكون الصيغ ؟:

تتكون الصيغ في اللغة العربية اسمية كانت أو فعلية بأحد الطريقين :

أولا : التحول الداخلي المحض [١] ، وذلك بواسطة العناصر التالية :

١ - الصوائت : التي تضاف داخل الأصل الاشتقاقي ، الثلاثي الصوامت أو الرباعي الصوامت ، وقد تكون الصوائت قصيرة كما تكون طويلة ، فهي ذات دور بنائي [٢] . فهذه الصوائت تؤدي إلى توليد الصيغ وتناسلها دون أي تغيير في صوامت الجذر الأصلية أو إضافة ، ولذلك تعد مناطا لتقليب صيغ الاشتقاق المختلفة في جذور المادة الواحدة [٣] ، ويطلق على هذا النظام (نظام تعاقب المصوتات) أو (نظام التحول الداخلي) ، إلا أن التسمية الثانية أفضل من وجهين :

أ - تسمح بإدخال التضعيف .

ب - تحدد هذه التغيرات بأنها داخلية .

٢ - التضعيف : وهو العنصر الثاني من عناصر التحول الداخلي ، ويكون في الصامت الثاني أو الثالث . ويؤدي إلى زيادة صامت أو أكثر على الجذر .

----

(١) العربية الفصحى : ٥٦ (هنرى فليش ، ترجمة د/عبد الصبور شاهين ، ط/ ثانية ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت سنة ١٩٦٦) .

(٢) السابق : ١٠٧ .

(٣) اللغة العربية معناها ومبناها : ٧٢ .

٣ - التكرار للأصل الأول أو الثاني أو الثالث ،وهو وسيلة من وسائل إطالة الصيغة وتكبيرها.[١]

والتحول الداخلي نظام سامي ،إلا أنه يتمثل في اللغة العربية أوضح تمثيل ،وهو فيها يعد (قمّة)[٢] . وهو الطريقة الرئيسة للاشتقاق في العربية .

ثانيا : التحول الداخلي والإلصاق (Affixation) :

وذلك بواسطة أحد العناصر التالية :

١ - السوابق Prefixes
٢ - اللواحق Suffixes
٣ - الدواخل[٣] infixes

وهذه العناصر إنما يؤتى بها لتضخيم حجم الصيغة وإطالتها وتكبيرها . و هي الوسيلة الثانية من وسائل إطالة الصيغة وتكبيرها ، فالوسيلة الأولى كانت كما مرّ بتكرار الصوامت .

فكلاهما يهدف إلى الإطالة ،إلّا أنه ثمة فرق بينهما ،ففي الحالة الأولى (حالة التكرار) نجد أن طبيعة الأصل الاشتقاقي قد تغيرت من ثلاثي إلى ما هو أكثر ، على حين نجد في الحالة الثانية (حالة

---

(١) العربية الفصحى : ١٠٢ .
(٢) السابق : ١٩٢ .
(٣) التطور اللغوى : ٣٣ (د/ شاهين) .

الإلصاق) أن الأصل الثلاثي بقي كما هو .

والصيغة في حالة الإلصاق سواء أكان سابقاً أم لاحقاً فإنها تخضع لنظام التحول الداخلي . فالأصل الثلاثي + السابقة أو اللاحقة يكونان الهيكل الصامتي للصيغة .

تطور الصيغ :

ليس من السهل على الباحث الخوض في عملية التطور اللغوى في أي جانب من جوانب اللغة ذلك أن قضايا (التطور اللغوى) من أعقد قضايا الدراسات اللغوية الحديثة و من أهمها أيضا ".(١)

و محاولة البحث في تطور صيغ العربية وأوزانها أمر يحتاج إلى دراسة تتبعية للصيغ عبر العصور الطويلة واستعمالاتها ، مع مقارنتها بالصيغ الموجودة في أخواتها الساميات حتى تتضح معالم التطور فيها.

ومن المحتمل أن تكون الظواهر التالية دالة على تبدل و تطور في صيغ العربية وهي :(٢)

١ - تعدد الصيغ .

٢ - تشابه بعضها .

٣ - تعدد معانيها أحيانا .

٤ - اجتماعها أحيانا على معنى واحد و تناوبها عليه .

٥ - اختلافها حياة و جمودا .

٦ - ظهور صيغ جديدة .

---

(١) التطور اللغوى : ٣ (المقدمة) .

(٢) فقه اللغة : ١٤٠ (محمد المبارك) .



وقد حاولنا جمع وتقصي ما يمكن جمعه من الصيغ الفعلية التي اعتراها التطور ،وهي :

١ - صيغة (فَعَل) تطورت إلى (فَعُل).(١)

٢ - صيغة (فُعِل) تطورت إلى (انفعل).(٢)

٣ - صيغة (فَعَل) و (فَعِل) و (فَعُل) تطورت إلى (فَعْل).(٣)

٤ - صيغة (تفاعل) تطورت إلى (اتفاعل).(٤)

٥ - صيغة (تفعّل) تطورت إلى (اتفعّل).(٥)

٦ - صيغة (اتفعل) تطورت الى (افتعل).(٦)

٧ - صيغة (افعالّ) تطورت إلى (افعألّ).(٧)

٨ - صيغة (افعنعل) و (افعنهل) تطورت إلى (افعللّ).(٨)

ويبدو أن تطور الصيغ كان أوضح وأظهر في عصر نزول القرآن. حيث نزلت القراءات وتعددت الوجوه ،فتنوعت استعمالات الصيغ على المستويين الصوتي والدلالي . وهذا ما سنقف عليه من خلال الدراسة.

---

(١) في اللهجات العربية : ١٦٩ (د/ إبراهيم أنيس ،ط: رابعة مكتبة الأنجلو المصرية ،١٩٧٣م).

(٢) بحوث ومقالات في اللغة : ٧٨ - ٧٩ (د/ رمضان عبد التواب ،ط/ أولى مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي ،الرياض ، ١٩٨٢م).

(٣) ينظر الكتاب ١١٣/٤ ومابعدها .

(٤) بحوث ومقالات في اللغة ٧٥ (د/ رمضان عبد التواب).

(٥) السابق : ٧٥.

(٦) المدخل إلى علم اللغة : ٢٣٥ (د/ رمضان عبد التواب).

(٧) العربية الفصحى : ١٥٣.

(٨) السابق : ١٦٠.

ثانيا : علاقة الصيغ بالأصوات :

الأصوات هي اللبنات التي تشكل كلمات اللغة وصيغها وأبنيتها ويتكون النظام الصوتي للغة العربية من نوعين من الفونيمات (١) وهما :
الفونيمات القطعية (Segmental Phonemes) وتشمل : الأصوات الصامتة والأصوات الصائتة ، والفونيمات فوق القطعية (Supra - Segmental Phonemes).

وهي الظواهر الصوتية التي تصحب الكلام وهي :

١ - النبر (Stress).

٢ - الوقفة (Bause).

٣ - طبقة الصوت (Pitch).

٤ - نمط التنغيم (Mildy . Contour) (٢).

---

(١) الفونيم : (Phoneme) هو الوحدة المتميزة الصغرى التي يمكن أن تجزئ سلسلة التعبير إليها . ويرى بعضهم أن الوحدة الصغرى هي الصوت الكلامي (Speech Sound) أو الفون (Phone) : دراسة الصوت اللغوي : ١٣٥ ، ويعرفه (د / رمضان عبد التواب) فيقول : هذه الأصوات المختلفة ، التي يعبر عنها في الكتابة برمز واحد ، ولا تستخدم في اللغة للتفريق بين المعاني المختلفة ، هي ما يطلق عليه الغربيون اسم : (فونيم) . المدخل إلى علم اللغة : ٨٣ ، وينظر أسس علم اللغة (ماريوى باى) : ٤٨ (ترجمة د / أحمد عمر ، ط / ثانية دار الكتب ١٩٨٣ م).

(٢) علم اللغة المبرمج : ١١١ ، ١٣ (د / كمال بدرى ، عمادة شئون المكتبات جامعة الملك سعود / الرياض ، ١٩٨٢ م).

ويتولى علم الأصوات الفوناتيك (Phonetics) " دراسة الأصوات من حيث كونها أحداثا منطوقة بالفعل/ لها تأثير سمعي معين، دون نظر في قيم هذه الأصوات أو معانيها في اللغة المعينة ".(١) فهو يقوم على دراسة الأصوات المفردة ومعرفة مخارجها من الحلق واللسان والشفة - وصفاتها - من جهر وهمس وشدة ورخاوة .(٢)

بينما يدرس علم التشكيل الصوتي(٣) الفونولوجيا (Phonology) الصوت اللغوى داخل البنية، أى يهتم هذا العلم بوظيفة الصوت وتوزيعه وعلاقة ذلك بالمعنى.(٤)

ونكتفي بالتصنيف التالي لمعرفة مخارج الأصوات العربية وصفاتها .

---

(١) علم اللغة العام (الأصوات) : ٢٨ (د/ بشر) ط/ سابعة دار المعارف بمصر ١٩٨٠م .

(٢) أصوات اللغة العربية : ٨ (د. عبد الغفار هلال، ط/ ثانية، مطبعة الجبلاوى القاهرة ١٩٨٨م.

(٣) ينظر : مناهج البحث في اللغة : ١٣٩ .

(٤) التفكير الصوتي عند الخليل : ٦ (د/ حلمي خليل، ط/ أولى ١٩٨٨، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية) وينظر دروس في علم أصوات العربية : (١٧) (جان كانتينو).

تصنيف يوضح مخارج الأصوات وصفاتها (١)

مخارج الأصوات	صفات الأصوات												
	شديد				رخو				مزدوج	متوسط			
	مجهور		مهموس		مجهور		مهموس		مجهور	مجهور			
	مرقق	مفخم	مرقق	مفخم	مرقق	مفخم	مرقق	مفخم		جانبي	تكراري	أنفي	شبه الحركة
شفوى	ب		(پ)									م	و
شفوى أسنانى					(ڤ)		ف						
أسنانى					ذ	ظ	ث						
أسنانى لثوى	د	ض	ت	ط	ز	(ژ)	س	ص					
لثوى										ل	ر	ن	
غارى					(چ)		ش		ج				ى
طبقى	(گ)		ك		غ		خ						
لهوى			ق										
حلقى				ع		ح							
حنجرى			ء				هـ						

---

(١) أخذ هذا التصنيف من كتاب المدخل إلى علم اللغة ٦١.

ولهذا النظام الصوتي (١) أهمية بالغة تتضح في مدى صلته بالعلوم اللغوية " ولقد فطن النحاة العرب إلى أن اللغة العربية لا يمكن أن يفهم نحوها وصرفها فهما صحيحا إلا بعد دراسة أصواتها ، وبعضها الباقي لا تكون دراسته في أحسن صورها إلا من حيث تعتمد كذلك على دراسة الأصوات ". (٢)

إلا أن أكثر فروع علم اللغة صلة بعلم الأصوات وما يتناوله هو (علم الصرف) ، ولذلك قيل :

- " لا وجود لعلم الصرف بدون علم الأصوات ". (٣)
- " أكثر فروع الدراسة اللغوية حاجة للتحليل الصوتي هو علم الصرف ". (٤)
- " من أكثر العلوم استفادة بعلم الصوتيات علم الصرف أو المورفولوجي (morphology) ". (٥)
- " ان الدراسة الصوتية هي المقدمة الأولى لدراسة تركيب الكلمات أو دراسة الصرف بمعناه الخاص ". (٦)

----

(١) أرجأنا التعريف بالمخارج والصفات إلى المواضع الخاصة بها في البحث .

(٢) اللغة بين الوصفية والمعيارية : ١٦٦ (د/ تمام حسان) .

(٣) علم اللغة العام : ١٨٥ .

(٤) الصوت اللغوى : ٣٤٧ (د/ أحمد مختار عمر ، ط/ أولى ، عالم الكتب ٩٧٦ ١م) .

(٥) علم الصوتيات : ٤٦ (د/ عبدالله ربيع محمود ، د/ عبد العزيز علام ، ط/ ثانية ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ٩٨٨ ١م) .

(٦) أصوات اللغة : ٢٥ (د/ عبد الرحمن أيوب ، ط/ ثانية ، مطبعة الكيلاني ٩٦٨ ١م) .

وترجع هذه الصلة أو العلاقة إلى مدى حاجة الدراسة الصرفية التي تستدعي معرفة دقيقة بطبيعة الأصوات التي تكوّن الصيغة وخصائصها، وعلاقة الأصوات بعضها ببعض من حيث التجانس أو التنافر في داخل الكلمة، مع الوقوف على التغيرات الصوتية التي تتعرض لها الأصوات من الزيادة والحذف والتطويل، والتقصير، والإدغام، والإبدال والقلب.(١)

ولذلك تتأثر الصيغ بالأصوات كما تتأثر الأصوات بالصيغ، وكلاهما يتأثر غالبا بالمعنى.(٢) فنحن لا ندرس الصيغ بمنأى من الأصوات، والعلاقة بينهما لا يمكن إغفالها "فليس من الممكن دراسة بنية الكلمة دون دراسة أصواتها ومقاطعها، وعلاقة الصوامت (السواكن) بالحركات، لأن كل تغيير تتعرض له هذه البنية ينشأ عن تفاعل عناصرها الصوتية في الممارسة الكلامية على مستوى الأفراد الناطقين باللغة".(٣)

وواقع الصيغ يشهد بهذه العلاقة، ففي الصيغ الفعلية (موضوع الدراسة) نجد في صيغ الماضي مثالا واضحا يجسّد علاقة الصيغ بالمجال الصوتي ومدى تأثرها به، فإن إيثار صيغة الفتح (فعَل) أو صيغة الكسر (فعِل) أو صيغة الضم (فعُل) قد يرجع إلى نواح صوتية كالإتباع أو التفخيم أو مجاورة أصوات الحلق أو الإعلال،

---

(١) علم الصوتيات : ٤٦.

(٢) ينظر أسس علم اللغة : ٤٤.

(٣) المنهج الصوتي : ٢٥ (عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٠م).

كذلك الأمر في (صيغ المغايرة) فإن التحول من الفتح إلى الكسر أو إلى الضم أو من الكسر إلى الفتح يرجع إلى عامل صوتي يتمثل في علاقة الصوائت بعضها ببعض .

أضف إلى ذلك أن أصوات هذه الصيغ عرضة للتأثر بالإدغام أو الإبدال أو الإعلال .

وإذا ما تركنا صيغ الأفعال الثلاثية (صيغ التحول الداخلي المحض) إلى غير الثلاثية (صيغ التحول الداخلي والإلصاق) تطالعنا صيغة (تفعّل) و (تفاعل) و (افتعل) فإننا نجد أن فونيم (التاء) وهو أحد عناصر الصيغة يتأثر بالأصوات المجاورة له ، فيعتريه الإبدال والإدغام معا . كما تتأثر همزة (أفعل) مع المضارع المبدوء بهمزة وبغير همزة فتحذف للتخفيف في الحالتين على حين تؤثر بعض الصيغ في الأصوات القابلة للتغيير فتلزمها بعدم التغيير كما يحدث في صيغة (فاعل) و (فعّل) و (تفاعل) و (تفعّل) و (افعلّ) و (افعالّ) مع ظاهرة الإعلال فإن هذه الصيغ تمنع الإعلال إذا كان صوت العلة واقعا في موضع (العين) من الصيغة كما تمنع صيغتي (فعّل) و (تفعّل) حدوث الإدغام بين المتماثلين .

وخلاصة ما ننتهي إليه أننا لا ندرس صيغا جامدة هامدة ، وإنما ندرسها من خلال الاستعمال والسياق .

ثالثا : علاقة الصيغ بالدلالة :

وكما تتأثر الصيغ بالأصوات فإنها تتأثر كذلك بالمعنى وترتبط به ،وقد يكون المعنى عاما تشترك فيه جميع صور الجذر ومشتقاته ، وقد يكون المعنى خاصا بالصيغة نفسها ،كما قد يكون لأصوات الصيغة أثر في تحديد معناها . وهذا يعني أن الصيغة ليست مجرد معنى عاماً ينتمي إلى جذر معين ،ولكنها مجموعة من الدلالات تستمدها من طبيعة أصواتها ،وعلاقتها بالسياق الذى وضعت فيه وما قد يتصل بها من سوابق أو لواحق ،إضافة إلى علاقتها النحوية بالجملة التي وضعت فيها ،وذلك إلى جانب دلالتها المعجمية .

وفي ضوء هذه العلاقة كان لا بد لنا من وقفة سريعة أمام علم الدلالة نتعرف فيها على مكانة الدلالة اللغوية ،وأنواعها وتطورها ، وكيف نستفيد منها في دراستنا للصيغ الفعلية .

علم الدلالة وأهميته :

العلوم اللغوية سلسلة متصلة الحلقات وجميعها من الأهمية بحيث لا يمكن إغفالها ،وعلم الدلالة أحدث حلقات الدرس اللغوى الحديث .

وقد أطلقت عليه عدة أسماء أشهرها الآن كلمة (Semantic) ويسمى في العربية (علم الدِّلالة) بفتح الدال وكسرها ويسميه بعضهم (علم المعنى) (١) .

---

(١) علم الدلالة :// للدكتور أحمد مختار عمر (ط/أولى ،مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ،الكويت ١٩٨٢ م) .

وفي تعريفه قيل :

١ - هو (دراسة المعنى).

٢- أو (العلم الذى يدرس المعنى).

٣ - أو (ذلك الفرع من علم اللغة الذى يتناول نظرية المعنى).

٤ - أو (ذلك الفرع الذى يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى) (١).

وهو علم قوي الصلة بعلوم اللغة ولا يمكن فصله عنها ، فهو " غاية الدراسات الصوتية والفونولوجية والنحوية والقاموسية ، إنه قمّة الدراسات اللغوية " (٢) ، ولذا يُعدُّ مكملا لمستويات التحليل اللغوى : الصوتي ، والصرفي ، والنحوى ، إلا أنه من أعقد فروع (علم اللغة) (٣).

واللغويون العرب خاضوا غماره واستخرجوا روائعه وهم بحق أصحاب سبق فيه ومن أشهر رواده ابن جني في كتابه الخصائص حيث عقد له أبوابا وفصولا . وقد تنوعت مظاهر البحث فيه عند القدماء من غير ابن جني فخرجت على النحو التالي (٤) :

---

(١) علم الدلالة : ١١.

(٢) علم اللغة ٢٦١ (د/ السعران).

(٣) أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة : ٣١٤ (نايف خرما).

(٤) ينظر كلام العرب : ١٢٨ (د/ حسن ظاظا ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٦م).

- رسائل تحتوى كل منها على الألفاظ الخاصة بموضوع معين ، مثل النبات والأنواء والأصوات ، والفروق .
- كتب جامعة لمادة اللغة مرتبة بحسب الموضوعات مثل كتاب الألفاظ لابن السكيت ومبادئ اللغة للإسكافي وفقه اللغة وسرّ العربية للثعالبي والمخصص لابن سيدة .
- المعجمات الأبجدية مثل (مقاييس اللغة) لابن فارس الذى ربط المعاني الجزئية للمادة بمعنى عام يجمعها ومعجمه (مجمل اللغة) و (أساس البلاغة) للزمخشرى الذى تناول فيه المعنى الحقيقي والمجازى للكلمة ، ومن المعاجم التي تبعت المعاني المجازية (تاج العروس) للزبيدى وهناك نوع من المعاجم اهتمت بموضوعات معينة مثل (المنجد) لكراع النمل ، الذى تناول فيه ما اتفق لفظه واختلف معناه من الكلام (المشترك اللفظي) .

ويتقدم هذه المعاجم معجمان كبيران هما: (لسان العرب) لابن منظور و (القاموس المحيط) للفيروزآبادى .

- كتب الأضداد ومن ألف في الأضداد : ابن الأنبارى ، ابن السكيت والأصمعي والسجستاني والصاغاني .
- كتب الترادف ومن ألف فيه أبو الحسن الرماني وكتابه هو (الألفاظ المترادفة) إلى جانب ما يعرض له في ثنايا الكتب اللغوية .

هذا فيما يتعلق بالدلالة عامة ، أما الدلالة القرآنية فقد حظيت بفيض من الدراسات تمثلت في :

١ - كتب معاني غريب القرآن ومن ذلك (غريب القرآن) لابن قتيبة و (غريب القرآن) للسجستاني و (غريب القرآن) لمكي ، و (المفردات) للأصفهاني .

٢ - كتب الوجوه والنظائر ،مثل (الوجوه والنظائر في القرآن الكريم) للدامغاني ، و (الأشباه والنظائر) لمقاتل البلخي ،و (معترك الأقران في إعجاز القرآن) للسيوطي .

٣ - كتب مجاز القرآن وأهمها (مجاز القرآن) لأبي عبيدة .

٤ - كتب مشكل القرآن ومن ألف فيه ابن قتيبة ومكي بن أبي طالب القيسي .

أنواع الدلالة :

أولا : الدلالة الصوتية :

وهي التي تستهد من طبيعة بعض الأصوات (١) ،فبعض الكلمات يستفاد معناها من أصواتها ، فكلمة (تنضخ) تفيد اندفاع الماء أو السائل بقوة وعنف ،وكلمة (تنضح) تفيد أن السائل يتسرب بسهولة وبطء.(٢)

وهي إما ذات دلالة وظيفية مطردة ،وإما دلالة صوتية غير مطردة.(٣)

---

(١) دلالة الألفاظ : ٤٦ (د/ إبراهيم أنيس ،ط/رابعة ،مكتبة الأنجلو المصرية ،١٩٨٠) .

(٢) الخصائص ٢/١٥٧ - ١٥٨ ، تحقيق محمد علي النجار ،دار الهدى للطباعة والنشر بيروت .

(٣) الدلالة اللغوية عند العرب : ١١٦ (د/ عبد الكريم مجاهد ، دار الضياء ،الأردن) .

أما الأولى فتعتمد على تغيير مواقع الفونيمات أى باستخدام المقابلات الاستبدالية بين الألفاظ حتى يحدث تعديل أو تغيير في معاني هذه الألفاظ " . وعليه فإن كل حرف أو حركة في اللغة العربية ، يمكن أن يكون مقابلا استبداليا ، ولذلك فإن للحركات دلالة صوتية أى ذات وظيفة فونيمية مثـــل وظيفة الحروف ، فالحركة صوت في الكلمة وجزء لا يتجزأ منها ، فهي لا تنفصل عنه أثناء نطقه ، فالفتحة مثلا يمكن أن تكون مقابلا استبداليا للكسرة والضمة كما في (مترجِم) و (مترجَم) و (ضَرب) و (ضُرب) . وهكذا بقية الحركات تختلف في نطقها حسب مواقعهـــا الصوتية وقد عدّ (فيرث) الحركات العربية (الفتحة والكسرة والضمة والسكون) من قبيل (المظاهر التطريزية) أى جعلها من الفونيمـــات الثانوية (Secondary Phonemes) والحقيقة أنها وحـــدات صوتية لها وظيفة معينة في التركيب الصوتي لأنها جزء أساسي منه .

ومن الدلالات الصوتية المطردة ما يسمى في التحليل الفونيمي بالفونيمات غير التركيبية (Suprasegmental Phonemes) ، وهي الملامح الصوتية التي تصاحب الكلمات المتصلة أو الجمل فتؤدي وظيفـة دلالية : النبر (Stress) ، والتنغيم (Intonation) .(١)

أما الدلالة الصوتية غير المطردة فهي التي لا تخضع لنظام معين أو قواعد مضبوطة .(٢)

----

(١) الدلالة اللغوية عند العرب : ١٦٧ - ١٦٨ (بتصرف) .

(٢) السابق : ١٨٢ .

ثانيا ـ الدلالة الصرفية :

وهي التي تستمد عن طريق الصيغ وبنيتها (١) . أي أنها تقوم على ما تؤديه الأوزان الصرفية العربية وأبنيتها من معان. (٢) .فالفعل (استغفر) ذو دلالتين : الأولى معجمية تتعلق بمعنى الفعل والثانية صرفية تتعلق بمعنى الصيغة وهي (استفعل) الدالة على الطلب . (٣)

ثالثا ـ الدلالة النحوية :

وهي الدلالة التي تستمد من العلاقات النحوية بين الكلمات التي تتخذ كل منها موقعا في الجملة حسب قوانين اللغة (٤) . حيث يؤدي تغيير موقع الكلمة في الجملة إلى تغيير دلالتها النحوية ، وقد عبر عن ذلك ابن جني بقوله : " هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره ". (٥)

رابعا : الدلالة المعجمية أو الاجتماعية :

وهي الدلالة التي توجه إليها عنايتنا ،فكل كلمة من كلمات اللغة لها دلالة معجمية أو اجتماعية ،تستقل عما يمكن أن توحيه أصوات هذه الكلمة أو صيغتها من دلالات زائدة على تلك الدلالة الأساسية التي يطلق عليها الدلالة الاجتماعية . (٦)

----

(١) دلالة الألفاظ ٤٧.
(٢) الدلالة اللغوية عند العرب ١٨٣.
(٣) علم الدلالة ١٣.
(٤) علم الدلالة في الكتب العربية : ٦١ (د/أحمد حماد ،ط/ أولى ، دار القلم ، دبي ١٩٨٦م) .
(٥) الخصائص ١/ ٣٤.
(٦) دلالة الألفاظ : ٤٨.

وفرّق بعضهم (١) بين الدلالة المعجمية والدلالة الاجتماعية .
فالدلالة المعجمية هي الدلالة القاموسية الجامدة التي تخضع في تحديد معناها بشكل دقيق وواضح لجملة من العوامل أو المؤثرات الصوتية والاجتماعية والنحوية والصرفية . أما الدلالة الاجتماعية فهي أعم من الدلالة المعجمية ، لأنها بطبيعتها ديناميكية تنشأ من خلال تفاعل عوامل عدة من الملابسات أو الظروف التي اصطلح على تسميتها بالمقام أو السياق . ولذلك يطلق عليها الدلالة السياقية .

تطور الدلالة : أسبابه وأشكاله .

أولا - أسبابه : (٢)

١ - ظهور الحاجة : وذلك حينما يملك المجتمع اللغوى فكرة أو شيئا يريد أن يتحدث عنه فإنه يمثله بمجموعة من الأصوات في مفردات أو معجم اللغة .

٢ - التطور الاجتماعي والثقافي : وقد يدخل هذا السبب في السبب السابق ويظهر هذا السبب في عدة صور :

أ - الانتقال من الدلالات الحسية إلى الدلالات التجريدية .

ب - إتفاق مجموعة فرعية ذات ثقافة مختلفة على استخدام ألفاظ معينة في دلالات تتماشى مع الأشياء والتجارب والمفاهيم الملائمة لمهنها أو ثقافتها .

جـ - استمرار استخدام اللفظ ذى المدلول القديم وإطلاقه على مدلول حديث .

---

(١) الدلالة اللغوية عند العرب : ١٦٥ .
(٢) علم الدلالة : ٢٣٧ ، ٢٤٢ .

٣ - المشاعر العاطفية والنفسية : أو ما يعرف بـ (اللامساس) الذى يؤدى إلى التحايل في التعبير أو ما يسمى بالتلطف ،وهو في حقيقته إبدال الكلمة الحادة بكلمة أقل حدة وأكثر قبولا ،فهذا التلطف سبب في تغيير المعنى المكروه.

٤ - الانحراف اللغوي : وذلك عندما ينحرف مستعمل الكلمة بهـا من معناها إلى معنى قريب أو مشابه له فيعد من باب المجـاز وقد يكون الانحراف نتيجة سوء الفهم أو الالتباس أو الغموض ولكن اللغويين يتصدون له بالتقويم والتصويب .

٥ - الانتقال المجازى : وعادة يتم بدون قصد ،ويهدف سد فجوة معجمية ،وذلك مثل (رجل الكرسي) و (عين الإبرة).

٦ - الابتداع : وهو من الأسباب الواعية لتغيير المعنى . وكثيرا ما يقوم به :

أ - الموهوبون من أصحاب المهارة في الكلام كالشعراء والأدباء.

ب - أو المجامع اللغوية والهيئات العلمية حين تحتاج إلى استخدام لفظ ما للتعبير عن فكرة أو مفهوم معين.

ثانيا - أشكاله : (١)

١ - توسيع المعنى : (Widening) أوامتداده (Extension) عندما يحدث الانتقال من معنى خاص إلى معنى عام ،وهو ما يعـرف بـ (تعميم الدلالات). (٢)

---

(١) علم الدلالة ٢٤٣-٢٥٠.

(٢) دلالة الألفاظ : ١٥٤.

وفيه يصبح عدد ما تشير إليه الكلمة أكثر من السابق ،أى يصبح مجال استعمالها أوسع من قبل. ومن ذلك إطلاق (الورد) على كل (زهر) ،و (البأس) على كل شدة ، وهي في الأصل بمعنى : (الحرب) ،وإطلاق : (البحر) على النهر والبحر .(١)

٢ - تضييق المعنى : (Narrowing) أو كما يسميه بعضهم (تخصيص الدلالة) (٢) . ويعني ذلك تحويل الدلالة من المعنى الكلي إلى المعنى الجزئي أو تضييق مجالها ، أو تحديد معاني الكلمات وتقليلها . ومن أمثلتها في العربية : تخصيص كلمة (الطهارة) لمعنى (الختان) في أذهان الناس ،وتخصيص كلمة : (الحريم) للدلالة على النساء بعد أن كانت تطلق على كل حمى محرم .(٣)

٣ - نقل المعنى : ويحدث ذلك عندما يتعادل المعنيان أو إذا كانا لا يختلفان من جهة العموم والخصوص ،كما في حالة انتقال الكلمة من المحل الحال أو من المسبب إلى السبب أو من العلامة الدالة إلى الشيء المدلول عليه .

----

(١) التطور اللغوى : ١١٧ (د / رمضان عبد التواب).
(٢) دلالة الألفاظ : ١٥٢.
(٣) التطور اللغوى : ١١٦.

وانتقال المعنى يتضمن : (الاستعارة) (إطلاق البعض على الكل) (المجاز المرسل بوجه عام)(١) . ومن أمثلته : شرب كوبا من الماء ، وبيت الرجل ، والمقصود أهله .(٢)

٤ - المبالغة : وهي من أشكال تغيير المعنى ، ومن ذلك قولك : (هو سعيد بشكل مخيف) ، و (رائع بكل بساطة) وكلها تعبيرات صارخة سرعان ما تفقد مكانتها وتحل محلها تعبيرات أخرى .

وفي ضوء ما تقدم فقد دأب البحثُ على تتبع الدلالات المختلفة للصيغ ، فعرض للدلالة المعجمية في عموم الصيغ الفعلية ، وذلك بالاهتمام بالمعنى الأصلي للجذر ، وما يطرأ عليه من تعدد أو تغيير من تضييق وتوسيع ، مع ربط هذه الدلالة بسياق النص القرآني ، وقد اقتضت معرفة هذه الدلالة الرجوع الى كتب الأصول اللغوية التي تعنى بالجذور كمقاييس اللغة لابن فارس ، إلى جانب الرجوع إلى المعاجم المختلفة التي تتبع الاستعمالات المتعددة للمادة اللغوية وفي مقدمتها لسان العرب والقاموس المحيط والصحاح والمصباح المنير . أما تضييق المعنى أو توسيعه فقد أفادنا فيه أساس البلاغة للزمخشري وتاج العروس وقد كانت كتب التفسير ومعاني القرآن وغريبه دليلنا إلى المعنى السياقي للنص القرآني . ومن هذه

---

(١) ينظر اللغة لفندريس : ٢٥٨ (ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص ، مكتبة الأنجلو المصرية) .

(٢) التطور اللغوى : ١١٥ .

الكتب معاني القرآن للفراء وإعراب القرآن ومعانيه للزجاج ، وغريب القرآن لابن قتيبة وغريب القرآن للسجستاني ، والكشاف للزمخشري .

كما تناول البحث الدلالة الصوتية لبعض الصيغ وعلاقتها بالمعنى المعجمي . أما الدلالة الصرفية فهي خاصة بصيغ الإلصاق والتحول الداخلي ، وقد أفردنا لبعض كل صيغة من هذه الصيغ فصلا .

رابعا : القرآن والقراءات :

لما كان هذا البحث يقوم على دراسة (الصيغ الفعلية) في القرآن الكريم ، ولأن الدراسة فيه لم تقتصر على الأفعال الواردة في المصحف [(١)] (قراءة حفص عن عاصم) [(٢)] بل شملت جميع القراءات في مستوياتها المختلفة ، ولذلك كان لا بد لنا من إلمامة واضحة محددة نتعرف فيها على آراء العلماء حول معنى القراءات وما أثير حول التفريق بين القرآن والقراءات ، مع الوقوف على مستويات القراءات ، والقراء بكل مستوى .

تعريف القراءات :

- عرّفها ابن الجزري فقال : " القراءات : علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزوا لناقله " [(٣)].

---

(١) اعتمدنا على مصحف المدينة النبوية (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة) .

(٢) وقد عبرنا عنها بـ(رسم المصحف) . ويعرفه د / عبد الفتاح شلبي قائلا : " الرسم : أصله الأثر ، والمراد أثر الكتابة في اللفظ ، وهو تصوير الكلمة بحروف هجائها بتقدير الابتداء بها ، والوقوف عليها " : ٩ .
والمراد بالمصحف : " المصحف الإمام الذي أمر بكتابته سيدنا عثمان ، وأجمع عليه الصحابة (عليهم الرضوان) : ٨٩ ، رسم المصحف العثماني ، ط : ثانية دار الشروق جدة ، ١٩٨٣ م .

(٣) منجد المقرئين لابن الجزري : ٦١ (تحقيق د / عبد الحي الفرماوي / مكتبة جمهورية مصر ، ١٩٧٧ م) .

- وقريب من هذا التعريف ما صرّح به الدمياطي بأنها : " علم يعلم منه إتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحذف والإثبات والتحريك والتسكين والفصل والوصل ، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره ، من حيث السماع ".(١)

فهذان التعريفان يشيران إلى أن القراءات : هي الوجوه المتعددة الصحيحة السند التي يؤدى بها القرآن ، وعليه يكون القرآن شاملا للقراءات الصحيحة.

على حين قصر الزركشي القراءات على الألفاظ المختلف فيها فقال : " القراءات : اختلاف ألفاظ الوحي - المذكور - في الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرها ".(٢)

على أن الأمر لم ينته عند حد التعريف بالقرآن والقراءات ، فقد أديا إلى فتح باب الخلاف حول الفرق بينهما و مجعل هذا الخلاف ينحصر في الآراء التالية :

١ - القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان :

وبهذا الرأى قال الزركشي : " القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان . فالقرآن : هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والإعجاز . والقراءات اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد ، وغيرها ".(٣)

---

(١) الإتحاف : ٥ .

(٢) البرهان للزركشي : ٣١٨/١ (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط/ ثانية دار المعرفة بيروت) .

(٣) السابق ٣١٨/١ .

وقد أخذ بهذا الرأى كذلك القسطلاني في كتابه (لطائف الإشارات)[1] والقول بهذا الرأى يعني استبعاد القراءات السبع والعشر مما هو قرآن .

ويبدو أن مرجع هذا الرأى ما ذهب إليه الزركشي نفسه من أن القراءات السبع "متواترة عن الأئمة السبعة ، أما تواترها عن النبي صلى الله عليه وسلم ففيه نظر ، فإن إسنادهم بهذه القراءات السبع ، موجود في كتب القراءات ، وهي نقل الواحد عن الواحد "[2].

والذى لا شك فيه أن القراءات السبع والعشر إنما هي متواترة أو مستفيضة ، وثبوت هذه الصفات يلغي الاعتقاد بأن القراءات السبع والعشر ليست قرآناً .

٢ - <u>كل قراءة قرآن :</u>

وهذا الرأى قال به ابن دقيق العيد وبه أخذ أبوحيان حيث ذهبا إلى أن كل قراءة صح سندها فهي قرآن بما في ذلك القراءات الشاذة .[3] وهو رأى يخالف الإجماع على أن القراءة الشاذة ليست بقرآن .[4]

---

(١) لطائف الإشارات للقسطلاني ١/ ١٧١ (تحقيق الشيخ عامر السيد عثمان ، د/ عبد الصبور شاهين ، نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة ١٩٧٢ م) .

(٢) الإتقان ١/ ٨٠ .

(٣) القراءات القرآنية : (د/ الفضلي) : ٧٠ (دار المجمع العلمي بجدة ١٩٧٩) .

(٤) لطائف الإشارات ١/ ٧٢ .

٣ - القرآن ما توافرت فيه شروط القراءة الصحيحة :

وهذا الرأي هو أعدل الآراء وأصحها فهو لا يفرّق بين القرآن والقراءات ، كما لا يعتبر كل قراءة قرآنا ، وإنما تعدّ القراءة قرآنا إذا توفرت فيها أركان القراءة الصحيحة وهي (صحة السند وموافقة العربية ومطابقـــة الرسم) ، وهو رأي الجمهور من الأصوليين والفقهاء .

وفي ضوء الخلاف المتقدم حول علاقة القرآن بالقراءات ، وما أشهر حول المتواتر وعدمه منها كان لا بد لنا من معرفة أنواع القراءات ، ومراعاة ذلك خلال البحث بحيث تفصل المتواترة عن الشاذة .

أنواع القراءات :

أولا : المتواتـــرة :

وهي : "كل قراءة وافقت العربية مطلقا ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو تقديرا ، وتواتر نقلها ، هذه هي القراءة المتواترة ، المقطوع بها ". (١)

والمراد بالمتواتر : " ما رواه جماعة ، عن جماعة يمتنع تواطؤهم على الكذب من البداءة إلى المنتهى ، من غير تعيين عدد . هذا هو الصحيح ". (٢)

---

(١) منجد المقرئين : ٩١ .

(٢) لطائف الإشارات ١/٦٩ للقسطلاني .

والقراءات المتواترة هي : السبعة المشهورة بالاتفاق، والثلاثة المكملة للعشرة متواترة اتفاقاً.(١)

والقراء السبعة هم : (ابن عامر، ت : ١١٨هـ)، و (ابن كثير، ت : ١٢٠هـ)، و (عاصم بن أبي النجود، ت ١٢٧ أو ١٢٨هـ)، و(حمزة، ت: ١٥٤ أو ١٥٨)، و (أبو عمرو بن العلاء، ت : ١٥٤ أو ١٥٧هـ)، و (نافع، ت : ١٦٩ هـ)، و (الكسائي، ت : ١٨٩هـ).

والقراء الثلاثة هم : (أبو جعفر، ت ١٣٠هـ) و (يعقوب، ت: ٢٠٥هـ)، و (خلف، ت : ٢٢٩هـ).

ثانياً : الصحيحة وهي على قسمين :(٢)

الأول : (ما صح سنده ووافق العربية والرسم). وصحة السند تكون بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط كذا إلى منتهاه، ووافق العربية، والرسم".(٣)

ويشمل هذا القسم:

أ ـ القراءة المشهورة : وهي " ضرب استفاض نقله، وتلقاه الأئمة بالقبول، كما انفرد به بعض الرواة أو بعض الكتب المعتبرة، أو كمراتب القراء في المد ونحو ذلك.

وهذا القسم يلحق بالقراءة المتواترة وإن لم يبلغ مبلغها.

---

(١) النشر (١/ ٤٥-٤٦) لابن الجزري، مراجعة علي الضباع دار الفكر للطباعة والنشر).

(٢) منجد المقرئين ٩٤ - ٩٦.

(٣) السابق : ٩٤.

ب - القراءة الآحادية : وهي التي لم تستفض في نقلها ،ولم تتلقها الأمة بالقبول .

الثاني : القراءة الشاذة (القسم الثاني من القراءة الصحيحة)

وهي ما وافق العربية ،وصح سنده وخالف الرسم من زيادة ونقص وإبدال كلمة بأخرى .(١)

وقد ذهب العلماء مذاهب شتى حول القراءات الشاذة :

١ - فمنهم من شذذ ما زاد على السبعة فضيّق بذلك حتى أن الأصوليين والفقهاء ،وغيرهم أجمعوا على أن (الشاذ ليس بقرآن)(٢) لعدم التواتر.(٣)

٢ - ومنهم من ذهب إلى أنه لم يتواتر شيء مما زاد ،على العشر ، فتوسط بذلك في موقفه ومن أصحاب هذا الرأى ابن الجزرى ،(٤) فكل قراءة غير العشر شاذة ،وعليه فإن القراءات الأربع الزائدة على العشر شاذة اتفاقا(٥) وأصحابها هم :

(الحسن البصرى ،ت : ١١٠هـ) ،(محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن محيصن ، ت : ١٢٣هـ) ،(الأعمش ،ت : ١٤٨) ، و (يحيى بن المبارك اليزيدى ،ت : ٢٠٢هـ) .

---

(١) منجد المقرئين : ٩٦ .

(٢) لطائف الإشارات ١/ ٧٤ .

(٣) السابق ١/ ٧٤ .

(٤) منجد المقرئين : ٩٥ .

(٥) ينظر الإتحاف : ٧ ،ولطائف الإشارات ١/ ٧٧ .

٣ - ومنهم من توسع ،فعدّ كل قراءة قرآنا حتى الشواذ [(١)] ، وترجيع حجة هؤلاء إلى أن (التواتر) إذا ثبت فإنه لا يحتاج إلى الركنين الآخرين وهما : (الرسم والعربية) .

وبذلك تكون القراءة الشاذة هي كل ما خرج عن السبعة والعشرة لعدم التواتر .

وقد ارتبط ظهور القراءات الشاذة بظهور المصحف الإمام الذى "كان إيذانا بالشذوذ على ما خرج عنه ،والواقع أن هذا هو المقصود من وصف القراءة بالشذوذ ،أى الانفصال عن نهج المصحف الإمام دون تجريح" [(٢)] . أضف إلى ذلك أن ابن مجاهد حين (سبّع السبعة ... اعتبر كل ما عداها شاذا عنها) [(٣)] .

وقد دافع ابن جني عن الشاذ أيّما دفاع واحتج له مع خروجه عن قراءات القراء السبعة ،فقال مشيرا إلى مكانته " إلا أنه نازع بالثقة إلى قرائه ،محفوف بالروايات من أمامه وورائه ،ولعله أو كثير منه ،مساو في الفصاحة للمجتمع عليه.. ولسنا نقول ذلك فسحا بخلاف القراء المجتمع في أهل الأمصار على قراءتهم ،أو تسويغا للعدول عما أقرته الثقات عنهم ،ولكن غرضنا منه أن نرى وجه قوة ما يسمى الآن شاذا " [(٤)] .

---

(١) ينظر القراءات القرآنية : ٧٠ (د/ الفضلي).

(٢) ينظر تاريخ القرآن : ١٦٤ .

(٣) السابق : ١٠ .

(٤) المحتسب لابن جني ١/ ٣٢ تحقيق على النجدى ناصف ، د/ عبد الحليم النجار ، ود/ عبد الفتاح شلبي ،لجنة إحياء التراث ،القاهرة ١٣٨٦ هـ) .

والحقيقة أن كل المحاولات التي قام بها وبذلها العلماء من أجل تصنيف القراءات ووضع حدود فاصلة بين التواتر والشاذ، إنما كانت تهدف إلى حفظ القرآن من أي تغيير أو تبديل يتعرض له.

وقد وجدنا أنه من تمام الفائدة تناول جميع القراءات إلا أننا راعينا جانب الحيطة والحذر عندما فصلنا القراءات المتواترة عن الشاذة، ويرجع تناولنا للقراءات الشاذة للاعتبارات التالية :

١ - أنها تكشف عن جوانب لغوية لا يستهان بها.

٢ - الإجماع على الاحتجاج بالقراءات الشاذة.(١)

٣ - أننا أخذنا بها من منطلق القول بأن " كل ما ورد أنه قرئ به جاز الاحتجاج به في العربية، سواء أكان متواترا أم آحادا أم شاذا ".(٢)

٤ - العناية الخاصة التي لقيتها وتخصيصها بالمؤلفات، ودفاع علماء العربية عنها كابن جني.

وأصحاب القراءات الشاذة كما حصرهم معجم القراءات القرآنية(٣) هـم :

١ - (عبد الله بن عباس).

٢ - (أبو سعيد أبان بن عثمان).

٣ - (مسلم بن حبيب).

---

(١)،(٢) الاقتراح للسيوطي ٤٨ (تحقيق د/ أحمد محمد قاسم، ط/ أولى، مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٩٦هـ).

(٣) معجم القراءات ١/١١٧-١١٨.

٤ - (شيبة بن يعقوب).

وهؤلاء من أهل المدينة .

٥ - (ابن أبي عمارة).

٦ - (ابن محيصن).

٧ - (درباس).

٨ - (حميد بن قيس الأعرج).

وهؤلاء من أهل مكة .

٩ - (عبدالله بن أبي اسحاق).

١٠- (عاصم الجحدري).

١١- (عيسى بن عمر الثقفي).

١٢- (أبو المنذر سلام).

وهؤلاء من أهل البصرة .

١٣- (طلحة بن مصرف) .

١٤- (عيسى بن عمر الهمداني).

١٥- (الأعمش).

١٦- (ابن أبي ليلى).

وهؤلاء من أهل الكوفة .

١٧ - (عدوان بن عثمان الزبيدي).

١٨ - (يزيد اليزيدي).

١٩ - (خالد بن معدان).

وهؤلاء من أهل الشام.

٢٠ - (محمد بن السميفع) .

وهو من أهل اليمن .

أولاً :

صيغ التحول الداخلى المحض :

القسم الأول : صيغ شكلتها الصوائت .

القسم الثاني : صيغتا التضعيف والمــدّ .

القسم الأول : صيغ شكلتها الصوائت .

ويقع في بابين :

الباب الأول : صيغ الثلاثي المجرد .

الباب الثاني : المستوى الصوتي لصيغ الثلاثي المجرد .

الباب الأول :

صيغ الثلاثي المجرد .

ويتضمن أربعة فصول :

الفصل الأول : تعاقب الصوائت على عين (فعل)
الفصل الثاني : صيغ المغايرة .
الفصل الثالث : صيغ المماثلة .
الفصل الرابع : صيغ نادرة .

الفصل الأول :

تعاقب الصوائت على عين (فعل)

وتشكيل صيغ الثلاثي المجرد .

فيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : الصيغة الأولى : صيغة الفتح (فَعَل) .

المبحث الثاني : الصيغة الثانية : صيغة الكسر (فَعِل) .

المبحث الثالث : الصيغة الثالثة : صيغة الضم (فَعُل) .

المبحث الرابع : الصيغة الرابعة : صيغة المبني للمجهول (المشتركة) (فُعِل) .

تعاقب الصوائت على (عين) فعل وتشكيل صيغ الثلاثي المجـــرد

أهمية الصامت الثاني من الجذر (فعل) :

يمثل صوت العين (الصامت الثاني) في صيغ الثلاثي المجرد قطب الميزان الصرفي ،لاحتلاله مركز الصيغة (form). وهذا ســـر قوتها كما وصفها ابن جني حيث قال :" والعين أقوى من الفاء واللام ، وذلك لأنها واسطة لهما ومكنونة بهما فصارا كأنهما سياج لهاومبذولان للعوارض دونها . ولذلك تجد الإعلال بالحذف فيهما دونها ".(١)

فهي أقل أصوات الصيغة تعرضا للتغييرات الصرفية والصوتيـــة مما يدخل عليهما من سوابق أو لواحق أو حذف أو تبديل . ومن ذلـــك ما يحدث في حالة المعتل العين واللام (اللفيف المقرون) والمعتل الفاء واللام (اللفيف المفروق) حيث يبقى صوت (العين) بعيدا في الحالة الأولى عن التغيير وفي الحالة الثانية تقوم عليه الصيغة إذا ماسقطـــت الفاء واللام. ومن هنا فهي" تمثل في الصيغة الثلاثية قمة هرمية تكـــون عامل انسجام واستقرار في الصيغة ".(٢)

وصامت العين ليس صوتا مجردا وإنما (صامت وصائت)(٣) ، فالعين مع حركتها تشكل وحدة صوتية لا تتجزأ على مستوى الصيغة .

---

(١) الخصائص : ٢/١٥٥.

(٢) التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث للطيـــب البكوش : ٩ .

(٣) نرجح استعمال مصطلح (الصوائت) بدل (الحركات) ،لأنه أدل على الناحية الصوتية ، وهو الشائع في معظم الدراســات الصوتية الحديثة .

فما أهمية صائت العين ؟

يعد صائت العين محور التشكيل الصوتي في صيغ الثلاثي المجرد ، حيث يؤدي اختلاف الصوائت على عين (فعل) من فتح أو كسر أو ضم إلى تكوين الصيغ المتعددة في الثلاثي المجرد (الماضي)، ولذلك فإن "حركة العين تمثل عنصر التمييز في الصيغة ".(١) . أي أنها العلامة التمييزية بين صيغة وأخرى .

وقد فطن ابن مالك إلى تعاقب الصوائت على الصامت الثاني (عين) الثلاثي المجرد فقال :

وافتح أو اكسر ثاني الثلاثي
أو ضم واحفظ جامع الثلاثي (٢)

وهذا التعاقب يؤدي إلى تكوين ثلاث صيغ ،وهي كما ذكرها سيبويه " (فعَل) و (فعِل) و (فعُل) نحو : (قتَل) و (لزِم) و (مكُث) ".(٣)

وأرى أن تضاف إلى هذه المجموعة (الثلاثية) صيغة المبني للمجهول أو (المبني للمفعول) من هذه الصيغ . فهي (صيغة مشتركة) بين الصيغ الثلاث .

---

(١) التصريف العربي : ١٩١ ،(للطيب البكوشي ،تقديم صالح القرماوي ، تونس ١٩٧٣).

(٢) شرح الكافية الشافية لابن مالك : ٢٠١٥/٤ بتحقيق عبد المنعم هريدي (نشر مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي جامعة أم القرى ،مكة المكرمة) .

(٣) الكتاب لسيبويه : ٣٨/٤ ،تحقيق عبد السلام هارون، ط : ثالثة ،عالم الكتب ،بيروت سنة ١٩٨٣).

وعليه يمكن تصنيف صيغ الثلاثي المجرد على النحو التالي :

١ - الصيغة الأولى : صيغة الفتح (فَعَل) مع صائتين قصيرين متماثلين (َ ع َ).

٢ - الصيغة الثانية : صيغة الكسر (فَعِل) مع صائتين قصيرين متقاربين (َ ع ِ).

٣ - الصيغة الثالثة : صيغة الضم (فَعُل) مع صائتين قصيرين متقاربين (َ ع ُ).

٤ - الصيغة الرابعة : صيغة المبني للمجهول (الصيغة المشتركة) (فُعِل) مع صائتين قصيرين متنافرين (ُ ع ِ).

فالصوائت (الحركات) لعبت دورا بنائيا في تشكيل الصيغ السابقة ، ولذا فلا بد لنا من وقفة قصيرة مع خصائصها الصوتية.

الصوائت : صفاتها ، مخارجها ، أنواعها :

جميعها تعرف بأنها أصوات انطلاقية.(١)

وقد عرف (دانيل جونز) الصائت بأنه صوت مجهور يخرج الهواء عند النطق به على شكل مستمر من البلعوم والفم ، دون أن يتعرض لتدخل الأعضاء الصوتية تدخلا يمنع خروجه أو يسبب فيه احتكاكا مسموعا.(٢)

---

(١) المنهج الصوتي للبنية العربية د/عبد الصبور شاهين : ٢٩ .

(٢) أصوات اللغة للدكتور عبد الرحمن أيوب : ١٥٦-١٥٧.
وينظر علم اللغة العام للسعران : ١٤٨.

إلا أنه أخذ على هذا التعريف أنه "لم يراع إلا الجانب الفسيولوجي على أن التعريف يجب أن يراعى فيه (الجانب الفيزيائي)، وكذا (الجانب الإدراكي) فيضاف إلى التعريف : أن مكوناتها كثيرة في العدد والقيمة ،وأنها أوضح في السمع". (١)

أما مخارجها وصفاتها فيشرحها التصنيف التالي (٢) :

الصائت	وضع اللسان معه	درجة الانفتاح	صورة الشفتين معه
الكسرة	يكون مقدمه مرتفعا نحو وسط الحنك الأعلى ، مع ترك فراغ كاف لمرور الهواء فهي (أمامية) (٣) (أدنى حنكية) .	ضيقة	منفرجة
الفتحة	يكون مستويا في قاع الفم مع انحراف قليل في أقصاه نحو الحنك فهي (وسطى) (٤) (وسط حنكيه) .	متسعة	منفرجة
الضمة	يكون أقصاه مرتفعا نحو سقف الحنك مع ترك فراغ كاف لمرور الهواء . فهي (خلفية) (٥) أقصى حنكية .	ضيقة	مستديرة

---

(١) علم الصوتيات : للدكتور عبدالله ربيع محمود والدكتور عبد العزيز أحمد علام : ١٥٤ .

(٢) ينظر المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث العلمي : د/رمضان عبدالتواب ٩٢-٩٣ (نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ،ودارالرفاعي بالرياض ط: أولي : ١٩٨٢م - ١٤٠٣هـ) والأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس : ٣٦ ،(ط: ثالثة ،القاهرة سنة ١٩٦١م) . وعلم اللغة العام : د/ السعران : ١٨٣ ،والتشكيل الصوتي في اللغة العربية ،د/ سلمان العاني : ٤٠ ترجمة د/ياسر الملاح ،(نشر النادي الأدبي بجدة ط: أولى سنة ١٩٨٣م) .

(٣) Front Vowel

(٤) Central Vowel

يلاحظ من خلال التصنيف السابق :

١ - أن الكسرة تلتقي مع الفتحة في وضع الشفتين ،فهما (منفرجتان). وهما صائتان أماميان.

٢ - أن الكسرة تلتقي مع الضمة في درجة الضيق .

٣ - أن الفتحة والضمة لا يكادان يلتقيان.

٤ - أن نسبة التقارب بين الضمة والكسرة أكبر من تقارب الفتحة والكسرة . ولذلك يكثر التبادل بين الضة والكسرة على صامت (العين).

ولكل من الكسرة والفتحة مستويان (ألوفونان) فتكون كل منهما :

١ - مفخمة : مع أصوات الإطباق : (ص / ض / ط / ظ).

٢ - مرققة : مع الأصوات الأخرى .

أما الضمة فلا تتأثر بالأصوات المستعلية.[(١)]

وتوصف الفتحة بأنها أخف الحركات[(٢)] ،وتليها الكسرة

---

(١) ينظر الأصوات اللغوية (د/أنيس) : ٤٢ والتشكيل الصوتي : ٣٩ ومابعدها. وعلم اللغة العام (د/بشر) : ١٤٨ ،والأصوات اللغوية للدكتور الخولى : ٩٨.(ط: أولى ،مكتبة الخريجي ١٩٨٧).

(٢) ينظر التبصرة والتذكرة للصيمرى : ٧٤٦/٢ ،(مركز البحث العلمي وإحياء التراث الاسلامي) ،وشرح مختصر التصريف العزي : ٤٨ تحقيق الدكتور عبدالعال مكرم (ط: أولى الكويت). وإحياء النحو لإبراهيم مصطفى : ٥٠ ،٧٩ (مطبعة لجنة التأليف والترجمة سنة ١٩٥١ القاهرة).

وأثقلها الضمة.(١)

وللصوائت أهمية كبرى في بيان اختلاف اللهجات خاصة إذا آثرت لهجة صائتاً بعينه.(٢)

وتعرف هذه الصوائت من حيث درجات الطول بالصوائت القصيرة (Short Vowels) في مقابل الصوائت الطويلة (Long Vowels) إذ لا فرق بينهما إلا في كمية الصوت.

والصوائت الطويلة هي (الألف) و (الواو) و (الياء) ، حيث تقابل الألف (الفتحة) والواو (الضمة) والياء (الكسرة) . وكل صائت قصيرا كان أم طويلا يؤدي وظيفة فونولوجية ، أي أن كلاً منهما فونيم مستقل يتغير به المعنى كما في مثل (قتل وقاتل).(٣)

والصوائت القصيرة عند القدماء هي (الحركات) والصوائت الطويلة هي (حروف المد)،والمعروف أن الحركات عندهم " أبعاض حروف المد واللين "(٤). فهي جزء من شيء آخر ، أي أنها تابعة لحروف المد ، ولا يمكن أن تصبح مستقلة(٥) ، ولذلك يسمي النحاة الفتحة : (الألف الصغيرة) ، والضمة : (الواو الصغيرة) ، والكسرة (الياء الصغيرة)(٦) . وأن أصوات المد تسبقها صوائت صغيرة مماثلة ، وهو ما يتصل بنظام الكتابة عندهم

---

(١) اللهجات العربية في القراءات القرآنية للدكتور الراجحي : ١١٨ (دار المعارف بمصر ١٩٦٨) وينظر : شرح الشافية للجاربردي ضمن مجموعة الشافية : ٣٩/١ .

(٢) ينظر لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة للمطلبي : ١٢٠ ، (دار الثقافة والفنون ، العراق).

(٣) ينظر علم الصوتيات : ٢٠٣

(٤) سر صناعة الإعراب ١٧/١ تحقيق د/حسين هنداوي ، ط/ أولى دمشق ١٩٨٥م.

(٥)(٦) التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب : ٦٦-٦٧ لهنري فليش ، (تعريب / عبد الصبور شاهين ، مجلة مجمع اللغة العربية العدد : ٢٣ ، ١٩٦٨م).

وهذا بخلاف نظرة المحدثين فأصوات المدّ عند هم صوائت طويلة لا تسبقها صوائت قصيرة.(١)

وفي ضوء ما تقدم فإن النظام الفونولوجي للصوائت في اللغة الفصحى هو:(٢)

١ - الفتحة القصيرة + الفتحة الطويلة (ألف المد)

٢ - الكسرة القصيرة + الكسرة الطويلة (ياء المد)

٣ - الضمة القصيرة + الضمة الطويلة (واو المد)

وبعد: فهذه دراسة سريعة للصوائت آثرنا الوقوف عليها للإفادة من خصائصها وصفاتها عند دراسة قراءات كل صيغة من صيغ الثلاثي المجرد (الماضي) والمغايرة منه، خاصة وقد انتهينا إلى أن صيغ الماضي الثلاثي تشكلت بتعاقب الصوائت (الثلاثة) القصيرة على الصامت الثاني (عين) الصيغة.

*

التركيب المقطعي لصيغ الثلاثي المجرد وموقع النبر فيه:

يتكون التركيب المقطعي أو (الوزن الإيقاعي) لصيغ الفعل الثلاثي المجرد من ثلاثة مقاطع مفتوحة متوالية في كل صيغة على هذا النحو:

(ص ح) + (ص ح) + (ص ح)

أي: صامت + حركة قصيرة لكل مقطع. فالصيغ المجردة باختلاف أوزانها الصوتية يجمعها تركيب مقطعي واحد. فمن الطبيعي أن تشترك عدة أوزان صوتية في إيقاع واحد، يضمها في مجموعة واحدة.(٣) ذلك أن (الوزن الصوتي) لكل صيغة يختلف من

---

(١) الأصوات اللغوية: ٣٩ (د/أنيس).

(٢) علم الصوتيات: ٢٠٥.

(٣) المنهج الصوتي للبنية العربية، للدكتور عبد الصبور شاهين: ٤٩.

الآخر حيث تقابل الأصول بـ (ف ع ل) والحركات بمثلها.

أما موقع النبر (Stress) في صيغ الماضي المجرد (فعل) فيحتل المقطع الأول كما اعتمده الدكتور بشر حيث قرر أن " الماضي الثلاثي المجرد دائما منبور مقطعه الأول "(١) . في حين رجح الدكتور عبد التواب وقوعه على المقطع الثاني يقول : " كذلك نرى أن النبر واقع على المقطع الأول في العربية ،في حين أنه في اللغات السامية ،واقع على المقطع الثاني . والراجح أن الحالة الثانية هي الأصل ،لأن المقطع الثاني ، هو المقطع الأساسي ،وحركته كما يقول (جزينيوس) هي الحركة الرئيسية ،ولذلك يرتبط بها الفرق بين المتعدى واللازم في الفعل ، وعلى ذلك لا يستبعد أن يكون وقوع النبر عليه أولى من وقوعه على غيره . أما ما حدث في العربية ،فإنه يتمشى مع نظام النبر العام فيها . وخلاصته أنه يسير من مؤخرة الكلمة نحو مقدمتها ،حتى يقابل مقطعا طويلا فيقف عنده ،فإذا لم يكن في الكلمة مقطع طويل ،فإن النبر يقع على المقطع الأول منها."(٢)

فالدكتور عبد التواب لا يرفض وقوع النبر على المقطع الأول على ما هو معتمد في نظام العربية ولكنه يميل إلى أن يحتل النبر المقطع (Syllable) الهام في الصيغة ، هذا في اللغات السامية لا العربية.

---

(١) علم اللغة العام (الأصوات) (د/بشر) : ١٨٥.

(٢) مجلة كلية اللغة العربية : ٦١/٤ (جامعة الامام محمد بن سعود الرياض : ١٩٧٤م) مقالة بعنوان : (أبنية الفعل في اللغات السامية) للدكتور رمضان عبد التواب.

وحول وقوع النبر على المقطع الهام يصل الدكتور ربيع إلى نتيجة هامة يقول فيها : " واليوم نرى النبر مرتبطا بالتركيب المقطعي محددا على أساسه ، مهما يكن ظروف الكلمة الاشتقاقية والتكوينية ، فالنبر على المقطع (ك) في كلمة (كتب) لا يعني أن هذا المقطع ذو أهمية خاصة كما أشار إليه بعضهم . فسوف نرى أن النبر يترك فاء الكلمة وعينها ولامها كثيرا ".(١) وبعد أن يعرض لعدد من الأمثلة لا يتأثر فيها النبر بالجزء المهم من الكلمة ينتهي إلى أنه " يمكن أن نقول إن النبر في العربية لا يدل الآن غالبا على أصل الكلمة ولا على الجزء المهم فيها بالصورة التي عرفت من اللغات الجرمانية".(٢)

وفي ذلك رد على ما رجحه الدكتور عبد التواب .

وما نريد أن نثبته من هذه المناقشة أن موضع النبر في صيغ الماضي المجرد هو المقطع الأول استنادا إلى نظام العربية في النبر. وهذا يعني أن النبر ملتزم بمكان محدد قائم على أساس الصيغة مهما يكن نوع الفعل أو الكلمة يؤيد ذلك ما قرره الدكتور تمام " والواقع أن النبر في الكلمات العربية من وظيفة الميزان الصرفي لا من وظيفة المثال ".(٣) ويسمى هذا النوع من النبر : النبر الصرفي : " أي نبر

---

(١) ، (٢) "من النبر في نطق العربية الفصحى بالعالم العربي المعاصر" للدكتور عبد الله ربيع محمود حسن : ٧١ - ٧٢ القاهرة : ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م (رسالة دكتوراة مخطوطة) بجامعة الأزهر: كلية اللغة العربية .

(٣) مناهج البحث في اللغة : للدكتور تمام حسان : ١٩٤ ، (دار الثقافة ، الدار البيضاء) .

الصيغة ، بمعنى أن النبر في الكلمة العربية لا يختص بالمثال ،وإنما من اختصاص البناء أوالميزان الصرفي ،وكل مثال يأتي على هذا الميزان ينبر نبره "(١).

وبذلك نقول :إن النبر في صيغ الثلاثي المجرد (فَعَــل) ، (فعِـل) ،(فعُــل) موقعه على المقطع الأول (ف ــَـ) مهمـا تختلف الأمثلة أو تتنوع .

---

(١) الدلالة اللغوية عند العرب للدكتور عبد الكريم مجاهد : ١٧٢
وينظر عن النبر في نطق العربية الفصحى : ٢٢٤-

المبحث الأول

الصيغة الأولى

صيغة الفتح : (فَعَل) مع صائتين قصيرين متماثلين

ويطلق عليها الوزن الأصلي (Grundstamm)[1]

كما قصر بعض المحدثين الماضي عليها فقال : " وكل ماض بالفتح مطلقا ".[2]

ويرجع ذلك إلى خفة الفتحة من ناحية ، ولأنها أصل الحركات الثلاث.[3]

ولذلك كان " هذا البناء أكثر الأبنية وأوفرها ، وأوسعها استعمالا ، لاعتداله وخفته ، فإن اللفظ إذا خفَّ كثر استعماله ، واتّسع التصرف فيه "[4] ومن هنا " لم يختص بمعنى من المعاني ، بل استعمل في جميعها ".[5]

ومن الناحية الوظيفية ترد هذه الصيغة على وجهين : متعدية وغير متعدية.[6]

---

(١) فقه اللغات السامية لكارل بروكلمان : ١٩٤ ، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب ، (جامعة الرياض : ١٩٧٧م).

(٢) تهذيب المقدمة اللغوية لعبد الله العلايلي : ١١٥ ، تحقيق الدكتور أسعد علي ، (ط: ثالثة ، دار السؤال دمشق سنة ١٩٨٥).

(٣) شرح مراح الأرواح لابن كمال باشا : ٤٨ ، (ط: ثانية ، مطبعة البابي الحلبي بمصر : سنة ١٩٣٧م).

(٤) الصرف القياسي وأثره في نمو اللغة للدكتور غريب نافع : ١/١٤٠ ، (ط: ثانية ، مكتبة الأزهر سنة ١٩٧٥م).

(٥) شرح شافية ابن الحاجب ١/٧٠ لرضي الدين الاستراباذي ، تحقيق محمد نور الحسن وآخرون ، (بيروت سنة ١٩٧٥م) . وينظر ارتشاف الضرب لأبي حيان الأندلسي : ١/٨١ ، تحقيق الدكتور مصطفى النّماس ، (ط: أولى القاهرة سنة ١٩٨٤م).

(٦) المنصف في التصريف لابن جني : ١/٢٠ تحقيق : إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ، (ط: أولى ، مطبعة البابي الحلبي مصر سنة ١٩٥٤).

و (فعَل) صيغة شائعة في اللغات السامية كالعربية

والحبشية والعبرية والآرامية والآشورية.(١)

وعلى هذه الصيغة (فعَل) جاءت قراءة معظم أفعال القرآن

في الماضي المجرد. نوردها على التقسيم التالي :

المجموعة الأولى : أفعال صحيحة :

الطائفة الأولى : أفعال غير حلقية :

- قراءات متواترة :

(م) - الفعل : (أمر) من قوله تعالى :

﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا... ﴾

الإسراء / ١٦.

قرأ الجمهور : (أَمَرْنا)(٢) بفتح الميم على (فَعَل) ،

وخرجت دلالة الفعل على وجهين :

أحدهما : أنه من (الأمر) الذى هو ضد النهي .

الثاني : أن معنى (أَمَرنا) كثّرنا ،أى كثرنا مترفيها.(٣)

---

(١) - فقه اللغات السامية : ١٠٩.

(٢) البحر المحيط لأبي حيان : ٢٠/٦ ،(ط ثانية سنة ١٩٧٨م) ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع). وينظر : معاني القرآن للفراء : ١١٩/٢ تحقيق الأستاذ محمد علي النجار ،(الدار المصرية للتأليف والترجمة) ، والحجة لابن خالويه : ٢١٤ ، تحقيق د/ عبد العال سالم مكرم (ط : ثالثة سنة ١٩٧٩م، دار الشروق ، بيروت) . وتفسير القرطبي المسمى : (الجامع لأحكام القرآن) ط: ثانية سنة ١٩٦٧م.

(٣) البحر المحيط : ٢٠/٦.

ورأى أن الدلالة الثانية أقرب إلى معنى النص القرآني الواردة فيه . و (أَمره) لهجة في (آمره) بالمد . فهما لهجتان(١) أحدهما بالمد (آمره) والأخرى بالقصر (أَمره) . وتشارك (أَمَر) على (فَعَل) في الدلالة على الكثرة (أَمِر) على (فَعِل)(٢) . فمن اختار قراءة الفتح (أَمَرنا) على معنى (كثرنا) في مقابل قراءة الكسر (أَمِرنا) مال إلى انسجام الصوائت وتماثلها ، مع ما يترتب عليه من تراجع للصوت الشفوي (الميم) لمجاورته الفتح .

(م) - الفعل : (لمسنا) من قوله تعالى :

﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴾

الجن / ٨ .

رسم المصحف : (لَمَسْنَا) بفتح (الميم) ، يقال : " (لَمَسَه) (لمسا) من بابي (قَتَل) و (ضَرَب) : أفضى إليه باليد "(٣) .

وقد التزم الفعل بصيغة واحدة في الماضي (فعل) وجاءت المغايرة منه على (يفعِل) و (يفعُل) . وهو متعد .

---

(١) اللسان لابن منظور : ٤/٢٩ .

(٢) إكمال الإعلام بتثليث الكلام لابن مالك : ١/٥٢ ، تحقيق سعد الغامدي .

(٣) المصباح المنير لأحمد بن محمد الفيومي ، تحقيق د / عبد العظيم الشناوي .

أما دلالة الفعل القرآني فليس اللمس فيه على حقيقته وإنما على سبيل المجاز (١) "فاستعير للطلب ، لأنّ الماسّ طالب ، ونحوه الجس ، والمعنى : طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام أهلها". (٢)

(ب) ـ الفعل : (أبق) من قوله تعالى :

﴿ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾ الصافات / ١٤٠.

رسم المصحف : (أَبَقَ) بفتح الباء على (فَعَلَ) ، وقد يرد الفعل على (فَعِلَ) كما أورده ابن فارس : " (أَبَقَ) العبد يأبِق و (أَبِقَ) يأبَق " (٣) والمعنى فيهما : "ذهب بلا خوف ولا كد عمل أو استخفى". (٤)

فالنص يشير إلى أن الفعل متفق الدلالة بالصيغتين ، وأنه مع الصيغتين لا يتعدى .

وقد جاء استعمال القرآن للفعل مع الصيغة ذات الصوائت المتماثلة (فَعَلَ) ولعل الفتح اللهجة الشائعة المشهورة في الفعل (أَبَقَ).

---

(١) أساس البلاغة للزمخشري : ٤١٤ تحقيق الأستاذ عبد الرحيم محمود ، (دار المعرفة ١٩٨٢ م بيروت).

(٢) الكشاف للزمخشري : ٣٩٢/٤ ، (دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت) .

(٣) مجمل اللغة لابن فارس : ١٥٨/١ ، حققه الشيخ هادي حسن حمودي ، (طبعة أولى ، منشورات معهد المخطوطات العربية سنة ١٩٨٥ م).

(٤) القاموس المحيط للفيروزآبادي : ٢٠٨/٣ ، (نشر مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ، القاهرة) . وينظر الصحاح للجوهري ١٤٤٥/٤ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار (ط : ثانية سنة ١٩٨٢ م) والأفعال لابن القطاع : ٤٠/١ ، (ط: أولى ، سنة ١٩٨٣ م ، عالم الكتب ، بيروت).

وتجد أن دلالة الفعل في النص القرآني قد تطورت بمقارنتها بالدلالة المعجمية فقد توسعت وخرجت عن الأصل يدلنا على هذا توجيه الزمخشري للمعنى حيث قال : "سمى هربه من قومه بغير اذن ربه اباقا على طريقة المجاز"(١).

(ف) ـ الفعل : (نفشت) من قوله تعالى :

﴿... إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ...﴾ الأنبياء/٧٨.

رسم المصحف : (نَفَشَتْ) بفتح (الفاء) على (فَعَلَ) ،

وهو مشتق من مادة تدل على التفرق فالنفش : الصوف . والنفش : مدّك الصوف حتى ينتفش بعضه عن بعض ... وكل شيء تراه مُنْتَشِرًا رِخْوَ الجوف فهو منتفش ... و (نفشت) الإبل تنفُش وتنفِش و (نفِشَت) إذا تفرقت فرعت بالليل من غير علم راعيها ... ولا يكون النفش إلا بالليل "(٢).

فالدلالة الأصلية للفعل تطورت من المعنى العام إلى المعنى الخاص ، وهو رعي الإبل بالليل .

وجاء الفعل على (فَعَلَ) بالفتح متعديا في الاستعمال الأصلي على حين ورد لازما بالصيغتين (فَعَلَ) و (فَعِلَ) عند توسع الدلالة

---

(١) الكشاف : ٣٥٢/٣ .

(٢) اللسان (ن ف ش) : ٣٥٧/٦ . وينظر تهذيب اللغة للأزهري (٣٧٦/١١-٣٧٧) ، تحقيق جماعة من المحققين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة : ١٩٦٤م).

وتحولها من المعنى العام إلى المعنى الخاص وهو رعي الإبل في المرعى ليلا من غير علم راعيها ، فالتطور الدلالي حول الفعل من التعدي إلى اللزوم .

وقد اختار القرآن الفعل على صيغة (فَعَلَ) دون (فَعِلَ) لتماثل صوائتها وخفة الفتح .

- الفعـل : (كفلها) من قوله تعالى :

﴿... وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ...﴾ آل عمران / ٣٧ .

" قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر : (وكَفَلها) مفتوحة الفاء خفيفة ".(١) والقراءة بالتخفيف مع فتح الفاء هي الاختيار (٢) والمشهورة .(٣) وقد ورد الفعل بالصيغ الثلاث (فَعَل) (فَعِل) (فَعُل) ،

---

(١) السبعة لابن مجاهد : ٢٠٤ ، تحقيق : الدكتور شوقي ضيف ، (ط: ثانية ، دار المعارف بمصر سنة ١٤٠٠هـ) . وينظر: التيسير للداني : ١٦٧ ، تصحيح أوتوبرتزل ، (ط: ثانية ، نشر دار الكتاب العربي : سنة ١٤٠٤هـ) . وغيث النفع للصفاقسي : ١٧٥ على هامش سراج القارئ المبتدئ ، (دار الفكر للطباعة والنشر سنة ١٩٨١م) . والنشر في القراءات العشر: ٢/٢٣٩ لابن الجزري ، مراجعة على الضباع ، (دار الفكر للطباعة والنشر) . والإتحاف للدمياطي : ١٧٦ مراجعة : على الضباع ، (مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني ، القاهرة) .

(٢) الكامل في القراءات الخمسين لأبي القاسم الهذلي : ورقة ١٧٤ ، (مخطوطة) بمكتبة البحث العلمي بجامعة أم القرى .

(٣) إملاء ما من به الرحمن للعكبري : ١/١٣٢ ، تحقيق إبراهيم عوض ، (ط: ثانية ، مطبعة البابي الحلبي ، بمصر سنة ١٩٦٩م) .

قيل : " (كَفَلَ) المال وبالمال : ضمنه و (كَفَلَ) بالرجل يكفُل ويكفِل كفلا وكفولا وكفالة ،و (كَفُلَ) و (كَفِلَ) ،و (تَكَفَّلَ) به ، كله : ضمنه ".(١) وذلك باختلاف البنية واتفاق الدلالة .

والمستعمل الشائع ما كان على (فَعَلَ) ولعل وجه الشيوع يرجع إلى خفة الفتحة ،وانسجامها مع صوائت الصيغة.

وقد ترتب على استعمال صيغة الفتح تغوير(٢) (الفاء) الشفوية صين الصيغة.

(ت) - الفعل : (نتقنا) من قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ... ﴾ الأعراف / ١٧١.

رسم المصحف : (نَتَقْنا) بفتح التاء على (فَعَلَ) ، ومادته : "أصل يدل على جذب شيء وزعزعته وقلعه من أصله ".(٣) و" نتقنا الجبل : أي زعزعناه ورفعناه ".(٤)

وجاء الاستعمال القرآني للفعل على أصله الدلالي متعديا .

---

(١) اللسان : (ك ف ل) ٥٩٠/١١ وينظر الأفعال للسرقسطي ٢١٧/٢ تحقيق : الدكتور حسين محمد شرف ،والدكتور محمد علام ،(المطابع الأميرية : سنة ١٩٧٥م).

(٢) (التغوير) من (Platalization)الغار وهو ما يعرف بـ : وسط الحنك ، أو الحنك الصلب : علم اللغة العام : ٧٠. " وهو أن يرتفع وسط اللسان قليلا نحو الغار عند نطق صوت ما ، مما يضيف سمة التغوير إلى صوت ليس غاريا أساسا" معجم علم الأصوات للخولي : ٤٢ (ط: أولى ١٩٨٢م).

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس : ٣٨٧/٥ ،تحقيق عبد السلام هارون ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع) .

(٤) اللسان : (ن ت ق) ٣٥١/١٠.

- الفعل : (ففتقناهما) من قوله تعالى :

﴿...كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا...﴾ الأنبياء / ٣٠

رسم المصحف : (ففتَقْنٰهما) بفتح (التاء) يقال :

" (فتقت) الشيء (فتقا) : شققته ".(١)

وعلى (فعَل) جاء الفعل متعديا .

(ض) - الفعل : (حضر) من قوله تعالى :

﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ...﴾ البقرة / ١٣٣.

رسم المصحف : (حَضَرَ) بفتح الضاد على (فَعَلَ) . وصفها الأزهري فقال : " واللغة الجيدة (حَضَرت) (تحضُر) ".(٢)

وقد جاء الفتح مناسبا لصوت الإطباق (الضاد) إذ المعروف أن أصوات الإطباق(٣) تؤثر الفتح لما فيها من تفخيم يتناسب معه صائت الفتح . كما أن الفتح متماثل مع صوائت الصيغة المفتوحة (فَعَلَ) .

(ط) - الفعل : (فطرت) من قوله تعالى :

﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ...﴾ الأنعام / ٧٩.

رسم المصحف : (فَطَرَ) بفتح (الطاء) ، وأصل الفَطْر

---

(١) الصحاح : ١٥٣٩/٤.

(٢) اللسان (ح ض ر) : ١٩٧/٤. وينظر : الأفعال لابن القطاع : ٢١٣/١ ، والأفعال للسرقسطي : ٣٥٠/١.

(٣) من أسرار اللغة : للدكتور إبراهيم أنيس : ٢٥٢ ، (ط: خامسة ، مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٥م).

الدلالة على فتح شيء وإبرازه (١) . ثم تطورت الدلالة على هذا النحو:
" (فَطَر) الله تعالى الخلق فَطْرا و (فِطْرة) : خلقهم والشيء صنعته ، وأيضا شققته ". (٢)

- الفعل : (بطل) من قوله تعالى :

﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الأعراف/١١٨.

رسم المصحف : (بَطَلَ) بفتح (الطاء) على (فَعَلَ) للدلالة على ما هو ضد (ثبت) ، وقد ورد الفعل على صيغ الماضي الثلاث ، واختصت كل صيغة معه بدلالة يشير إلى هذا قول ابن مالك :

" (بَطَلَ) الشيء بطلا وبطلانا : ضد ثبت .
و(بَطِلَ) الرجل : هزل فهو بطال .
و(بَطُلَ) بطالة : شجع ". (٣)

باختلاف البنية والدلالة .

- الفعل : (بطن) من قوله تعالى :

﴿... وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ...﴾ الأنعام/ ١٥١.

رسم المصحف : (بَطَنَ) بفتح (الطاء) يقال : " (بَطَنَ) الشيء (يبطُن) من باب (قَتَل) ، خلاف ظهر ". (٤)

---

(١) مقاييس اللغة : ٤/٥١٠.
(٢) الأفعال لابن القطاع : ٢/٤٥٧.
(٣) إكمال الإعلام : ١/٦٩.
(٤) المصباح المنير : ١/٥٢.

فهو على (فَعَلَ) للدلالة على ما خفي . ويكون على (فَعِلَ) (بَطِنَ) : امتلأ بطنه ، وعلى (فَعُلَ) (بَطُنَ) : عظم بطنه.[1] باختلاف الدلالة والبنية .

(ل) - الفعل : (صلبوه) من قوله تعالى :

* ... وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ ... * النساء / ١٥٧ .

رسم المصحف : (صَلَبوه) بفتح (اللام) مأخوذ من الصلب وهو الودك ، يقال : (صَلَبه) يصلُبه صلبا ".[2] على (فَعَل) متعد .

- الفعل : (خلصوا) من قوله تعالى :

* فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ... * يوسف / ٨٠ .

رسم المصحف : (خَلَصُوا) بفتح (اللام) على (فَعَل) ، ومادته تدل على " تنقية الشيء وتهذيبه ".[3] ويبدو أن دلالة الفعل توسعت ، فاستعمل للدلالة على النجاة ، ولذلك يقال : " (خلَص) الشيء ، بالفتح ، يخلُص خلوصا وخلاصا إذا كان قد نشب ثم نجا وسلِم ".[4] كما يستعمل للدلالة على " الانعزال والانفراد عن الناس ".[5] والسياق القرآني يشير إلى هذه الدلالة .

---

(١) ينظر إكمال الإعلام : ١/٦٩ .

(٢) اللسان : (ص ل ب) ١/٥٢٩ وينظر الأفعال لابن القطاع : ٢/٢٤٩ .

(٣) مقاييس اللغة : ٢/٢٠٨ .

(٤) اللسان (خ ل ص) ٧/٢٦ وينظر الأفعال لابن القطاع : ١/٢٨٧ .

(٥) الكشاف : ٢/٣٣٦ . وينظر العمدة في غريب القرآن لمكي القيسي : ١٦٣ . (تحقيق د : يوسف المرعشلي ، ط : ثانية ١٩٨٤ مؤسسة الرسالة) .

- الفعل : (خلطوا) من قوله تعالى :

﴿... خَلَطُوا عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا...﴾ التوبة / ١٠٢ .

رسم المصحف : (خَلَطُوا) بفتح (اللام) وأصله الدلالة على الضم والمزج يقال : " (خَلَط) الشيء بالشيء يخلطه خلطا ... : مزجه ".(١)

وقيل إن الخلط قد ضمن معنى العمل ،" كأنه قيل : عملوا عملا صالحا وآخر سيئا ".(٢)

- الفعل : (ألتناهم) من قوله تعالى :

﴿... وَمَا أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ...﴾ الطور / ٢١ .

أجمع القراء على : (أَلَتْنَاهم) بفتح اللام.(٣) والقراءة على (فَعَلَ) لهجة "يقال : (أَلَتَ) يألت كضرب يضرب".(٤) كما يرد بالكسر : (أَلِتَ) على (فَعِلَ)(٥) ،والصيغتان (فَعَلَ)و(فَعِلَ)بمعنى واحد ،قيل : " (وما ألتناهم)يعني نقصناهم بلغة حمير".(٦) والفعل بالصيغتين متعد .(٧)

---

(١) اللسان : (خ ل ط) ٢٩١/٧ .

(٢) الكشاف : ٢١٢/٢ .

(٣) الحجة لابن خالويه : ٣٣٣ . وينظر السبعة : ٦١٢ ،وغيث النفع : ٣٥٩ ،والنشر : ٣٧٧/٢ ،والبحر المحيط : ١٤٩/٨ .

(٤) الكشف لمكي القيسي : ٢٩١/٢ ،تحقيق الدكتور محي الدين رمضان ،(موسسة الرسالة ،١٤٠١هـ) .

(٥) اللسان : (أ ل ت) : ٤/٢ .

(٦) اللغات في القرآن : ٤٥ .

(٧) المصباح المنير : ١٠٨/١ .

واستعمال الفعل على صيغة (فَعَـلَ) يلتقي فيه صامت أسناني لثوي (اللام) مع صائت (الفتح) الوسط حنكي ، فصارت اللام ، أكثر خلفية أى تراجعت بتأثير الصائت المجاور (الفتح) فأسبغ عليها شيئا من التفخيم (١) . مع تماثل صوائت الصيغة (فَعَـلَ) .ولعل هذا ما تميل إليه اللهجة التي وردت عليها القراءة .

(ن) ـ الفعل : (قنطوا) من قوله تعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ الغَيْثَ مِن بَعْدِما قَنَطُوا ... ﴾ الشورى / ٢٨ .

" قرأ الجمهور : (قَنَطُوا) بفتح النون " (٢) وهي لهجة على (فعِل) قيل : " قَنَط يَقنِط و يقنُط " . (٣)

فالقراءة على اللهجة التي تؤثر الصيغة (فعَل) اتبعت فيها (النون) بصائت الفتح . فأكسبها شيئا من التفخيم . ويلاحظ أن مقاطع الصيغة كلها مفخمة بتأثير (الطاء) والقاف ،وصوائت الفتح المتماثلة . ويمكن أن نقول إن الصيغة مفخمة الصوامت ،متماثلة الصوائت . فمجيء الفعل (قَنَطُوا) على (فَعَلَ) بفتح العين يتميز بانسجام الصوائت .

---

(١) (التفخيم) : " سمة تصاحب الصوت وتنشأ من ارتفاع مؤخرة اللسان إلى أعلى نحو الطبق وتراجعه إلى الخلف نحو الحلق ،ولهذا يدعى التفخيم إطباقا أو تحلقيا . ويدعى الصوت مفخما أو مطبقا أو محلقا " الأصوات اللغوية للخولي : ٢١٤ .

(٢) البحر المحيط : ٥١٨/٧ .

(٣) اللسان : (ق ن ط) ٣٨٦/٧ .

(ر) - الفعــل : (مردوا) من قوله تعالى :

﴿... وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ...﴾ التوبة / ١٠١.

رسم المصحف : (مَرَدُوا) بفتح (الراء) على (فَعَـــلَ)

ومادته "أصل يدل على تجريد الشيء من قشره أو ما يعلوه من شعره"،(١)

وقد يأتي على (فَعِل) قيل : " (مَرَد) كنصر وكرُم مرودا ومرودة

ومرادة فهو مارد ... أقدم وعتا أو هو أن يبلغ الغاية التي يخـــرج

بها من جملة ما عليه ذلك الصنف".(٢)

ويلمح من النص أن اختلاف البنية لا يترتب عليه اختلاف في

الدلالة . إلا أن (مَرَد) على (فَعَل) قد يأتي لمعنى آخر غير ماذكر،

وهو (مرن) ،فقد فسّر الفراء قراءة المصحف : (مردوا) فقــال :

" يريد مرنوا عليه وجربوا ".(٣) وقيل : خبثوا(٤) مما يشير إلى تطور

الدلالة .

- الفعــل : (مرج) من قوله تعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ...﴾ الفرقان / ٥٣.

رسم المصحف : (مَرَجَ) على (فَعَلَ) من "المرج : الخلط.

ومرج الله البحرين العذبَ والمِلْحَ : خلطهما حتى التقيا ".(٥)

---

(١) مقاييس اللغة : ٥/٣١٧.

(٢) القاموس المحيط : ١/٣٣٧.

(٣) اللسان : (م ر د) ٣/٤٠٠.

(٤) العمدة في غريب القرآن : ١٤٩.

(٥) اللسان : (م ر ج) ٢/٣٦٥ وإصلاح المنطق : ٢٣٢.تحقيق عبد السلام هارون (نشر الخانجي بمصر ١٣٧٨ هـ).

ـ الفعـل : (فرشناها) من قوله تعالى :

﴿ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا... ﴾ الذاريات / ٤٨.

رسم المصحف : (فَرَشْنَاهَا) بفتح الراء متعد ، يقال : وقد (فَرَشَ) الفرش (يَفْرُشُه) ، و (يَفْرِشُه) لهجة فيه ، والمعنى : بسطه.(١)

ـ الفعـل : (برز) من قوله تعالى :

﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ... ﴾ البقرة / ٢٥٠.

رسم المصحف : (بَرَزُوا) بفتح الراء على (فَعَلَ) غير متعد ودلالته : ظهر.(٢)

ـ الفعـل : (عرضنا) من قوله تعالى :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ على السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ... ﴾ الأحزاب / ٧٢.

رسم المصحف : (عَرَضْنَا) بفتح الراء على (فَعَلَ) ، ودلالته المعجمية تقول : " عرض الشيء عليه يعرضه عرضا : أراه إياه ... وعرضت عليه أمر كذا وعرضت له الشيء أي أظهرته له وأبرزته إليه".(٣)

فالفعل بهذه الدلالة يستعمل متعديا وكما هو في النص القرآني.

---

(١) ينظر المصباح المنير : ٢/ ٤٦٨، وإصلاح المنطق : ٢٣٢.

(٢) ينظر الأفعال لابن القطاع : ١/ ٩١.

(٣) اللسان : (ع ر ض) ٧/ ١٦٦ ومابعدها.

(ر) - الفعل : (برق) من قوله تعالى :

﴿ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴾ القيامة /٧.

، قرأ نافع وأبان عن عاصم : (بَرَقَ) بفتح الراء.(١) و(برق) بالفتح لهجة.(٢) بمعنى " لمع وشخص عند الموت أو عند البعث".(٣)

وقال صاحب التاج : " بَرَق بصره تلألأ".(٤) وجاء في اللسان : والفتح بمعنى البريق واللموع ... وهو من قولهم : (برَق) بصره أي ضعف".(٥)

وكلها دلالات متقاربة ، أي " تراه يلمع من شدة شخوصه ".(٦)

وبالوقوف على مدى العلاقة الصوتية بين الراء (الصوت اللثوي) وصائت الفتح نجد أن الفتح اجتذب إليه الصوت المتقدم مخرجا (الراء) فصارت الراء صوتا مفخما لمجاورتها الفتحة ، و" الراء المفخمة تعد من الناحية الصوتيه أحد أصوات الإطباق ".(٧)

فالقراءة على (فَعَلَ) ترتب عليها تفخيم الصامت الثاني (عين) الصيغة بتأثير صائت الفتح مع تماثل صوائت الصيغة .

----

(١) السبعة : ٦٦١ وينظر التيسير : ٢١٦ ، والإقناع لابن الباذش ٧٩٨/٢ ، تحقيق الدكتور عبد المجيد قطامش ، (ط: أولى ، دار الفكر ، دمشق سنة ١٤٠٣) . وينظر : النشر : ٣٩٣/٢ ، والاتحاف : ٤٢٨.

(٢) الأفعال لابن القطاع : ٦٧/١.

(٣) الكشف : ٣٥٠/٢.

(٤) تاج العروس للزبيدي : ٢٨٥/٦ ، (ط: أولى ، المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٠٦هـ).

(٥) اللسان : (برق) ١٦/١٠.

(٦) مقاييس اللغة : ٢٢٤/١.

(٧) الأصوات اللغوية للدكتور أنيس : ٦٦.

===

(س) ـ الفعل : (بسر) من قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴾ المدثر / ٢٢.
رسم المصحف : (بَسَرَ) بفتح السين من البسر: القهر، " وبسر الوجه بسورا : عبس ". (١) وفرق بينهم فقيل : إن ظهور العبوس في الوجه بعد المحاورة وظهور البسور في الوجه قبل المحاورة ، والعرب تقول : وجه باسر بين البسور : إذا تغير واسودّ. (٢)

ـ الفعل : (لفسدت) من قوله تعالى :

﴿ ... وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ ... ﴾

البقرة / ٢٥١.

رسم المصحف : (لفَسَدت) على (فَعَلَ) وقد يرد على (فَعُلَ) ودلالتهما واحدة ضد (صَلُحَ). (٣)

ولم يلتفت الكسائي لغير الفتح (فَسَدَ) واقتصر عليه. (٤)

وعدّ ابن درستويه ما كان بالضم (فَسُدَ) لحنا لخروجه عن القياس. (٥)

فالاستعمال القرآني ورد بصيغة الفتح قياسا .. وعلى المستوى الصوتي الفتح أيسر من الضم . وأنسب لمماثلته لصوائت الصيغة.

=== وجاء في الاقناع : ١/ ٣٢٤ : " كل راء متحركة بالفتح أو الضم ، قبلها فتحة أو ضمة أو كسرة عارضة ، أو ساكن قبله أحد هذه الثلاث ، أو كان بعدها حرف استعلاء ، أو راء أخرى في كلمة بينهما ألف ـ فهي مفخمة بإجماع طرفا كانت أو غيره ، منونة أو غير منونة ، مشددة أو مخففة ".

(١) الأفعال لابن القطاع : ١/ ٧٠.
(٢) تفسير القرطبي : ١٩/ ٧٥.
(٣) اللسان : (ف س د) : ٣/ ٣٣٥.
(٤) ما تلحن فيه العامة : للكسائي : ٥٧ ، تحقيق د / رمضان عبد التواب (ط: أولى ، مكتبة الخانجي بالقاهرة والرفاعي بالرياض سنة ١٩٨٢).
(٥) تصحيح الفصيح لابن درستويه : ١/ ١١٩ ، تحقيق عبدالله الجبوري ، (ط: أولى ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، سنة ١٩٧٥ م).

(ص) - الفعل : (قصمنا) من قوله تعالى :

﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً ... ﴾ الأنبياء / ١١.

رسم المصحف : (قَصَمنا) بفتح (الصاد) على (فَعَلَ) مأخوذ من مادة دالة على الكسر[1] يقال : (قَصَمَ) الشيء قَصْماً كسره و (قَصِمت) السنُّ (قصماً) انكسر نصفها ، والإنسان ضعف ، والقناة انكسرت "[2].

فالفعل يستعمل بصيغتي الفتح والكسر (فَعَلَ) و (فَعِلَ) ، وجاء القرآن بالأولى ولعلها الأشيع في الاستعمال وأدل على الهلاك .
قال الزجاج في معنى الفعل : (قَصَمْنَا) : " أهلكنا وأذهبنا "[3] فعبر عن الهلاك بالكسر توسعاً في الدلالة . ويبدو أن وجه الشيوع في صيغة الفتح (فعَل) يرجع إلى الخفة والتماثل .

- الفعل : (حصدتم) من قوله تعالى :

﴿ ... فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ ... ﴾ يوسف / ٤٧.

رسم المصحف : (حَصَدتم) على (فَعَلَ) وتشير دلالته إلى استعماله متعدياً ، يقال : " (حَصَدَ) الزرع وغيره من النبات (يحصِد) و (يحصُد) حصداً ... قطعه بالمنجل "[4].

---

(١) مجمل اللغة : ١٦٧/٤.

(٢) الأفعال لابن القطاع : ٣٩/٣.

(٣) اللسان : (ق ص م) ٤٨٦/١٢.

(٤) السابق : (ح ص د) ١٥١/٣.

(ج) - الفعـل : (أعجزت) من قوله تعالى :

﴿... أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ...﴾ المائدة / ٣١.

" قرأ الجمهور : (أَعَجَزت) بفتح الجيم ".(١)

وقراءة الفتح هي اللهجة الفصحية نص على ذلك أبو حيان.(٢)

ويقول فيها الهذلي : " بفتح الجيم وهو الاختيار ، لأنه أشهر اللغتين ".(٣)

وبالفتح قال الكسائي : " وتقول : (عَجَزت) عن الشيء بفتح الجيم ".(٤)

فالفصاحة والشهرة اقترنت بصائت الفتح ، ويبدو أن مناسبة الفتح لصوت الجيم (الحنكى) قد تبرز مكانة الفعل اللغوية . لتقاربهما المخرجي مما يسهّل عملية الأداء .

إلا أن ابن درستويه يقرن فتح (الجيم) بدلالة الفعل يفهم هذا من تعقيبه على الفعل (أعَجَزت) في الآية ، " ومعناه معروف وهو ضد القوة في الجسم ، وضد الكيس في الفعل والرأى ".(٥)

فالفعل (عَجَزَ) بالفتح اختص بالدلالة على القوة بخلافه في اللهجة الأخرى كما سيرد .

---

(١) البحر المحيط ٣/٤٦٦-٤٦٧ وينظر الاتحاف : ١١٩.

(٢) النهر الماد بهامش البحر المحيط : ٣/٤٦٦.

(٣) الكامل في القراءات الخمسين للهذلي : ١٨٣.

(٤) ما تلحن فيه العامة للكسائي : ١٠٠ وينظر تقويم اللسان لابن الجزرى : ١٣٦ ، تحقيق د/ عبد العزيز مطر (ط: ثانية ، القاهرة).

(٥) تصحيح الفصيح لابن درستويه : ١/١٢٨ وينظر اللسان : (عج ز) ٥/٣٦٩.

(ك) - الفعل : (فمكث) من قوله تعالى :

﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ... ﴾ النمل / ٢٢.

" قرأ عاصم : (فَمَكَثَ) بفتح الكاف "(١) على (فَعَلَ).

وقد تعاقب اللغويون على وصف قراءة الفتح على هذه الصورة :

- مكي القيسي وصفها بأنها " لغة (أكثر) و (أشهر)، واستدل على الفتح بقوله تعالى : ﴿... إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴾(٢) وفاعل لا يكون من (فَعُلَ) فدل على أنه (فَعَلَ) بالفتح "(٣).

وهي عند أبي جعفر النحاس (أفصح).(٤) ويكتفي ابن خالويه بالقول بأن الاختيار عند النحويين الفتح.(٥)

وينتهي المطاف عند أصحاب المعاجم فهي عندهم أي (مَكَث) " جائزة وهو القياس "(٦).

---

(١) التبصرة لمكي القيسي : ٢٨١، تحقيق د / محي الدين رمضان، (نشر معهد المخطوطات العربية، الكويت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) وينظر السبعة : ٤٨٠، وغيث النفع : ٣١١، والتيسير : ١٦٧، والكامل في القراءات الخمسين : ورقة ٢٢٦.

(٢) الزخرف : ٧٧.

(٣) الكشف : ٢ / ١٥٥.

(٤) إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس : ٢ / ٥١٤ تحقيق د / زهير زاهد، (مطبعة العاني - بغداد).

(٥) الحجة لابن خالويه : ٢٧٠ وينظر الحجة لأبي زرعة : ٢٥٥، تحقيق : سعيد الأفغاني، (ط: ثانية، مؤسسة الرسالة بيروت سنة ١٩٧٩م).

(٦) اللسان : ٢ / ١٩١ وينظر تاج العروس : ١ / ٦٤٧.

من مجمل هذه الصفات نقف على حقيقة هامة ، هي أن درجة الشيوع ومستوى الأداء ، هما المقياس اللغوي الذى تقاس به مكانة اللهجة بين سائر لهجات اللغة الواحدة .

ونحسب أن للمستوى الصوتي دوراً في شهرة هذه اللهجة ، فالانسجام بين صوائتها من ناحية ، وخفة الفتح مع صوت أقصى الحنك (الكاف) عين الصيغة من ناحية أخرى ، مما يكسبها سهولة في الأداء بتحريك اللسان في اتجاه واحد .

(ق) ـ الفعل : (نقموا) من قوله تعالى :

﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُم إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾

البروج / ٨ .

" قرأ الجمهور : (نَقَمُوا) بفتح القاف ".(١)

وقد وصف الفتح في الفعل (نقَم) بأنه الأجود والأكثر قيل : " (نَقَمْتُ) على الرجل (أنقِم) ، و (نَقِمتُ) عليه (أنقَم) ، قال : والأجود (نَقَمتُ) أنقِم ، وهو الأكثر في القراءة ".(٢) وهي الأفصح .(٣)

---

(١) البحر المحيط : ٤٥١/٨ .

(٢) اللسان (ن ق م) : ٥٩١/١٢ وينظر تصحيح الفصيح : ١١٢/١ ، وأدب الكاتب لابن قتيبة : ٣٢٤ ، تحقيق محمد محي الدين ، (طبعة السعادة بمصر طبعة ثالثة سنة ١٣٧٧هـ) وإصلاح المنطق لابن السكيت : ٢٠٧ ، تحقيق عبد السلام هارون ، والأفعال للسرقسطي ٢٢٠/٣ ، والصحاح ٢٠٤٥/٥ .

(٣) الأفعال لابن القوطية : ٢٧٧ ، تحقيق علي فوده ، (ط: أولى سنة ١٩٥٢ (مصر .) .

وينفي الكسائي وجود لهجة أخرى غير الفتح "وتقول : (ما نقمت) منه إلا عجلته ، بفتح القاف ،لا يقال غيره ."(١)

فالفعل (نَقَمُوا) على (فَعَل) لهجة أجود وأكثر وأفصح.(٢)

ولعل هذا المستوى اللهجي يرجع إلى ناحية صوتية . فصوت (القاف) اللهوى شبه المفخم يناسبه الفتح قياسا على الأصوات المفخمة.

ويبدو أن أصحاب هذه اللهجة ممن يميلون إلى تماثل الصوائت.

*

- قراءات شاذة :

(ب) - الفعل : (حبطت) من قوله تعالى :

﴿ أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ... ﴾

المائدة / ٥٣ .

قرأ أبو واقد وأبو السمال : (حَبَطت) بفتح الباء.(٣)

وخرجها أبو حيان على أنها لهجة(٤) ، إلا أن النحاس وصفها بالشذوذ.(٥)

---

(١) ما تلحن فيه العامة : ١٠٠ .

(٢) تصحيح الفصيح : ١٣٠ .

(٣) شواذ القراءات : ٣٣ لابن خالويه ،عني بنشره ج : برجشتراسر، (مكتبة المتنبي القاهرة) . وينظر : البحر المحيط : ٣/ ٤٣٣ ؛ ٣/ ٥١٠ ،والكامل في القراءات الخمسين : ورقة : ١٨٦ (مخطوطة) .

(٤) البحر المحيط : ٢/ ٤١٤ .

(٥) إعراب القرآن للنحاس : ٢/ ٣١٨ .

وأشار الزبيدى إلى أن أئمة اللغة لم يذكروا هذه اللهجة (حَبَط) على (فَعَل) واكتفوا بـ (حبِط) على (فعِل) ما عدا أبو زيد قال : "ومن المجاز (حبِط عمله كسمع) وعليه اقتصر الجوهرى وغيره من الأئمة وزاد أبو زيد (حبَط عمله) مثل (ضرب) وحكى عن أعرابي أنه قد قرأ فقد (حبَط عمله) بفتح الباء قال الأزهرى : ولم أسمع هذا لغيره . والقراءة فقد (حَبِط) عمله بكسر الباء".(١)

إلا أنني وجدت من أصحاب المعاجم من ينص على مجيء (حبَط) على (فعَل) فقد ذكرها الفيروزآبادى فقال : "وحبط عمله كسمع وضرب حبطا وحبوطا".(٢) ، وبه قال الفيومي.(٣)

ولعل الذى اختار استعمال الفعل على صيغة (فَعَل) اعتمد الجانب الصوتى ففتح (الباء) لتنسجم مع صائت (الحاء) وصائت الطاء . ففتح (الباء) من الصيغة نوع من انسجام الصوائت كما أن الفتح يتناسب مع الصوت المطبق (الطاء) . فالأصوات المطبقة تؤثر الفتح .

أما أصحاب المعاجم الأخرى فأرى أن استبعادهم للفعل (حَبَط) على (فَعَل) يرجع إلى قلة استعماله وعدم شيوعه وشهرته . وبالتالي عدم قراءة الجماعة به.

---

(١) تاج العروس : ١١٦/٥ وينظر : اللسان : (ح ب ط) م ٢٧٢/٢.

(٢) القاموس المحيط : ٣٥٣/٤ للفيروزآبادى .

(٣) المصباح المنير : ١١٨/١.

كما أنهم يربطون دائما صيغة الماضي بالمضارع ،ولما كان المضارع (يحبَط) فلا بد وأن يكون ماضيه (حَبِط) على (فَعِل يفعَل) وخروج الماضي عن الصيغة المعتمدة يترتب عليه تغيير صيغة المضارع .

(ف) - الفعل : (وطفقا) من قوله تعالى :

﴿... وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ...﴾ الأعراف / ٢٢ .

قرأ أبو السمال :* (وطَفَقا) بالفتح (١) . و (طَفَق) لهجة نص عليها السرقسطي، (٢) وابن سيدة (٣) ،إلا أن الليث عدها لهجة رديئة ولم يعلل كعادة كثير من اللغويين في إطلاق مثل هذه الصفات من غير تعليل لها . (٤)

ونظن أن سر الرداءة فيها يرجع إلى صعوبة الأداء ، فتجاور أصوات الاستعلاء (ط ، ق) مع صوائت الفتح في الصيغة الواحدة ضاعف القيمة التفخيمية لصيغة الفعل .

ويبدو أن أصحاب هذه اللهجة ممن يؤثر توافق الصوائت أيا كانت الآثار الصوتية المترتبة عليه. (٥)

* وطفق بمعنى : علق يفعل كذا وهو يجمع معنى : ظل وبات .

---

(١) شواذ القراءات : ٤٢ وينظر البحر المحيط : ٤/ ٢٨٠ والكامل للهذلي : ورقة : ١٩٣ .

(٢) الأفعال للسرقسطي : ٣ / ٢٧٥ ،وينظر الأفعال لابن القطاع ٢/ ٣٠٠ .

(٣) اللسان : (ط ف ق) : ١٠/ ٢٢٥ .

(٤) السابق : ١٠/ ٢٢٥ .

(٥) تهذيب اللغة : ١٦/ ٢٨٥ .

(د) - الفعل : (ردف) من قوله تعالى :

﴿ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴾

النمل / ٧٢.

قرأ الأعرج (ابن هرمز) : (رَدَف) بفتح الدال.[1]

وقاسها ابن جني على (تلا) و (شفع).[2]

وأشار الفيروزآبادي[3] وتبعه الزبيدي[4] إلى مجيء الفعل على (فعَل) ولم يذكره غيرهم من أصحاب المعاجم فيما رجعت إليه.[5]

و (رَدَف) على (فَعَل) لهجة تقابلها لهجة الكسر (رَدِف) ، وكلاهما بمعنى (أَزِف) و (قرب).[6]

فهما متحدتان في الدلالة مختلفتان في البنية . وهو اختلاف له مبرره الصوتي ، فلهجة الفتح تدل على ميل أصحابها إلى انسجام الصوائت.

---

(١) البحر المحيط : ٧/ ٩٥ وينظر شواذ القراءات لابن خالويه : ١١٠.

(٢) المحتسب لابن جني : ٢/ ١٤٣ ، تحقيق علي النجدي ناصف ، والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، (المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٦٩).

(٣) القاموس المحيط : ٣/ ١٤٣.

(٤) تاج العروس : ٢٣/ ٣٢ طبعة محققة (تحقيق عبد الفتاح الحلو ، طبعة حكومة الكويت سنة ١٩٨٦).

(٥) كـ الصحاح واللسان ، والمصباح المنير.

(٦) البحر المحيط : ٧/ ٩٥ وينظر إملاء ما من به الرحمن : ٢/ ١٧٥.

الطائفة الثانية : أفعال حلقية :

- قراءات متواترة :

(ل) - الفعل : (صلح) من قوله تعالى :

﴿ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ .... ﴾ الرعد / ٢٣ ، غافر / ٨ .

قرأ الجمهور : (صَلَحَ) بفتح اللام ، وهو أفصح (١) ، وقيل : وهو الاختيار ، لأن اسم الفاعل منه صالح (٢) . فالقراءة على صيغة (فَعَل) (٣) أفصح (٤) . ولعل وجه الفصاحة فيها مناسبة الفتح بعد عين الصيغة لصوت الحلق (الحاء) مع انسجام صوائت الصيغة .

(ر) - الفعل : (فرغت) من قوله تعالى :

﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴾ الانشراح / ٧ .

" قرأ الجمهور : (فَرَغْتَ) بفتح الراء " (٥) . وقد وصفت هذه القراءة بأنها " الاختيار ، لأنها أشهر " (٦) .

---

(١) البحر المحيط : ٥/٣٨٧ .

(٢) الكامل في القراءات الخمسين : ورقة : ٢٨ .

(٣) ينظر القاموس المحيط : ١/٢٣٥ والأفعال لابن القطاع : ٢/٢٣٧ .

(٤) ينظر إصلاح المنطق : ٢٠٧ .

(٥) البحر المحيط : ٨/٤٨٨ .

(٦) الكامل في القراءات الخمسين : ورقة : ٢٤٩ .

وذلك يرجع لكونها لهجة الحجاز[1] والتي تؤثر في فتح (عين) الفعل الحلقي العين أو اللام .

وأدى فتح (الراء) عين الصيغة إلى تماثل صوائت الفعل ، مع اكساب الراء قيمة تفخيمية لمجاورتها الفتح .

وبالوقوف على دلالة الفعل على (فَعَل) نجد المعاجم تخصه بدلالة مغايرة لما جاء منه على (فَعِل) . يقول ابن مالك : (فَرَغ) من الشيء : أتمه . وله قصد والشيء خلا ، والرجل مات "[2].

(غ) - الفعل : (شغفها) من قوله تعالى :

﴿... قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ...﴾ يوسف / ٣٠ .

قرأ الجمهور : (شَغَفها) بالفتح[3] على (فَعَل) .

و (شَغَف) بالفتح معروفة في كلام العرب قالها النحاس : " ولا يعرف في كلام العرب إلّا (شَغَفها) بفتح الغين "[4].

أما دلالة الفعل فقد قيل : " شَغَف الهوى قلبه : بلغ شغافه ، وهو غشاؤه "[5].

---

(١) الأفعال لابن القطاع : ٤٦٧/٢ .

(٢) إكمال الإعلام بتثليث الكلام لابن مالك : ٤٨٠/٢ ، وينظر الصحاح ١٣٢٤/٤ وتاج العروس : ٥٤٣/٢٢ (طبعة محققة) .

(٣) البحر المحيط : ٣٠١/٥ .

(٤) إعراب القرآن للنحاس : ١٣٧/٢ وينظر تفسير القرطبي : ١٧٦/٩ .

(٥) الأفعال للسرقسطي : ٣٦٩/٢ ، وينظر تاج العروس : ٥١٧/٢٣ .

ويلاحظ على مجيء الفعل على (فَعَل) وجود علاقة صوتية بين الصوت الواقع عين الصيغة (الغدن) الصامت الحلقي وصائت الفتح بعده.

(هـ) - الفعل : (وهنوا) من قوله تعالى :

﴿... فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ آل عمران/١٤٦ ، مريم/٤ .

"قرأ الجمهور : (وَهَنُوا) بفتح الهاء".[1] ويستعمل (الفعل) بلهجتين ،بالفتح على (فَعَل) وبالكسر على (فَعِل) : (وهَن) يهِن ،(وَهِن) يوهَن[2]. إلا أن لهجة الفتح هي " الاختيار ، لأنه أشهر"[3]. فالقراءة على (فعَل) جاءت على اللهجة المشهورة .

ولعل وجه الشهرة يرجع إلى العلاقة الصوتية بين الصامت الحنجرى (الهاء) وصائت الفتح . مع ما يترتب عليه من تماثل صوائت الصيغة وخفة الفتح .

---

(١) البحر المحيط : ٧٤/٣ وينظر إملاء ما من به الرحمن : ١٥٣/١ والكشاف : ٢٢١/١.

(٢) المحتسب : ١٧٤/١ وينظر : البحر المحيط : ٧٤/٣ .

(٣) الكامل في القراءات الخمسين ورقة : ١٨١ (مخطوطة).

- قراءات شاذة :

(ع) - الفعل : (ضعفوا) من قوله تعالى :

﴿... وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا...﴾ آل عمران / ١٤٦.

"وقرئ : (ضَعَفوا) بفتح العين ، وحكاها الكسائي لغة"[(١)]

على صيغة الفتح (فَعَل).

وقد ترد (ضعف) على صيغة الضم (فَعُل)[(٢)]. وعزى (الضعف) بفتح الضاد مصدر (ضعف) بفتح (العين) إلى تميم ، وهو خلاف القوة والصحة[(٣)].

وجاء اختيار صيغة الفتح (فَعَل) لمناسبة صوت الحلق (العين) عين الصيغة مع مماثلته لصوائت الصيغة ، لهجة تميمية.

(ح) - الفعل : (فضحكت) من قوله تعالى :

﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ...﴾ هود / ٧١.

" قرأ محمد بن زياد الأعرابي رجل من قراء مكة : (فضحَكت) بفتح الحاء"[(٤)].

---

(١) البحر المحيط : ٣/٧٤ وينظر إعراب القرآن للنحاس : ١/٣٦٩ وتفسير القرطبي : ٤/٢٣١ والأفعال لابن القطاع ٢/٢٧٠.

(٢) ينظر القاموس المحيط : ٣/١٦٥ واللسان (ض ع ف) ٩/٢٠٣.

(٣) المصباح المنير : ٢/٣٦٢.

(٤) البحر المحيط : ٥/٢٤٣ وينظر شواذ القراءات : ٦٠ وشواذ القراءة للكرماني ورقة : ١١٣ (مطبعة دار الكتب المصرية ، قسم التصوير سنة ١٩٣٧م).

الا أن اللغويين استبعدوا مجيء الفعل على صيغة الفتح (فعَل) فهذا ابن جني يقول : " ليس في اللغة (ضحَكت) وإنما هو (ضحِكت) ".(١) كما يصرح المهدوى بأن " فتح الحاء غير معروف ".(٢)

ولذلك لم يرد ذكر الفعل (ضحَكت) على (فعَل) في المعاجم (٣)، إلا أن مبرر الفتح واضح ، وهو مراعاة صوت الحلق (الحاء) . والعدول عن الصائت الأثقل (الكسر) إلى الصائت الأخف (الفتح). مع تماثل صوائت الصيغة .

(هـ) ـ الفعل : (فبهت) من قوله تعالى :

﴿... فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ...﴾ البقرة / ٢٥٨ .

قرأ ابن السميفع : " (فَبَهَت) بفتح الباء والهاء ".(٤)

وهي " لغة في (بُهِت) ".(٥) فالأصل في الفعل أن يكون على (فُعِل) ، ثم تحول إلى صيغة (فَعَل) بتماثل الصوائت .

---

(١) المحتسب : ١/٣٢٤ .

(٢) البحر المحيط : ٥/٢٤٣ .

(٣) وذلك فيما رجعت إليه : اللسان ، القاموس المحيط ، الأفعال لابن القطاع والصحاح .

(٤) شواذ القراءة للكرماني ورقة : ٤٢ وينظر شواذ القراءات لابن خالويه : ١٦ وقد عزاها ابن خالويه إلى اليماني ومجاهد . والبحر المحيط : ٢/٢٨٩ وإملاء ما من به الرحمن : ٢/١٢ .

(٥) تفسير القرطبي : ٣/٢٨٨ .

ونص الزبيدي على قياسية هذه اللهجة فقال : " وأما من قال (بَهَتَ) كنصر ومنع فلا مانع له في القياس ".(١)

ويبدو أن وجه القياس فيه وقوع (عين) صيغة الفعل صوتا حلقيا مما يوجب فتحها .

ونقف برهة عند وظيفة الفعل على (فَعَلَ) أمتعدٍ هو أم لازم ؟

يقول أبوحيان : " (بهت) : تحيّر ودهش . ويكون متعديا على وزن : (فَعَل) ، ومنه (فَتَبْهَتُهُم)(٢) ، ولازما على وزن (فَعُلَ) كظَرُفَ ، و (فَعِلَ) كدَهِشَ . والأكثر في اللازم الضم .

وحكى عن بعض العرب : " (بَهَتَ) - بفتح الهاء - لازما ".(٣)

فالفعل (بهت) يكون :

على (فَعَلَ) متعديا وقد يكون لازما .

وعلى (فَعُلَ) و (فَعِلَ) لا زما .

و (بَهَتَ) على (فَعَلَ) متعدٍ بالحركة ، ووجه التعدية في النص القرآني كما خرجها ابن جني قائلا : " وقد يكون متعديا ، ويكون مفعوله محذوفا ، أى (فَبُهِتَ) الذى كفر إبراهيمُ عليه السلام . أى رام أن يبهت إبراهيم عليه السلام . إلّا أنه لم يستوله ذلك ، وكانت الغلبة منه لإبراهيم عليه السلام ".(٤)

---

(١) تاج العروس : ٥٢٩/١ وينظر اللسان (ب هـ ت) : ١٢/٢ .
(٢) الأنبياء : ٤٠ .
(٣) البحر المحيط : ٢٨٥/١ .
(٤) المصباح المنير : ٦٣/١ .

المجموعة الثانية : أفعال معتلة :

الطائفة الأولى : أفعال معتلة الصامت الأول :

- قراءات شاذة :

(د) - الفعل : (ودعك) من قوله تعالى :

﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ الضحى /٣.

قرأ النبي صلى الله عليه وسلم وعروة بن الزبير [1] : (ماوَدَعَك) خفيفة.[2]

فالقراءة بالثلاثي الماضي : (وَدَعَك) . وهذا الاستعمال يعد على المستوى اللغوي لهجة قليلة [3] شاذة [4] . لا يستعمل منه إلّا المستقبل والأمر وقد استغنوا عنه بالفعل (ترك) [5] ، ولذلك قيل : إنه فعل أميت ماضيه ، وربما جاء في ضرورة الشعر ، واستشهدوا بقول أبي الأسود الدؤلي :

لَيْتَ شِعْرى عن خليلى ما الذى غَالَهُ في الحُبِّ حتى وَدَعَه [6]

---

(١) وبها قرأ كذلك : هشام بن عروة وأبو حيوة وأبو بحرية وابن أبي عبلة وابن عباس . ينظر معجم القراءات : ٨/١٧٩-١٨٠.

(٢) المحتسب : ٢/٣٦٤.

(٣) إملاء ما من به الرحمن : ٢/٢٨٨.

(٤) اللسان (ودع) : ٨/٣٨٣ . وينظر تاج العروس : ٢٢/٣٠٤ .

(٥) الصحاح : ٣/١٢٩٦.

(٦) البيت من بحر (الرمل) ورد في :

الديوان : ٦٣ ، صنعة أبي سعيد الحسن السكرى ، تحقيق محمد حسن آل ياسين ، (ط: أولى دار الكتاب الجديد ، بيروت ١٩٧٤م) ، وينظر الشافية : ١/١٣١ والمحتسب : ٢/٣٦٤ ===

ولابن درستويه تعليل حسن لإهمال هذا الفعل يقول فيه :

"إنما أهمل استعمال (ودع) و (وذر) ؛ لأن في أولهما واو ، وهو حرف مستثقل ، واستغنى عنهما بما خلا منه ، وهو في الشعر أحسن منه في الكلام لقلة اعتياده ، لأن الشعر أيضا أقل استعمالا من الكلام".(١)

فابن درستويه بهذا التعليل ينفي صفة الشذوذ عن الفعل ويرده إلى القياس وما قلة الاستعمال إلا لدواع صوتية .

ومجيء القراءة بالفعل ، وعن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم في بعض الأشعار يوجب عدم القول بإماتة الفعل . وكل ما يمكن قوله أن الفعل قليل الشيوع .

وقد جاء الفتح في الفعل المثال الحلقي مناسبا لصوت الحلق (العين) مع انسجامه مع صوائت الصيغة .

(ج) - الفعل : (وجلت) من قوله تعالى :

﴿... الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ...﴾ الأنفال / ٢ .

قرأ يحيى وأبو واقد : (وَجَلَت) بفتح الجيم (٢) ، على (فعَل) لهجة يقال : " (وجَل) (ياجل) ، هذه لغة بني قشير وعقيل ".(٣)

واختيار الفتح في الفعل (وجَل) على عين الصيغة (فعَل) يمكن ردُّه إلى الميل إلى الانسجام بين صوائت الفعل .

=== وشرح مختصر التصريف المزي : ١١٣ للتفتازاني ، بتحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم ، (ط: أولى ، ذات السلاسل ، الكويت : سنة ٩٨٣ (م) . والخصائص : ١/ ٩٩ لابن جني ، تحقيق محمد علي النجار (دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت) .

(١) المزهر : ٢/ ٤٦ للسيوطي ، تعليق محمد أحمد جاد المولى وآخرون ، (دار إحياء الكتب العربية) .

(٢) شواذ القراءات : ٤٨ وينظر البحر المحيط : ٤/ ٤٥٧ وشواذ القراءة للكرماني : ورقة : ٦٤ .

(٣) الأفعال للسرقسطي : ٤/ ٢٧٠ .

الطائفة الثانية : سقوط عين (فعَل) وتحويل صائت (الفاء)

من الفتح إلى الضم .

- قراءات متواترة :

- الفعل : (دمت) من قوله تعالى :

١ - *... إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا... * آل عمران / ٧٥ .

قرأ الجمهور : (دُمْتَ) على ضم الدال ، وماضيه دام يدوم

مثل قال يقول (١) .

٢ - *... وَأَوْصَـٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * مريم / ٣١ .

قرأ عاصم وجماعة : (دُمْتُ) بضم الدال (٢) .

وجاءت القراءة بالضم على لهجة الحجاز (٣) .

ونص ابن جني على أن (مُت تموت) و (دُمت تدوم) ..

على القياس ، لأنه مثل (قُلت تقول) (٤) .

فالقراءة على (فَعَل) وقد سقط صوت العلة (الواو) ولم

يعوض عنه لاتصال الفعل بالتاء الساكنة .

أما كون الضم في (دُمت) لغة الحجاز مما يخالف ما عرف

عنهم من ميل إلى الكسر حيثما مال البدوي إلى الضم . فلعله لبعض

---

(١) إملاء ما من به الرحمن : ١/ ١٤٠ .

(٢) البحر المحيط : ٦/ ١٨٧ .

(٣) السابق : ٢/ ٤٩٨ .

(٤) المنصف : ١/ ٢٥٦ لابن جني .

أهل الحجاز ممن تأثر بتميم ،وكتب اللهجات واللغات تذخر بخروج أهل اللهجة عن أدائهم المعتاد إلى غيره . وقد خالف بعض الحجازيين لهجتهم في التخلص من الهمز فعمدوا إلى تحقيقه.(١)

- الفعل : (متم) من قوله تعالى :

﴿ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ ... ﴾

آل عمران / ١٥٧.

" قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر وابن عامر : (مُتُّ)_ مريم / ٢٣_ و (مُتْنَا)_ المؤمنون / ٨٢_ و (مُتُّم) برفع الميم في كل القرآن ".(٢)

ووجه الضم في الصامت الأول من (فَعَل) " أنه أجراه على أصله من ذوات الواو ، كقولك : قلت تقول ،وجُلت تجول ... والضم أفصح وأشهر ".(٣) وأجود.(٤)

فالضمة دليل على الواو المحذوفة من أصل الفعل : (موت) ثم سقطت الواو بعد اتصال الفعل بضمير المتكلم ،وأدغمت التاء في التاء فأصبح الفعل (مُتُّم).

---

(١) ينظر في اللهجات العربية للدكتور أنيس : ٧٧ ،(ط: ثانية سنة ١٩٥٢ م) .

(٢) السبعة : ٢١٨ ،وينظر : التيسير : ٩١ والعنوان للمقرئ : ٨١ تحقيق الدكتور زهير زاهد وخليل العطيه (ط: أولى ، عالم الكتب ،بيروت سنة ١٩٨٥ م) . والنشر : ٢/٢٤٣.

(٣) الحجة لابن خالويه : ١١٥.

(٤) الأفعال لابن القطاع : ١/١١٤.

فالفعل في الأصل على (فعَل) وقد أدّى إعلال عينه إلى نقله إلى (فعُل) . ثم حولوا الضمة إلى (فاء) الصيغة.(١)

وعزي الفعل بالضم (مُتُّم) إلى تميم(٢) وهي سفلى مضر(٣) القبائل البدوية ، وهو مما يناسب طبيعة أدائهم التي تتسم بالخشونة فكان الضم مقياس اللين الخلفي أقرب الصوائت إلى هذه الطبيعة . وقد جاءت هذه اللهجة على القياس(٤) وقيل : " (مت تموت) و (دمت تدوم) هي الأجود .(٥)

الطائفة الثالثة : أفعال معتلة اللام الآخر :

- قراءات متواترة :

- الفعل : (غوينا) من قوله تعالى :

﴿... أغويناهم كما غوينا ...﴾ القصص / ٦٣.

رسم المصحف : (غوَينا) بفتح الواو على (فعَل) . قيل : " وهو الاختيار ".(٦)

---

(١) التبصرة والتذكرة : ٢/ ٨٧٥ وينظر الكشف : ١/ ٣٦٢ والحجة لأبي زرعة : ١٧٨ .

(٢) اللغات في القرآن لابن حسنون : ٤٢٠ ، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، (ط: ثالثة ، دار الكتاب الجديد ، بيروت سنة ١٩٧٨م).

(٣) الدر اللقيط بهامش البحر المحيط : ٣/ ٩٦.

(٤) المنصف : ١/ ٢٥٦.

(٥) أدب الكاتب : ٣٧٣ والأفعال لابن القطاع : ١/ ١٤.

(٦) الكامل في القراءات الخمسين ورقة : ٢٢٦.

وقد وصف الفعل بالفتح بأنه : أجود [1] . وقال شارح القاموس :

" غوَى كرمى لغة فصيحة " . [2]

ولم يورد صاحب الفصيح [3] وجها آخر للفعل على غير الفتح

فقال : (وغَوَى الرجل يغوِي) إذا عدل عن طريق الصواب ، وترك

طريق الرشاد ، وأنشد للمرقش الأصغر :

فمن يلْقَ خيرا يحمد الناسُ أمرَهُ ومن يَغْوِ لا يعدمْ على الغيِّ لائمًا [4]

(يغوِ) بكسر الواو في المضارع على أن الماضي منه على (فعَل) .

ويبدو أن وجه الفصاحة يرجع إلى مجيء الماضي على (فَعَلَ)

والمستقبل على (يفعِل) بالكسر ، بإجراء المعتل مجرى ما صحت عينه ،

فلا يعتل الحرفان جميعا . [5] (الواو والياء) .

ومن الناحية الصوتية نجد الفتحة أنسب لمماثلتها صائت الغين

(فاء) الصيغة .

---

(١) أدب الكاتب : ٣٢٥ .

(٢) القاموس المحيط : ٤/ ٣٧٢ .

(٣) التلويح في شرح الفصيح : ٣ ضمن مجموعة في اللغة نشرها الأستاذ محمد خفاجي ، (ط : أولى سنة ١٩٤٩ م القاهرة) .

(٤) المفضليات للمفضل الضبي : ٢٤٧ ، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون (ط : ثانية ، دار المعارف بمصر ١٩٦٣) . والقصيدة من البحر (الطويل) ومطلعها :

ألا يا اسلمي لا صرم لي اليوم فاطما

ولا أبدا ما دام وصلك دائما

(٥) تصحيح الفصيح : ١٠٧ .

المبحث الثانــــي

الصيغة الثانيــــة

صيغة الكسر : (فَعِل) مع صائتين قصيرين متقاربين

وتتكون بتغيير الصائــــت القصير (الفتح) في المقطــــع الثاني من الصيغة الأولى (فعَل) ليصبح بالكسر (فعِل) . فالاختلاف الحركي أدى إلى خلق صيغة جديدة مغايرة لسابقتها للدلالة على الأعراض المتغيرة مع الوجع وما يجرى مجراه ، كما يكثر في الألوان والحلى ، والأعضاء ، (١) ولذلك يسمى هنرى فليش أفعال هذه الصيغة "أفعال الصفة". (٢)

ولهذه الصيغة دور وظيفي في الكلام تلتقي فيه مع (فعَـــل) بفتح العين فكلاهما ترد متعدية وغير متعدية ، إلّا أن (فعل) لازمة أكثر منها متعدية . (٣)

و (فعل) صيغة (form) مشتركة بين اللغات السامية. (٤)

وعلى التصنيف التالي سوف نعالج الأفعال القرآنية الواردة على هذه الصيغة .

---

(١) شرح الشافية : ١/ ٧٢ وينظر الكتاب : ٤/ ١٧ ومابعدها وشرح المفصل : ٧/ ١٥٧.

(٢) العربية الفصحى : ١٤٤ لهنرى فليش ، تعريب الدكتور عبد الصبور شاهين .

(٣) شرح الشافية : ١/ ٧٢ وينظر : شرح الملوكي في التصريف : ٤٢ لابن يعيش ، تحقيق فخر الدين قباوة (ط: أولى ، المكتبــــة العربية بحلب سنة ١٩٧٣ م) .

(٤) مجلة كلية اللغة العربية : ٤/ ٦٢ بجامعة الإمام محمد بن سعود (أبنية الفعل في ضوء اللغات السامية) .

المجموعة الأولى : أفعال صحيحة :

الطائفة الأولى : أفعال غير حلقية :

- قراءات متواترة :

(ب) - الفعل : (حبطت) من قوله تعالى :

﴿... حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ...﴾ آل عمران / ٢٢ ، والمائدة / ٥ ، ٥٣ .

كل ما في القرآن : (حَبِطَتْ) بكسر الباء ، على (فعِل) ، " وهو الاختيار لشهرته ".(١) وعليه نصت المعاجم يقال : " (حبِط) عمله يحبَط حَبْطا وحُبوطا ... بطل ثوابه ".(٢)

ولعل شهرته واختيـــاره يرجعان إلى ناحية صوتية تتصل بصامت (الباء) عين الفعـل ، وصائت الكسر فهو أقرب مخرجا للصوت الشفوى المرتفع . إذ المعروف أن الأصوات المرتفعة تميل إلى الصوائت المرتفعـة ، ولذلك كان الكسر أنسب من الفتح مع الباء وأسهل في الأداء.

كما أن مجيء الفعل لازما يرجح الكسر على الفتح الذى قرئ به .(٣)

----

(١) الكامل في القراءات الخمسين للهذلي : ورقة : ١٨٦ .

(٢) اللسان (ح ب ط) : ٧/٢٧٢ . وينظر : تاج العروس : ٥/١١٦ ، والأفعال لابن القطاع : ١/٢٣٦ .

(٣) ينظر صيغة (فعَل) .

(ف) ـ الفعل : (طفقا) من قوله تعالى :

﴿... وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ...﴾ الأعراف / ٢٢.

رسم المصحف : (طَفِقا) بكسر الفاء . و " هو الاختيار ، لأنه أشهر. (١) " وطَفِق يفعل كذا كسمع ". (٢)

فالقراءة على (فعِل) ، وجاء الكسر فيها مناسبا للصوت الشفوي (الفاء) . وهي تقابل القراءة على (فعَل) (طفقا) .

ـ الفعل : (سفه) من قوله تعالى :

﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ...﴾ البقرة / ١٣٠.

رسم المصحف : (سفِه) على (فعِل) ، وقد يرد على (فعُل) وجه التعاقب بين الكسر والضم على صوت (الفاء) يرجع إلى اختلاف لهجي كما جاء في الصحاح : " و (سَفُه) علينا ، بالضم ، سَفاها وسَفاهة و (سفِه) بالكسر ، سَفَها ، لغتان أي صار سفيها ، فإذا قالوا : (سفِه) نفسه و (سفِه) رأيه لم يقولوه إلا بالكسر ، لأن (فعُل) لا يكون متعديا ". (٣)

ووصف اللحياني (٤) لهجة الكسر في (سفِه نفسه) بأنها الكلام العالي ، أما لهجة الضم في (سفُه) فهي قليلة . وعلة القلة في (سفه) أنها غير متعدية كما ذكر.

---

(١) الكامل في القراءات الخمسين للهذلي : ورقة : ١٩٣.

(٢) تاج العروس : ٦/ ٤٣٣ ، وينظر : ديوان الأدب : ٢/ ٢٤٦.

(٣) الصحاح : (س ف هـ) ٦/ ٢٢٣٥.

(٤) اللسان (س ف هـ) ١٣/ ٤٩٨.

وقد تعددت آراء اللغويين حول دلالة الفعل في النص القرآني فقال فيه أبو عبيدة : " معنى (سفِهَ نفسَه) أهلك نفسه وأوبقها ".(١)

وقال الزجاج : القول الجيد عندى في هذا أن (سفِه) في موضع(جهل) ، والمعنى ،والله أعلم ،إلّا من جهل نفسه أى لم يفكر في نفسه فوضع (سفه) في موضع (جهل) ،وعدى لما عدِّيَ ".(٢)

فالزجاج يضمن الفعل (سفِه) معنى فعل آخر:(جهل).وهو أقرب إلى معنى السفاهة .

(د) - الفعل : (ردف) من قوله تعالى :

﴿ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴾

النمل / ٧٢ .

" قرأ الجمهور : (ردِف) بكسر الدال ".(٣) وهي بالكسر لهجة(٤) ،أفصح وأكثر(٥) استعمالا من لهجة الفتح .

----

(١) اللسان (س ف هـ) ١٣/٤٩٨.

(٢) السابق : (س ف هـ) ١٣/٤٩٨وينظر : زاد المسير لابن الجوزى : ١/١٤٨ (ط : ثالثة ،المكتب الإسلامي ، بيروت ،سنة ١٩٨٤م).

(٣) البحر المحيط : ٧/٩٥ وينظر : إملاء ما من به الرحمن : ٢/١٧٥.

(٤) البحر المحيط : ٧/٩٥ .

(٥) المحتسب : ٢/١٤٣.

واختيار الكسر مع صوت الدال (عين الفعل) له مبرره الصوتي فالكسر (الأدنى حنكي) أقرب مخرجا للصوت الأسناني اللثوي (الدال) من الفتح (الوسط حنكي) وقد أدّى الكسر إلى ترقيق الدال . ويبدو أن الكسر لهجة من يميلون إلى الترقيق وتنويع الصوائت في الصيغة الواحدة.

أما دلالة الفعل (ردِف) بالكسر فهي : " أى دنا لكم - وقيل - جاء بعدكم ، وقيل : معناه : ردفكم ، وهو الأكثر ، وقال الفراء : دخلت اللام ، لأنه بمعنى قرب لكم ".(١)

(ض) - الفعل : (نضجت) من قوله تعالى :

﴿... كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا...﴾ النساء / ٥٦.

رسم المصحف : (نضِجت) بكسر (الضاد) على (فعِل).(٢)

وقد كسرت (الضاد) للدلالة على لزوم الفعل.

(ط) - الفعل : (بطرت) من قوله تعالى :

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا... ﴾ القصص / ٥٨.

رسم المصحف : (بَطِرَت) بكسر (الطاء) على (فعِل) : (أشِر)(٣) ، ويرد على (فعَل) وله عدة دلالات يقال : (بطَر)

---

(١) تاج العروس : ٣٣٢/٢٣ - طبعة محققة - وينظر اللسان (ردف) : ١١٨/٩.

(٢) القاموس المحيط : ٢١٠/١.

(٣) أشِر أشرا فهو أشر من باب تعب : بطِر وكفر النعمة فلم يشكرها " المصباح المنير : ١٥/١.

بَطَرا : (أشر) . و (بَطَرتُ) الجرح بَطْرا : (شققته) للإصلاح وأيضا (نشط) ،وأيضا (حار) وأيضا (دهش) ".(١)

وقد خُرِّج الفعل (بَطِرت) على تضمينه معنى (كَفَرْتَ) أو جهلت .(٢)

ويظهر أن دلالة الفعل بالصيغتين متقاربة ومتعددة.

إلّا أن الكسر أنسب صوتيا لأصوات الفعل على (فَعِلَ) ، لأنّ اللسان يعمل في اتجاهات متقاربة مع الباء والطاء المكسورة والراء.

(ل) - الفعل : (ألتناهم) من قوله تعالى :

﴿... وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ...﴾ الطور / ٢١.

قرأ ابن كثير : (وما أَلِتْناهم) بكسر اللام (٣) ،والكسر فيه لهجة قال مكي : " بكسر اللام لغة فيه ،ويقال : (أَلِتَ) يألَتُ إلْتاً ، إذا نقص كعلِم يعلَم عِلْما ".(٤)

---

(١) الأفعال لابن القطاع : ١/ ٨٥ .

(٢) ينظر إملاء ما من به الرحمن : ٢/ ١٧٩ والبحر المحيط : ٧/ ١٢٦.

(٣) العنوان في القراءات السبع لابن خلف : ١٨١، وينظر التيسير : ٢٠٣ وغيث النفع : ٣٥٩ ،والإقناع في القراءات السبع لابن الباذش : ٢/ ٧٧٣ .

(٤) الكشف : ٢/ ٢٩١ ، وينظر الحجة لأبي زرعة : ٦٨٣ ،تحقيق سعيد الأفغاني ، (ط : ثانية ،مؤسسة الرسالة ،بيروت سنة ١٩٧٩م) وينظر تاج العروس : ١/ ٥٢٢.

فالقراءة على صيغة الكسر لهجة من يفتح الفعل في المستقبل.

وهي متفقة الدلالة مع لهجة من يفتح في الماضي ويكسر في المستقبل.

فالفعل يرد في الماضي على (فَعَلَ) و (فَعِلَ) . ومن اختار صيغة الكسر (فعِل) مال إلى التنويع الحركي . وحول اللام (عين) الفعل من درجة التفخيم مع الفتح إلى درجة الترقيق مع الكسر . والكسر (الأدنى حنكى) أنسب لصوت اللام (اللثوى الأسناني) لكون الأول أقرب مخرجا إلى اللام من صائت الفتح.

(ر) - الفعل : (برق) من قوله تعالى :

﴿ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴾ القيامة/٧.

"قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي : (برِق) بكسر الراء".(١)

إن حركة عين الصيغة في الفعل (بَرِقَ) مرتبطة بدلالته . فكلهم مجمع على أن كسر الراء يدل على الحيرة(٢) وشرح ذلك النحاس فقال : "ومعنى الكسر بيّن أى حار وفزع من الموت ومن أمر القيامة".(٣)

ومع تغيير صائت عين الصيغة إلى الكسر تحولت الراء من التفخيم

---

(١) السبعة : ٦٦١ وينظر التبصرة : ٣٦٥. وغيث النفع : ٣٧٧، والتيسير : ٢١٦ والنشر : ٢/٣٩٣ والاتحاف : ٤٢٨.

(٢) الحجة لابن خالويه : ٣٥٧ والحجة لأبي زرعة : ٧٣٦، والكشف : ٢/٣٥٠. ومعاني القرآن للفراء ٣/٢٠٩، وتاج العروس : ٦/٢٨٥.

(٣) إعراب القرآن للنحاس : ٣/٥٥٤.

مع الفتح الى الترقيق . فالراء رققت بتأثير الصائت الأمامي .(١)

وقد قرئ الفعل بصيغة الفتح على (فَعَلَ) كما مر (بَرَق) . باختلاف الدلالة على أن : (بَرَق) على (فَعَلَ) : لمع وشخص عند الموت أوعند البعث ،و (بَرِق) على (فَعِلَ) حار وفزع البصر عند البعث وقيل عند الموت . . . وقيل هما لغتان بمعنى حار".(٢)

وعلى الرأي الآخر تكون القراءتان متفقتين في الدلالة ، مختلفتين في البنية ،واختلاف البنية يرجع إلى الاختلاف اللهجي ،فيكون الفتح لهجة من يؤثرون التفخيم ،والكسر لهجة من يميلون إلى الترقيق .

- الفعل : (مرضت) من قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ الشعراء /٨٠ .

رسم المصحف : (مَرِضت) بكسر الراء على (فعِل) (٣) اللازم .

وقد رققت الراء مع الكسر .

(ص) - الفعل : (حصرت) من قوله تعالى :

﴿... أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُم ...﴾ النساء / ٩٠ .

رسم المصحف : (حَصِرت) بكسر (الصاد) على (فَعِـل)

---

(١) كل راء مكسورة عارضة أو لازمة فهي رقيقة للكل " . الإقناع : ٣٢٧/١ .

(٢) الكشف : ٣٥٠/٢ وينظر معاني القرآن للفراء : ٢٠٩/٣ ، والتهذيب للأزهري : ١٣٢/٩ .

(٣) ينظر الأفعال لابن القطاع : ١٧٥/٣ .

ويأتي على (فَعَل) وكلاهما دال على الضيق يقال : " (حصَرَه) يحصره حصرا : ضيق عليه وأحاط به ... والحصر : العي ... والحصر أيضا : ضيق الصدر يقال (حَصِرَت) صدورهم ،أي ضاقت ...

وكل من امتنع عن شيء فلم يقدر عليه فقد (حَصِرَ) عنه، ولهذا قيل : (حصِر) في القراءة و (حَصِرَ) عن أهله ".(١)

ويبدو أن تحول دلالة الفعل من المعنى العام (الضِّيق) إلى المعنى الخاص وهو (ضيق الصدر) أدّى إلى لزومه ،والتحول من فتح (عين) الصيغة إلى كسرها . والكسر أقرب مخرجا لصوت الراء .

*

- قراءات شاذة :

(م) - الفعل : (أمرنا) من قوله تعالى :

﴿... أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ...﴾ الإسراء / ١٦.

" قرأ الحسن ويحيى بن يعمر : (أَمِرنا) بوزن (عَمِرنا) ... يقال : أمِر القوم : إذا كثروا. وقد أمرهم الله ،أي : كثرهم ".(٢)

وردّ الفراء هذه القراءة فقال : " وقرأ الحسن : (آمرنا) وروى عنه (أمِرنا) ولا ندرى أنها حفظت عنه ،لأنها لا نعرف معناهـــا هاهنا ".(٣)

---

(١) الصحاح : ٢/ ٦٣٠ - ٦٣١،وينظر العمدة في غريب القرآن : ١١٤.

(٢) المحتسب : ٢/ ١٦ وينظر شواذ القراءات : ٧٥.

(٣) معاني القرآن للفراء : ٢/ ١١٩.

إلّا أننا نجد أبا حيان يستنكر ما ذهب إليه الفراء فيقول : ورد الفراء هذه القراءة لا يلتفت إليه ، إذ نقل أنها لغة كفتح الميم ، ومعناه : (كثّرنا) ،وحكى أبوحاتم عن أبي زيد يقال : (أمِر) الله ماله و (أمَره) أي (كثّره) بكسر الميم وفتحها "(1).

ويؤيّد ردّ أبي حيان قول ابن سيده في (أمِر) : "وعسى أن تكون هذه لغة ثالثة "(2) وما أوردته كتب اللغة : " (أمِر) الشيء بكسر الميم أمرًا و (أمَره) فهوأمِرٌ : إذا كَثُر"(3)

فالفعل (أمر) تعددت اللهجات فيه ،قال أبو عبيدة :"(آمرته) ، بالمد ، و (أمَرته) لغتان بمعنى كثرته . و (أمر) هوأي كثر"(3).

ويمكن ترتيبها على الصورة التالية :

اللهجة الأولى : (آمر) بالمد .

اللهجة الثانية : (أمَر) بالقصر والفتح .

اللهجة الثالثة : (أمِر) بالكسر .

وكلها متفقة الدلالة ، فمن نطق بالكسر مال عن الأخف (الفتح) إلى الأثقل (الكسر) .. وبذلك تتنوع صوائت الصيغة ،وجاء الكسر على هذه القراءة مناسبا للصوت الشفوي (الميم) .

---

(1) البحر المحيط : ٦/ ٢٠ .

(2) اللسان : (أمر) ، ٤/ ٢٨ .

(3) المثلث للبطليوسي : ١/ ٣٤٣ تحقيق صلاح الفرطوسي (دار الرشيد للنشر ،سنة ١٩٨١م ،العراق) وينظر إكمال الإعلام بتثليث الكلام : ١/ ٥٢ والجمهرة : ٣/ ٣٥٢ (دار صادر بيروت) .

(4) اللسان : (أمر) ٤/ ٢٩ .

(ف) ـ الفعل : الفعل : (كفلها) من قوله تعالى :

﴿... وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا...﴾ آل عمران / ٣٧.

قرأ عبد الله بن كثير وأبي عبد الله المدني[1] : "(وكَفِلَها) بكسر الفاء"[2]. وهي لغة يقال : (كَفَلَ يكفُل) و (كَفِل يكفَل) كعلِم يعلَم."[3]

وأضاف صاحب المصباح المنير : "وحكى أبو زيد سماعا عن العرب من بابي : (تَعِبَ) و (قَرُبَ)."[4] . يعني بذلك مجيء (كَفُل) بكسر (الفاء) وضمها سماعا عن العرب . والمعنى : قمت به .[5]

فتعاقب الصوائت على عين الفعل (كَفُل) يرجع إلى الاختلاف اللهجي وجاءت القراءة على لهجة من يؤثرون كسر الصوت الأسناني الشفوي (الفاء) ، مع الميل إلى تنويع صوائت الصيغة .

وعلى قراءة الكسر جاء الفعل على (فَعِلَ) متعديا . وقد قرئ الفعل على (فَعَلَ) فتكون القراءتان باختلاف البنية واتفاق الدلالة .

ونحسب أن الاختلاف اللهجي بين صيغتي الفعل يرجع إلى ناحية صوتية .

---

(١) في البحر المحيط : ٢/ ٤٤٢ : عبد الله المزني .
(٢) إعراب القرآن للنحاس : ١/ ٣٢٦ وينظر إملاء ما من به الرحمن : ١/ ١٣٢ . والكامل في القراءات الخمسين : ١٧٤ (مخطوط) .
(٣) البحر المحيط : ٢/ ٤٤٢ .
(٤) المصباح المنير : ٢/ ٥٣٦ . وينظر الدرر المبثثة للفيروزآبادي : ١٧٥ (تحقيق : د / علي البواب ، ط : أولى ، دار اللواء ، الرياض ، ١٩٨١) .
(٥) الأفعال لابن القطاع : ٣/ ٧٧ .

(ض) ـ الفعل : (حضر) من قوله تعالى :

﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ... ﴾ البقرة / ١٣٣.

قرأ أبو السمال : (حَضِرَ) بكسر الضاد [١] ، وهي لهجة [٢] عزيت لأهل المدينة نص على هذا السرقسطي فقال : "يقال (حَضَرت) و (حَضِرت) لغتان ، و (حضَرت) الصلاة ، و (حضِرت) قال : ولغة أهل المدينة (حضِرت) وكلهم يقولون : (يحضُر) " [٣].

وأنشد لجرير على هذه اللهجة :

ما من جَفَانا إذا حاجاتنا حضِرت
كمن لنا عنده التكريمُ واللطف [٤]

ويبدو أن أصحاب هذه اللهجة يؤثرون الصائت الأمامي (الكسرة) في أدائهم بدلا من الصائت الوسطي (الفتحة) مع ما يترتب عليه من الخروج على القياس ، ومجيء الماضي بالكسر والمستقبل بالضم (فعِل يفعُل) وهو من (تداخل اللغات).

----

(١) شواذ القراءات : ٩.
(٢) الكشاف : ٣١٣/١ - ٣١٤.
(٣) الأفعال للسرقسطي : ٣٥٢/١ وينظر إصلاح المنطق : ٢١٢. والأفعال لابن القطاع : ٢١٣/١.
(٤) الصحاح : ٦٣٣/٢. والبيت من البحر البسيط .

(ن) ـ الفعل : (قنطوا) من قوله تعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا... ﴾ الشورى / ٢٨.

قرأ الأعمش وابن وثاب : (قنِطوا) بكسر النون [1] على (فعِل) كما يرد على (فعَل) و (فعُلَ) ، وهي لهجات ذكرها الزبيدى [2] ، وجميعها متحدة الدلالة من القنوط : اليأس [3].

وكل لهجة نطق أصحابها بما يتفق مع أدائها الصوتي ولذا فإن القراءة على (فعِلَ) لهجة من يؤثر الكسر ويميل إلى الترقيق ، والكسر أقرب مخرجا لصوت (النون) عين الصيغة من صائت الفتح.

(ص) ـ الفعل : (بصرت) من قوله تعالى :

﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ... ﴾ طه / ٩٦ ، القصص / ١١.

• قرأ الأعمش وأبو السمال : (بَصِرْت) بكسر الصاد [4]،

ولما كان معنى الفعل في الآية للدلالة على (العلم) أى علمت ما لم يعلموا [5] فإن مجيئه على صيغة الكسر (فَعِلَ) على غير الأصل ،

---

(١) البحر المحيط : ٧/٥١٨ وينظر الإتحاف : ٣٨٣ وتفسير القرطبي : ١٦/٢٨.

(٢) تاج العروس : ٥/١١٢ وينظر إصلاح المنطق : ٢١٣.

(٣) اللسان : (ق ن ط) ٧/٣٨٦.

(٤) البحر المحيط : ٦/٢٧٣ ، ٧/١٠٧ وينظر شواذ القراءات لابن خالويه : ٨٩ ، ١١٢ ، والإتحاف : ٣٠٧.

(٥) اللسان : (ب ص ر) ٤/٦٦ وينظر التهذيب : ١٢/١٧٤ ومجمل اللغة لابن فارس : ١/٢٧١.

فالأصل في الفعل الدال على معنى العلم أن يكون على (فعُل) ، أمّا ما كان على (فعِل) فعلى معنى (رأى) ، وقد يشارك (فعُل) (فعِل) الدلالة على معنى (رأى)[1].

ولذلك عُدَّ الكسر لهجة[2] ، وهي متفقة الدلالة مع لهجة الضم للدلالة على العلم.

(ج) - الفعل : (أعجزت) من قوله تعالى :

﴿... أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ...﴾ المائدة / ٣١.

قرأ الحسن بن عمارة وأبو واقد : (أَعَجِزْتُ) بكسر الجيم[3].

وقد وصف أبو حيان قراءة الكسر قائلا : " وهي لغة شاذة ، وإنما المشهور الكسر في (عجِزت) المرأة إذا كبُر عجيزها "[4].

فوجه الشذوذ في قراءة الكسر يرجع إلى المستوى الدلالي فالفعل (عجِز) بالكسر دلالته مغايرة لدلالته وهو على (فعَل).

ويؤيد ذلك ما قاله ثعلب : " سمعت ابن الأعرابي يقول : لا يقال (عجِز) الرجل بالكسر إلّا إذا عظُم عجزه "[5].

---

(١) ينظر إكمال الإعلام : ١/ ٦٨.

(٢) ينظر المصباح المنير : ١/ ٥٠ واللسان (ب ص ر) : ٤/ ٦٦ وإملاء ما من به الرحمن : ٢/ ١٢٦.

(٣) شواذ القراءات : ٣٢.

(٤) البحر المحيط : ٣/ ٤٦٧ وينظر إعراب القرآن للنحاس : ١/ ٤٩٤ وتفسير القرطبي : ٦/ ١٤٥.

(٥) الصحاح : ٣/ ٨٨٤.

إلّا أن بعضهم يذهب إلى أن دلالة الفعل مع الصيغتين متفقة "و (عَجَز) عجزًا ضد حزم . قال أبو زيد : ولغة فيه لبعض قيس غيلان : (عَجِزت) أعْجَز بكسر الجيم في الماضي".(١)

وكذا في اللسان : العَجْزُ نقيض الحزم، (عَجَزَ) عن الأمر يَعْجِزُ و (عَجِزَ) عَجْزا فيهما".(٢)

وأرى أن هذا الاختلاف حول دلالة الفعل (عجز) بالصيغتين يمكن أن ينظر فيه على النحو التالي :

١ - التقريب بين دلالتي الفعل بالصيغتين "فالمرأة إذا كبر عجيزها ... والرجل إذا عظم عجزه" فإنهما يفقدان القدرة على الحزم.

وبذلك يلتقي مدلول الكسر مع مدلول الفتح . ويمكن القول بأن دلالة الفعل قد توسعت أو تطورت .

٢ - إن الكسر في (عَجِزَ) لهجة لبعض قيس غيلان. ولعلها من لحن العامة منهم ، قال ابن درستويه :" لأنّ العامة تقول : (عجِزت أعجَز) بكسر الماضي وفتح المستقبل على وزن كَسِلت أكسَل ،ومصدره العجز ، ومعناه معروف ،وهو ضد القوة في الجسم ، وضد الكيس في العقل والرأى."(٣)

----

(١) الأفعال للسرقسطي : ٢٢٠/١ . وينظر الأفعال لابن القطاع : ٣٤٠/٢ ،وإكمال الإعلام : ٤٠٩/٢ .

(٢) اللسان : (ع ج ز) ٣٦٩/٥ .

(٣) تصحيح الفصيح : ١٢٨/١ وينظر الأفعال لابن القطاع : ٣٤٠/٢ . والأفعال لابن القوطية : ٢٠ .

وليس من الضروري أن يؤدي اختلاف البنية في الكلمة الواحدة إلى اختلاف الدلالة كما يمكن ردّ الاختلاف في البنية إلى المستوى اللهجي .

ولاختيار لهجة الكسر مبرر صوتي ، فالقرب الصوتية بين صوت الجيم وصائت الكسر قوية واضحة.

(ق) ـ الفعل : (نقموا) من قوله تعالى :

﴿ وَما نَقَمُوا مِنْهُم إِلّآ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ العَزِيزِ الحَمِيدِ ﴾ البروج / ٨٠

قرأ أبو حيوة : (وما نَقِموا) بكسر القاف .(١)

ولمجيء القراءة على (فَعِلَ) أصول تجليها المعاجم ، فقد ورد الفعل بالصيغتين : (فَعَلَ) و (فَعِلَ) قيل : " و (نَقَمَت) الشيءَ ، و (نقِمته) نقما ونقوما : أنكرته ، ولابن الرقيات :

وما نقِموا من بني أميّة إلّا أنهم ، يحلمون إن غضبوا (٢)

ونقمت منك نقمة : عاقبتك ".(٣)

إلا أننا نجد ابن قتيبة يورد الفعل (نَقِمَ) على (فَعِلَ) في [باب ما جاء فيه لغتان استعمل الناس أضعفهما] قال : " يقولون : نَقِمت عليه ، ونقَمت فأنا أنقِم أجود ".(٤)

---

(١) شواذ القراءات : ١٧١ وينظر البحر المحيط : ٨ / ٤٥١ وتفسير القرطبي : ١٩ / ٢٩٤ .

(٢) الديوان : ٤ . البيت من البحر المنسرح

(٣) الأفعال للسرقسطي : ٣ / ٢٢٠ ، ٢٢١ وينظر الصحاح : ٥ / ٢٠٤٥ ، واللسان (ق ن ط) : ١٢ / ٥٩١ وإصلاح المنطق : ٢٠٧ ، والجمهرة : (ن ق م) .

(٤) أدب الكاتب : ٣٢٤ وينظر المخصص لابن سيده : ١٥ / ٥٨ (المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت) .

فالفعل على (فَعِلَ) لهجة ضعيفة شائعة ، وقد آثر أصحابها ترقيق الصوت اللهوى (القاف) شبه المفخم المستعلى .
وعليه تكون القراءتان باتفاق الدلالة واختلاف البنية .
الطائفة الثانية : أفعال حلقية :

- قراءات متواترة :

(ب) - الفعل : (ربحت) من قوله تعالى :

﴿... فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ...﴾ البقرة / ١٦.

رسم المصحف : (رَبِحَت)على (فَعِلَ)(١) بكسر الصوت الحلقي (الحاء) في الفعل اللازم ،وقد جاء الاستعمال القرآني للفعل على المجاز ، فمن المجاز فيه : " ربحت تجارتك ،وربحت تجارتك إذا بعتها بربح "(٢).

(ز) - الفعل : (ففزع) من قوله تعالى :

﴿... فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَـٰوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ...﴾ النمل/٨٧.

رسم المصحف : (فَفَزِعَ) بكسر عين الصيغة على (فَعِلَ) في الفعل الحلقي (اللام) للدلالة على (الخوف)(٣) ولزوم الفعل.

وقد يرد متعديا باختلاف الدلالة لهجة ،" ففيه ثلاث لغات : " (فَزِعَت) القوم وفزعتهم وأفزعتهم ، كل ذلك بمعنى أغثتهم "(٤).

---

(١) ينظر الأفعال لابن القطاع : ٢/ ٤٤.
(٢) أساس البلاغة للزمخشري : ١٥٠.
(٣) ينظر المصباح المنير ٢/ ٤٧٢.
(٤) اللسان : (ف ز ع) ٨/ ٢٥١ وينظر القاموس المحيط : ٣/ ٦/٣.

ولذلك عُدَّ هذا الاستعمال من الأضداد ،فانتقلت الدلالة

من الخوف إلى الإغاثة.

- الفعل : (جزعنا) من قوله تعالى :

﴿ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا... ﴾ إبراهيم / ٢١.

رسم المصحف : (أجَزِعنا) على (فعِل) بكسر (عين) الفعل

الحلقي (اللام) اللازم من (الجزع) " نقيض الصبر : (جزِع) بالكسر

يجزَع جزعا ".(١)

ويأتي على (فعَل) بالفتح باختلاف الدلالة بمعنى (قطع).(٢)

(ع) - الفعل : (فصعق) من قوله تعالى :

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ ... ﴾

الزمر / ٦٨.

رسم المصحف : (فَصَعِقَ) على (فَعِل) يقال : " (صَعِقَ)

الإنسان صَعْقا وصَعَقا ، فهو صَعِقٌ : غُشِي عليه وذهب عقله من صوت

يسمعه كالهدة الشديدة ".(٣)

ويلمح من النص أن الفعل على (فعِل) لازم ، ويرد على (فعَل)

متعديًا نحو : " (صَعَقَتْهُ) السماءُ صَعْقا ".(٤) ، إلّا أن التعدية في

(صَعِقَ) عارضة فالأصل فيه اللزوم يدلنا على هذا نص أبي حيان

---

(١) اللسان (ج ز ع) : ٤٧/٨.

(٢) ينظر الأفعال لابن القطاع : ١٧٠/١.

(٣) اللسان : (ص ع ق) : ١٩٨/١٠.

(٤) الأفعال لابن القطاع : ٢٣٠/٢ وينظر القاموس المحيط: ٢٥٣/٣.

على أن (صعِق) من الأفعال التي تعدت بالحركة نحو : (شتر الله عينيه فشترت) (١).

وقد كسر الصوت الحلقي (العين) بسبب اللزوم.

(ح) - الفعل : (رحمنا هم) من قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ رَحِمْنَـٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَـٰنِهِمْ ﴾

المؤمنون / ٧٥.

رسم المصحف : (رحمنٰهم) على (فَعِلَ) بكسر الصوت الحلقي (الحاء) في الثلاثي المتعدى.

- الفعل : (بعدت) من قوله تعالى :

﴿... أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾ هود / ٩٥.

قرأ الجمهور : (بَعِدَت) بكسر العين (٢).

وقد جاء الإجماع بتخصيص دلالة الفعل (بعِد) على صيغة (فعِل) بالهلاك. قال أبو جعفر : " المعروف في اللغة أنه يقال : (بَعِدَ) يبعدُ بَعْدا وبُعدا : إذا هلك " (٣).

وشرح ذلك ابن جني فقال : " وأما بَعِدَ ففي الشر خاصة، يقال : (بَعِدَ) يبعُد بعدا ومنها قولهم : أبعده الله، فهو منقول من (بَعِدَ)، لأنه دعاء عليه، فهو من (بَعِدَ) الموضوعة للشر...

---

(١) البحر المحيط : ٤/٣٨٥.

(٢) البحر المحيط : ٥/٢٥٧ - ٢٥٨.

(٣) إعراب القرآن للنحاس : ٢/١٠٩ وينظر : المصباح المنير : ١/٥٣، والأفعال لابن القطاع : ١/٨٨.

وطريق ذلك أن يكون البعد بمعنى اللعنة ،فيكون أبعده الله في معنى لعنه ".[1]

وتعليل ذلك أن العرب أرادت التفرقة بين البعد الذى هو الهلاك وبين غيره فغيروا البناء ".[2]

وقد عزي الفعل بالكسر إلى تميم.[3] ولعل تميم ممن يسوى بين الهلاك والبعد ففي حديث اللسان أن هناك من يجعل الهلاك والبعد سواء ،" وهما قريبان من السواء ، إلا أن العرب بعضهم يقول : (بَعُد) وبعضهم يقول : (بَعِد) مثل سَحُق وسَحِق ".[4]

فاختارت تميم ما يناسب ميولها الصوتية ،وذلك بكسر الصوت الحلقي (عين) الصيغة .

(ح) ـ الفعل : (ضحكت) من قوله تعالى :

﴿ وامْرَأتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ.... ﴾ هود / ٧١.

رسم المصحف : (فَضَحِكَت) بكسر الحاء علـــى (فعِل)

قيل :" (ضحِك) يضحَك ضَحْكاً وضِحِكاً وضِحكاً أربع لغات ".[5]

---

(١) المحتسب : ٣٢٧/١.

(٢) البحر المحيط : ٢٥٨/٥.

(٣) السابق : ٤٥/٥.

(٤) اللسان (ب ع د) : ٩١/٣.

(٥) اللسان (ض ح ك) : ٤٥٩/١.

ويلاحظ في هذه القراءة أن الفعل الثلاثي (ضَحِكت) حلقي العين بالحاء، وكان حقه الفتح إلّا أنه كسر ولعله على لهجة تميم التي تميل إلى كسر (عين) الفعل الحلقي .

- قراءات شاذة :

(ر) - الفعل : (فرغت) من قوله تعالى :

* فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ * الانشراح / ٧ .

قرأ أبو السمال : (فَرِغْتَ) بالكسر .[١] وهي لغة ليست بفصيحة،[٢] وقد عزيت إلى تميم ذكرها ابن القطاع وهو يتحدث عن الفعل (فرغ) قال : " و (فَرَغت) من الشيء فراغا وفروغا أتمته ... هذه لغة أهل الحجاز ولغة تميم (فَرِغ) بفرغ ".[٣]

فالقراءة بالكسر على لهجة تميم التي تؤثر كسر (عين) الماضي الثلاثي الحلقي .

ومجيء الفعل (فرِغت) على صيغة الكسر (فعِل) وهو حلقي (من أقصى الحنك) اللام (بالغين) فيه خروج عن العلاقة الصوتية التي تقتضي فتح عين الصيغة إذا كانت هي أولامها من أصوات الحلق . ولكنها لهجة تميم عدلت عن الفتح إلى الكسر . وقد عرف عنها ميلها إلى كسر عين الماضي الثلاثي إذا كانت حلقيـــة

---

(١) الكامل في القراءات الخمسين : ورقة ٢٤٩ .

(٢) الكشاف : ٤/٢٦٧ وينظر البحر المحيط : ٨/٤٨٨ .

(٣) الأفعال لابن القطاع : ٢/٤٦٧ ، والمصباح المنير : ٢/٤٧٠ والأفعال للسرقسطي : ٤/٢٩ .

فلا يستبعد أن يشمل هذا الميل الفعل الحلقي اللام. وهنا نؤكد حقيقة هامة وهي أن تميم في نطقها كسائر اللهجات العربية لا تلتزم دائما خطا واحدا في الأداء، فهي كما جنحت إلى انسجام الصوائت، في كثير من المواضع مالت إلى المخالفة الحركية في مواضع أخرى ويمكن تعليل ذلك من وجهين :

١ - إن النزوع إلى المخالفة والانتقال من الفتح إلى الكسر نوع من التطور.

٢ - إن بعض بني تميم يأخذ بالانسجام الحركي وبعضها يأخذ بالمخالفة تأثرا بالقبائل المتحضرة .

وأيًّا كانت الأسباب، فإن الكسر أقرب إلى (الراء) عن الصيغة (فعِل) مخرجا من الفتحة . ومعها تصبح الراء مرققة .

(ع) - الفعل : (شغفها) من قوله تعالى :

﴿... قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ...﴾ يوسف / ٣٠ .

قرأ ثابت البناني[(١)] : (شَغِفَهَا) بكسر الغين ... لغة تميم[(٢)] .

فالفعل الحلقي قرئ على (فعِل) بكسر العين وكان حقه الفتح لمناسبة صوت (الغين) ، ولكنه كسر على لهجة تميم . التي تميل إلى كسر عين الفعل الثلاثي إذا كان حلقي العين .

وبذلك تكون تميم قد مالت "عن الأخف إلى الأثقل ، فكسروا ما حقه الفتح ، لأن حرف الحلق من حقه أن يفتح هو أو ما قبله كما يقول النحاة"[(٣)].

---

(١) البحر المحيط : ٥/ ٣٠١ ، (٢) السابق : ٥/ ٢٩٩ .
(٣) النحو والصرف بين التميميين والحجازيين : ٣١٥ ، للدكتور عبد الله الحسيني طبع وتوزيع المكتبة الفيصلية بمكة المكرمة ، ١٩٨٤ م .

(ع) ـ الفعل : (بعدت) من قوله تعالى :

﴿... ولكن بَعُدَتْ عليهم الشُّقَّةُ...﴾ التوبة / ٤٢.

قرأ عيسى بن عمر والأعرج : (بعِدت) بكسر العين .. على لهجة تميم .(١)

فالفعل (بعِد) استعمل على (فعِل) للدلالة على البعد الذي هو ضد القرب.(٢) ويرجع تغيير صيغة الفعل من (فعُل) على قراءة (العامة) إلى (فعِل) ، إلى ناحية صوتية ، فكلاهما يدل على (البعد) ، يقال (بَعُد) الرجل بالضم ، و (بَعِد) بالكسر ، بُعْدا وبَعَدا ، فهو بعيد.(٣)

والناحية الصوتية تتمثل في طبيعة الأداء عند تميم التي تميل إلى كسر صوت العين في الفعل الماضي المجرد .

ولعل اختيارهم الكسر مع الصوت الحلقي بدلا من الضم نوع من التخفيف الذي تتوسل إليه تميم بوسائل شتى . فالمعروف صوتيا أن الكسر أخف من الضم ، لأن الضمة تحتاج إلى جهد عضوى أكثر ، لأنها تتكون " بتحريك أقصى اللسان ، في حين أن الكسرة تتكون بتحريك أدنى اللسان ، وتحرك أدنى اللسان أيسر من تحريك أقصاه ".(٤)

وعليه فالقراءتان اتفقتا في الدلالة واختلفتا في البنية.

---

(١) البحر المحيط : ٤٥/٥ وينظر شواذ القراءة للكرماني : ورقة ١٠١.

(٢) ينظر الأفعال لابن القطاع : ٨٨/١.

(٣) اللسان : (ب ع د) ٨٩/٣.

(٤) في اللهجات العربية : ٩٦.

(هـ) ـ الفعل : (فبهت) من قوله تعالى :

﴿... فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ...﴾ البقرة / ٢٥٨.

" قرئ فيما حكاه الأخفش : " (فَبَهِت) بكسر الهاء ". (١) وهي لهجة من أربع لهجات ذكرها ابن جني ، وهي بمنزلة (خَرِق) و (فَرِق) و (بَرِق) . (٢) وهي جائزة في الاستعمال . (٣)

إلّا أن ما يلاحظ على هذه اللهجة أنها وردت على (فَعِل) بكسر (الهاء) الصوت الحلقي (الحنجرى) . مما يرجح عزوها إلى تميم كالقراءة السابقة .

*

المجموعة الثانية : أفعال معتلة :

الطائفة الأولى : أفعال معتلة الصامت الأول :

ـ قراءات متواترة :

(س) ـ الفعل : (وسع) من قوله تعالى :

﴿... وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَٰوَاتِ والأَرْضَ...﴾ البقرة / ٢٥٥.

" قرأ الجمهور : (وسِع) بكسر السين " (٤) ، (عين) الشكل الحلقي ، وهو كفَرِح . (٥)

---

(١) البحر المحيط : ٢/ ٢٨٩ وينظر تفسير القرطبي : ٣/ ٢٨٨.
(٢) المحتسب : ١/ ١٣٤ وينظر إملاء ما من به الرحمن : ١/ ١٠٨.
(٣) الأفعال لابن القطاع : ١/ ٨٨.
(٤) البحر المحيط : ٢/ ٢٧٩ وينظر إملاء ما من به الرحمن : ١/ ٢٥٠.
(٥) تاج العروس : ٢٢/ ٣٢٥ طبعة محققة وينظر الإكمال : ٢/ ٧٥٤.

ودلالة الفعل كما يشرحها السرقسطي : " وسع الشيء غيره : حمله ، ووسع فضل الله : عمّ علمه : أحاط بكل شيء ".(١)

(ج) ـ الفعل : (وجلت) من قوله تعالى :

﴿... الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ...﴾ الأنفال / ٢.

رسم المصحف : (وجِلت) بكسر الجيم ،على (فعِل) ،قيل : " وجِل كفرِح ".(٢)

وقال سيبويه : " وأما (وجِل يوجَل) ونحوه ، فإن أهل الحجاز يقولون : (يوجَل) ،فيجرونه مجرى (علِمت) ".(٣)

فالقراءة على صيغة الكسر (فعِل) في الماضي لهجة الحجازيين (القبائل المتحضرة) التي تؤثر الصائت المرقق (الكسرة) ، وبين الجيم والكسرة علاقة صوتية متميزة ، يقول عنهما الأستاذ أ. شادة : " فإنك إذا نطقت بكسرة ترفع مقدم لسانك إلى ما يحاذيه من الحنك ،كما تفعل عندما تنطق بالجيم ،إلا أنك في إنتاج الكسرة توسع موضعها توسيعا يفوق اتساع موضع الجيم بكثير ".(٤)

---

(١) الأفعال : ٤/٢٤٤.

(٢) القاموس المحيط : ٤/٦٣.

(٣) الكتاب : ٤/١١٠.

(٤) صحيفة الجامعة المصرية : ٦/١٠ ،السنة الثانية ،محرم سنة ١٣٥٠ يونيو سنة ١٩٣١م.

فالكسر أنسب للجيم من الفتح إلا أنه قرئ (وجلَت) بفتح الجيم كما مضى ،فالفعل (وجلت) قرئ بالصيغتين : (فعِل) و (فعَـــل) ، إلّا أن الكسر أشيع في الاستعمال وأسهل أداء ،وهو ما جاء به القـــرآن على اللهجة الحجازية.

- الفعل : (يئسن) من قوله تعالى :

* وَالَّٰٓئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ * الطلاق / ٠٤

" قرأ الجمهور : " (يَئِسن) فعلا ماضيا "(١) وهي لهجـــة ذكرها سيبويه فقال : " وهذا عند أصحابنا إنما يجيء على لغتيـــن يعني : (يَئِس) يَيأَس و (يأس) ييئِس لغتان ثم يركب منهما لغة "(٢).

ونسب أبو زيد إلى عليا مضر قولها : (يَئِس) (ييئَس) ،وإلى سفلى مضر قولها : (ييأس)(٣).

وقد جاء القرآن بلهجة سفلى مضر التي تكسر الماضي (يئس) كما هو في هذه القراءة ،مع فتح عين المضارع في مواضع منه ،ومن ذلك قوله تعالى :

*... إِنَّهُ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ... * يوسف / ٨٧ والرعد / ٠٣١

ويلاحظ أن لهجة سفلى مضر (تميم) تكسر عين المثال الحلقي : (الهمزة) في الماضي وتفتحها في المستقبل على سبيل المغايرة ،وذلك كعادتها في كســـر عين الفعل الحلقي . وقد ساعدها على الكسر مناسبته لصوت الياء (فاء) الفعل . وبهذه اللهجة أخذت العربية الفصحى .

---

(١) البحر المحيط : ٨/ ٠٢٨٤.

(٢) اللسان : (ى ء س) : ٠٢٥٩/٦.

(٣) النوادر في اللغة : ٥٥٧ لأبي زيد ،تحقيق الدكتور محمد أحمد ، (ط: أولى ،دار الشروق ، بيروت ،سنة ١٩٨١م).

- قراءات شاذة :

(هـ) - الفعل : (وهنوا) من قوله تعالى :

﴿... فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ آل عمران : ١٤٦، مريم/ ٤.

قرأ أبو نهيك والحسن وأبو السمال : (وَهِنوا) بكسر الهاء ،[١] والكسر فيها لهجة ، ذكرها ابن جني[٢] ، والعكبري ،[٣] وقاسها أبو حيان على : (وجِل) .[٤]

وقد ورد الفعل (وَهِنوا) على صيغة الكسر (فَعِل) وهو شامل حلقي العين مع بعد ، (الصوت الحلقي) مخرجا من صائت الكسر مما يجعل (الهاء) أكثر أمامية (شفوية) بتأثير الكسر . ولعله على لهجة تميم التي تجنح إلى كسر الأفعال المجردة الحلقية العين .[٥]

■

الطائفة الثانية : سقوط عين (فَعِل) وتحويل صائت (الفاء) من الفتح إلى الكسر :

- قراءات متواترة :

(و) - الفعل : (دمت) من قوله تعالى :

﴿... إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا...﴾ آل عمران / ٧٥ .

قرأ أبو عبد الرحمن السلمي ويحيى بن وثاب والأعمش وابن أبي ليلى

---

(١) شواذ القراءات : ٢٢، ٨٣ .
(٢) المحتسب : ١/ ١٧٤ وينظر تفسير القرطبي : ٤/ ٢٣٠ .
(٣) إملاء ما من به الرحمن : ١/ ١٥٣ وينظر الأفعال لابن القطاع: ٣/ ٢٨٩ .
(٤) البحر المحيط : ٣/ ٧٤ وينظر الأفعال للسرقسطي : ٤/ ٢٢٩، وفصيح ثعلب : ٤ ، نشر وتعليق : محمد عبد المنعم الخفاجي ، (ط: أولى ، المطبعة النموذجية بالقاهرة سنة ١٩٤٩ م) .
(٥) لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة : ١٧٦ .

والفياض بن غزوان وطلحة وغيرهم : (دِمْتَ) بكسر الدال ... لغة تميم .(١)

وقوله تعالى :

﴿... وَأَوْصَانِي بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ مريم / ٣١.

قرأ أهل المدينة وابن كثير وأبو عمرو : (دِمت) بكسر الدال ...
على أنها لهجة ، تقول : (دِمت تدام) ، كما تقول : (مت تمات).(٢)

فالفعل (دِمْتُ) بكسر الصامت الأول من (دوِم) على (فعِل) معتل العين مكسورها . قلبت (واوه) ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصارت (دام) والمضارع منها (يَدَام) مثل خاف يخاف.(٣) وقد تحرك الصامت الأول بالكسر للدلالة على أن (العين) مكسورة .

أي سقطت (الواو) ولم تعوض مع الاحتفاظ بحركتها ، ونقلها الى (فاء) الصيغة .

- الفعل : (مِتم) من قوله تعالى :

﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ..﴾ آل عمران / ١٥٧.

قرأ نافع وحفص والكسائي وحمزة : (مِتُّم) و (مِتْنا) و (مِتُّ) بكسر الميم حيث وقع .(٤)

---

(١) البحر المحيط : ٢/ ٥٠٠ وينظر تفسير القرطبي : ١١٧/٤ والاتحاف : ١٧٦.

(٢) البحر المحيط : ١٨٧/٦ وينظر التبصرة : ٨٧٥/٢.

(٣) إملاء ما من به الرحمن : ١٤٠/١ واللسان (د و م) : ٢١٣/١٢.

(٤) التبصرة : ١٧٥ وينظر : التيسير : ٩١ وغيث النفع : ١٨٤ والاتحاف : ١٨١.

فالأفعال : (مِتم) و (مِتنا) و (مِت) : أصلها الاشتقاقي (موت) معتلة الصامت الثاني، فما وجه الكسر في الصامت الأول (فاء) الصيغة ؟

وخرج الكسر على لهجتين :

الأولى : " أتت فيه على (فعِل يفعُل) وذلك قليل في القياس، أتى في المعتل كما أتى في السالم، نحو : (فضِل يفضُل) ، وهو قليل أيضا في السالم، فلما كان الماضي على (فعِل) كسر أوله في الإخبار، لتدل الكسرة على أن العين من الفعل أصلها الكسر ... فـ (مِتُّ) بالكسر كثير الاستعمال، شاذ في القياس ." (١)

الثانية : " قيل إن من كسر الميم أتى به على لغة من قال : مات يمَات، مثل : دام يدَام، فهو : (فعَل يفعَل) كـ : خاف يخاف، لغة معروفة، حكاها الكوفيون، فتكسر الميم لتدل على أن عين الفعل مكسورة، كما كسروا في : خِفت، لذلك ". (٢)

فاللهجتان تلتقيان في كون الكسر أصل في (عين) الصيغة، إلّا أن اللهجة الثانية أعلت فيها عين الصيغة (الواو) فقلبت (ألفا) لتحركها وانفتاح ما قبلها. فعلى هذه اللهجة يكون (مِتم) على (فعِل) مثل خاف، وهو ليس بشاذ .

والقراءة بالكسر (مِتم) على لهجة الحجاز (٣) القبائل المتحضرة تتفق مع أداء الكسر الصائت الأمامي رمز الرقة والتحضر.

---

(١) الكشف : ١/٣٦٢ وينظر : الحجة لأبي زرعة : ١٧٩، واللسان : ٢/٩٠.
(٢) الكشف : ١/٣٦٢، وينظر : الحجة لابن خالويه : ١١٥.
(٣) البحر المحيط : ٣/٩٦.

والأصل في (دِمْتُ) و (مِتُّ): "دوِم يدوَم ومِوت يموَت بكسر عين الفعل وفتح مستقبله على القياس (ونقلوا فتحة الواو التي في المستقبل إلى الفاء فسكنت، و (تحرك) ما قبلها على مثال علِم يعلَم فانقلبت الواو في الماضي ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ثم اتبعت الفتحة فصارت ألفا فقالوا يدام ويمات".(١)

فاللهجة الأولى (فَعِل يَفْعُل) على غير القياس شاذة، وتعد من تداخل اللغات، وهي أحد خمسة أفعال جاءت على هذه اللغة كما ذكرها ابن خالويه.(٢)

اللهجة الثانية: (فعِل يفعَل) على القياس وهو الأرجح.

وأرى أن ينظر إلى المسألة من وجه آخر، وهو أن اشتقاق المضارع من الماضي جاء من الفعل المعتل (دام ومات)، أي بعد سقوط الواو (عين الصيغة) وإحلال الألف محلها، أي أن (مات يموت) و (دام يدوم) على (فعَل يفعُل)، وليس من تداخل اللغات ولا غيرها.

أما كسر (فاء) الصيغة فأغلب الظن أنه من قبيل الاختلاف اللهجي (وقد عزى إلى الحجاز في مقابل الضم الذى عزى الى تميم) وليس للدلالة على كسر عين الفعل.

---

(١) بغية الآمال في معرفة مستقبلات الأفعال: ٤٠، لأبي جعفر اللبلي، تحقيق جعفر ماجد، (الدار التونسية للنشر، سنة ١٩٧٢م).

(٢) ليس في كلام العرب: ٩٥، لابن خالويه، تحقيق أحمد عطار، (ط: ثانية، دار العلم للملايين، بيروت سنة ١٩٧٩م)، وهذه الأفعال كما حصرها: "دمت أدوم، ومت أموت، وفضل يفضل، ونعم ينعم، وقنط يقنط".

الطائفة الثالثة : أفعال معتلة الصامت الأخير :

- قراءات شاذة :

- الفعل : (غوينا) من قوله تعالى :

﴿... أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ...﴾ القصص / ٦٣.

قرأ أبان عن عاصم وبعض الشاميين : (غَوِينا) بكسر الواو.(١)

وهي لهجة مستعملة على ضعفها يفهم ذلك مما أورده ابن قتيبة فيما جاء فيه (لغتان استعمل الناس أضعفهما) حيث قال : "يقولون : (غَوِيت) و (غَوَيت) أغوى أجود ".(٢) فلهجة الكسر أضعف مع استعمالها . وذهب بعضهم إلى أنها غير معروفة.(٣)

وردّ ابن خالويه الشذوذ في قراءة الكسر إلى دلالة الفعل فذهب إلى أن "كلام العرب (غَوَيت) من الضلالة ، و (غَوِيت) من البشم".(٤)

فالوجه عنده أن ما يدل على الضلالة فعله (غَوَى) على (فَعَل).

---

(١) شواذ القراءات : ١١٣ وينظر فتح القدير : ٣/٣٩٠ والبحر المحيط : ٧/١٢٨، وشواذ القراءة للكرماني : ورقة ١٨٦ مخطوطة .

(٢) أدب الكاتب : ٣٢٥.

(٣) هامش القاموس المحيط : ٤/٣٧٢.

(٤) شواذ القراءات ١١٣ : والبشم ويعنى بذلك أن الفصيل يشرب اللبن حتى يتخم ويفسد جوفه ; الصحاح : ٦/٢٤٥٠.

فيما نص الزبيدى (١) وابن منظور (٢) والسرقسطي (٣) على مجـــي‌ء (غوِى) على (فَعِل) بمعنى (ضلَّ). فالاختلاف في البنية لا يترتب عليه في كل الأحوال اختلاف في الدلالة، ويمكن أن ينسب إلى لهجتيـــن مختلفتين كما ذكر.

فالقراءتان : (غَوَينا) و (غَوِينا) مختلفتان في البنية متفقتان في الدلالة.

ولعل استعمال الفعل : (غوِى) بمعنى (ضل) تطور دلالي وهو وارد في كثير من الأفعال.

ومن الناحية الصوتية يلاحظ أن استعمال الفعل (غوِى) على صيغة الكسر (فَعِل) فيه انسجام صوتي بين الكسر والياء (الأصل والفرع) في الفعل (اللفيف المقرون).

---

(١) القاموس المحيط : ٤/ ٣٧٢.

(٢) اللسان (غ و ى) : ١٥/ ١٤٠.

(٣) الأفعال للسرقسطي ٢/ ٤٣.

المبحث الثالث

الصيغة الثالثة

صيغة الضم : (فَعُل) مع صائتين قصيرين متقاربين

يؤدى تغيير حركة المقطع الثاني - من الفتح والكسر - بالضم إلى تكوين الصيغة الثالثة في المجرد الثلاثي (فَعُل) للدلالة على الخصائص الثابتة المستمرة.(١)

مثل : (حَسُن) ، (كَبُر) و (ظَرُف) . ويطلق عليها أفعال الصفة أو الأفعال الوصفية".(٢)

وأفعال هذه الصيغة قليلة نادرة الاستعمال في اللغة العربية وفي شقيقاتها السامية فوزن (فَعُل) نادر في اللغة العبرية ، ولا يوجد كذلك في اللغة الآرامية ، إلّا في بعض الأفعال المتحجرة مثل "انتفش الطائر أخضر akōm" "أسود" ... ولم تعدم الآشورية بعض الأفعال ، التي جاءت على وزن (فَعُل) مثل : imaruṣ "مرض".(٣)

إلّا أن الدكتور أنيس نفى وجود نظير لصيغة (فَعُل) في اللغات السامية الأخرى وكذلك في اللهجات الحديثة ونفى وجوده باباً أصلياً من أبواب الثلاثي وطرق اشتقاقه . ثم عزى ما ورد من أفعال صحيحة الرواية على (فَعُل) إلى أمرين هما :

---

(١) أبنية العربية في اللغات السامية : ٥٥.

(٢) العربية الفصحى : ١٤٤.

(٣) المدخل إلى علم اللغة : ٢٣١ ، د/ رمضان عبد التواب ، (ط أولى سنة ١٩٨٢م . وينظر فقه اللغات السامية : ١٠٩).

١ - إما أن تكون هذه الأفعال في الأصل مفتوحة العين في الماضي ، ثم لقصد المبالغة في معناها حولت إلى صيغة أخرى وذلك بضم العين . ويستأنس لهذا الرأى بما يذكره النحاة من إمكان تحويل "فَعَل إلى "فَعُل" حين يراد الدلالة على أن معناه صار كالغريزة في صاحبه أو للتعجب فينسلخ حينئذ عن الحدث.[1]

فليس هذا الباب بابا أصليا من أبواب الثلاثي وطرق اشتقاقه ، وإنما هو فرع لباب آخر لقصد الزيادة في معنى الفعل أو تخصيص المعنى بعد أن كان عاما .

٢ - ويمكن أن تفسر بعض هذه الأفعال على أنها نشأت من طريق القياس الخاطي" (False Analogy) وهو ما تقع فيه الأجيال الناشئة ثم يشيع بعد ذلك حين يصبح الصغار كبارا.[2]

ويبدو أن الدكتور انيس أسرف في موقفه من صيغة (فَعُل) ، فاللغة العربية لغة ثريّة في صيغها وأبنيتها فلماذا يعدها من الصيغ المحولة ولما لا تكون صيغة أصلية مع قلة أمثلتها .

وقد أنصف ابن جنى[3] هذه الصيغة عندما علل لضم العين في (فَعُل) تعليلا يتناسب وطبيعة اللغة : وهو أن الضم في هذه الصيغة للدلالة على عدم التعدية ، ولكثرة ما يتعدى خصوا المتعدى بالفتح والكسر لكثرته .. وخفة الفتح والكسر فالكثرة تحتاج إلى سهولة واللغات تلجأ دائما إلى التيسير .

---

(١) في اللهجات العربية : ١٦٩ .

(٢) من أسرار اللغة : ٥٥ - ٥٦ .

(٣) المنصف : ١/١٨٩ .

ولذا فإن صيغة (فَعُل) تكون أفعالها من النـــــوع الإجبارى Involuntary وهو الذى لا اختيار لنا في حدوثه مثل : (كبر) و (ضعف).[1]

المجموعة الأولى : أفعال صحيحة :

الطائفة الأولى : أفعال غير حلقية :

- قراءات متواترة :

(ب) - الفعل : (خبث) من قوله تعالى :

﴿... وَالَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا...﴾ الأعراف / ٥٨.

رسم المصحف : (خَبُث) من باب (قَرُب) خلاف طاب.[2] على (فَعُل) لازم .

- الفعل : (كبرت) من قوله تعالى :

﴿... كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ...﴾ الكهف / ٥.

قرأ الجمهور : (كَبُرَت) على ضم الباء[3] ، وهو الاختيار ، لأنه أشيع .[4]

وقد اختص الفعل على (فَعُل) بالدلالة على معنى (عَظُم) ، يدلنا على هذا ايراد ابن مالك[5] الفعل على صيغ الماضي الثلاث (فَعَل) و (فَعِل) و (فَعُل) بتثليث العين حيث قال :

" (كَبُر) فلانٌ فلانا : فاقه في العظمة وفي السن أيضا .

---

(١) من أسرار اللغة : ٥٠.

(٢) المصباح المنير : ١٦٢/١.

(٣) إملاء ما من به الرحمن : ٩٨/٢.

(٤) الكامل في القراءات الخمسين : ٢١٢.

(٥) إكمال الإعلام بتثليث الكلام : ٥٤٠/٢ وينظر الأفعال لابن القطاع ...

و (كَبِر) الصغير : معلوم .

و (كَبُر) الشيء : عظم .

فكل صيغة اختصت بدلالة . ولذلك جاء القرآن بصيغة الضم (فَعُل) للدلالة على (عَظُم) وثمة دلالة صوتية واضحة في الفعل ، فصائت الضم المفخم يتناسب مع معنى الفعل . والضم دليل على لزوم الفعل .

(ث) - الفعل : (كثر) من قوله تعالى :

* ... مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا * النساء/٧ .

رسم المصحف : (كَثُر) بضم (الثاء) ، يقال : " كثُر الشيء يكثُر كثرة ، فهو كثير "(١) ثلاثي مجرد على (فَعُل) . وتصاغ من نفس الجذر (ك ث ر) عدة صيغ مزيدة تشارك صيغة الضم (فعُل) الدلالة . وهي (فعّل) : كثّر ، و(أفعل) : أكثر ، و (استفعل) : استكثر .(٢)

ويترتب على ضم (عين) الصيغة الذى اقتضاه لزوم الفعل تفخيم الصوت الأسناني (الثاء) وتراجع مخرجه .

(س) - الفعل : (حسن) من قوله تعالى :

*... وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا * النساء / ٦٩ .

" وقرأ الجمهور : " (وحَسُن) بضم السين ".(٣) والقراءة على

---

(١) اللسان : (ك ث ر) ٥/ ١٣١ .

(٢) القاموس المحيط : ٦٠٢ (طبعة محققه) .

(٣) البحر المحيط : ٣/٢٨٩ .

هـذا الوجـه : لـهجـة من ثلاث لـهجات .[١] إلا أن لـهجة الضم هي الأصل ،وهي لـهجـة أهل الحجاز .[٢] وقيل هي "الاختيار لأنه أفخم".[٣]

فالصيغة المفخمة لهجة القبائل المتحضرة .

وتبدو العلاقة الدلالية واضحة بين الفعل (حَسُن) وصيغته فالأصل فيما كان حُسْناً أو قُبْحاً أنه يبنى على (فَعُل يَفْعُل).[٤] و(حَسُن) من باب (كَرُم).[٥] ضد (قبح).[٦]

وترتب على هذه العلاقة التقاء صوت لثوي (السين) في الصيغة مع الصائت الخلفي (الضم) لتصبح السين بتأثير المجاورة طبقية.

(ص) - الفعل :(بصرت) من قوله تعالى :

﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ﴾ طه / ٩٦ ،والقصص / ١١.

« وقرأ الجمهور : " (بَصُرْتُ) بضم الصاد "[٧] ، على (فَعُل) ، وجاء الضم على الأصل في الفعل إذا دل على العلم ،يقال " : بَصُرت بالأمر بمعنى علمت بالضم".[٨]

---

(١) شواذ القراءات : ٢٧.

(٢) النهر الماد بهامش البحر المحيط : ٣/٢٨٨.

(٣) الكامل في القراءات الخمسين : ورقة : ١٨١.

(٤) الكتاب : ٤/٢٨.

(٥) تاج العروس : ١٩/١٧٥.

(٦) الأفعال للسرقسطي : ٣٦٦١.

(٧) البحر المحيط : ٦/٢٧٣.

(٨) ذيل فصيح ثعلب للبغدادى : ١٢ ،نشر وتعليق عبد المنعم خفاجي وينظر مجمل اللغة : ١/ ٢٧١ ،واللسان : (ب ص ر) ٤/ ٦٦ وإكمال الإعلام : ١/ ٦٨.

(ك) - الفعل : (مكث) من قوله تعالى :

﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ... ﴾ النمل / ٢٢.

قرئ في السبع : (مَكُث) بضم الكاف (١) (٢). والفعل بالضم هو : " اللغة العالية ، وهو نادر " (٣) وهو الاختيار. (٤)

ووجه الاختيار في (مَكُث) يرجع إلى قراءة الجماعة بها. (٥)

ولأنه فعل غير متعد وما لا يتعدى علامته البارزة في الثلاثي المجرد (الضم) وفي هذا يقول سيبويه : " وقال بعضهم : (مَكُث) شبهوه بظَرُف ، لأنه فِعْل لا يتعدى ، كما أن هذا فعل لا يتعدى ". (٦)

فحجة من ضم عند سيبويه أنه غير متعد كظرف. (٧) كما تمتاز هذه اللهجة (العالية) باشتقاق اسم الفاعل منها على فعيل فيقال : " (مكث) مكثا فهو (مكيث) مثل (قَرُب) قربا فهو (قريب) ". (٨)

---

(١) : (حمزة - الكسائي - ابن عامر - ابن كثير - نافع - أبو عمرو - خلف - أبو جعفر - يعقوب) معجم القراءات القرآنية : ٣٤٣/٤.

(٢) السبعة : ٤٨٠ وينظر غيث النفع : ٣١١ والاتحاف : ٣٣٥ ، والنشر : ٣٣٧/٢.

(٣) اللسان : (م ك ث) ١٩١/٢ وينظر تاج العروس : ٦٤٧/١.

(٤) الكامل في القراءات الخمسين : ورقة ٢٢٥ (مخطوطة).

(٥) الكشف : ١٥٥/٢.

(٦) الكتاب ٤/ ١٠.

(٧) إعراب القرآن للنحاس : ٥١٣/٢.

(٨) المصباح المنير : ٥٧٧/٢.

ومع ذلك نجد هذه اللهجة (مَكُث) أقل استعمالا من (مَكَث) بالفتح ، ونظن أن ندرة الاستعمال ترجع إلى علة صوتية وهي اجتماع ثقل الضمة (الخلفية) وثقل (الكاف) الأقصى حنكية ،فهما من مخرج واحد مما يصعب على اللسان العمل في اتجاه واحد فضلا عن ثقل الصوتين. مما يجعل استعمال (مَكُث) نادرا ،وإن كان الضم أنسب لدلالة الصيغة (فَعُل). (١)

والدلالة المعجمية للفعل تقول : " و (مَكُث) مُكثا : احتبس وأقام".

(ق) - الفعل : (ثقلت) من قوله تعالى :

﴿ ... فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ الأعراف/٨.

رسم المصحف : (ثَقُلت) بضم (القاف) على (فعُل) من (الثِقَل : ضد الخفة . تقول منه : ثَقُل الشيء ثِقَلًا ،مثل صَغُرَ صِغَراً ،فهو ثقيل ". (٢)

والمقصود بالثقل هنا كثرة الحسنات ،كما يعبر بالخفة عن قلتها . وقد خرج الجذر (ث ق ل) عن استعماله الأصلي وهو التعبير عن المحسوسات إلى التعبير عن المعنويات.

وقد يرد على (فعِل) للدلالة على شدة المرض ،يقال : " (ثقِل) كفرح : اشتد مرضه ". (٣)

ومجيء الفعل على (فَعُل) جعله ذا قيمة تفخيمية عالية تمثلت في صائت (الضم) وصامت (القاف) المستعلي المفخم.

----

(١) الأفعال للسرقسطي : ٤/٢٠٢.

(٢) اللسان : (ث ق ل)

(٣) القاموس المحيط : ١٢٥٦.

الطائفة الثانية : أفعال حلقية :

- قراءات متواترة :

(ع) - الفعل : (ضعفوا) من قوله تعالى :

﴿... وَمَا ضَعُفُوا وَمَا ٱسْتَكَانُوا ...﴾ آل عمران / ١٤٦.

رسم المصحف : (ضَعُفوا) بضم العين على (فَعُل). قيل :

" (ضَعُفَ) الشيء بفتح الضاد، وضم العين "(١) ضد قوى (٢).

والمصدر منه (الضُّعف) بضم الضاد في لهجة قريش (٣) مما يرجح عزو الفعل بالضم إلى قريش.

ويلاحظ أن الضم على العين أقوى وأبلغ لدلالة الفعل، لأن فيه نفي للضعف، لا تعبير عنه. وقد اقتضى مجيء الفعل على صيغة الضم (فعُل) إلى ضم الصوت الحلقي (العين) مع ميله للفتح. كما أدّى تجاور صوت الإطباق (الضاد) مع صائت (الضم) إلى إعطاء مقاطع الصيغة قيمة تفخيمية عالية تتناسب ودلالتها على المبالغة.

(ح) - الفعل : (رحبت) من قوله تعالى :

﴿... وَضَاقَتْ عليكم الأرضُ بِمَا رَحُبَتْ ...﴾ التوبة / ٢٥، ١١٨.

رسم المصحف : (رَحُبَت) بضم (الحاء)، وقد يرد الفعل على (فَعِل) بالكسر قيل : " (رَحُب) المكان و(رَحِب) رُحْبًا ورَحابة و(أرحب) : اتسع "(٤).

---

(١) اللسان : (ض ع ف) ٩/ ٢٠٣.

(٢) الأفعال لابن القطاع : ٢/ ٢٧٠.

(٣) ينظر المصباح المنير : ٢/ ٣٦٢.

(٤) الأفعال لابن القطاع : ١/ ٢٩٣.

فالفعل بالصيغتين متحد الدلالة لازم ،إلاّ أنه على صيغة الضم (فعُل) لهجة أشيع استعمالا منها على صيغة الكسر (فعِل) ،لكون الضم أصلا فيما لا يتعدى من الأفعال ،وهو القياس فيها.

وقد أكسب(الضم) الصوت الحلقي (الحاء) قيمة تفخيمية تتناسب ودلالة الصيغة على المبالغة .

- قراءات شاذة :

(ل) - الفعل : (صلح) من قوله تعالى :

﴿ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ ... ﴾

الرعد / ٢٣ ، غافر / ٨ .

قرأ ابن أبي عبلة ﴿ومن صَلُح ﴾ بضم اللام "(١) . وهي لهجة(٢) عزاها صاحب القاموس المحيط إلى باب (كَرُم) .(٣) "وقال الفراء : وحكى أصحابنا : (صَلُح) ".(٤)

ويلاحظ أن القراءة بالضم أقوى لإفادتها معنى المبالغة والدلالة على لزوم الفعل وقد أدى اجتماع صوت الإطباق (الصاد) والضم إلى إكساب الفعل درجة قصوى من التفخيم . كما أصبحت اللام أكثر خلفية لمصاحبتها الضم .

---

(١) البحر المحيط : ٣٨٧/٥ وينظر : الكامل في القراءات الخمسين : ورقة : ٢٠٨.

(٢) الأفعال للسرقسطي : ٣٩٠/٣ وينظر المصباح المنير : ٣٤٥/١.

(٣) القاموس المحيط : ٢٣٥/١ وينظر اللسان : (ص ل ح) ٥١٦/٢.

(٤) إصلاح المنطق : ٢٠٧ وينظر : أدب الكاتب : ٣٦٧ والمخصص : ٦٢/١٥.

(ع) - الفعل : (بعدت) من قوله تعالى :

﴿... أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ هود / ٩٥.

قرأ السلمي وأبو حيوة : (بَعُدَت) بضم العين ".(١)

سبق أن تناول البحث هذا الفعل : (بَعُدَ) في صيغة (فَعِل) ودلالته : هلك وهنا يرد على (فَعُل) فما الوجه الدلالي للفعل على هذه الصيغة ؟

تجمع الآراء على تعميم الفعل (بَعُدَ) على (فَعُل) ليكون في عموم البعد ، يشير إلى ذلك أبو حيان وهو يخرّج (بَعُدَ) ، قال : " وقراءة السلمي جاءت على الأصل ، اعتبارا لمعنى البعد من غير تخصيص ".(٢)

وعليه نص ابن جني قال : " أما (بَعُدَ) فيكون مع الخير والشر ، تقول : (بَعُدَ) عن الشر و (بَعُدَ) عن الخير ، ومصدرها البعد ".(٣)

وبهذا الرأي قال صاحب اللسان : " وبَعُدَ هلك أو اغترب ".(٤)

فالهلاك والبعد متساويان .

وينتهي بنا الحديث حول الفعل (بَعُدَ) إلى تلخيص الجوانب التالية :

---

(١) البحر المحيط : ٥/٢٥٧ ، وينظر المحتسب : ١/٣٢٧.
(٢) البحر المحيط : ٥/٢٥٨.
(٣) المحتسب : ١/٣٢٧.
(٤) اللسان : (ب ع د) ٣/ ٩١.

١ - إنه يستعمل على (فَعِل) للدلالة على الهلاك.

٢ - إنه يستعمل على (فَعُل) لمعنى البعد عامة (الخير والشر).

٣ - إنه يستعمل بالصيغتين للدلالة على الهلاك والبعد [١].

٤ - إن (بَعُد) على (فَعُل) أفصح [٢] في الدلالة على بعد المسافة ، وأشهر. [٣] والله أعلم .

(هـ) - الفعل : (فبهت) من قوله تعالى :

﴿... فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ...﴾ البقرة / ٢٥٨.

" قرأ أبو حيوة : " (فَبَهُت) بفتح الباء وضم الهاء ". [٤] وهي لهجة [٥] . على صيغة (فَعُل) . وهي " أقوى معنى من (بَهِت) ؛ وذلك أن (فَعُل) تأتي للمبالغة كقولهم : قضو الرجل إذا جاد قضاؤه ، وفقه إذا قوي في الفقه ... والعرب تقول : ضربت اليد إذا جاد ضربها. وكذلك (بَهُت) إذا تناهى في الخرق والبرق والحيرة والدهش. " [٦]

و (بَهُت) بالضم أكثر من (بَهِت) [٧] . ويرجع ذلك إلى إفادة الضم معنى المبالغة ، ولأن الضم أفخم.

---

(١) أدب الكاتب : ٢٦٢.

(٢) هامش القاموس المحيط : ١/٢٧٨.

(٣) الكامل في القراءات الخمسين : ورقة : ١٩٨ (مخطوطة).

(٤) البحر المحيط : ٢/٢٨٩ وينظر شواذ القراءات : ١٦.

(٥) إملاء ما من به الرحمن : ١/١٠٨ وينظر تفسير القرطبي : ٣/٢٨٨.

(٦) المحتسب : ١/١٣٤.

(٧) اللسان (ب هـ ت) : ٢/١٣ وينظر تاج العروس : ١٠/٥٢٩.

وفي هذه الطائفة من الأفعال الحلقية يلاحظ مجيء (عين الفعل) بالضم ، دون الالتفات للصوت الحلقي العين أو اللام وهو على خلاف القياس الذى نص عليه اللغويون بوجوب فتح عين الفعل الحلقي . ولكننا وجدنا من دراستنا للقراءات السابقة أن الواقع اللغوى أوسع من القياس المعتمد ، فالفعل الحلقي قد يرد مضموم العين مراعاة لدلالة الصيغة أو دلالة الفعل أو للمستوى اللهجي .

المبحث الرابـــع

الصيغـــة الرابعـــة

صيغة المبني للمجهول (passive voice) فُعِل مع صائتين متنافرين :

وتركيبها الصوتي يتكون بتتابع صائتين (ثقيلين) هما الضمة والكسرة في مقطعين متواليين . وهو تركيب حركي تنفرد به هـــذه الصيغة ،فهو بناء لا نظير له يؤتى به للتمييز بين صيغة المعلوم وصيغة المجهول .

وفيها تقدمت الضمة وتأخرت الكسرة ولم يحدث العكس. لعلة صوتية ، " لأن الخروج من ضم إلى كسر أخف من الخروج من الكسر إلى الضم ،لأنه إذا بدئ بالأخف وثنى بالأثقل كانت الكلفة فيه أثقل من الابتداء بالأثقل ثم يؤتى بالأخف ،فلذلك بنى على هذه الصيغة".(١)

وتثير هذه الصيغة (فُعِل) قضية الأصل والفرع . وأيهما تكون ؟ . فقد ذهب المبرد وابن الطراوة والكوفيون(٢) وسيبويه والمازني(٣) ،إلى أنه أصل قائم بذاته ،وذهب البصريون وتبعهم

---

(١) شرح المفصل : ٧١/٧ لابن يعيش (عالم الكتب بيروت) .

(٢) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ٧٨٦/٣ (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط : أولى ، نشر : دار الكتاب العربي ،بيروت سنة ١٩٥٥م) .

(٣) شرح الكافية الشافية ٢٠١٤/٤ تحقيق (الدكتور عبد المنعم هريدي ،مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي) .

ابن مالك [١] وابن جني [٢] وابن الحاجب [٣] ونقل عن سيبويه [٤] إلى أنها فرع متغير عن صيغة الفاعل . ويشرح ذلك ابن يعيش فيقول : " وأصله (فَعَلَ) أو (فَعِلَ) ،ثم نقل فصار حديثا عن المفعـــول . ولا يكون منقولا من (فَعُلَ) لأنه لازم لا يتعدى إلى مفعول ". [٥]

إلّا أننا نجد من المحدثين من يرفض فكرة الأصالة والفرعيـة ومن هؤلاء الدكتور تمام حسان الذي يرى أن " القول بـأن صيغة ما أصل للكلمة أو صيغة أخرى مما يتنافى مع المنهج اللغوى الحديث ،فلا يطبق هذا المنهج اصطلاحات مثل (نائب الفاعل) ، لأن في ذلــك تلميحا إلى أن الفاعل أصل للمرفوع بعد ما بني للمجهول ... ووجـه القول كما أراه في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ،أن مسألة الاشتقاق تقوم على مجرد العلاقة بين الكلمات واشتراكها في شيء معين ، غير من أن تقوم على افتراض أصل منها وفرع ». [٦] وضرب مثلا على ذلك الكلمات مثل : (ضَرَبَ) و (ضَارِب) و (مَضرُوب) .. الخ فإنها تشتـــرك في الجذور الثـلاثـة (ض ر ب) التي تفرعت منها . وأيّد ماذهــب إليه بما فطن إليه بعض القدماء كالسيوطي : " قالت طائفة من النظـــار الكلمة كلها أصل ". [٧]

---

(١) شرح الأشموني : ٧٨٦/٣.

(٢) المنصف : ٢٣/١ - ٢٤.

(٣) أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب : ١٣٦(للدكتور عصام نور الدين ،ط : أولى ،المؤسسة الجامعية للدراسات ،بيروت ١٩٨٢م) .

(٤) شرح التصريح ٤٤٦/٢.

(٥) شرح الملوكي في التصريف :٣٠-٣١ لابن يعيش (تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ،ط : أولى ،المكتبة العربية بحلب سنة ١٩٧٣م) .

(٦) مناهج البحث في اللغة : ٢١٥-٢١٦ (د/تمام حسان ، المغرب سنة ١٩٧٩م) .

(٧) المزهر : ٣٠٢/١.

وأرى أن نستعيض عن فكرة الأصالة والفرعية بفكرة التحول الداخلي.

ولذلك فإن بناء الفعل للمفعول من الحالات التي تتجلى فيها ظاهرة التحول الداخلي في الحركات داخل مادة الكلمة، "فكأن بعض الحركات يوحي في اللغة بالوضوح، وبعضها يوحي بالغموض".(١) ومن هنا استخدمت اللغة العربية التركيب الحركي الثقيل في بناء المفعول لمناسبته للمجهول.

المجموعة الأولى : ذات الصوائت القصيرة :

الطائفة الأولى : أفعال غير حلقية :

ـ قراءات متواترة :

(م) ـ الفعل : (طمست) من قوله تعالى :

* فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ * المرسلات / ٨.

رسم المصحف : (طُمِست) بضم (الطاء) وكسر (الميم).

(ث) ـ الفعل : (عثر) من قوله تعالى :

* فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا ... * المائدة / ١٠٧.

رسم المصحف : (عُثِر) بضم (العين) وكسر (الثاء).

(ذ) ـ الفعل : (كذبوا) من قوله تعالى :

*.. وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا .. * يوسف / ١١٠.

رسم المصحف : (كُذِبوا) بضم (الكاف) وكسر (الذال) خفيفة.

---

(١) المنهج الصوتي للبنية العربية : ٦٤، (د/ عبد الصبور شاهين : مؤسسة الرسالة، بيروت : ١٩٨٠م).

(ت) ـ الفعل : (قتل) من قوله تعالى :

* قُتِلَ الخَرَّاصُونَ * الذاريات / ١٠

رسم المصحف : (قُتِلَ) بضم (القاف) وكسر (التاء) .

(د) الفعل : (قُدِر) من قوله تعالى :

... وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ ... الطلاق / ٧ .

رسم المصحف : (قُدِر) بضم (القاف) وكسر (الدال) .

(س) الفعل : (نسفت) من قوله تعالى :

* وَإِذَا الجِبَالُ نُسِفَتْ * المرسلات / ١٠

رسم المصحف : (نُسِفت) بضم (النون) وكسر (السين) .

(ص) ـ الفعل : (نصبت) من قوله تعالى :

* وَإِلَى الجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * الغاشية / ١٩ .

رسم المصحف : (نُصِبَتْ) بضم (النون) وكسر (الصاد) .

(ش) ـ الفعل : (كشطت) من قوله تعالى :

* وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ * التكوير / ١١ .

رسم المصحف : (كُشِطت) بضم (الكاف) وكسر (الشين) .

(ك) ـ الفعل : (نكسوا) من قوله تعالى :

* ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ .. * الأنبياء / ٦٥ .

رسم المصحف : (نُكِسوا) بضم (النون) وكسر (الكاف) .

(ق) ـ الفعل : (سقط) من قوله تعالى :

* وَلَمَّا سُقِطَ فِيَ أَيْدِيهِمْ ... * الأعراف / ١٤٩ .

رسم المصحف : (سُقِط) بضم (السين) وكسر (القاف) .

ولنا وقفة مع دلالة الفعل ،فقوله (سُقِطَ في أيديهم) معناه : "ندموا يقال : سقط في يد فلان "إذا ندم" (١) . أو كما قال الزجاج : سقط الندم في أيديهم (٢).

ولذلك فالقرآن استعمل الفعل في غير دلالته الأصلية ،" والأصل فيه نزول الشيء من أعلى إلى أسفل ووقوعه على الأرض ، ثم اتسع فيه فقيل للخطأ من الكلام : سَقَط : لأنهم شبهوه بما لا يحتاج إليه فيسقط . وذكر اليد لأن الندم يحدث في القلب وأثره يظهر في اليد كقوله تعالى :﴿ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا ﴾ (٣) . لأن اليد هي الجارحة العظمى ،فربما يسند إليها ما لم تباشره كقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ ﴾ (٤) "(٥).

ولذلك عُدَّ استعمال الفعل في القرآن من المجاز (٦) . وهو من باب الكناية (٧) أي أن الفعل الأصلي (سَقَطَ) تطورت دلالته من المعنى المادي إلى المعنى المعنوي .

----

(١) غريب القرآن : ١٧٣ وينظر : مجاز القرآن : ١/٢٢٨.

(٢) زاد المسير : ٣/٢٦٣.

(٣) الكهف / ٤٢.

(٤) الحج / ١٠.

(٥) العباب : (س ق ط).

(٦) تاج العروس : ١٥/١٥٤ وينظر أساس البلاغة : ٢١٤.

(٧) الكشاف : ٢/١١٨ وينظر البحر المحيط : ٤/٤٩٣.

وقيل إن : بناء الفعل (سُقِطَ) للمفعول أصل فيه ، فهو على لفظ ما لم يسم فاعله.(١) وله نظائر كثيرة في اللغة . ولا يتكلم به إلّا على ما لم يسم فاعله.(٢)

إلّا أنّ ابن السميفع قرأ : (سَقَطَ) بالبناء للفاعل والمعنى عليه : أي وقع في أيديهم(٣) ، وقيل : كأنه أضمر الندم.(٤)

وقيل إن : (سقط) لهجة في (أسقط)(٥) و (سقط) أكثر وأجود.(٦)

- الفعل : (أقتت) من قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴾ المرسلات / ١١.

قرأ أبو جعفر : (وُقِتَتْ) بواو خفيفة (القاف) .. على (فعلت) ، من الوقت كقوله تعالى: ﴿... كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾(٧) فهذا من الوقت.(٨)

----

(١) أدب الكاتب ٣١٠-٣١١ وينظر تصحيح الفصيح : ٢٠٥ وما بعدها.
(٢) الأفعال لابن القطاع : ٢/١٢٠.
(٣) الكشاف : ٢/١١٨.
(٤) الصحاح : ٣/١١٣٢.
(٥) تفسير الطبري : ٩/٤٠.
(٦) اللسان : (س ق ط) : ٧/٣١٨ وينظر تهذيب اللغة: ٨/٣٩٢.
(٧) النساء/١٠٣.
(٨) المحتسب : ٢/٣٤٥ وينظر إعراب القرآن للنحاس : ٣/٥٩٢ ، والبحر المحيط : ٨/٤٠٥ ، وشواذ القراءة للكرماني : ٢٥٦.

الطائفة الثانية : أفعال حلقية :

- قراءات متواترة :

(ب) الفعل : (طبع) من قوله تعالى :

﴿... وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ التوبة / ٨٧.

رسم المصحف : (طُبِعَ) بضم (الطاء) وكسر (الباء) وقد استعمل القرآن الفعل بدلالته المتطورة ، فهو من المجاز.(١) والأصل فيه : " طبع الكتاب والسكين والسيف طبعا ".(٢)

(ف) - الفعل : (نفخ) من قوله تعالى :

﴿... وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ الكهف / ٩٩.

رسم المصحف : (نُفِخَ) بضم (النون) وكسر (الفاء).

(ط) - الفعل : (قطع) من قوله تعالى :

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ...﴾ الأنعام/ ٤٥.

رسم المصحف : (فَقُطِعَ) بضم (القاف) وكسر (الطاء).

(ع) - الفعل : (سعدوا) من قوله تعالى :

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ..﴾ هود / ١٠٨.

رسم المصحف : (سُعِدوا) بضم (السين) وكسر (العين).

---

(١) أساس البلاغة : ٢٧٤.

(٢) الأفعال لابن القطاع : ٢/٢٩٨.

(هـ) ـ الفعل : (فبهت) من قوله تعالى :

﴿... فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ...﴾ البقرة / ٢٥٨.

قرأ الجمهور : (فَبُهِتَ) ـ بضم (الباء) وكسر (الهاء) مبنيا لما لم يسم فاعله.(١)

وقد وصفت هذه القراءة بأنها الاختيار لقولهم : رجل مبهوت.(٢) وقد قرئ الفعل على (فَعَل) بفتحتين وعلى (فَعِل) بفتح وكسر وعلى (فَعُل) بفتح وضم(٣)، إلا أن (بُهِتَ) بهتا لغة القرآن الفصيحة.(٤) وهي أجود وأكثر.(٥)

وقيل : إن (بُهِتَ) على لفظ ما لم يسم فاعله(٦) أي أن الأصل في هذا الفعل أن يرد على (فُعِل) بالبناء للمجهول. وعلى هذا الأصل جاء القرآن. ودلالته : انقطع وسكت متحيرا.(٧)

الطائفة الثالثة : أفعال مضعّفة :

يتجاذب الصامت الأول في الفعل المضعف عند بنائه على (فُعِل) صائتان قصيران، هما : الضم والكسر، أي أن الصيغة ترد على مستويين :

---

(١) ـ البحر المحيط : ٢/٢٨٩.
(٢) الكامل في القراءات الخمسين ورقة ١٢٠.
(٣) البحر المحيط : ٣/٢٩٨.
(٤) الأفعال لابن القطاع : ١/٨٨.
(٥) معاني القرآن للفراء : ١/١٨٢.
(٦) ينظر أدب الكاتب : ٣١١.
(٧) تفسير القرطبي ١/٢٨٨.

المستوى الأول : ضم الصامت الأول (فاء الصيغة) :

وهو الأصل وعليه جمهور اللغويين (١) وبه قرئ متواترا في المواضع التالية :

(ب) - الفعل : (فكبت) من قوله تعالى :

﴿... فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ...﴾ النمل / ٩٠

رسم المصحف : (فكُبَّت) بضم (الكاف) . من الكب : إسقاط الشيء على وجهه. (٢)

(د) - الفعل : (ردوا) من قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ..﴾ الأنعام / ٦٢.

رسم المصحف : (رُدُّوا) بضم (الراء) .

- الفعل : (ردت) من قوله تعالى :

﴿... هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا..﴾ يوسف / ٦٥.

قرأ الجمهور : (رُدَّت) بضم (الراء) وهو الأصل . (٣)

- الفعل : (صدّ) من قوله تعالى :

﴿... وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ..﴾ غافر/ ٣٧.

. قرأ عاصم وحمزة والكسائي : (وصُدَّ) بضم الصاد) (٤)

---

(١) ينظر أوضح المسالك : ٢/١٥٨.
(٢) المفردات : ٦٣٦.
(٣) إملاء ما من به الرحمن : ٢/٥٥.
(٤) السبعة : ٥٧١ وينظر الكشف : ٢/٢٤٤ والحجة لأبي زرعة ٦٣٢ والبحر المحيط : ٧/٤٦٦ وإعراب القرآن للنحاس ٣/١٢.

أما دلالة الفعل ، فقد جاء استعمالها على المجاز (١) ، إذ الأصل في الصدّ : الإعراض والصدوف (٢).

- الفعل : (مدت) من قوله تعالى :

* وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ * الانشقاق / ٣.

رسم المصحف : (مُدّت) بضم (الميم).

(د) - الفعل : (قد) من قوله تعالى :

... إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ ...

- يوسف / ٢٦.

رسم المصحف : (قُدّ) بضم (القاف) من القد : القطع المستأصل والشق طولا (٣).

(ل) - الفعل : (غلت) من قوله تعالى :

... غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ... المائدة / ٦٤.

رسم المصحف : (غلت) بضم (الغين).

(س) - الفعل : (بست) من قوله تعالى :

* وَبُسَّتِ الجِبَالُ بَسًّا * الواقعة / ٥

رسم المصحف : (بُست) بضم (الباء) من بس الشيء بسا : فتته (٤).

----

(١) أساس البلاغة للزمخشري : ٢٥٠.

(٢) اللسان : (ص د د) ٣/ ٢٤٥.

(٣) اللسان : (ق د د) ٣/ ٣٤٤.

(٤) الأفعال لابن القطاع : ١/ ٩٦.

(ج) - الفعل : (رجت) من قوله تعالى :

* إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا * الواقعة / ٤ .

رسم المصحف : (رُجَّتْ) بضم (الراء) . أي اضطربت.(١)

(ك) - الفعل : (دكت) من قوله تعالى :

* كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * الفجر / ٢١ .

رسم المصحف : (دُكَّتْ) بضم (الكاف) . والمعنى " دقت جبالها وانشازها حتى استوت ".(٢)

(ق) - الفعل : (حقت) من قوله تعالى :

* وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * الانشقاق / ٢ .

رسم المصحف : (حُقَّتْ) بضم (الحاء) . أي حق لها.(٣)

فالأفعال السابقة جميعها انتظمت في عقد (الضم) ، وهو الاختيار(٤) وعن هذا الوجه يقول سيبويه : " واعلم أن (رُدَّ) هو الأجود والأكثر ، لا يغير الإدغام التحرك كما لا يغيره في (فَعُل) و (فَعِل) ونحوهما ".(٥) كما وصف الضم بأنه الأفصح.(٦)

ويعلل ابن جني لاختيار الضم ، بأن المضعف أكثره عنهم ضم أوله (شُدَّ) و (رُدَّ) ... لأن الأفشى في اللغة الضم.(٧)

ورجّح البحث الحديث أن يكون هذا الأداء لأهل الحجاز(٨) وهذا يعني أن اللهجة الحجازية اختارت صيغة ذات قيمة تفخيمية عالية ، باجتماع الضم والتضعيف معا.

---

(١) العمدة في غريب القرآن : ٢٩٥ .
(٢) غريب القرآن لابن قتيبة : ٥٢٧ .
(٣) السابق : ٥٢٦ .
(٤) الكامل في القراءات الخمسين : ٢٠٨ .
(٥) الكتاب : ٤ / ٤٢٣ .
(٦) ينظر حاشية الصبان : ٢ / ٦٤ .
(٧) المحتسب : ١ / ٣٤٥ .
(٨) ينظر النحو والصرف بين الحجازيين والتميميين : ٢٧٢ ، (د / عبد الله الحسيني ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة سنة ١٩٨٤ م) .

المستوى الثاني : كسر الصامت الأول :

وفي هذا المستوى يتحول صائت (الفاء) من الضم إلى الكسر ، وبه قرئ شاذا .

(د) - الفعل : (ردت) من قوله تعالى :

﴿... هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا...﴾ يوسف / ٦٥ ، النساء / ٩١ .

" قرأ علقمة ويحيى بن وثاب والأعمش : (رِدَّت) بكسر الراء"(١)

وتعليل هذه القراءة ، لأن الأصل فيه (رُدِدَت) فلما أدغم قلب حركة الدال على الراء كما يقال : (بِيعَ) في المعتل ، وقد حكى قطرب في (ضُرِب) زيد (ضِرب) "(٢).

- الفعل : (صد) من قوله تعالى :

﴿... وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ...﴾ غافر / ٣٧ .

قرأ ابن وثاب : (وصِدّ) بكسر الصاد ، وأصله (صُدِد) ، نقلت الحركة إلى الصاد بعد توهم حذفها "(٣).

ويعزى هذا التحول في صيغة (فُعِل) في الفعل المضاعف إلى اختلاف اللهجات كما يقول سيبويه : " واعلم أن لغة مطّردة يجرى فيها (فُعِل) من (رَدَدْت) مجرى (فُعِل) من قلت ، وذلك قولهم : قد [(رِدّ) ، و (هِدّ) ، و (رَحُبَتْ بلادك وظِلَّت) ،

---

(١) البحر المحيط : ٥/٣٢٣ ، ٣/٣١٩ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس : ٢/١٤٨ وينظر : إملاء ما من به الرحمن : ٢/٥٥ .

(٣) البحر المحيط : ٧/٤٦٦ وينظر تفسير القرطبي : ١٥/٣١٥ ، وإعراب القرآن للنحاس : ٣/١٢ .

لما أسكنوا العين ،ألقوا حركتها على الفاء ". (١)

وقد عزى كسر (فاء) الثلاثي المضعف المبني للمجهول إلى بني ضبة وتميم ومن جاورهم ،(٢) وكلها قبائل بدوية ،ويظهر أن التحول من الضم إلى الكسر سببه التخفيف ،وذلك من ثقل اجتماع التضعيف مع الضم ،فالكسر أسهل من الضم . إلا أن الكسر أقل اللهجات (٣) الواردة في المضعف المبني للمجهول ، فهي اللهجة الثالثة بعد الضم والاشمام. ولم ترد القراءات باللهجة الثانية (الاشمام).

وباللهجات الثلاث ينشدون بيت الفرزدق :

وما حُلَّ من جَهْل حُبى حُلمائنا ولا قائل المعروف فينا يُعنَّفُ (٤)

" (حُلَّ) و (حِلَّ) و (حُِل) ، فمن قال : (حُلَّ) فضم الحاء فهو في الكثرة بمنزلة من قال : (قيل) فكسر ، ومن كسر الحاء فقال : (حِل) فهو بمنزلة من أخلص الضمة فقال : (بوع وقول) ، ومن

---

(١) الكتاب : ٤/ ٤٢٣ .

(٢) البحر المحيط : ٥/ ٣٢٣ وينظر المحتسب : ١/ ٣٤٦ ،والتصريح للأزهري : ١/ ٢٩٥ .

(٣) المحتسب : ١/ ٣٤٥ .

(٤) البيت من البحر الطويل ورد في ديوانه : ٥٦١ (نشر الصاوي سنة ١٣٥٤) والبيت من شواهد سيبويه : ٤/ ١١٨ وشرح شواهده للأعلم الشنتمري : ٢/ ٢٦٠ (الكتاب : بولاق) ، والمنصف : ١/ ٢٥٠ ،والمحتسب ، ١/ ٣٤٦ ،والخصائص : ١/ ٢٨٦ . واللسان : (ح ل ل) ١١/ ١٧٣ ،(ح ب ى) ١٤/ ١٦١ . والحبى : أن يضم الرجل فخذيه وساقيه إلى جذع ،ويشدهما بثوب ،وهو اسم من الاحتباء .

أشم فقال : (حل) فهو بمنزلة من أشم أيضا فقال : (قيل)".(١)

أى أنهم "أجروا المدغم مُجرى المعتل في هذا الباب ".(٢)

فالقراءات القرآنية وردت في المضعف المبنى للمجهول على لهجة الحجاز بضم (الفاء) ،وعلى لهجة بني ضبة وتميم بكسر (الفاء).

إلّا أن التفخيم يغلب على قراءات الضم ، أما قراءات الكسر فهي للتخفيف .

المجموعة الثانية : ذات الصوائت الطويلة :

يتحول صائت الصامت الثاني في صيغة (فُعِل) مع الثلاثي (الأجوف) من صائت قصير إلى صائت طويل . وقد ورد هذا التحول على مستويين :

المستوى الأول : بكسرة طويلة على : (فيل).

المستوى الثاني : بضمة طويلة على : (فول).

المستوى الأول :

- قراءات متواترة :

( ) - الفعل : (قيل) من قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ...﴾ البقرة / ١١.

---

(١) المنصف : ١/ ٢٥٠.

(٢) السابق : ١/ ٢٤٩ - ٢٥٠.

(ى) ـ الفعل : (غيض) من قوله تعالى :

﴿... وَغِيضَ المَآءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ...﴾ هود / ٤٤.

الفعل : (سيء) من قوله تعالى :

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ..﴾ هود / ٧٧.

ـ الفعل : (حيل) من قوله تعالى :

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ....﴾ سبأ / ٥٤.

ـ الفعل : (جيء) من قوله تعالى :

﴿... وَوُضِعَ الكِتَـٰبُ وَجِاىٓءَ بِالنَّبِيِّنَ والشُّهَدَآءِ..﴾ الزمر / ٧٠.

ـ الفعل : (سيق) من قوله تعالى :

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوٓا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا..﴾ الزمر / ٧١.

فالأفعال السابقة : (قيل) ، (غيض) ، (سيء) ، (حيل) ، (جيء) ، (سيق) قرأها ابن كثير وعاصم وأبو عمرو وحمزة بكسر أوائلها (١).

وذلك بإشباع الكسر في الصامت الأول من الصيغة .. والمبرر الصوتي لهذا الإشباع هو إعلال عين الصيغة وذلك بتحويل الفتحة الطويلة إلى كسرة طويلة في الثلاثي الأجوف (٢). وهو ما عبر عنه الصرفيون

---

(١) السبعة : ١٤٤ وينظر : الحجة لأبي علي الفارسي : ١/ ٣٤٠-٣٤١ بتحقيق بدر الدين قهوجي ، وبشير جويجاتي (ط: أولى ، دار المأمون للتراث ، دمشق : ١٩٨٤م) والنشر : ٢/ ٢٠٨ ، والاتحاف : ١٢٩.

(٢) الممتع لابن عصفور : ٢/ ٤٥١ ، والمنصف لابن جني : ١/ ٢٤٨-٢٤٩. والبسيط في شرح جمل الزجاجي لابن أبي الربيع : ٢/ ٩٥٤ (تحقيق/ د/ عياد الثبيتي ، ط: أولى ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٦).

بنقل كسرة عين الصيغة (فعل) إلى الفاء ، وقلب العين من ذوات الواو ياء لسكون العين وانكسار الفاء قبلها ، وبقاء ما كان من الياء على حاله.

ومن رجح مستوى الكسر قال فيه : " والكسر من سنن العربية. وهو قراءة العامة في جميع ذلك ، وهي في اللغات أفشى ، وفي الآثار أكثر ، وعلى الألسنة أخف ، وفي قياس النحو أجود ". (١) وهو أفصح لهجات هذا الباب (٢) . والأصل فيها (٣) والأقوى. (٤)

فصائت الكسر القصير والطويل أيسر وأخف أداء من صائتي الضم. ولذلك مالت إليه القبائل المتحضرة ، فقد عزى إخلاص الكسر في هذه الصيغة (فُعِل) إلى قريش ومن جاورهم من بني كنانة (٥)

فالقرشيون تحولوا من صيغة (فُعِل) إلى (فِيل) في الثلاثي الأجوف عند بنائه للمجهول بسبب الإعلال .. فمن تتابع صائتي الضم والكسر إلى كسرة طويلة (خالصة) . أي أنهم تخلصوا من المقطع الحركي المكروه في اللغة كما هو في [قُوِل . بُيِع] . على هذا النحو : (٦)

qu / wi / la > qii / la

bu / yi / ع a > bii / ع â

---

(١) الكشف : ٢٣٢/١.

(٢) شرح الرضي على الكافية : ٢/٢ وينظر الكتاب : ٤٢٣/٤.

(٣) المنصف : ٢٤٩/١.

(٤) المحتسب : ٣٤٥/١.

(٥) التبصرة للصيمري : ٨٢٣/٢.

(٦) المنهج الصوتي للبنية العربية : ٩٤.

المستوى الثاني :

ويكون بإشباع صائت الضم بعد الصامت الأول في الصيغة فتتحول الصيغة من (فُعِل) إلى (فول) بضمة طويلة . وما قرئ بضمة طويلة :

(ى) - الفعل : (سيء) من قوله تعالى :

﴿ ... سِيٓءَ بِهِمْ ... ﴾ هود / ٧٧.

قرأ عيسى وطلحة (سُوء) باخلاص الضم.(١)

وإخلاص الضم يكون بإشباعها ،لتصبح ضمة طويلة . وذلك بعد سقوط (الكسرة) صائت عين (فُعِل) من غير تعويض .

وهذا النوع من الإشباع لهجة عزيت إلى فقعس ودبير ، وهما من فصحاء بني أسد ، كما عزيت إلى هذيل.(٢)

إلّا أن هذيلا من القبائل المتحضرة المجاورة للحجاز ، بخلاف فقعس ودبير ،وهما من البدو . "ولعل من نطق بهذه اللهجة من هذيل كان أكثر بداوة وتوغلا في جوار بعض الناطقين بها من قبائل المجموعة الشرقية".(٣)

وعلى الرغم من توزع هذه اللهجة بين ثلاث قبائل ،عرفت بعضها بالفصاحة ،إلّا أن هذه اللهجة تُعدُّ أقل(٤) اللهجات الثلاث استعمالا في المبنى للمجهول المعتل العين ،لثقلها الصوتي.

---

(١) البحر المحيط : ٧/ ١٥١.

(٢) ارتشاف الضرب : ٢/ ١٩٦.

(٣) لغة هذيل : ٦٢ وينظر اللهجات العربية في القراءات القرآنية (د/ عبده الراجحي) : ١٤١-١٤٢. دار المعارف بمصر: ١٩٦٨ (م).

(٤) الكافية : ٢/ ٢٧٠.

الفصل الثاني :
صيـغ المغـايرة .

Polarity Forms

فيه أربعـة مباحث :

المبحث الأول : التحول من الفتح إلى الكسـر (فَعَل يَفْعِل).

المبحث الثاني : التحول من الفتح إلى الضم (فَعَل يَفْعُل) .

المبحث الثالث : أفعال مشتركة بين صيغتي (فَعَل يَفعِل)
و (فَعَل يَفعُل) .

المبحث الرابع : التحول من الكسر إلى الفتح (فَعِل يَفْعَل) .

الفصل الثاني

صيغ المغايرة

(Polarity Formes .)

يشكّل اختلاف الصوائت (الحركات) على العنصر الثاني في الصيغة البنية الصوتية في اشتقاق صيغ المضارع من صيغ الماضي . وتفسير ذلك أن يتحول الصائت المتسع (الفتحة) في الماضي إلى الصائت الضيق (الضمة أو الكسرة) في المضارع ، أو تحوّل الصائت الضيق (الكسرة) في الماضي إلى الصائت المتسع (الفتحة) في المضارع فتتشكل بذلك صيغ جديدة مغايرة مضافا إليها صوت المضارعة . فالعلاقة بين الماضي والمضارع قائمة على أساس التحول الحركي (١) (Ablaut)، أو التحول الداخلي (Flexion inter ne) (٢) المحض الطريقة الرئيسية للاشتقاق في العربية (٣) . وهو ما أطلق عليه الدكتور أنيس مسمى المغايرة (Polarity .) (٤) وقد ذكر أنها أحد الأسس المعتمدة في صياغة المضارع من الماضي . والمعترف بها بين علماء اللغات في العالم . وهذه الأسس هي :

١ - المغايرة .

٢ - وظيفة الفعل في الكلام حيث قسموا الأفعال من حيث وظيفتها في الكلام إلى اختياري (Voluntary) واجباري (Involuntary) .

---

(١) فقه اللغات السامية : ١١٦ .

(٢) العربية الفصحى : ١٤١ .

(٣) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث (د / عبد الصبور شاهين) : ٢٨٤ ، (مكتبة الخانجي بالقاهرة سنة ١٩٦٦) .

(٤) من أسرار اللغة : ٤٩ .

٣ - أثر الحروف المجاورة في إيثار الحركات .

وقد قام الدكتور أنيس بتطبيق هذه الأسس على الأفعال الثلاثية الصحيحة التي وردت في القرآن الكريم (قراءة حفص) ، وأفعال القاموس المحيط .

وانتهى إلى أن أفعال المغايرة على (فَعَل) في القرآن تبلغ حوالي ٧٠ فعلا وعلى (فَعِل) حوالى ٢٤ فعلا.(١)

ومع ذلك فإن عالم الصوتيات العربية ابن جني كان متقدما على المحدثين عندما صاغ قانون المغايرة هذا تحت مسمى (المخالفة) ونصه : " وقد دلت الدلالة على وجوب مخالفة صيغة الماضي لصيغة المضارع ، إذ الغرض في صيغ هذه المُثل إنما هو لإفادة الأزمنة ، فجعل لكل زمان مثال مخالف لصاحبه وكلما ازداد الخلاف كانت في ذلك قوة الدلالة على الزمان . فمن ذلك أن جعلوا بإزاء حركة فاء الماضي سكون فاء المضارع ، وخالفوا بين عينيهما ، فقالوا : ضَرَب يضرِب وقتَل يقتُل وعلِم يعلَم ".(٢)

فالمغايرة كما فسرها ابن جني تعني :

١ - تغيير الدلالة الزمنية .

٢ - تغيير صوائت (عين) الصيغة .

٣ - تسكين (فاء) المضارع .

٤ - إنها تنحصر في ثلاث صيغ هن : (فَعَل يَفعِل) و (فَعَل يَفعُل) و (فَعِل يَفعَل) وتعد هذه الصيغ (أصل) مقارنة بغيرها من صيغ الأفعال لتحقق المخالفة فيها . ولكثرتها في الاستعمال .(٣)

---

(١) من أسرار اللغة : ٥١- ٥٢ .

(٢) الخصائص : ١/٣٧٥ .

(٣) شرح مراح الأرواح لشمس الدين : ١٧ .

ويأتي تعليل ابن مالك لحدوث المغايرة متفقا مع أحدث النظريات الصوتية التي تنادى بتلمس السهولة في النطق. قال: "لما كان (فعَل) و (فعِل) موضوعين لمعان مستقرة في أصل الخلقة ولمعان طارئة احتيج فيهما إلى المضارع والماضي كثيرا، فخولف بين حركتي عينيهما - غالبا - تخفيفا، لأن تخالف المتعاقبين أخف من تماثلهما".(١)

فغاية المغايرة بين صوائت الصيغ التخفيف والتخلص من ثقل التماثل بواسطة التنويع الحركي.

وتشترك بعض اللغات السامية(٢) مع اللغة العربية في هذه الظاهرة (المغايرة). ويمكننا على ضوء المناقشة السابقة أن نسجل ملاحظاتنا على المغايرة.

١ - إنها نوع من الإبدال الصوتي بين الصوائت لتوفر العلاقة بينهن.

٢ - إن الصوائت لا تتأثر بهذا الإبدال وتبقى محتفظة بمواقعها في الصيغة.

٣ - إنها ترمي إلى التخفيف.

٤ - إنها عرفت في اللغة العربية باسم (المخالفة). إلّا أننا نرجح لها مسمى (المغايرة) حتى لا تلتبس بالظاهرة المعروفة (المخالفة) التي تختص بمخالفة الصوامت.

---

(١) شرح الكافية الشافية: ٤/٢٢١٣.

(٢) في قواعد الساميات للدكتور رمضان عبد التواب: ٤٤، ٤٩، ١٤٩، (مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨١م).

٥ - إنها لا تحدث إلا مع صيغتين من صيغ الماضي : (فَعَـــل) و (فَعِـل) .

٦ - استبعاد بعض صيغ المغايرة الممكنة وهي :
(فعُل يفعَل) (فعُل يفعِل) (فعِل يفعُل) لعدم توافر الأمثلة الكافية عليها. وقد عدّها الصرفيون من تداخـــــل اللغـــات.

وهذه لوحة تمثل الوزن الصوتي والوزن الإيقاعي لصيغ المغايرة

صيغ الماضي	وزنها الصوتي والإيقاعـــي	صيغ المضارع	وزنها الصوتي والإيقاعي	وجه المغايرة
فَعَلَ	fa - ʕa - La	يَفعِلُ	yaf ʕi Lu	تحولت الفتحة إلى كسرة.
فَعَل	fa - ʕa - La	يفعُل	yaf - ʕu - Lu	تحولت الفتحة إلى ضمة .
فَعِل	fa - ʕi - La	يفعَل	yaf - ʕa - Lu	تحولت الكسرة إلى فتحة.

هذه هي صيغ المغايرة في الثلاثي المجرد ويدلنا وزنها الصوتي والإيقاعي على :

١ - أن الصيغة قبل المغايرة تتركب من ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحـــة أي: (ص ح + ص ح + ص ح)

٢ - أن الصيغة بعد المغايرة تغيّر تركيبها المقطعي ليصبح مقطعا طويلا مغلقا في أولها يليه مقطعان قصيران مفتوحـــان على هذا النحو : (ص ح ص + ص ح + ص ح).

٣ - تحول حركة المقطع الثاني من فتحة قصيرة (a) إلى كسرة قصيرة (i) مع (فعَل يفعِل) . ومن فتحة قصيرة (a) إلى ضمة قصيرة (u) مع (فعَل يفعُل) . ومن كسرة قصيرة (i) إلى فتحة قصيرة (a) مع (فعِل يفعَل).

وعند اشتقاق صيغ المغايرة من صيغ الماضي الثلاثي فإن النبر ينتقل ،من المقطع الأول في صيغة الماضي إلى المقطع الذى قبل الأخير في صيغ المغايرة .

المبحث الأوّل

(فَعَل يَفْعِل)

التحول من الفتح إلى الكسر (فَعَل يَفعِل)

تعدّ صيغة (يفعِل) بالكسر المشتقة من (فعَل) بالفتح ، أكثر صيغ المغايرة شيوعا في الاستعمال ،ويرجع ذلك إلى القرب الصوتية بين صائت اللين المتسع (الفتح) والصائت الضيق (الكسر) ،لانفراج الشفتين معهما . والكسرة من الناحية الصوتية أسهل في أدائها من الضمة ، ولذلك تعدّ المخالفة بين الفتح والكسر أعظم من المخالفة بين الفتح والضم ، إذ الفتحة علوية والكسرة سفلية والضمة بينهما ". (١) إلّا أنّ المعروف أنّ الفتحة سفلية أمامية ،والكسرة علوية أمامية ، والضمة خلفية علوية. فالتخفيف (diluteness) هو المبرر الصوتي لإيثار هذه الصيغة (يَفْعِل).

ولما تتمتع به هذه الصيغة من خفة وسهولة في الأداء قيل :" إذا عُرِف أن الماضي (فعَل) ،ولم يعرف المستقبل فالوجه أن يجعل (يفعِل) بالكسر ،لأنه أكثر والكسرة أخف ". (٢)

بل إن بعض المحدثين (٣) يذهب إلى القول بأن " كل مضارع بالكسر مطلقا إلا عند الحاجة المعنوية فينقل إلى غيره (٤) واحتجّ لأصلية

---

(١) شرح الجاربردى : ٥٣.

(٢) شرح الملوكي : ٣٨ - ٣٩ ،وينظر : بغية الآمال لأبي جعفر اللبلى : ٣٢ ،تحقيق جعفر ماجد (الدار التونسية).

(٣) عبد الله العلايلي .

(٤) ينظر تهذيب المقدمة اللغوية : ٨٩.

الكسر بمدى شيوعه في الاستعمال ومن ذلك :

١ - اعتماده في التقاء الساكنين .

٢ - ترجيحه في الابتداء بالساكن .

٣ - مجيء أكثر الإتباع بالكسر .

٤ - إطّراد أبواب المزيد بالكسر .(١)

ونحن بدورنا نميل استنادا إلى المناقشة السابقة إلى القول بأن صيغة (يَفْعِل) أصل صيغ المغايرة وأساسها.

وقد خصّ الصرفيون(٢) الفعل المتعدى بهذه الصيغة وعدّوها أصلا فيه. وتعليل ذلك كما يقول ابن جني : " وخَصُّوا المتعدّى بالفتح والكسر لكثرته وخفّة الفتحة والكسرة هربا من أن يكثر من كلامهم ما يستثقلونه ".(٣)

ومما جاء على (فَعَل يَفْعِل) في القرآن نورده على التصنيف التالي :

المجموعة الأولى : أفعال صحيحة :

الطائفة الأولى : أفعال غير حلقية :

- قراءات متواترة :

(ف) - الفعل : (يأفكون) من قوله تعالى :

* ... فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ *الأعراف / ١١٧ ،والشعراء / ٤٥.

رسم المصحف : (يَـأْفِكون) بكسر الفاء من (أفَكَ يأفِك) :

---

(١) ينظر تهذيب المقدمة اللغوية : ١١٤ ، ٩١.

(٢) ينظر : شرح الملوكي : ٣٩.

(٣) المنصف : ١/١٨٩.

إذا كذب . . . وأفك الناس حدّثهم بالباطل ".[1] والإفك الكذب في جميع القرآن بلغة قريش.[2]

وقد جاء صائت المغايرة (الكسرة) مناسبا لصوت (الفاء) ،

فالأصوات الشفوية تميل إلى صائت (الكسرة) الأمامي .

(ط) ـ الفعل : (يحطمنكم) من قوله تعالى :

﴿... ادخُلُوا مَسَٰكِنَكُم لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُ...﴾ النمل/ ١٨.

رسم المصحف : (لا يَحطِمنكم) بكسر (الطاء) من الحطم : الكسر في أي وجه كان ،وقيل : " هو كسر الشيء اليابس خاصة كالعظم ونحوه : (حطَمه يحطِمه) أي كسره ".[3]

ـ الفعل : (تنطقون) من قوله تعالى :

﴿ مَالَكُم لا تَنطِقُونَ ﴾ الصافات/ ٩٢.

رسم المصحف : (تَنطِقون) بكسر(الطاء)من " (نطَق) . . . نَطْقًا ونُطْقا : تكلم ".[4] إلا أن كسرة (الطاء) تفخمت تأثـــرا بالمجاورة ومثلها كسرة (الطاء) في الآية السابقة .

(ر) ـ الفعل : (تقرضهم) من قوله تعالى :

﴿وإذا غَرَبَت تَّقرِضُهُم ذات الشمال ...﴾ الكهف/ ١٧.

رسم المصحف : (تَقْرِضهم) بكسر (الراء) ، والأصل في القرض

---

(١) اللسان : (أ ف ك) ١٠/ ٣٩٠.

(٢) اللغات في القرآن : ٣٨ ، ٤٤.

(٣) اللسان :(ح ط م) ١٢/ ١٣٧.

(٤) الأفعال لابن القطاع : ٣/ ٢٤٦.

القطع ، قَرَضه (يقرِضه) بالكسر ، قَرْضا ، والقَرْض والقِرْض : ما يتجازى به الناس بينهم ويتقاضونه [١] ، وقال الفراء : " العرب تقول : قَرَضْتُه ذات اليمين وحذوته ، وكذلك ذات الشمال ، وقُبُلا ودبرا ، كل ذلك أي كنت بحذائه من كل ناحية ." [٢]

- الفعل : (لا يجرمنكم) من قوله تعالى :

﴿... وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ ...﴾ المائدة / ٢ .

قرأ الجمهور : (لا يَجرِمنكم) بفتح الياء ، وقرئ بضمها ، وهما لغتان ، يقال : جَرَم وأجرم ، وقيل جَرَم متعدٍ إلى مفعول واحد ، وأجرم متعد إلى اثنين والهمزة للنقل [٣] من جَرَم (يجرِم) بكسر الراء .

ويصف الفراء القراءة بفتح الياء بأنها كلام العرب [٤] ولعله يعني بذلك أن استعمال الفعل عندهم يكون من الثلاثي جرَم (يجرِم) أو الأكثر استعمالا لمجيء غير الثلاثي منه ، قيل : " وجرَم (يجرِم) واجترم ". [٥] " وقال الكسائي وثعلب : جرَمه على كذا حمله ". [٦]

وقيل : جرَم (يجرِم) جَرْما : أذنب واكتسب الإثم ." [٧]

---

(١) اللسان : (ق ر ض) ٧/ ٢١٦ وينظر المصباح المنير : ٢/ ٤٩٧ .

(٢) معاني القرآن للفراء : ٢/ ١٣٧ .

(٣) إملاء ما من به الرحمن : ١/ ٢٠٦ وينظر البحر المحيط : ٣/ ٤٢٢ .

(٤) معاني القرآن : ١/ ٢٩٩ .

(٥) اللسان : (ج ر م) ١٢/ ٩٢ ، وينظر ديوان الأدب : ٢/ ١٨١ للفارابي (تحقيق د/ أحمد مختار ومراجعة د/ إبراهيم أنيس، القاهرة، ١٩٧٥م) .

(٦) البحر المحيط : ٣/ ٤١٠ .

(٧) المصباح المنير : ١/

(ر) - الفعل : (تحرص) من قوله تعالى :

﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ... ﴾

النحل / ٣٧.

قرأ الجمهور : (تَحرِص) بكسر الراء مضارع (حرَص) بفتح الراء ، على لهجة الحجاز [1] وهو الاختيار ، لأنه أشهر. [2]

وقد عرف الكسر في (يحرِص) بأنه لهجة أعلى [3] من لهجة الفتح (يحرَص) ، وهو : اللهجة العالية [4] . وأصحابها الفصحاء [5] ، ولذلك عدّ فتح الماضي من هذه اللهجة (حرَص) أفصح [6] من (حرِص) . وبالفتح جاء الفعل الماضي : (حرَصت) من قوله تعالى :

﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ يوسف / ١٠٣.

ونضيف إلى ما سبق سهولة الأداء في هذه اللهجة ، فقد ترتب على ترقيق (الراء) بالكسرة التخفيف من مدى الاستعلاء الحاصل من اجتماع صوتي (الحاء) و (الصاد) في الصيغة .

---

(١) البحر المحيط : ٥/٤٩٠ .
(٢) الكامل في القراءات الخمسين : ورقة : ١١٠.
(٣) المحتسب : ٢/٩.
(٤) ينظر تهذيب اللغة : ٤/٢٣٩ واللسان : (ح ر ص) ٧/١١ والجمهرة : ٢/١٣٤ والمشوف المعلم للعكبري : ١/١٨٩ ، تحقيق ياسين السواس (نشر : مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى).
(٥) ينظر المزهر : ١/٢١٦ والأفعال لابن القوطية : ٢١٨.
(٦) الأفعال للسرقسطي : ١/٤٠١ وينظر ما تلحن فيه العامة : ٩٩ - ١٠٠.

ونرى أن ثمة علاقة بين دلالة الفعل وأصواته ،فهو من "الحِرْص . شدة الإرادة والشَّرة الى المطلوب ".(١) أى أن الدلالة المعنوية للفعل تتناسب مع الدلالة الصوتية لفونيمي (الحاء) و (الصاد).

وننتهى إلى أن لهجة القرآن ذات نسق صوتي دلالي .

(ص) - الفعل : (يخصفان) من قوله تعالى :

﴿... وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ...﴾ الأعراف / ٢٢ ، و طـه / ١٢١ .

رسم المصحف : (يَخصِفان) بفتح الياء وكسر (الصاد). وقد استعمل القرآن الفعل بدلالته المتطورة يدلنا على ذلك تتبع الزبيدى لأصل الفعل وتطوره الدلالي قال : " الخَصْف : النعل ذات الطراق وكل طراق منها خَصْفَةٌ ...و (خصَف النعل ، يخصِفها) ،خَصْفاً ،ظاهر بعضها على بعض ،و (خرزها) ... ومن المجاز : (خصَف) العُرْيانُ الورق على بدنه (يَخْصِفهـا) خَصْفا : ألزقها ... وبه فسر قوله تعالى : ﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ ﴾ ".(٢)

مما يشير إلى خروج الجذر (خ ص ف) عن دلالته الأصلية واتساع الدلالة باشتراك أكثر من معنى في الجذر الواحد ،وهو ما يعرف بالتحول الدلالي (Semantic Shift).

----

(١) اللسان : (ح ر ص) ٧/ ١١.

(٢) تاج العروس : ٢٣/ ٢١٣ طبعة محققة وينظر : أساس البلاغة : ١١٢.

ـ الفعل : (يعصرون) من قوله تعالى :

﴿... فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ...﴾ يوسف / ٤٩.

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر : (يَعْصِرون) بالياء وكسر (الصاد) من قولهم : " عَصَرْتُ الشيء عَصْراً ، أخرجت عصارته ".(١)

(ق) ـ الفعل : (تنقمون) من قوله تعالى :

﴿... هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ...﴾ المائدة / ٥٩.

" قرأ الجمهور : (تَنقِمون) بكسر القاف ، وماضيه (نَقَمَ) بفتحها ".(٢)

وقد وصفت قراءة الجمهور بأنها أفصح . قيل : " نَقَمْتُ (أنقِم) فيه لغتان وأفصحها فتح الماضي ، وكسر المستقبل ، لأنّ اسم الفاعل منه ناقم بألف ".(٣) وبالفتح جاء الفعل الماضي: (نَقَمُوا) من قوله تعالى :

﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ البروج / ٨.

فاللهجة الفصيحة هي لهجة القرآن مع الماضي والمغايرة منه.

وتتجلى دلالة الفعل من مادة (نقم) كما يشرحها ابن فارس " النون والقاف والميم أصل يدل على إنكار شيء وعيبه ".(٤)

---

(١) الأفعال لابن القطاع : ٢/ ٣٣٧.

(٢) البحر المحيط : ٣/ ٥١٦ ، ٤/ ٣٦٦ وينظر إملاء ما من به الرحمن : ١/ ٢٢٠ ، والاتحاف : ٢٠١.

(٣) الأفعال لابن القوطية : ٢٧٧ ، وينظر : تصحيح الفصيح : ١/ ١٣٠ ، وما تلحن فيه العامة : ١٠٠.

(٤) مقاييس اللغة : ٥/ ٤٦٤.

- قراءات شـاذة :

(ط) - الفعل : (يخطف) من قوله تعالى :

﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ... ﴾ البقرة / ٢٠.

" قرأ مجاهد وعلى بن الحسين ويحيى بن وثاب : (يَخْطِفُ) بسكون الخاء وكسر (الطاء) "(١).

فما موقف المفسرين من قراءة الكسر ؟!

ابن مجاهد : " ولم يبلغنا أن أحدا قرأ (خَطَفَ) بفتح الطاء (يخطِف) وأحسب أن هذا غلط من الرواة "(٢).

ويرجح أستاذنا الدكتور الجندى : "أن تغليط ابن مجاهـد للصيغة جاء من جهة الرواية لا من جهة اللغة "(٣).

الأخفش : " فمنهم من قرأ : (يَخطِف) ، وهي قليلة رديئة لا تكاد تعرف "(٤).

أما ابن جني فيحملها على هذا الوجه ، يقول : وجعلته أن يكون استغنى (بخَطِف) عن (خطَف) في الماضي ، وجاء المضارع عليه كما أن قوله : (سلف) يكون مسكنا من (سلف) ، وإن لم يستعمل استغناء بسلف عنه ".

---

(١) البحر المحيط : ٨٩/١ وينظر شواذ القراءات : ٣ ، وإعراب القرآن للنحاس : ١٤٥/١.

(٢) المحتسب : ٦٢/١.

(٣) من حديث مع المشرف.

(٤) معاني القرآن للأخفش : ٥٠/١ ، تحقيق : الدكتور فائز فارس (ط. ثانية ، الكويت سنة ١٩٨١م).

(٥) المحتسب : ٦٢/١.

فالفعل (يَخْطِف) بالكسر من (خطَف) بالفتح جعل ماضيه في تقدير الاستعمال وإن لم يستعمل .

ويكتفي أبو حيان بالقول : " وبعض العرب يقول : (خطَف) بفتح الطاء (يخطِف) بالكسر ".(١)

أما أصحاب المعاجم(٢) فيوردون الفعل على صيغتي المغايرة : (فعِل يفعَل) و (فعَل يفعِل) على أنهما لهجتان متفقتان في الدلالة من الخطف : الأخذ في سرعة واستلاب .

وأرى أن كل ما هنالك أننا أمام لهجة قليلة الاستعمال : (خطَف يخطِف) غير اللهجة المشهورة : (خطِف يخطَف) . وهي ليست في تقدير الاستعمال كما ذهب ابن جني أو غير معروفة كما قال الأخفش : وإنما هي لهجة لبعض العرب كما نص أبو حيان .

ولعل من كسر (الطاء) مال إلى التخفيف من القيمة التفخيمية العالية في (الطاء) خاصة وفي صيغة الفعل عامة. فالطاء " من أقوى الحروف ، لأنه حرف مجهور شديد منطبق مستعل "(٣) و" هي أمكن في التفخيم من أخواتها ".(٤)

---

(١) البحر المحيط : ٨٩/١.

(٢) ينظر : اللسان : (خ ط ف) ٥٧/٩ والقاموس المحيط : ١٣٥/٣. وتاج العروض : ٢٢٥/٢٣ طبعة محققة والصحاح : ١٣٥٢/٤ والأفعال لابن القطاع : ٢٨٤/١.

(٣) الرعاية لمكي : ١٩٨ ،تحقيق الدكتور أحمد فرحات ، (ط: ثانية، دار عمار الأردن ، سنة ١٩٨٤م) .

(٤) السابق : ١٢٩.

وهي في الفعل (يَخطِف) مسبوقة بصوت مستعلٍ (الخاء) ، مع اجتماع ثلاث فتحات في الصيغة ، والفتح قرين التفخيم . وإتباع (الطاء) بالكسر الصائت المرقق بدلا من الفتح يقلل من درجة التفخيم . والله أعلم.

ومجيء القراءة بكسر (الطاء) يمكن رده إلى التفسير الصوتي السابق وأما الشذوذ فيها فلمخالفتها رسم المصحف .

■

الطائفة الثانية : أفعال حلقية :

- قراءات متواترة :

(ج) - الفعل : (أرجع) من قوله تعالى :

* ... لَعَلِّي أَرجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُم يَعلَمُونَ * يوسف / ٤٦ .

رسم المصحف : (أَرجِع) بكسر (الجيم) من رجَع (يرجِع)(١) الحلقي اللام على الأصل . مع أن صوت العين أقرب إلى الهمزة أشد أصوات الحلق سفولا ، مما يوجب فتح الجيم مراعاة للصوت الحلقي ، إلا أن الجيم كسرت على الأصل ، والكسر أقرب إلى الجيم وقد اشتهر الفعل (يرجِع) بكسر الجيم .

(ك) - الفعل : (ولا تنكحوا) من قوله تعالى :

* وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم ... * النساء / ٢٢ .

رسم المصحف : (تَنكِحوا) بكسر (الكاف) من نكَح فلان امرأة (ينكِحها) إذا تزوجها .(٢) والفعل حلقي اللام ، والفتح أقرب للصوت الحلقي (الحاء) ، ولكن (الكاف) كسرت على الأصل في الصيغة فتغورت .

---

(١) اللسان : (رج ع) ٨/١١٤ .
(٢) السابق : (ن ك ح) ٢/٦٢٥ .

(ح) - الفعل : (ينحتون) من قوله تعالى :

﴿ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴾ الحجر / ٨٢ ، والأعراف / ٧٤ والشعراء / ١٤٩.

" قرأ الجمهور : (يَنحِتون) بكسر الحاء "(١).

والكسر أحد ثلاث لهجات ورد عليها الفعل نحَت (ينحُِت) ، إلّا أن الكسر أجود(٢) ، وأفصح(٣) يقال : " نحَته (يَنحِته) بالكسر نَحْتا أي : براه "(٤). ونحَت الجبل (ينحِته) : قطعه "(٥).

والكسر في الفعل الحلقي العين (ينحِتون) ورد على الأصل(٦) في المغايرة لأن فتح حرف الحلق عدّ عند البصريين فرعا(٧) ، إلّا أن صوت (الحاء) تقدم مخرجه بتأثير الكسر .

- قراءات شاذة :

(ز) - الفعل : (ينزع) من قوله تعالى :

﴿... إِنَّ الشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ...﴾ الإسراء / ٥٣.

قرأ طلحة : (يَنزِغُ) بكسر الزاي(٨).

---

(١) البحر المحيط : ٥/٤٦٣.

(٢) المحتسب : ٢/٥.

(٣) إعراب القرآن للنحاس : ٢/٢٠٢.

(٤) الصحاح : ١/٢٦٨ وينظر فصيح ثعلب : ٥.

(٥) اللسان : (ن ح ت) ٢/٩٧.

(٦) الكتاب : ٤/١٠٢.

(٧) شرح الشافية : ١/١١٧.

(٨) شواذ القراءات : ٧٧ وينظر البحر المحيط : ٦/٤٩.

وبالوقوف على الفعل (يَنْزِغ) على (يَفعِل) بالكسر نجده لهجة في الحلقي (اللام)، قيل: " (نَزَغ) بينهم (ينزِغ) من حَدِّ ضرَب لغة في (نزغ) كمنع " (١).

وقد عزيت هذه اللهجة إلى بني كلاب من قيس (٢). إلا أن الكسر جاء في (ينزِغ) على الأصل، وهو أجدر مع صوتي (الخاء) و (العين) في الأفعال الحلقية، لأنهما أشد الستة ارتفاعا (٣).

وعلى هذا التحليل توجّه قراءة الكسر في (ينزِغ)، أما إذا التفتنا إلى دلالة الفعل فإننا نجد أن أصل النزغ: الطعن قيل: " ونزَغه نَزْغا: طعنه بيد أو رمح " (٤)، ثم تطورت دلالة الفعل، يشير إلى هذا حديث الزبيدي: " ومن المجاز: (نزَغ) بينهم نزغا: أفسد، وأغرى، وحمل بعضهم على بعض... ومن المجاز (نزغ) الشيطان أي (وسوس) " (٥).

أي أن الدلالة الأصلية اتسع مجالها فتحولت من الطعن إلى معان أخرى متقاربة: الإفساد والإغواء والوسوسة.

---

(١) تاج العروس: ٢٢/٥٨٠ طبعة محققة وينظر الكشاف: ٢/٤٥٣ وإملاء ما من به الرحمن: ٢/٩٣.

(٢) البارع في اللغة لأبي علي القالي: ٣٠٣ تحقيق هاشم الطعان (مكتبة النهضة ببغداد ودار الحضارة العربية بيروت).

(٣) الكتاب: ٤/١٠٢.

(٤) اللسان: (ن ز غ) ٨/٤٥٤.

(٥) تاج العروس: ٢٢/٨٥٠ طبعة محققة. وينظر أساس البلاغة: ٤٥٢.

الطائفة الثالثة : أفعال مضعّفة :

- قراءات متواترة :

(ف) - الفعل : (يزفون) من قوله تعالى :

﴿ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴾ الصافات / ٩٤.

" قرأ الجمهور : (يَزِفّون) بفتح الياء، من (زفّ) : أسرع ،

أو من زفاف العروس ، وهو التمهل في المشية ".(١)

فالفعل على قراءة الجمهور من المضعف (زَفّ) (يَزِفُّ) - بالكسر - زَفًّا وزفيفا ... و" قال الزجاج : يَزِفُّون يسرعون ، وأصله من زفيف النعامة وهو ابتداء عدوها ".(٢)

---

(١) البحر المحيط : ٣٦٦/٧ وينظر السبعة : ٥٤٨ وغيث النفع : ٣٣٥ والنشر : ٣٥٧/٢ والإتحاف : ٣٦٩ والكشف : ١٩٧/٢.

(٢) اللسان : (زفف) ١٣٦/٩.

(ل) ـ الفعل : (أضل) من قوله تعالى :

﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي... ﴾ سبأ / ٥٠.

قرأ الجمهور : (ضَلَلت) بفتح اللام (أَضِل) بكسر الضاد.(١)

وهي لهجة نجد.(٢)

وقد رجّح أستاذنا الدكتور الجندى أن " المراد بنجد في هذا المكان ـ قبائل قيس ، وهي المنطقة الوسطى بين تميم والحجاز ".(٣)

وعليه فالقراءة على (فَعَل يفعِل) على لهجة قيس. وقد وصفت هذه اللهجة بالفصاحة بالإجماع.(٤)

وترجع فصاحتها وشهرتها(٥) وشيوعها إلى مجيئها و هي غير متعدية بالكسر ، لأنّ ما كان لازما فإنه يأتي على (يفعِل) بالكسر قياسا فيه.(٦)

وقد جاء الكسر في (أضِل) منفخما مع صوت الضاد المطبق.

وبالكسر جاءت الأفعال اللازمة في الآيات التالية :

---

(١) البحر المحيط : ٢٩٢/٧ وينظر تفسير القرطبي : ٣١٣/١٤.

(٢) البحر المحيط : ٢٠٠/٧ وينظر اللسان : ٣٩٠/١١.

(٣) اللهجات في التراث : ٥٨٤/٢. (د / أحمد علم الدين الجندى ، الدار العربية للكتاب ، طرابلس ، ليبيا ، ١٩٨٣ م).

(٤) المحتسب : ٢٨٨/١ وينظر المخصص : ٥٧/١٥ ، وإصلاح المنطق : ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، واللسان : (ض ل ل) ٣٩٠/١١.

(٥) البحر المحيط : ٢٠٠/٧.

(٦) ينظر شرح الشافية ١٣٤/١.

(ل) - الفعل : (فتزل) من قوله تعالى :

﴿... فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا...﴾ النحل / ٩٤.

رسم المصحف : (فَتَزِلَّ) بكسر (الزاء) من الثلاثي المضعف زلّ عن مكانه (زلا) من باب (ضَرَبَ) : تنحى عنه "(١).

(ر) - الفعل : (تفرون) من قوله تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ...﴾ الجمعة / ٨.

رسم المصحف : (تَفِرّون) بكسر (الفاء) قيل : " الفَرُّ والفرار : الروغان والهروب . فرّ (يَفِرُّ) فرارا : هرب "(٢).

- الفعل : (وقرن) من قوله تعالى :

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ...﴾ الأحزاب / ٣٣.

- قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي : (وَقِرْنَ) بالكسر "(٣).

خرجها مكي على وجهين :

الوجه الأول : على أنها من الفعل المثال : (وَقَرَ)(٤).

الوجه الثاني : على أنها من الفعل المضعف (قَرّ) وفيه يقول : " ويجوز أن تكون هذه القراءة مشتقة من القرار ، وهو السكون ، يقال : (قَرّ)

---

(١) المصباح المنير : ٢٥٤/١.

(٢) اللسان : (ف ر ر) ٥٠/٥.

(٣) السبعة : ٥٢٢ وينظر : غيث النفع : ٣٢٥ والاتحاف : ٣٥٥ ، والنشر : ٣٤٨/٢.

(٤) سيرد ضمن مجموعة الأفعال المقبلة.

في المكان (يَقِرّ) ،على (فَعَل يفْعِل) ،فهي اللغة المشهورة الفاشية.

فيكون الأصل في (وَقْرن) : (واقررن) فتحذف الراء الأولى استثقـــالا للتضعيف ،بعد أن تُلقى حركتها على القاف ،فتتكسر (القاف) ،فيستغنى بحركتها عن ألف الوصل ،فيصير اللفظ (قِرْن) ".(١)

فالقراءة من الفعل المضعف (قَرَّ) وقد سقطت الراء تخفيفا وبقيت حركتها وقد نص ابن سيده على أن الفعل من (قرّ) إذا كان على (فعَل يفعِل) فهو أعلى وأكثر.(٢)

وتكون دلالة الفعل من القرار في المكان.(٣)

(خ) ـ الفعل : (وتخر) من قوله تعالى :

﴿... وَتَخِرُّ الجِبَالُ ... ﴾ مريم / ٩٠.

رسم المصحف : (تَخِرُّ) بكسر (الخاء) ،من خرّ الشـــيء (يخِرّ) من باب ضرب ،سقط ".(٤)

(ق) : الفعل : (يحق) من قوله تعالى :

﴿... وَيَحِقَّ القَوْلُ عَلَى الكَافِرِينَ ﴾ يس/ ٧٠.

رسم المصحف : (يَحِقّ) بكسر (الحاء) من حقّ الأمر (يَحِقُّ) و (يحُقّ) حَقًّا وحقوقا : صار حَقًّا وثبت قال الأزهري : معناه : وجب يجب وجوبا ".(٥) وهذه الدلالة على لهجة قريش.(٦)

---

(١) الكشف : ١٩٨/٢ وينظر الحجة لابن خالويه : ٢٩٠ والحجة لأبي زرعة : ٥٧٧.

(٢) اللسان : (ق ر ر) ٨٤/٥.

(٣) المصباح المنير : ٤٩١/١.

(٤) السابـــق : ١٦٦/١ وينظر اللسان (خ ر ر) ٢٣٤/٤.

(٥) اللسان : (ح ق ق) ٤٩/١٠.

(٦) اللغات في القرآن : ٤٢.

- قراءات شاذة :

(ب) - الفعل : (يحبونهم) من قوله تعالى :

﴿... يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ...﴾ البقرة / ١٦٥.

قرأ أبو رجاء العطاردي[1] : (يَحِبونهم) بفتح الياء وكسر (الحاء). من الثلاثي (حَبَّ) ،وهي لهجة . ووجه الشذوذ فيه كونه مكسور العين وهو متعد ،لأن المضاعف المتعدى قياسه أن يكون مضموما ، كمدّه (يمدّه) وجرّه (يجرّه).

ولأن شرط مجيء المضاعف المتعدى مكسورا على (يفعِل) أن يشاركه (يفعُل) المضموم[2] . وهذا لم يرد في الفعل (يحِبّه) بالكسر. ولذلك عُدّ نادرا فقيل : " فالنادر من المعدى بالكسر واحد فقط وهو قولهم : حبّه (يَحِبّه) بفتح الياء وكسر الحاء لغة في (أحَبَّه يُحِبّه) بضمها "[3].

(ل) - الفعل : (فيظللن) من قوله تعالى :

﴿ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ...﴾ الشورى / ٣٣.

قرأ قتادة : (يَظلِلن) بكسر اللام.[4]

---

(١) البحر المحيط : ١/ ٤٧٠ وينظر : تفسير القرطبي : ٢/ ٢٠٤.

(٢) ينظر الصحاح : ١/ ١٠٥ واللسان (ح ب ب) ١/ ٢٨٩، وبغية الآمال في معرفة مستقبل الأفعال : ٧١ وشرح الملوكي في التصريف : ٤٦.

(٣) شرح بحرق اليمني : ٣٣. (بهامش حاشية الشيخ أحمد الرفاعي) ،تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق بيروت سنة (٩٨ م).

(٤) شواذ القراءة للكرماني - ورقة : ٢١٥.

قال أبو الفتح : هذه القراءة على ظَلَلت (أظِلّ) ،كفررت أفِرّ.

والمشهور فيها فعِلت أفعَل : (ظَلِلْت أظَلّ).

وأما ظَلَلت (أظِلّ) فلم يمر بنا ،لكن قد مر بنا نحو ضَلَلت

(أضِلّ) وضلِلت (أضَلّ) . ولم يقرأ قتادة - إن شاء الله - إلا بما

رواه ،وأقل ما في ذلك أن يكون سمعه لغة."(١)

وبهذا الرأى صرح الزمخشرى عندما قاس (يظلِلن) على

أضِلّ ... إلّا أن أبا حيان رفض هذا القياس فهو - كما يرى - إن كان

مقيسا في (ضَلَلت أضِلّ) إلّا أنه شاذ في " ظَلَلت أظِلّ" ذلك أن القياس

فيه هو الفتح ،لأن الماضي بكسر العين . والفتح قراءة الجمهور.(٢)

ومع اختلاف الآراء تنتهي إلى أن (يظلِلن) لهجة مسموعة

ووجه الشذوذ مخالفتها لقراءة الجمهور.

(ر) - الفعل : (قرى) من قوله تعالى :

﴿فَكُلِي واشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا...﴾ مريم / ٢٦.

" قرئ : (وقِرّي) بكسر القاف ، وهي لغة نجدية"(٣) بفتح

عين الماضي وكسر عين المضارع.(٤)

---

(١) المحتسب : ٢/٢٥٢.

(٢) البحر المحيط : ٧/٢٣٠ وينظر تفسير القرطبي : ١٦/٣٣ ،
والكشاف : ٣/ ٤٧١.

(٣) البحر المحيط : ٦/١٨٥ وينظر تفسير القرطبي : ١١/ ٩٦.

(٤) تفسير الألوسي : ١٦/ ٨٦.

وقيل في الكسر : " والكسر قراءة شاذة ، وهي لغة شاذة ".(١)

وأجازها بعضهم فقال : وقد تكسر القاف من قرة العين ".(٢)

أى أن الفعل قد يرد على (فَعَل يفعِل) بدلا من (فعِل يفعَل) .

ويتحدث الزبيدى عن الاستعمال الدلالي للفعل فيقول : " ومن المجاز (قرّت) عينه (تقِرّ) بالكسر والفتح . . . واختلفوا في اشتقاق ذلك فقال بعضهم معناه : (بردت وانقطع بكاؤها) فإن للسرور دمعة باردة وللحزن دمعة حارة أو قرت من القرار أى :(رأت ما كانت متشوقة إليه ، فقرّت ونامت . . وقال بعضهم قرّت عينه من (القرور) وهو الدمع البارد يخرج مع الفرح ".(٣)

فالاستعمال الدلالي للفعل يمثل مرحلة متطورة لمعنى القرور العام وهو (البرد) فالفرح والسرور يعبر عنهما ببرودة الدمع - كنوع من اتساع مجال الدلالة ويتساوى في هذه الدلالة الفعل على (يفعِل ويفعَل) .

(ر) - الفعل : (تقر) من قوله تعالى :

﴿... فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا...﴾ طه / ٤٠ والقصص/ ١٣ .

" قرأت فرقة - (تَقِرّ) - بكسر (القاف) ".(٤) وتدرس كسابقتها .

---

(١) إملاء ما من به الرحمن : ٢/ ١١٣ .

(٢) المثلث لابن السيد : ٢/ ٤٨٣ وينظر التهذيب : ٨/ ٢٧٧ ، والصحاح : ٢/ ٧٩٠ والمخصص : ١٥/ ٥٩ .

(٣) تاج العروس : ٣/ ٤٨٦ وينظر أساس البلاغة : ٣٦١ .

(٤) البحر المحيط : ٦/ ٢٤٢ .

وبعرض القراءات السابقة على الفراء وجدناه ينص على أن " ماكان على فعلت من ذوات التضعيف غير متعد فإن الفعل منه - بكسر العين- مثل : (عَفَفْت أعِفّ) و (خَفَفْت أخِفّ) و (شَحَحَتْ أشِحّ)".(١)

فوجه الشذوذ في (يظلِلن) و (قَرِّى) ، يرجع لكونهما على خلاف قراءة الجمهور التي وردت فيهما على (فعِل يفعَل) أما في الاستعمال اللغوى فيجوز الإتيان بهما على (فعَل يفعِل) من وجهين :

١ - كونهما غير متعديتين.

٢ - مجيء نظيرهما (ضَلَلت) (أضِلّ) المضاعف على (فعَل يفعِل) وقد نص على ذلك ابن جني والزمخشرى في (يظللن).

ويمكن رد الشذوذ فيهما إلى أنهما لهجتانأقل استعمالا في مقابل اللهجة المشهورة التي قرأ بها الجمهور .

---

(١) أدب الكاتب : ٣٦٩ .

المجموعة الثانية : أفعال معتلة :

الطائفة الأولى : ذات الصوائت القصيرة :

(ل) ـ الفعل : (يلج) من قوله تعالى :

﴿... وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ...﴾

الأعراف / ٤٠.

رسم المصحف : (يَلِج) بكسر (اللام) من المثال الواوى :

" ولج الأمر وفي الشيء ولوجا : دخل ".(١)

(ز) ـ الفعل : (وزنوا) من قوله تعالى :

﴿... وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ...﴾ الإسراء / ٣٥ ، والشعراء / ١٨٢.

رسم المصحف : (وزِنوا) بكسر (الزاء) من المثال الواوى

" وَزنت الشيء لزيد (أزِنه) وزنا من باب وعد ".(٢)

(س) ـ الفعل : (سنسمه) من قوله تعالى :

﴿ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴾ القلم / ١٦.

رسم المصحف : (سَنَسِمه) بكسر (السين) قيل " الوسم:

---

(١) الأفعال لابن القطاع : ٣/٣٠٧.

(٢) المصباح المنير : ٢/٦٥٨.

أثر الكي ،وقد وسمه وسما وسمة أثر فيه بسمة وكي ".(١)

(ص) - الفعل : (وتصف) من قوله تعالى :

﴿... وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ...﴾ النحل/٦٢.

رسم المصحف : (وَتَصِفُ) بكسر (الصاد) من " وصف الشيء له وعليه وصفا وصِفة : حلّاه ".(٢)

(ق) - الفعل : (وقرن) من قوله تعالى :

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ...﴾ الأحزاب / ٣٣.

" قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي : (وَقِرْنَ) بالكسر"(٣)

وقد خرجت هذه القراءة على احتمالين (٤) الأول : وهو ما نحن بصدده على أن الفعل من " الوِقار ، فهو مثل (عِدْن) و (زِنّ) ، لأنه محذوف الفاء ،وأصله واو ، (قِرْن) من وقَر (يقِر) ، مثل وعد يعِد ،وأصل يَقِر (يَوْقِر) ،كما أن أصل يعِد (يَوْعِد) ،فلما وقعت الواو بين ياء وكسرة حذفت ، (لغة مسموعة) لا يستعمل غيرها ،...وأصل (وقِرن) (أوقِرن) ،فحذفت الواو ،على ما قلنا ،واستغنى عن ألف الوصل لتحرك القاف ،فصار الابتداء بقاف مكسورة ".(٥)

---

(١) اللسان : (وسم) ٩/ ٣٥٦ وينظر ديوان الأدب : ٣/ ٢٥٥.
(٢) اللسان : ٩/ ٣٥٦.
(٣) السبعة : ٥٢٢ وينظر غيث النفع : ٣٢٥ والاتحاف : ٣٥٥، والنشر : ٢/ ٣٤٨.
(٤) الاحتمال الثاني ورد ضمن طائفة الأفعال المضعفة.
(٥) الكشف : ٢/ ١٩٧ - ١٩٨ وينظر : الحجة لأبي زرعة : ٥٧٧ وإعراب القرآن للنحاس : ٢/ ٦٣٤.

وجاء في اللسان عن الأصمعي : يقال : وقر (يقر) وقارا إذا سكن . قال الأزهري : والأمر قِر ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ... ﴾ (١)

فالفعل على هذا الاحتمال : (مثال) سقطت فاؤه على (فعل يفعل) وجاءت دلالته من الوقار بمعنى السكون .



- قراءات شاذة :

(ل) - الفعل : (تلقونه) من قوله تعالى :

﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ ... ﴾ النور / ١٥ .

قرأت عائشة وابن عباس رضي الله عنهما وابن يعمر وعثمان الثقفي : (تَلِقُونَهُ) (٢) بكسر اللام خفيف (٣) .

والأصل في الفعل على هذه القراءة : (تولِقُونه) ، فحذفت الواو اتباعا ليَلِق . يقال : ولَق (يَلِق) : إذا أسرع في الكذب . واشتقاقه من الولق ، وهو الخفة والسرعة (٤) . أي " تسرعون فيه ، وتخفّون إليه " (٥) .

ويقال : " ولَق (يَلِق) ولْقاً وولقه " (٦) .

فالقراءة على (فَعَلَ يَفعِلَ) من المثال الواوي (ولَق) .

---

(١) اللسان : (و ق ر) ٥/٢٩٠ .

(٢) المحتسب : ٢/١٠٤ وينظر شواذ القراءات : ١٠٠ والبحر المحيط : ٦/٤٣٨ .

(٣) شواذ القراءة للكرماني : ١٧٠ .

(٤) إعراب القرآن للنحاس : ٢/٤٣٥ .

(٥) المحتسب : ٢/١٠٤ .

(٦) كنز الحفاظ : ٢٦٢ وينظر ديوان الأدب : ٣/٢٥٤ .

(ز) ـ الفعل : (يزفون) من قوله تعالى :

﴿ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴾ الصافات / ٩٤.

قرأ الضحاك ويحيى بن عبد الرحمن المقرئ وابن أبي عبلة :

(يَزِفُونَ) مخففا .(١) مع كسر الزاي وضم الفاء .

وقد وجه ابن جني هذه القراءة على أن الفعل (مثال واوي) من (وَزَف) قال : " إلّا أن ظاهر (يزفون) أن يكون من (وزف) ، كيعدون من وعد . ويؤنس بذلك قربه من لفظ الوفز (٢) وهو واحد الأوفاز ، من قولهم : أنا على أوفاز . وإذا كان كذلك فهو قريب من لفظ وزف ، أي : أسرع ، وقريب من معناه ".(٣)

فابن جني يكاد ينفرد بهذا الوجه . والفراء وصاحبه الكسائي لا يعرفانها وقد صرح بذلك الفراء حيث قال : " وزعم الكسائي أنه لا يعرفها . وقال الفراء : لا أعرفها أيضا إلا أن تكون لم تقع إلينا ".(٤)

فالفراء لم ينكرها فلعل غيره عرفها . وقد نسب إلى الكسائي أنه قال بمجيئها بالتخفيف من (وَزَف) ، إلا أن النحاس (٥) نفى ذلك استنادا إلى قول الفراء .

فالقراءة من (وزف) (يَزِف) وزيفا : أسرع ".(٦)

---

(١) شواذ القراءات : ١٢٨ وينظر شواذ القراءة للكرماني : ٢٠٥-٢٠٦.

(٢) الوفز : بالسكون ويحرك : العجلة .

(٣) المحتسب : ٢/ ٢٢١- ٢٢٢ .

(٤) معاني القرآن للفراء : ٢/٣٨٩.

(٥) إعراب القرآن للنحاس : ٢/٧٥٨.

(٦) القاموس المحيط : ٣/٢٠٤.

(ك) ـ الفعل : (فتكن) من قوله تعالى :

* ... إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى السَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ... * لقمان / ١٦

قرأ قتادة وعبد الكريم الجزري (١) : (فتكِن) بكسر الكاف من وكَن يكِن . (٢)

وخرّج ابن جني هذه القراءة على أنها من قولهم : (وكَن) الطائر : إذا استقر في وكنته ، وهي مقره ليلا ، وهي أيضا عشه الذي يبيض فيه ، ووكره ، ومنه قوله :

وقد أغتدي والطَّيرُ في وُكُناتِها . (٣)

وقد وكن (يكن) وكونا فهو واكن ، وجمعه وكونٌ ... وكأنه من مقلوب الكَوْن ، لأن الكون الاستقرار ، وعليه قالوا : قد تكوّن في منزله واستقر. (٤)

فابن جني ينتهي إلى أن المعنى لا يختلف بهذه القراءة عن قراءة الجماعة من الكون . وهي من الفعل المثال (وكَن) ، سقطت الواو عند بنائه على (يفعِل) تخلصا من ثقل تتابع الياء المفتوحة والواو المتلوه بكسرة في (يَوْكِن) . فخفف الفعل بالحذف .

---

(١) شواذ القراءات : ١١٧ وينظر شواذ القراءة للكرماني : ورقة : ١٩١ .

(٢) البحر المحيط : ١٧٨/٧ .

(٣) البيت لامرئ القيس من البحر (الطويل) وعجزه :

بمنجرد قيد الأوابد هيكل

واغتدى : أبكر . والمنجرد : الماضي في سيره . والأوابد : الوحوش . والهيكل : الفرس العظيم . ينظر شرح المعلقات السبع للزوزني : ٢٨ .

(٤) المحتسب : ١٦٨/٢ .

الأفعال السابقة : (يلج) ، (وزنوا) ، (سنسمه) ، (تصف) ، (وقرن) ، (تلقونه) ،(يزفون) تلتقي كلها في حكم واحد وهو سقوط الصامت الأول فيها بسبب المغايرة . وقد اقتصرت المغايرة في الفعل المثال على الصيغة (يَفعِل) . ولم ترد على (يَفعُل) وتعليل ذلك ، أنهم" تركوا الضم استثقالا لياء يليها(ياء)أو(واو) بعد ضمة ، إذ فيه اجتماع الثقلاء"(١). ولذلك اقتصرت المغايرة في المثال على (يفعِل) .

ويأتي بعد ذلك التعليل الصوتي لسقوط الواو ،" إنما حذفت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة في الفعل ، نحو (يعِد) و (يزِن) و (يرِد) للثقل . وذلك أن الواو مستثقلة ،وقد اكتنفها ثقيلان : الياء والكسرة . . . فلما اجتمع هذا الثقل وجب تخفيفه ، بحذف شيء من هذه الأشياء المستثقلة"(٢). ولم تحذف ياء المضارعة ،لأنها وضعت لمعنى ،ولم تحذف الكسرة ،لأنها وزن الكلمة . ولم يبق إلا حذف الواو .

أي أننا نقول : إن حذف الواو في الفعل المثال يرجع إلى طبيعة الصيغة (يَفعِل) فكسر العين أدّى إلى سقوط الواو أحد عنصري المزدوج (ـَو) لما في اجتماع الواو - امتداد الضمة - مع الكسرة من تنافر وثقل على اللسان ،وبذلك تتصل الفتحة بالكسرة لتصبح أجزاء الصيغة أكثر انسجاما لما بين الفتحة والكسرة من تقارب ومن هنا لم يرد مضارع المثال على (يفعُل) تخلصا من ثقل التتابع الحركي (الواو والضمة) كما في (يَوجُد) أو (ياء وياء) تليهما ضمة كما في (ييسُر) على (يفعُل).

---

(١) شرح الشافية : ١/١٢٩ وينظر ارتشاف الضرب : ١/٩٠٧، والتذكرة والتبصرة : ٢/٧٤٥ . وبغية الآمال في معرفة مستقبل الأفعال : ٤٣ والممتع في التصريف : ١/١٧٤ ، والمنصف : ١/١٨٥.

(٢) شرح الملوكي في التصريف : ٣٣٤-٣٣٥.

ويتساوى في هذا الحذف المتعدى واللازم على خـــلاف الكوفيين (١) ، إذ خصوا سقوط الواو بالمتعدى وجعلوا سقوطها فرقا بين المتعدى واللازم . وقد وردت الأمثلة على خلاف ما ذهبوا إليه .

*

الطائفة الثانية : ذات الصوائت الطويلة .

- قراءات متواترة :

(ى) - الفعل : (تبيد) من قوله تعالى :

﴿... قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ الكهف / ٣٥.

رسم المصحف : (تَبِيدُ) بكسرة طويلـــة (الياء) من قولهم : " باد (يبيد) بيدا وبيودا : هلك ". (٢)

- الفعل : (يتيهون) من قوله تعالى :

﴿... يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ...﴾ المائدة / ٢٦.

رسم المصحف : (يَتِيهُونَ) بكسرة طويلة (الياء) من: " (تاه) في الأرض (يتيه) توها وتيها ... أي ذهب متحيرا وضل ... والتيه الأرض التي لا يهتدى فيها ". (٣)

---

(١) شرح الملوكـــــي : ٣٣٥-٣٣٦.

(٢) المصباح المنير : ١/٦٧.

(٣) اللسان : (ت ى هـ) ١٣/٤٨٢.

- الفعل : (يضيق) من قوله تعالى :

* وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * الحجر / ٩٧.

رسم المصحف : (يَضِيقُ) بكسرة طويلة (الياء) من " (ضاق) الشيء ضِيقا وضيقا ،وهو شك يكون في القلب "(١).

- الفعل : (تسير) من قوله تعالى :

* وَتَسِيرُ الجِبَالُ سَيْرًا * الطور / ١٠.

رسم المصحف : (تسير) بكسرة طويلة من سار يسير يستعمل متعديا ولازما(٢).

- الفعل : (تغيض) من قوله تعالى :

* اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ... * الرعد / ٨.

رسم المصحف : (تَغيض) بكسرة طويلة (الياء) من " (غاض) الماء غيضا : غاب في الأرض "(٣).

- الفعل : (يليت) من قوله تعالى :

*... وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ... *

الحجرات / ١٤.

قرأ الجمهور : " لا يَلِتكم "(٤) بغير همز وبعد الياء لام

---

(١) الأفعال لابن القطاع : ٢/٢٨٧.

(٢) المصباح المنير : ١/٢٩٩.

(٣) الأفعال لابن القطاع : ٢/٢٤٥.

(٤) البحر المحيط : ٨/١١٧ وينظر السبعة : ٦٠٦ وتفسير القرطبي ١٦/٣٤٨ ،والاتحاف : ٣٩٨.

مكسورة . وهما لغتان ، يقال : لات يليت كال يكيل وألت يألت ".(١)

وعزاها صاحب البحر إلى أهل الحجاز(٢) ،وهي مع قراءة الهمز "لغتان معروفتان مشهورتان ".(٣) ودلالتهما : (لا ينقصكم) بلهجة قيس عيلان .(٤) فهما باتفاق الدلالة واختلاف البنية.

فالفعل أجوف يائي "مضارعه يجيء على (يفعِل) بالكسر ولا يجيء بالضم سواء أكان متعديا نحو قولك : كال زيد الطعام يكيله... أم غير متعد نحو قولك عال يعيل ".(٥)

وقد أُعلّ الفعل (يَلْيِت) بنقل كسرة الياء إلى اللام ،فسكنت اللام وانكسر ما قبلها فقالوا : (يليت) وأصلها (يليت) .

كما سقطت (ياء) الفعل (يلِتكم) في القراءة ولم تعوض لسكون مابعدها. والتفسير الصوتي الحديث لظاهرة الإعلال في صيغة (يفعِل) يتمثل في سقوط الياء لاجتماعها مع الكسرة ،وهو ما لا يتفق مع طبيعة النسج المقطعي العربي الذى يكره تتابع الصوائت

---

(١) الكشف : ٢/٢٨٤ وينظر الحجة لأبي زرعة : ٦٧٦ ، والحجة لابن خالويه : ٣٠٤ ،وزاد المسير ٧/٤٧٧ . وتفسير غريب القرآن : ٤١٦.

(٢) البحر المحيط : ٨/١١٧ وينظر المزهر : ٢/٢٧٦.

(٣) إعراب القرآن للنحاس : ٣/٢٠٩ والمخصص : ١٤/٢٠ .

(٤) اللغات في القرآن : ٤٣.

(٥) بغية الآمال في معرفة مستقبل الأفعال : ٥٨ . وينظر : ارتشاف الضرب : ١/٧٩ . وشرح مختصر تصريف العزى في فن الصرف : ١٢٣.

الثقيلة كالياء المكسورة (yi) . وبعد سقوط الياء أشبعت الكسرة لتصبح كسرة طويلة (ī) ،فالكسرة لم تنقل الى (الفاء) وإنما بقيت في موضعها وسقطت الياء لتلتقي بذلك (فا) الصيغة بالكسرة الطويلة أى أن الجزء الثاني من المزدوج سقط فانتفى الانزلاق ،وعوض بحركة طويلة ،لأسباب مقطعية .(١)

ويرجع ذلك الى طبيعة الصيغة (يفعِل) التي اختصت بالأجوف اليائي تمييزا له من الأجوف الواوى الذى اختص بصيغة (يفعُل).

وهذا السقوط - وما يتبعه من تناسب صوتي ظاهرة مشتركة بين اللغات السامية.(٢)

---

(١) المنهج الصوتي للبنية العربية : ٨٣.

(٢) فقه اللغات السامية : ١٤٤.

أثر كسر (عين) يفعِل على همزة الوصل :

يقتضي التخلص من تتابع صوتين ساكنين تحريك الساكن الأول.

ومن ذلك ما يحدث عند الابتداء بالساكن وهو ما عرف عند القدماء بـ (همزة الوصل) أو (ألف الوصل) (١) حيث يؤتى بها وهي ساكنة، لأن أصل المبني السكون ،وكسرت لالتقاء الساكنين . ويحدث هذا التشكيل في حالات منها ،بناء فعل الأمر من الثلاثي المجرد مع الصيغ المختلفة . وقد جاء النطق العربي لهذا البناء مجانسا فيه صائت الهمزة لصائت عين الصيغة ومن هذه الصيغ صيغة (يَفعِل). وبهذا التجانس جاء الفعل القرآني في مواضع مختلفة نذكر منها :

(ب) - الفعل : (اهبط) من قوله تعالى :

﴿... آهْبِطْ بِسَـلَـٰمٍ...﴾ هود / ٤٨.

- الفعل : (اهبطوا) من قوله تعالى :

﴿..آهْبِطُوا مِصْرًا..﴾ البقرة / ٦١.

(م) - الفعل : (اطمس) من قوله تعالى :

﴿... رَبَّنَا آطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَالِهِمْ...﴾ يونس / ٨٨.

(ف) - الفعل : (انفروا) من قوله تعالى :

﴿ آنفِرُوا خِفَافًا...﴾ التوبة / ٤١.

---

(١) ينظر مختصر في ذكر الألفات لابن الأنباري : ٢٠ (تحقيق د/حسن فرهود، دار التراث بالقاهرة ٩٨٠ (م) .
والألفات لابن خالويه : ٢٠ (تحقيق : د/على البواب) مكتبة المعارف ،الرياض ٩٨٢ (م) .

(د) - الفعل : (اهدنا) من قوله تعالى :

* آهدِنَا الصِّرطَ المُستَقِيمَ * الفاتحة / ٦.

(ر) - الفعل : (اضرب) من قوله تعالى :

*... آضرِب بِعَصَاكَ الحَجَرَ... * البقرة / ٦٠.

(ش) - الفعل : (كشف) من قوله تعالى :

* رَبَّنَا آكشِف عَنَّا العَذَابَ... * الدخان / ١٢.

فالأفعال السابقة كسرت همزة الوصل فيها للتخلص من الابتداء بالساكن.

وحول علة الكسر اختلف النحاة[1] فرأى البصريون أنها كسرت على الأصل في التقاء الساكنين.

ورأى الكوفيون : أن الأصل في همزة الوصل أن تتبع حركة عين الفعل فتكسر. فالكسر يخرج على وجهين :

١ - أن يكون على الأصل.

٢ - أن يكون على الاتباع للعين.

وكلاهما محتج له بحجة قوية. ولتقريب وجهتي النظر بينهما أقول : إن كليهما مصيب فيما ذهب إليه.. فقد أدى اجتماع كسرة الهمزة على الأصل مع كسر الصامت الثالث من (يفعِل) إلى الانسجام الحركي في الصيغة (يفعِل).

---

(١) الانصاف : المسألة السابعة بعد المائة لابن الأنباري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط: رابعة، المكتبة التجارية بمصر، (١٩٦١م).

أما السر في مجيء الكسر على الأصل فيشرحه ابن مالك قائلا :

" وإذا ثبت استحقاقها حركة ،فأولى الحركات بها الكسرة ،لأن فتحها أو ضمها موقع في الالتباس بهمزة المتكلم لأنها مضمومة في الرباعي مفتوحة في غيره ." (١)

وكما أدلى القدماء برأيهم في هذه القضية فقد تناولها المحدثون حيث ذهب الدكتور بشر في بحث له إلى أن هذا الصوت الذى يظهر في أول (اضرب) و (استخرج) الخ والذى يرمز إليه بالألف في الكتابة ليس همزة فيما نعتقده . انه - على فرض وقوعه - نوع من التحريك الذى يسهل عملية النطق بالساكن . وهذا التحريك قد يختلط أمره على بعض الناس فيظنونه همزة إذ أن هواءه يبدأ من منطقة صدور الهمزة وهي الحنجرة - إلى أن يقول - وحقيقة الأمر - في نظرنا - أن هذا (الصوت) الذى سموه في المواقع التي نصوا عليها إنما هو ذلك التحريك ،أو ما نفضل أن نسميه (الصويت) الذى يستطيع أن يؤدى تلك الوظيفة التي أرادها علماء اللغة وهي التوصل إلى النطق بالساكن".

فالدكتور بشر يركز دراسته على حقيقة (همزة الوصل)، فهو يختلف مع القدماء في ما يؤتى به للتخلص من الابتداء بالساكن . فلا يمكن اعتباره (همزة) لما في صعوبة نطقها من تناقض مع فكرة التخفيف من النطق بالساكن . إنما هو نوع من التحريك ذو أثر سمعي في ابتداء الكلام، أي ظاهرة صوتية فنولوجية (Phonologic feature) (٣)

---

(١) شرح الكافية الشافية : ٤/ ٢٠٧٥ ،وينظر التكملة لأبي علي الفارسي : ٧ ، تحقيق : د/حسن فرهود ، (ط: أولى ،جامعة الرياض سنة ١٩٨١) وشرح المفصل : ٩/ ١٣٧ وشرح الشافية للجابردى ١/ ١٦٤ ضمن مجموعة الشافية .

(٢) دراسات في علم اللغة : ١٥٠ (د/ بشر) ، (ط: تاسعة ،دار المعارف بمصر سنة ١٩٨٦ م).

(٣) السابق : ١٦٤.

ونحسبه على صواب في نفيه وجود الهمزة . والدليل على أنها لا تثبت في الكتابة وقد أدى الضغط على هذا (الصويت) إلى الالتباس بالهمزة.

وأرى أن هذا الضغط ضرب من النبر ذو دلالة معنوية للتنبيه على حقيقة الأمر في الفعل . ما قد يجعله شبيها بالهمزة.

ويكاد الدكتور عبده أن يلتقى في الرأى مع الدكتور بشر فيصرح قائلا : " إن الأصل في ما يضاف لتجنب البدء بصحيحين متواليين - فيما أحسب - هو علة فقط ، ذلك أن هذه الظاهرة اللغوية لا تختلف في جوهرها عن أى ظاهرة لغوية أخرى معروفة هي إضافة علة لتجنب توالى ثلاثة صحاح ، أى للتخلص من التقاء الساكنين ".(١)

ولكنه لا يلغي وجود الهمزة إذ يستدرك قائلا :" ولكن التركيب الصوتي للكلمة العربية (وما ينتج عن ذلك من عادات لغوية) يقود إلى نطق همزة قبل هذه العلة . وهذا عكس ما رآه بعض القدماء من اللغويين حين اعتبروا أن الأصل في ما يجتلب (للتخلص من البدء بالساكن) هو الهمزة ، ثم أتى بالعلة (للتخلص من التقاء الساكنين) الهمزة المجتلبة و (الساكن) الذى كانت الكلمة تبتدئ به أصلا ".(٢)

ونخلص من النقاش السابق إلى أن الأصل في التخلص من الابتداء بالساكن الإتيان بـ (حركة) . ولما كان تركيب المقطع العربي لا يقبل الابتداء بحركة أتى بما يشبه الهمزة ليكون الابتداء بـ (ص ع) بدلا من المقطع الممنوع (ص ص ع) .(٣)

---

(١) دراسات في علم أصوات العربية : ٥٤ وينظر مناهج البحث في اللغة : ١٤١ .

(٢) السابق : ٥٦ .

(٣) دراسة الصوت اللغوى (د/ مختار) : ٣٣٧ (ط: أولى ، عالم الكتب القاهرة ، سنة ١٩٧٦) .

ويمثل التخلص من الابتداء بالساكن مرحلة جديدة فهو نوع من التطور اللغوى (Linguistic Change). ومما يؤكد وجود مرحلة سابقة استساغة الانطلاق بالساكن في سائر اللغات السامية الأخرى .[(١)] كما أن " النطق بالساكن في ابتداء الكلام إمكانية صوتية يجوز وقوعها في اللغة العربية . وأغلب الظن أنها وقعت في فترة من الفترات التاريخية لهذه اللغة".[(٢)] خاصة وقد ورد عن بعض القدماء ما يدل على إمكانية هذا النطق قولهم : بأنه " ممكن لكنه مستقل".[(٣)]

---

(١) التطور اللغوى التاريخي " السامرائي " : ٧٢-٧٣ (ط: ثانية، دار الأندلس ،بيروت سنة ١٩٨١م) .

(٢) دراسات في علم اللغة : ١٦٤.

(٣) حاشية الصبان على الأشموني : ٤/٢٠٥.

المبحث الثانـــي

(فَعَل يَفعُـــل)

التحـول من الفتح إلى الضـم (فَعَـل يَفعُل)

لا يقتصر التحول الداخلي في (فعَل) على صيغة (يفعِل) بالرغم من كثرة استعمالها وإنما يمتد إلى صيغة أخرى ، عندما يتحـول صائت اللين المتسع (الفتح) إلى صائت اللين الخلفي (الضمة) ،مشكلا صيغة المغايرة (يَفعُل) . وهذا يعني أن (فَعَل) صيغة متسعـة ، فمنها اشتقت صيغتا المغايرة (يَفعِل) و (يَفعُل) . إلا أن صيغـة (يفعُل) فرع في المغايرة وليست أصلا ، يدلنا على ذلك حديث ابن جني : من أن باب " (فَعَل) إنما هو (يَفعِل) و (يَفعُـل) داخل عليه . . . وأن الباب للكسر دون الضم . وهو أن الضم قد لزم ما ماضيه (فعُـل) نحو ظَرُف يظرُف وكَرُم يكرُم ".(١)

ونرى أن فرعيـة هذه الصيغة ترجع إلى ناحيـة صوتية ،فالضم أثقل وأفخم من الكسر ، كما أن الفتح والضم لا يكادان يلتقيان فـــي علاقـة صوتية ،مما يقلل من عملية التحول بينهما . ومع ذلك فقد وردت هذه الصيغة (يَفعُل) في الاستعمال إلّا أن الصرفيين (٢) خصوهـــا بالفعل اللازم غير المتعدى وعدوه قياسا فيها .

---

(١) المنصف ١/ ١٨٦.

(٢) ينظر : شـرح الملوكي : ٣٩.

ونورد بعضا مما ورد على (يَفْعُل) في القرآن على التصنيف التالي :

المجموعة الأولى : أفعال صحيحة :

الطائفة الأولى : أفعال غير حلقية :

ـ قراءات متواترة :

(ب) ـ الفعل : (تنبت) من قوله تعالى :

* وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ.. * المؤمنون/ ٢٠٠

« قرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي : (تَنْبُتُ) بفتح التاء وضم الباء ».(١)

وحجة من فتح التاء أنه جعله فعلا ثلاثيا من (نَبَتَ) ، فتكون الباء في (بالدهن) للتعدية ».(٢) ويقال : « نبت الشيء (يَنْبُتُ) نبتا ونباتا ».(٣) وهي لهجة في (أنبت).(٤)

ولم ترد القراءة على غير (يَفْعُل) المجرد .

(م) ـ الفعل : (يعمر) من قوله تعالى :

* إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ... *

التوبة /١٨٠

رسم المصحف : (يَعْمُرُ) بضم (الميم) « من باب قَتَلَ ، وعمره أهله سكنوه وأقاموا به يتعدى ولا يتعدى ».(٥)

---

(١) السبعة : ٤٤٥ وينظر التبصرة : ٢٦٩٠

(٢) الكشف : ١٢٧/٢٠

(٣) اللسان : (ن ب ت) ٩٥/٢٠

(٤) معاني القرآن للفراء : ٢٣٣/٢٠

(٥) المصباح المنير : ٤٢٩/١٠

(د)   ـ الفعل : (يصدر) من قوله تعالى :

﴿... قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ...﴾ القصص / ٢٣.

قرأ ابن عامر وأبو عمرو : (يَصْدُر) بفتح الياء وضم الدال .[1]

وحجة من فتح الياء أنه جعله ثلاثيا غير متعد ، من (صدرت الرعاء تَصْدُر) " إذا رجعت من سقيها ، دليله قوله تعالى : ﴿يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾[2] "[3] من باب قعد.[4]

فالقراءة على (يَفْعُل) من (فَعَل).

(ط)   ـ الفعل : (يسطرون) من قوله تعالى :

﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ القلم / ١.

رسم المصحف : (يَسْطُرون) بضم (الطاء) من باب قتل (كتبه)[5] " والسين والطاء والراء أصل يدل على اصطفاف الشيء كالكتاب والشجر ".[6]

(ن)   ـ الفعل : (يقنت) من قوله تعالى :

﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ...﴾ الأحزاب / ٣١.

رسم المصحف : (يَقْنُتْ) بضم (النون) " من قنت اللـــه (يقنته) : أطاعه ".[7]

---

(١) العنوان في القراءات السبع : ١٤٧ ، وينظر السبعة : ٤٩٢ ، والكامل في القراءات الخمسين : ورقة ٢٢٦.
(٢) الزلزلة : ٦.
(٣) الكشف : ٢/١٧٣ وينظر : الحجة لابن خالويه : ٢٧٦ والحجة لأبي زرعة : ٥٤٣.
(٤) المصباح المنير : ١/٣٥٧.
(٥) السابق : ١/٢٧٦.
(٦) مقاييس اللغة : ٣/٧٢ .
(٧) اللسان : (ق ن ت) ٢/٧٣.

(ر)   ـ الفعل : (تحرثون) من قوله تعالى :

﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴾ الواقعة / ٦٣.

رسم المصحف : (تحرُثون) بضم (الراء) من باب قتل (١)

" والحاء والراء والثاء أصلان متفاوتان : أحدهما الجمع والكسب، والآخر أن يهزل الشيء " (٢).

(ز)   ـ الفعل : (لا يحزنك) من قوله تعالى :

﴿ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ... ﴾ آل عمران / ١٧٦، المائدة / ٤١، يونس / ٦٥، يوسف / ١٣.

قرأ الجمهور : (يَحْزُنك) بفتح الياء وضم الزاى (٣).

" من الثلاثي المجرد (حَزَن) (يَحْزُن)، وهو الاختيار لقولهم : (محزون)، ولا يقال : (مُحزَن) " (٤).

وقد وصف الضم في الفعل المجرد (يَحْزُن) بأنه لهجة فصيحة (٥) شائعة مستعملة (٦). وهي اللهجة العالية (٧) وقد عزيت إلى قريش في مقابل اللهجة التميمية (أحزن) المزيدة (٨).

---

(١) المصباح المنير : ١/١٢٧.

(٢) مقاييس اللغة : ٢/٤٩.

(٣) البحر المحيط : ٣/١٢١ وينظر السبعة : ٢١٩، والنشر : ٢/٢٤٤، والاتحاف : ١٨٣. وزاد المسير : ١/٥٧.

(٤) الحجة لأبي زرعة : ١٨١.

(٥) الكشف : ١/٣٦٥ وينظر الكامل في القراءات الخمسين ورقة : ٢٢٢.

(٦) تفسير القرطبي : ٤/٢٨٥.

(٧) اللسان : (ح ز ن) ١٣/١١٢.

(٨) الأفعال لابن القطاع : ١/٢٠٢.

بهذا المستوى اللهجي نزل القرآن في مواضع كثيرة منه. وقد مالت قريش إلى الفعل المجرد عن المزيد مؤثرة بذلك المقاطع المفتوحة التي يقتضيها الفعل المجرد، ويرجع ذلك إلى طبيعة الأداء التأنية في نطقهم بخلاف ما تقتضيه الأفعال المزيدة من مقاطع مغلقة تتفق وسرعة الأداء عند تميم.

(ص) - الفعل: (تقصروا) من قوله تعالى:

﴿... فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا...﴾ النساء / ١٠١.

رسم المصحف: (تَقْصُرُوا) بضم (الصاد)، من باب (قتل)، هذه هي اللغة العالية التي جاء بها القرآن.[1] أي قَصَر (يَقْصُر) ويشرح ابن فارس دلالة الفعل فيقول: "القاف والصاد والراء أصلان صحيحان، أحدهما يدل على ألا يبلغ الشيء مداه ونهايته، والآخر على الحبس. والأصلان متقاربان".[2]

(ج) - الفعل: (لأسجد) من قوله تعالى:

﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ الحجر / ٣٣.

رسم المصحف: (لِأَسْجُدَ) بضم (الجيم)، من سَجَد (يَسْجُد) سجودا وضع جبهته على الأرض[3]. ودلالته تقول: "السين والجيم والدال أصل واحد مطرد يدل على تطامن وذل".[4]

---

(١) المصباح المنير: ٢/٥٥.
(٢) مقاييس اللغة: ٥/٩٦.
(٣) اللسان: (س ج د) ٣/٢٠٤.
(٤) مقاييس اللغة: ٣/١٣٣.

(ج) - الفعل : (يهجرون) من قوله تعالى :

* مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ * المؤمنون /٦٧.

" قرأ الجمهور : (تَهْجُرون) بفتح التاء وضم الجيم " (١).
من الفعل الثلاثي هجرته هجرا وهجرانا : قطعته .... وفي منطقه ونومه هجرا : هذى " (٢).

وعلى هذا يكون الفعل ذا دلالتين : " الهجر : ضد الوصل . هجره (يهجره) هجرا وهجرانا : صرمه . " (٣) " وهجر المريض (يهجُر) هجرا فهو هاجر ، وهجر به في النوم يهجر هجرا : حلم وهذى " (٤).

وقد نص الفراء (٥) على الدلالة الثانية ، قال : وإن قرئ : (تَهجُرون) ، جعل من قولك هجر الرجل في منامه إذا هذى ... وروى عن أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه ، أنه كان يقول لبنيه : إذا طفتم بالبيت فلا تغلو ولا تهجروا ، يروى بالضم والفتح ... قال أبو عبيدة (ولا تهذوا) " (٦) وقيل من الهجر وهو السب والافحاش في المنطق (٧).
ومعنى القراءة : " يتكلمون بهوس وسيء من القول في (النبي) وفي القرآن " (٨).

---

(١) البحر المحيط : ٤١٣/٦ والسبعة : ٤٤٦ والكشف : ١٢٩/٢ والنشر : ٣٢٩/٢ وابراز المعاني : ٦٠٩ . لابي شامة (تحقيق : إبراهيم عوض ، طبع مصطفى البابي الحلبي).
(٢) الأفعال لابن القطاع : ٣٤٢/٣ .
(٣) اللسان : ٢٥٠/٥ .
(٤) السابق : ٢٥٣/٥ والصحاح : ٨٥١/٢ .
(٥) معاني القرآن للفراء : ٢٣٩/٢ .
(٦) اللسان : ٢٥٣/٥ .
(٧) غريب القرآن لابن قتيبة (تحقيق السيد أحمد صقر ، دار الكتب العلمية ، لبنان ١٩٧٨ م).
(٨) تفسير القرطبي : ١٣٧/٢ .

(ك) ـ الفعل :(فيركمه) من قوله تعالى :

﴿... فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ...﴾ الأنفال / ٣٧.

رسم المصحف : (فيركُمه) بضم (الكاف) . من رَكَم الشيء (يَركُمه) إذا جمعه وألقى بعضه على بعض)[١] ودلالته " (فيركمه جميعا) يعني فيجمعه جمعا بلغة قريش "[٢].

(ق) ـ الفعل : (تنقضوا) من قوله تعالى :

﴿... وَلَا تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا...﴾ النحل / ٩١

رسم المصحف : (تَنقُضوا) بضم (القاف) على (فَعَل يَفْعُل)[٣] والفعل يدل على نكث شيء[٤].

*

ـ قراءات شاذة :

(ك) ـ الفعل : (ولا تركنوا) من قوله تعالى :

﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا...﴾ هود / ١١٣.

قرأ طلحة وقتادة والأشهب ورويت عن أبي عمرو : (ولا تركُنوا) بضم الكاف .

---

(١) اللسان : (ر ك م) ١٢/ ٢٥١.

(٢) اللغات في القرآن : ٢٧.

(٣) القاموس المحيط : ٢/ ٣٤٧.

(٤) مقاييس اللغة : ٥/ ٤٧٠.

قال أبو الفتح : "فيها لغتان رَكَن (يركَن) كعلم يعلم ، ورَكَن (يركُن) كقتل يقتل ."(١)

وقد عزا أبو حيان اللهجة الثانية لهجة الضم في يَرْكُن الى" قيس وتميم . وقال الكسائي وأهل نجد ."(٢)

" وذكر صاحب العين في لغة سفلى مضر " ركَن يركُن " بفتح الكاف في الماضي وضمها في المضارع ."(٣) إلّا أن ابن منظور يذهب إلى أنها لهجة ليست بفصيحة .(٤)

فالفعل (رَكَن يَرْكُن) بضم المستقبل لهجة القبائل البدوية التي تميل إلى صائت التفخيم (الضم) . وعدم فصاحتها يرجع إلى كونها على غير القياس الذى يقوم على أن (ركن يركن) على (فعِل يفعَل) .

إلّا أن النحويين البصريين والبغداديين يعترفون بها فيذكرونها مع اللهجة الفصيحة " (ركَن يَركُن) و (رَكِن يَركَن) ".(٥)

وقد نلتمس لهذه اللهجة وجها في القياس ، وهو كون الفعل (لازما) وغير المتعدى الضم فيه أقيس من الكسر .

وجاءت القراءة بالضم على لهجة من يؤثرون صائت التفخيم .

---

(١) المحتسب : ٣٢٩/١ وينظر شواذ القراءات : ٦١ .

(٢) البحر المحيط : ٢٦٩/٥ .

(٣) الأفعال للسرقسطي : ٨٩/٣ .

(٤) اللسان : ١٨٥/١٣ .

(٥) أدب الكاتب : ٣٧٢ . وينظر : الأفعال للسرقسطي : ٨٩/٣ ، والمشوف المعلم : ٣٠٩/١ .

الطائفة الثانية : أفعال حلقية :

- قراءات متواترة :

(ف) - الفعل : (ينفخ) من قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ.. ﴾ طه / ١٠٢.

" قرأ أبو عمرو وحده : ننفُخ) بالنون " ،(١) مع ضم (الفاء) من الفعل الثلاثي الحلقي اللام نَفَخ (يَنفُخ)(٢) على (فَعَل يَفعُل).

(خ) - الفعل : (يدخلون) من قوله تعالى :

﴿... فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ.. ﴾ النساء / ١٢٤.

قرئ في السبع : "(يَدخُلون) بفتح الياء وضم الخاء "(٣) من الفعل الثلاثي المجرد الحلقي العين (دَخَل)(يَدخُل) دخولا(٤) على (فَعَل) (يَفعُل).

وعلق ابن مالك على هذا النوع من الأفعال فقال : " كون عين (فَعَل) حرفا من حروف الحلق مجوز لفتح عين مضارعه فيما لم يسمع فيه كسر أو ضم.

فإن شهر بأحدهما دون غيره لم يعدل عنه نحو: (يقعُد) و (يرجع) و (يدخُل) و (ينفُخ) ".(٥)

فاستعمال الأفعال السابقة الحلقية على (يفعُل) لهجة مشهورة شائعة أكثر من استعمالها على (يفعَل).

---

(١) السبعة : ٤٢٤ وينظر الكشف : ٢/ ١٠٦.
(٢) اللسان : (ن ف خ) ٣/ ٦١.
(٣) الكشف : ١/ ٣٩٧ وينظر : الحجة لأبي زرعة : ٢١٣.
(٤) اللسان : (د خ ل) ١١/ ٢٣٩.
(٥) شرح الكافية الشافية : ٤/ ٢٢٢٠.

- قراءات شاذة :

(م) - الفعل : (فيدمغه) من قوله تعالى :

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ... ﴾ الأنبياء / ١٨.

" قرئ : (فَيَدْمُغُهُ) بضم الميم "(١) ، في الفعل الحلقي اللام .

وجاء استعمال الفعل بصيغتي (فَعَلَ يفعَل) و (فَعَلَ يفعُل) ،

فقد ذكر أن : " (دمَغه) كنمعه و (نصره) : شجه حتى بلغت الشجة الدماغ "(٢) . وقيل : " (دَمَغته) دمغا من باب (نَفَعَ) كسرت عظم دماغه "(٣) .

فالقراءة على (فعَل يفعُل) على الأصل في مستقبل الفعل الحلقي اللام . فالاختلاف بينها وبين قراءة الجمهور في الصيغة . أما الناحية الدلالية فهما متفقتان في الدلالة (فيدْمَغُه) و (فيدمغه) .

فالأصل في الدمغ : الشجُّ ثم اتسعت الدلالة فصار الدمغ : الأخذ والقهر من فوق ، كما يَدْمَغ الحقُّ الباطل ، وقد دَمَغَه دَمْغا : أخذه من فوق ، وغلبه ، وهو مجاز ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فيدْمَغُه ﴾(٤) .

فالقرآن جاء بدلالة الفعل المتطورة للدلالة على تغلب الحق على الباطل .

---

(١) البحر المحيط : ٦/٣٠٢ وينظر الكشاف : ٣/٥٦٦.

(٢) القاموس المحيط : ٣/١٠٥.

(٣) المصباح المنير : ١/١٩٩.

(٤) تاج العروس : ٢٢/٤٧٠ طبعة محققة وينظر اللسان (د م غ) ٨/٤٢٥ وأساس البلاغة : ١٣٦.

(ن) - الفعل : (فاجنح) من قوله تعالى :

﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا...﴾ الأنفال / ٦١.

" قرأ الأشهب العقيلي : (فاجنُح) بضم النون ، وهي لغة قيس ".(١)

نحن بصدد (فعل) حلقي اللام (بالحاء) مضموم العين.

فما موقف القياس من وجه الضم .. يقول ابن جني : " جنح غير متعد ، وغير المتعدى الضم أقيس فيه من الكسر . فقعَد يقعُد أقيس من جلَس يجلِس ، وذلك أن (يَفعُل) بابه لما ماضيه فعُل نحو شرُف يَشرُف ، ثم ألحق به قعد . وباب (يفعِل) بابه لما يتعدى نحو ضَرَب يضرِب . فضرب يضرب إذاً أقيس من قتل يقتل ، كما أن قعَد (يقعُد) أقيس من جلَس (يجلِس) ".(٢) وهذه اللغة هي القياس.(٣)

فالنص يكشف عن جانبين :

أولهما : أن الفعل لازم غير متعد.(٤)

ثانيهما : أن قراءة الضم قياسية بالنسبة لوظيفة الفعل اللازم غير المتعدى ولم يقف ابن جني عند صوت الحلق في الفعل.

---

(١) البحر المحيط : ٥١٤/٤ وينظر شواذ القراءات : ٥٠ وشواذ القراءة للكرماني : ورقة ٩٧.

(٢) المحتسب : ٢٨٠/١.

(٣) تفسير القرطبي : ٣٩/٨.

(٤) ينظر الفعل في القرآن الكريم (تعديته ولزومه لأبي أوس الشمسان) : ٣١ (جامعة الكويت سنة ١٩٨٦م).

وقد أوردت بعض المعاجم ثلاث لهجات في مستقبل الفعل (جنح) وهي : (يَجنَح) و (يَجنُح) و (يَجنِح) : الفتح لتميم ، والضم لقيس ، والكسر لغيرهم .[1]

واكتفى بعضها[2] بلهجة الفتح والكسر (يجنَح) و (يجنِح) ، وبعضها[3] ذكر لهجة الفتح (يَجنَح) ولهجة الضم (يَجنُح) . أي أنه يرد على صيغتي المغايرة : (فَعَلَ يفعِل يفعُل) وعلى صيغة المماثلة : (فَعَلَ يَفعَل) . وكلها متحدة الدلالة بمعنى (مال) .[4]

وهذا يعني أن الفعل الحلقي اللام لا يلتزم دائما صائت الفتح بل قد يرد مع صائتي الكسر والضم . وقد ثبت أنه مع الضم في (يجنُح) قياسي بالنسبة لوظيفة الفعل .

وجاءت قراءة الأشهب على لهجة قيس التي مالت إلى صائت التفخيم . (الضم) في الفعل الحلقي اللام على الأصل في الفعل اللازم .

---

(١) الأفعال للسرقسطي : ٢٨٧/٢ وتاج العروس : ١١٣/١ ، وينظر القاموس المحيط : ٢١٨/١ .

(٢) الصحاح : ٣٦٠/١ .

(٣) اللسان : (ج ن ح) ٤٢٨/٢ وينظر المخصص : ٢٠٦/١٤ .

(٤) تاج العروس : ١٣٣/٢ .

الطائفة الثالثة : أفعال مضعّفة :

- قراءات متواترة :

(د) - الفعل : (يمدّونهم) من قوله تعالى :

﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ... ﴾ الأعراف / ٢٠٢.

" قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي : (يَمُدُّونَهُمْ) بفتح الياء وضم الميم ."[1] وذلك من : (مدّ يمدُّ) إذا جرّ . فقوله : " يمدونهم " أي يجرونهم في الغيّ وقال قوم " يمدونهم " يتركونهم في الغيّ. تقول العرب : (لا مدّنك في باطلك) أي لا تركنك فيه ولا أخرجك منه ."[2] وحكى عن الأخفش : مددت له إذا تركته ."[3]

و (مدّ) لهجة في (أمد) و (مدّ) أكثر بغير ألف .[4]

(ض) - الفعل : (يحضّ) من قوله تعالى :

﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾ الحاقة / ٣٤.

رسم المصحف : (يَحُضُّ) بضم (الحاء) من الفعل الثلاثي المضاف من (حضّ) (يحُضُّ)، قيل في دلالته : الحضُّ : ضرب من الحث في السير والسوق وكل شيء . وقيل : الحضُّ : التحريض كالحثّ ،إلا أن الحثّ يكون بسوق وسير ،والحضّ لا يكون بذلك ،وأصله من الحثّ على الحضيض ،وهوقرار الأرض .[6]

---

(١) السبعة : ٣٠١ وينظر غيث النفع : ٢٣٢ والنشر : ٢/٢٧٥ والإتحاف : ٢٣٥.

(٢) الحجة لأبي زرعة : ٣٠٦ وإبراز المعاني : ٤٨٧.

(٣) تفسير القرطبي : ٢٠٩/١.

(٤) الكشف : ٤٨٧/١.

(٥) اللسان : ١٣٦/٧.

(٦) المفردات في غريب القرآن : ١٢٤.

(ل) - الفعل : (يغل) من قوله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ... ﴾ آل عمران / ١٦١.

" قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم : (أن يَغُلَّ) بفتح اليـــاء وضم الغين. "(١)

فالحجة لمن فتح الياء أنه جعله من (الغلول) ومعناه أن يخون أصحابه بأخذ شيء من الغنيمة خفية. "(٢)

فالفعل (غلّ يغُلّ) بالضم على (فعَل يفعُل) يختص بالدلالة على الخيانة في المغنم خاصة.

يؤيد هذا ما جاء في الصحاح عن ابن السكيت : " لم نسمع في المغنم إلّا غلّ غلولا ... وقال أبو عبيدة : (الغلول) في المغنم خاصة ، ولا نراه من الخيانة ولا من الحقد . ومما يبين ذلك أنه يقال من الخيانة : (أغلَّ يُغِلُّ) ، ومن الحقد (غلَّ يَغِلُّ) بالكسر ، ومن (الغلول) (غَلَّ يغُلُّ) بالضم "(٣)

والقراءة (يَغُلَّ) بفتح الياء وضم الغين تدل على نفـــي الغلول عن النبي.(٤)

---

(١) السبعة : ٢١٨ وينظر غيث النفع : ٥٨٥ ، والنشر : ٢/ ٢٤٣ والاتحاف : ١٨١.

(٢) الحجة لابن خالويه : ١١٥.

(٣) الصحاح : ٤/ ١٧٨٤.

(٤) ينظر الكشف : ١/ ٣٦٣.

(ز) - الفعل : (تؤزهم) من قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾

مريم / ٨٣.

رسم المصحف : (تَؤُزُّهم) ، (بضم) الهمزة من " أزّه (يؤزّه) أزًّا : أغراه وهيجه ، وأزّه : حثّه (١) . وقال الفراء : (تؤزّهم) : تزعجهم إلى المعاصي و تغريهم بها " (٢) . والفعل مهموز مضعف .

(س) - الفعل : (يدسه) من قوله تعالى :

﴿ ... أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ... ﴾ النحل / ٥٩.

رسم المصحف : (يَدُسُّه) بضم (الدال) من الثلاثي دسّه : يدُسُّه دسًّا . (٣) و " الدال والسين في المضاعف والمطابق أصل واحد يدل على دخول الشيء تحت خفاء وسر ، يقال : دسست الشيء في التراب (أدُسُّه) دسًّا " . (٤)

(ع) - الفعل : (يدع) من قوله تعالى :

﴿ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴾ الماعون / ٢.

رسم المصحف : (يَدُعُّ) بضم (الدال) من الثلاثي " دعّه : (يَدُعُّه) دعًّا : دفعه في جفوة " . (٥)

---

(١) اللسان : (ءزز) ٥/٣٠٧.
(٢) معاني القرآن للفراء : ٢/١٧٢.
(٣) اللسان : (د س س) ٧/١٣٦.
(٤) مقاييس اللغة : ٢/٢٥٦.
(٥) اللسان (د ع ع) : ٨/١٣٦.

والدَّعُ : الدفع في لهجة قريش.(١)

والفعل مضاعف حلقي (العين واللام) ،ولا تأثير لصوت الحلق على صائت عين الصيغة في المضاعف - وتعليل ذلك - أن " الفتح غير سائغ لاشتراطه بحرف الحلق في العين أو اللام لا فيهما. "(٢)

وبالوقوف عند الأفعال السابقة نجد أن صيغة المغايرة لـ (فَعَل) المضاعف اقتصرت على (يفعُل) فما حكم مجيء الضم فيه ؟!

" ولزموا الضم في المضاعف المتعدى نحو مدَّ يمُدُّ. "(٣) فما علة هذا اللزوم ؟ العلة في هذا اللزوم مرجعها أنهم " لما علموا أن المضاعف المتعدى يلحقه الضمير نحوه (يشُدُّهُ) ، لزموا الضم في عينه لأنهم لو كسروه لزم النقل من الكسر إلى الضم ،وهو مستثقل ... أو تقول : إنما ضموا ليحصل نوع من الخفة لجرى اللسان على نسق واحد. "(٤)

فالتزام الضم له مبرره الصوتي وهو توخي الخفة والسهولة في الأداء.

---

(١) اللغات في القرآن : ٤٥.

(٢) شرح الجاربردى : ٥٤ وحاشية الرفاعي على لامية ابن مالك : ٣٢.

(٣) شرح الشافية : ١/١٣٤ ،وينظر الممتع : ١/١٧٥ . وشرح الملوكي لابن يعيش : ٤٦.

(٤) شرح الجاربردى : ٥٤ - ٥٦ .

وقفه :

الأصل في صيغ المغايرة أن يرد الصائت المتغير بعد صوت العين وبالنظر الى حركة العين في القراءتين (يمُدّ) و (يغُلّ) وغيرها ،نجد أن حركة العين قد تراجعت إلى الخلف لتقع بعد الفاء(١) فالأصل فيهما :

مدّ ← يمْدُدْ ← يمُدّ ← يمْدُدْ ← يمُدّ .

غلّ ← يغْلُلْ ← يغُلّ ← يغْلُلْ ← يغُلّ .

والتفسير الصوتي لنقل حركة العين إلى الفاء يرجع الى حدوث الإدغام وما يترتب عليه من تغيير في :

١ - التركيب المقطعي . ٢ - عامل النبر .

فالتركيب المقطعي للفعل المضعف المضارع والمتحرك العين واللام في صورته الأصلية يتكون من :

مقطع منغلق + مقطعين قصيرين متماثلين .

وفي صورته الثانية بعد نقل الحركة (الضمة) إلى الفاء لإدغام المتماثلين يصبح التكوين المقطعي :

مقطع قصير + مقطع منغلق + مقطع قصير

أي أن التخلص من ثقل تتابع المقاطع المتماثلة أدّى إلى تبادل مواضعها ، وترتب على ذلك انتقال موضع النبر من المقطع الأول (قبل نقل الحركة) ، إلى (المقطع الثاني) بعد نقل الحركة ذلك أن النبر في المضارع المضعف يحتل المقطع المنغلق سواء أكان في أول الكلمة أم في وسطها .

---

(١) المعروف أن مكان الحركة بعد الحرف وليس فوقه ولا تحته.

• أى أن الضمة هي التي تصبح القمة المقطعية وهي تحتل وسط الصيغة ، ولذلك كانت الصيغة الحاصلة أكثر انسجاما واستقرارا من حيث الأصوات والمقاطع والنبر •(١)

*

المجموعة الثانية : أفعال معتلة :

ذات الصوائت الطويلة :

تلتزم (يفعُل) - بضم صائت العين - إذا كان الصامت الثاني (عين الصيغة) فيها صوت العلة (الواو) •

ويرجع هذا الالتزام للعلاقة الصوتية بين الواو والضمة • فكلاهما صوت انطلاقي كما أن الضمة بعض (الواو) •

أما تعليل القدماء فقد جاء في جانبين :(٢)

أولهما : • أنه لما حول (فعَل) من ذوات الواو إلى (فعُل)(٣) جاء مضارعه كمضارع (فعُل) ، فالتزموا فيه (يفعُل) بضم العين ، لتكون بذلك حركة العين من جنسها •

ثانيهما : أنهم أرادوا التفرقة بين ذوات الواو وذوات الياء فالتزموا في ذوات الواو (يفعُل) بضم العين ، لأن الضمة من جنس الواو •

وقد وردت هذه الصيغة (يفعُل) مع الفعل الواوى العين في مواضع عديدة من القرآن نورد منها •

---

(١) الطيب البكوشي : التصريف العربي : ١٠٣ - ١٠٤ •

(٢) الممتع في التصريف : ٢ / ٤٤٦ - ٤٤٧ بتصرف •

(٣) وذلك عند إسناده إلى ضمير رفع •

- قراءات متواترة :

(و) - الفعل : (تبور) من قوله تعالى :

﴿... يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ فاطر / ٢٩.

رسم المصحف : (تَبُور) بضمة طويلة من (بار يبور) ،

و" أصل البوار الهلاك بلهجة عمان. (١) والبوار : الكساد . وبارت السوق وبارت البياعات إذ كسدت (تبور) ". (٢)

- الفعل : (تجوع) من قوله تعالى :

﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴾ طه / ١١٨.

رسم المصحف : (تَجُوع) بضمة طويلة من جاع (يجوع) المعتل (العين).

- الفعل : (يحور) من قوله تعالى :

﴿ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴾ الانشقاق / ١٤.

رسم المصحف : (يَحُور) بضمة طويلة من حار (حورا) من باب قال (٣) ، " وحور الحاء والواو والراء ثلاثة أصول ... منها الرجوع ". (٤)

- الفعل : (يحول) من قوله تعالى :

﴿... وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ..﴾ الأنفال / ٢٤.

رسم المصحف : (يَحُول) بضمة طويلة من حال الشيء بين الشيئين (يحول) حَولا وتحويلا أي حجز ". (٥)

---

(١) اللغات في القرآن : ٣٠.
(٢) اللسان (ب و ر) : ٤/٨٦.
(٣) المصباح المنير : ١/١٥٦.
(٤) مقاييس اللغة : ٢/١١٥.
(٥) اللسان : (ح و ل) ١١/١٨٧.

- الفعـل : (نخوض) من قوله تعالى :

﴿... إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ...﴾ التوبة / ٦٥.

رسم المصحف : (نَخُوض) بضمة طويلة من الثلاثي المعتل الوسط خاض (يخوض) خوضا "وأصل الخوض المشي في الماء وتحريكه ثم استعمل في التلبس بالأمر والتصرف ... والخوض من الكلام : ما فيه الكذب والباطل "(١).

أى أن دلالة الفعل الأصلية عرض لها تطور وانتقلت من المعنى الخاص إلى المعنى العام. ولذلك عدّ قولهم خاضوا في الحديث من المجاز.(٢)

- الفعل : (يسومونكم) من قوله تعالى :

﴿... يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ...﴾ البقرة / ٤٩.

رسم المصحف : (يَسُومونكم) بضمة طويلة من الثلاثي المعتل الوسط سام (يسوم) ودلالته من قولهم : " فلان يسومكم خسفا ،أى يوليك إذلالا واستخفافا ".(٣)

- الفعل : (يطوف) من قوله تعالى :

﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ ...﴾ الطور / ٢٤.

رسم المصحف : (يَطُوف) بضمة طويلة ،" والطاء والواو والفاء أصل واحد صحيح يدل على دوران الشيء على الشيء ،وأن يحفّ به...

----

(١) اللسان : (خ و ض) ٧/ ٤٧ وينظر القاموس المحيط: ٢/ ٣٣٠.

(٢) أساس البلاغة : ١٢٢.

(٣) تفسير غريب القرآن : ٤٨.

يقال طاف به وبالبيت يطوف طوفا وطوافا ". (١)

- الفعل : (تفور) من قوله تعالى :

* ... وَهِيَ تَفُورُ * الملك / ٧.

رسم المصحف : (تَفُور) بضمة طويلة ، (فار يفور) من الفوران : الغلي والجيشان . (٢)

- الفعل : (يمور) من قوله تعالى :

* يَوْمَ تَمُورُ السَّمَآءُ مَوْرًا * الطور / ٩ .

رسم المصحف : (تَمُور) بضمة طويلة على (فَعَل يَفْعُل) .

من مار يمور مورا (٣) ودلالته : تنشق السماء شقا بلهجة قريش . (٤)

- الفعل : (لتنوء) من قوله تعالى :

... لَتَنُوٓأُ بِالْعُصْبَةِ ... القصص / ٧٦ .

رسم المصحف : (لَتَنُوأُ) بضمة طويلة يقال : ناء (ينوء) نوءا نهض بجهد ومشقة ". (٥) والفعل بهذه الصورة أجوف مهموز.

---

(١) مقاييس اللغة : ٣/٤٣٢ وينظر اللسان : ٩/٢٢٥.

(٢) ينظر اللسان : (ف و ر) ٥/٦٧.

(٣) القاموس المحيط : ٢/١٣٧.

(٤) اللغات في القرآن : ٤٥.

(٥) اللسان : (ن و ء) ١/١٧٤.

تعقيب :

اختلفت تفسيرات القدماء عن تفسيرات المحدثين حول ظاهرة الإعلال ومن ذلك تعليلهم لما يطرأ على صوت الواو والياء في الفعل الأجوف .

وتعليل ذلك عند القدماء : " إذا تحركت الواو واليـــاء وسكن ما قبلهما فالقياس أن لا يعلا بنقل ولا بقلب ، لأن ذلك خفيف ، لكن إن اتفق أن يكون ذلك في فعل قد أُعلّ أصله بإسكان العيـــن أو في اسم محمول عليه سُكن عين ذلك الفعل والمحمول عليه ، اتباعــا لأصله ، وبعد الإسكان تنقل الحركة إلى ذلك الساكن المتقدم تنبيهــا على البنية ، لأن أوزان الفعل إنما تختلف بحركات العيـــن ، وإنما كان الأصل في هذا الإسكان الفعل دون الاسم لكونه أثقل . ... فعلى هذا تقول : يخاف ويهاب ويقوم ويبيع ويطيح ويقيم " (١) .

وهذا يعني أن اللغة العربية في حالة اجتماع صوت ساكن غير متحرك ونصف علة (الواو أو الياء) متحرك فإنها تعطي الحركة للصوت الساكن وتسلبها عن نصف العلة (٢) للتخفيف والمماثلة بين الضمة والواو .

وبعد الإسكان والتحريك تتماثل حركة الفاء مع نصف العلـــة (الواو أو الياء) فيتحول بذلك إلى صوت مد طويل لانضمام ما قبـــل الواو وكسر ما قبل الياء .

---

(١) شرح الشافية : ٣/١٤٤ . وينظر الممتع : ٢/٤٤٩ .

(٢) دراسة الصوت اللغوى ٣٣٨ .

أى أن الواو أو الياء في الفعل الأجوف تبقى في موضعها (عين الصيغة) كما يرى القدماء إلا أنها تطول بعد أن كانت قصيرة . لتصبح صوت مدّ . وهو ما لا يراه التفسير الصوتي الحديث الذى يذهب إلى سقوط الواو أو الياء في الأجوف المعتل العين لثقل اجتماعها مع ضمة (Wu) فتبقى الضمة وحدها (u) ،فتختل الزنة وإيقاعها ،فيعوض موقع الواو أو الياء المحذوفة بطول الحركة (uu) (ii) . فالذى حدث ليس بنقل للحركة ، بل إسقاط للواو والياء . وتطويل الحركة بعدهما . ويرجع هذا السقوط والتعويض إلى ناحيتين :

١ - صوتية : كراهية تتابع أصوات اللين في صورة حركة ثنائية فيتخلص من هذا الثقل - بتوحيد الحركة لتصبح حركة طويلة.

٢ - مقطعية : إن المقطع العربي يرفض الحركات الثنائية ولذلك فإسقاط الواو أو الياء سبب في إلحاق الحركة الطويلة المختلفة عنه باعتبارها حركة فاء ،وجزء من المقطع الطويل المقفل(١).

ومع اختلاف التفسير بين القدماء والمحدثين تظل (الواو) عند الجميع حركة طويلة (صوت مد) سواء أسقطت أم بقيت فهي في النهاية حركة طويلة. ولعل سر الخلاف قائم على طبيعة الخط العربي الذى لا يفرق بين صوت المد الطويل وصوت العلة فهما متساويان من حيث الرسم مختلفان من حيث الأداء فالفرق بين (الواو) قبل نقل الحركة وبعد نقلها فرق في كمية الصوت. أما الشكل فواحد ،بل هو فرق في النوعية والجوهرية والفونيمية والوظيفية فالواو في (يَقْوُل) فونيم مستقل وهو ما يسميه القدماء بالواو المتحركة ويسميه المحدثون (Sime Vowels) وفي (يقُول) هي فونيم آخر مستقل هو ما يسميه القدماء (واو المد) ،ويسميه المحدثون (Long Vowels) .

أما الدراسات الحديثة فقد خصت الحركة الطويلة بحركتين قصيرتين في الرسم . فالضمة الطويلة يرمز لها بـ (uu) والكسرة الطويلة يرمز لها بـ (ii) أو (î) و (û) اشارة الى الطول .

ولكننا نقول حسب القدماء سبقا ،وفضلا في تمهيد الطريق للمحدثين .

---

(١) المنهج الصوتي :٩٨-١٩٩ .

أثر ضم (عين) يفعُل على همزة الوصل :

يترتب على ضم (عين) يفعُل ضم همزة الوصل عند بناء الأمر من الثلاثي المجرد كنوع من تماثل صوائت الصيغة ،وعلى هذا النحو من التماثل ورد الفعل القرآني في مواضع مختلفة نذكر منها :

(ف) ـ الفعل : (اكفر) من قوله تعالى :

﴿... إِذْ قَالَ لِلْإِنسَـٰنِ ٱكْفُرْ...﴾ الحشر / ١٦.

(ت) ـ الفعل : (اقتلوا) من قوله تعالى :

﴿ اقْتُلُواْ يُوسُفَ ...﴾ يوسف / ٩.

(ج) ـ الفعل : (اسجدوا) من قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ...﴾ البقرة / ٣٤.

(ش) ـ الفعل : (انشزوا) من قوله تعالى :

﴿... وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ...﴾ المجادلة / ١١.

قرأ نافع وعاصم وابن عامر : (انشُزو) .. الابتداء بضم الألف لأجل ضم الشين .(٣)

---

(١) رصف المباني : ١٣٠ للمالقي ،تحقيق د/ الخراط ،دار القلم دمشق ،ط ٢ : ٢ سنة ١٩٨٥.

(٢) حاشية الصبان على الأشموني : ٤/ ٣٠٩.

(٣) الكشف : ٢/ ٣١٥.

(خ) - الفعل : (ادخلوا) من قوله تعالى :

﴿... ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ...﴾ النمل / ١٨.

(ك) - الفعل : (اركض) من قوله تعالى :

﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ...﴾ ص / ٤٢.

في هذه الطائفة من الأفعال ضمت همزة الابتداء لتجانس ضمة العين في (يفعُل) من قبيل التأثر التقدمي ، وبذلك يعمل اللسان عملا واحدا فذلك أيسر للناطق .

وقد تناول سيبويه في كتابه هذه المسألة يقول : " اعلم أن الألف الموصولة ... في الابتداء مكسورة أبدا ، إلا أن يكون الحرف الثالث مضموما فتضمها ، وذلك قولك : (اقتل) ، (اسْتُضعِفَ) ... وذلك أنك قربت الألف من المضموم إذ لم يكن بينهما إلّا ساكن فكرهوا كسرة بعدها ضمة ، وأرادوا أن يكون العمل من وجه واحد.(١)

أي أن : كسرة همزة الابتداء تحولت إلى ضمة للتخفيف ، فتوالي الكسر ثم الضم يترتب عليه ثقل في النطق ، لأن الضمة شديدة بعد الكسرة فأتبعوا الألف أقرب الحركات إليها ".(٢)

وقد كانت هذه (الحركة) مثار جدل بين البصريين والكوفيين فقد ذهب الكوفيون إلى أن الأصل في حركة همزة الوصل أن تتبع حركة عين الفعل ، فتكسر في : (اضرِب) إتباعا لكسرة

---

(١) الكتاب : ٤/١٤٦ ، وينظر شرح المفصل : ٩/١٣٧ وشرح الأشموني ٣/٨١٣ ، والألفات : ٢٤ لابن خالويه ، تحقيق الدكتور علي حسين البواب ، مكتبة المعارف ج الرياض سنة ١٩٨٢.

(٢) ديوان الأدب : ٢/٢٢٣.

العين ، وتضم في (ادخل) إتباعا لضمة العين ، وذهب بعضهم إلى أن الأصل في همزة الوصل أن تكون ساكنة ،وإنماتحرك لالتقاء الساكنين . وذهب البصريون إلى أن الأصل في همزة الوصل أن تكون متحركة مكسورة ،وإنما تضم في (ادخُل) ونحوه لئلا يخرج من كسر إلى ضم ، لأن ذلك مستثقل ،ولهذا ليس في كلامهم شيء على وزن فِعُل بكسر وضم العين ."(١)

وخلاصة هذا الجدل تتلخص في ناحيتين :

الأولى : إن مذهب الكوفيين قائم على الإتباع المطلق بين حركة همزة الوصل وحركة عين (الصيغة) مهما اختلفت كسرا أو ضما أو فتحا .

الثانية : إن مذهب البصريين قائم على حصر الإتباع فقط في الصيغة المضمومة العين . أما الصيغ الأخرى فترد على الأصل وهو التحريك بالكسر .

وقد كانت حجة البصريين قوية في الرد على الكوفيين إذ لو كانت الحركة إتباعا لقيل في ذَهَبَ : أَذْهَب إتباعا لفتحة العين ولم يجز ذلك وإنما قيل إِذْهَب.

وقد قيد اللغويون ضمة العين في (يفعُل) بضمة لازمة(٢) لا عارضة حتى يتحقق إتباع حركة الابتداء لها.

---

(١) الإنصاف : المسألة السابعة بعد المائة.

(٢) التكملة لأبي علي الفارسي : ١٧ مطبوعات جامعة الرياض وينظر شرح الكافية الشافية ٤/ ٢٧٦.

المبحث الثالث

أفعال مشتركة بين صيغتي يفعِل ويفعُل

كثير ما ترد من (فَعَل) بعض الأفعال المشتركة بين صيغتي المغايرة : (يَفْعِل) و (يَفْعُل) ، ومرجع ذلك إلى مدى القرب الصوتية بين الكسر والضم ، فكلاهما من أصوات اللين الضيقة ، مما يسهل وقوع إحداهما مكان الأخرى في عين المضارع ، ولذلك تجد كثيرا من الأفعال ترد في لهجات القبائل مرة بالكسر ومرة بالضم .

ومن تتبعنا للقراءات القرآنية وجدنا مجموعة كبيرة من الأفعال تترد د بين الصيغتين (يفعِل) و(يفعُل) .

المجموعة الأولى : أفعال صحيحة :

الطائفة الأولى : أفعال غير حلقية :

- قراءات متواترة :

(م) - الفعل : (يطمثهن) من قوله تعالى :

﴿ ... لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ الرحمن / ٥٦ ، ٧٤ .

، وقرأ الكسائي وحده : (يَطْمُثْهُنَّ) بضم الميم في الحرف الأول في (٥٦) وبكسرها في الحرف الثاني (٧٤) ... وقرأ الباقون : (يَطْمِثْهُنَّ) بكسر الميم فيهما .[1]

وهما لهجتان[2] : (طمَث) (يطمُث) و (يطمِث)[3]

إلّا أن الكسر (يفعِل) أشيع وأكثر لقراءة الجماعة به . ولعل من قرأ بالضم مال إلى تماثل الصوائت ، لكون الهاء مضمومة .

وقيل في دلالته : " طمث : الطاء والميم والثاء أصل صحيح يدل على مسّ الشيء ، قال الشيباني : الطمث في كلام العرب المسّ وذلك في كل شيء "[4] .

وعليه فالقراءتان متفقتان في الدلالة مختلفتان في البنية .

---

(١) السبعة : ٦٢١ وينظر غيث النفع : ٣٦٢ والنشر : ٢/ ٣٨١ - ٣٨٢ ، والاتحاف : ٤٠٦ - ٤٠٧ .

(٢) الحجة لابن خالويه : ٣٤٠ والحجة لأبي زرعة : ٦٩٤ .

(٣) اللسان : (ط م ث) ٢/ ١٦٦ وينظر المخصص : ١٥/ ٦٧ .

(٤) مقاييس اللغة : ٣/ ٤٢٢ .

- الفعل : (يلمزك) من قوله تعالى :

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَٰتِ ... ﴾ التوبة /٥٨.

كلهم قرأ : (يَلمِزك) بكسر الميم ... وابن كثير وأهل مكة : (يلمُزك) بضم الميم .[1] وبالضم قرأ الأعرج .[2]

" ولَمَز من باب (ضَرَب) عابه ... ومن باب (قتَل)لغة وأصله الإشارة بالعين ونحوها".[3] " وقيل : هو الاغتياب ، لمـزه (يلمِزه) و (يلمُزه) ".[4]

وعزى الفعل بالكسر (يلمِز) إلى قريش[5] . فالقـــراءة على (يفعِل) لهجة قريش . والقراءتان متفقتان في الدلالـــة مختلفتان في البنية .

(ت) - الفعل : (يقتروا) من قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ... ﴾ الفرقان/٦٧.

قرأ ابن كثير و أبو عمرو : (يَقتِروا) بفتح الياء وكسر التاء .

والباقون : (يَقتُروا) بفتح الياء وضم التاء .[6] ولعل من قرأ بالضم مال إلى تناسب الصوائت ،فضم (التاء) لتناسب ضمة (الراء).

---

(١) السبعة : ٣١٥ وينظر الحجة لابن خالويه : ١٧٦ والنشر : ٢٧٩/٢ والإتحاف : ٢٤٣ ،٢٢٩.

(٢) إعراب القرآن للنحاس : ٢/ ٢٦ ،وينظر معاني القرآن للأخفش : ٣٣٣/٢.

(٣) المصباح المنير : ٥٥٨/٢ وينظر المخصص : ٦٨/١٥.

(٤) اللسان : (ل م ز) ٤٠٦/٥ وينظر مقاييس اللغة : ٢٠٩/٥.

(٥) الكامل في القراءات الخمسين : ورقة : ١٩٨.

(٦) العنوان في القراءات السبع : ١٤١. وينظر : التبصرة : ٢٧٦ ، وغيث النفع : ٣٠٦ ،والنشر : ٣٣٤/٢ ،والإتحاف : ٣٣٠ ،والبحر المحيط : ٥١٤/٦ .

والكسر والضم لهجتان في الثلاثي ،يقال : (قَتَر) (يَقْتِر) و (يَقْتُر) ،كعكف (يَعكِف) و (يَعكُف) (١) ، باتفاق الدلالـــة، تحدث عنها ابن فارس فقال : " (قتر) القاف والتاء والراء أصـــل صحيح يدل على تجميع وتضييق (٢) .

وقد نسب (الكسر)إلى أهل الحجاز ، والضم أقل اللهجات. (٣)

وعليهما تكون القراءتـان باختلاف البنية واتفاق الدلالة .

(ت) - الفعل (فاعتلوه) من قوله تعالى :

﴿ خُذُوهُ فَاعتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلجَحِيمِ ﴾ الدخان / ٤٧ .

، قرأ الحرميان (٤) وابن عامر : (فاعتُلوا) بضم التاء ،وقرأ الباقون بالكسر . (٥)

وهما لهجتان : " (عتَل) (يعتُل) و (يعتِل)" .. ومعناه : قودوه بعنف". (٦) ويصفهما صاحب اللسان بأنهما لغتـــان فصيحتان (٧) متفقتان في الدلالة مختلفتان في البنية إلّا أن القياس الكسر (٨) . والضم لتماثل الصوائت في (فاعتُلوه) .

---

(١) الكشف :٢/١٤٧ ،واللسان(ق ت ر) ٥/ ٧٠ وينظر القاموس المحيط: ٢/ ١١٣ .

(٢) مقاييس اللغة ٥/ ٥٥ .

(٣) المزهر : ١/ ٢١٥ .

(٤) الحرميان : هما نافع وابن كثير :

(٥) التبصرة : ٣٢٦ وينظر : السبعة : ٥٩٢ وغيث النفع : ٣٥٠ ، للصفاقسي : والنشر : ٢/ ٣٧١ والإتحاف : ٣٨٩ .

(٦) الكشف : ٢/ ٢٦٤ وينظر البحر المحيط : ٨/ ٤٠ والحجـــة لابن خالويه : ٣٢٤ .

(٧) اللسان : (ع ت ل) ١١/ ٤٢٣ .

(٨) إعراب القرآن للنحاس : ٣/ ١١٧ .

(ط) ـ الفعل : (يبطشون) من قوله تعالى :

﴿ ... أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا ... ﴾ الأعراف / ١٩٥.

* قرأ أبو جعفر :ـ(يَبْطُشون)ـ بضم (الطاء) في الثلاثة،[1]

وقرأ الباقون:ـ(يَبْطِشون)ـ بكسرها ..[2]

وبطش : من باب (ضرب) .. وفي لغة من باب (قتل)[3] ،

و (بَطَش) (يبطُش) و (يبطِش) بَطْشا . والبطش : الأخذ القوى

الشديد .[4]

وعزا السيوطي الفعل على (يَفعِل)بالكسر إلى أهل الحجاز

وعلى (يفعُل) بالضم لتميم.[5]

فهاتان القراءتان مما جاء به القرآن على لهجتي الحجاز وتميم،

باختلاف البنية واتفاق الدلالة .

(ر) ـ الفعل : (يعرشون) من قوله تعالى :

﴿ ... وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ النحل / ٦٨ .

* قرأ ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر : (يَعْرُشُون) بضم الراء.

---

(١) في القصص : ١٩ والدخان : ١٦ والأعراف : ١٩٥.

(٢) النشر : ٢/ ٢٧٤ وينظر الإتحاف : ٢٣٤ وتفسير القرطبي : ٧/ ٣٤٣ .

(٣) المصباح المنير : ١/ ٥١ وينظر إعراب القرآن للنحاس : ١/ ٦٥٨.

(٤) اللسان : (ب ط ش) ٦/ ٢٦٧ وينظر مقاييس اللغة : ١/ ٢٦٢.

(٥) المزهر : ٢/ ٢٧٥.

وقرأ الباقون : (يَعْرِشون) بكسر الراء . وروى حفص عن عاصم (يَعْرِشُون) بكسر الراء[1] .

" وهما لغتان مشهورتان : " عرش (يعرُش) و (يعرِش) بمعنى : بنى[2] بدلالة واحدة يقال : " عرش الرجل (يَعرِش) و (يَعرُش) : اتخذ عرشا وهي الخيمة ".[3] وأصل الفعل يدل على ارتفاع في شيء مبني ثم يستعار في غير ذلك ... ومن الباب : تعريش الكرم لأنه رفعه والتوثق منه ".[4]

وقد عزا صاحب البحر (يَفعِل) بالكسر إلى أهل الحجاز[5] وعزا (يفعُل) بالضم لتميم[6] فالقراءتان باختلاف البنية واتفاق الدلالة .

والضم في (يبطُشون) و (يعرُشون) مماثل للضم (الشين) فيهما .

(ز) - الفعل : (يعزب) من قوله تعالى :

﴿ ... وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ... ﴾ يونس / ٦١ ، وسبأ / ٣ .

قرأ الكسائي : (يَعزِب) بكسر الزاي . وقرأ الباقون : (يَعزُب) بضم الزاي حيث وقع .[7]

---

(١) السبعة : ٣٧٤ . وينظر غيث النفع : ٢٧١ ، والنشر : ٢/ ٢٧١ والإتحاف : ٢٧٩ .

(٢) الكشف : ١/ ٤٧٥ وينظر : الحجة لأبي زرعة : ٣٩٢ .

(٣) المخصص : ١٥/ ٦٥ وينظر : اللسان : (ع رش) ٦/ ٣١٤ ، والأفعال للسرقسطي : ١/ ٢٩٤ .

(٤) مقاييس اللغة : ٤/ ٢٦٤ - ٢٦٥ .

(٥) البحر المحيط : ٥/ ٥١٢ .

(٦) تفسير القرطبي : ٧/ ٢٧٢ .

(٧) السبعة : ٣٢٨ وينظر غيث النفع : ٢٤٧ ، والإتحاف : ٢٥٢ ، والنشر : ٢/ ٢٨٥ .

وهما لهجتان : " عَزَب (يَعْزُب) (ويَعزِب)[1] من بابي (قتَل) و (ضرَب). "[2] إلّا أن الاختيار لهجة (يفعُل) بالضم لموافقته للأكثر .[3] وهو مناسب لضم (الباء) .

أما دلالة الفعل : (يعزب) يعني (يغيب) فبلغة كنانة[4] وجاء استعماله على الأصل فيه .[5]

والقراءتان مختلفتان في البنية متفقتان في الدلالة .

(ش) - الفعل : (انشزوا فانشزوا) من قوله تعالى :

﴿... وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا ...﴾ المجادلة / ١١ .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي : (وإذا قيل انشِزوا فانشِزوا) بكسر الشين فيهما . وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم والأعشى عن أبي بكر وهارون بن حاتم عن أبي بكر عن عاصم : " وإذا قيل (انشُزُوا فَانشُزُوا) برفع الشين فيهما ."[6]

" وهما لغتان يقال : نَشَز (يَنشُز) و (يَنشِز) ، ومعنى " انشزوا " قوموا ، وقيل : معناه " انضوا " وقيل ارتفعوا والنشز :

---

(١) اللسان : (ع ز ب) ١/٥٩٦ .

(٢) المصباح المنير : ١/٤٠٧ .

(٣) الكامل في القراءات الخمسين : ورقة : ٢٠١ .

(٤) اللغات في القرآن : ٢٨ .

(٥) مقاييس اللغة : ٤/٣١٠ .

(٦) السبعة : ٦٢٩ وينظر غيث النفع : ٣٦٦ والحجة لابن خالويه : ٣٤٤ والتبصرة : ٣٤٧ والنشر : ٢/٣٨٥ ، والإتحاف : ٤١٢ .

المرتفع من الأرض، ومنه نشوز المرأة عن زوجها"[١] . وقد جاء استعمال الفعل هنا على الأصل، وهو الارتفاع.

ويعزو صاحب اللسان الفعل على (يفعُل) إلى أهل الحجاز،[٣] وهو ما جاء به القرآن بلهجة الحجاز.

والقراءتان باختلاف البنية واتفاق الدلالة.

(ك) - الفعل : (يعكفون) من قوله تعالى :

﴿ ... فَأَتَوا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ... ﴾

الأعراف / ١٣٨.

" قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وأبو عمرو : (يَعْكُفُونَ) بضم الكاف. وروى عبد الوارث عن أبي عمرو : (يَعْكِفُونَ) بكسر الكاف. وقرأ حمزة والكسائي : (يَعْكِفون) بالكسر"[٤].

" وهما لغتان مشهورتان يقال : عَكَفَ (يعكِف) و (يعكُف) بمعنى أقام"[٥] " من بابي (قعد) و (ضرب) لازمه وواظبه"[٦]. والكسر لهجة بني أسد.[٧]

فالقراءتان باختلاف البنية واتفاق الدلالة.

---

(١) الكشف : ٣١٥/٢ والحجة لأبي زرعة : ٧٠٥ واللسان : (ن ش ز) ٤١٧/٥ وإصلاح المنطق : ٩٥.

(٢) مقاييس اللغة : ٤٣٠/٥.

(٣) اللسان : (ن ش ز) ٢٨٥/٧.

(٤) السبعة : ٢٩٢ وينظر الحجة لابن خالويه : ١٦٢ والنشر: ٢/ ٢٧١ والإتحاف : ٢٢٩.

(٥) الكشف : ٤٧٥/١ وينظر : الحجة لأبي زرعة : ٢٩٤. والكامل في القراءات الخمسين : ورقة : ١٨٦.

(٦) المصباح المنير : ٤٢٤/٢. واللسان : (ع ك ف) ٢٥٥/٩ ، والمخصص : ٦٥/١٥ ومقاييس اللغة : ١٠٨/٤.

(٧) الإتحاف : ٢٢٩.

ـ قراءات متواترة على (يَفعُل) وشاذة على (يَفعِل) :

(ض) ـ الفعل : (تعضلوهن) من قوله تعالى :

﴿ ... فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ... ﴾ البقرة / ٢٣٢.

رسم المصحف : (تَعضُلوهن) بضم (الضاد).

وقرأ نعيم بن ميسرة : (تَعضِلوهن)[1] بكسر (الضاد).

وقد أوردت المعاجم الوجهين : " وعضَل الرجل أيِّمه (يَعضُلها) و (يَعضِلها) عَضْلا ،وعضلها منعها الزواج ظلما ".[2]

ودلالة الفعل بلهجة أزد شنوءة فلا تعضلوهن : فلا تحبسوا.[3] والفعل على (يفعُل) بالضم هو الاختيار لنزول القرآن به.

والقراءتان باتفاق الدلالة واختلاف البنية.

(ر) ـ الفعل : (تدرسون) من قوله تعالى :

﴿ ... بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ آل عمران / ٧٩.

رسم المصحف : (تَدرُسون)بضم (الراء).

---

(١) شواذ القراءات : ١٤.

(٢) اللسان : (ع ض ل) ١١/ ٤٥١ وينظر الصحاح : ٣/ ١٧٦٧ وأدب الكاتب : ٣٦٨ والقاموس المحيط : ٣/ ٢٢٥ ،والمخصص ١٥/ ٦٥ ومقاييس اللغة : ٤/ ٣٤٥. والاقتضاء في الفرق بين الذال والضاد والظاء للداني : ٣٦.

(٣) اللغات في القرآن لابن حسنون : ١٩.

" وقرأ أبو حيوة : (تَدرِسون) بكسر الراء"[1] " ويَدرُس لغة في يَدرِس ".[2] وتحدث ابن فارس عن دلالة الفعل (دَرَس) فقال : الدال والراء والسين أصل واحد يدل على خفاء وخفض وعفاء فالدرس الطريق الخفي ... ومن الباب درست القرآن وغيره . وذلك أن الدارس يتتبع ما كان قرأ ،كالسالك للطريق يتتبعه ."[3] وذلك على سبيل التطور الدلالي[4].

وعليه فالقراءتان باختلاف البنية واتفاق الدلالة .

ـ الفعل : (يعرجون) من قوله تعالى :

﴿ ... فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴾ الحجر / ١٤ .

رسم المصحف : (يَعرُجون) بضم (الراء) .

" قرأ ابن أبي الزناد والأعمش وعيسى :(يَعْرِجون) بكسر الراء"[5]

ونسب أبوحيان الكسر إلى هذيل قائلا : " وهي لغة هذيل في العروج بمعنى الصعود ".[6]

" وعرج في الشيء وعليه (يَعرِج) بالكسر (يَعرُج) بالضم ".[7]

---

(١) البحر المحيط : ٢/ ٥٠٦ وينظر تفسير القرطبي ٤/ ١٢٣ ، والكامل في القراءات الخمسين : ورقة : ١٧٥ .
(٢) الشوارد في اللغة للصغاني : ١٤٦ ، تحقيق عدنان الدوري ، (مطبعة المجمع العلمي العراقي سنة ٩٨٣ م) وينظر : القاموس المحيط ١/ ٢١٥ والمخصص : ١٥/ ٦٧ .
(٣) مقاييس اللغة :٢/ ٢٦٨ .
(٤) ينظر أساس البلاغة : ١٢٩ .
(٥) شواذ القراءات : ٧٠ .
(٦) البحر المحيط : ٥/ ٤٤٨ وينظر إعراب القرآن للنحاس : ٢/ ٢٧٢ وأدب الكاتب : ٣٦ .
(٧) تاج العروس : ٢/ ٧٢ وينظر الصحاح : ١/ ٣٢٨ والقاموس المحيط : ١/ ٢٨٨ والمخصص : ١٥/ ٦٥ .

وقد جاءت دلالة الفعل على أحد ثلاثة أصول وردت في معناه منها العروج : بمعنى الارتقاء.(١)

فالقراءتان باتفاق الدلالة واختلاف البنية.

- الفعل : (فافرق) من قوله تعالى :

﴿... فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ المائدة / ٢٥.

رسم المصحف : (فافْرُق) بضم (الراء) ،وقرأ عبيد بن عمير بكسر الراء .(٢)

وقد ورد الفعل في الاستعمال بالصيغتين (يَفعُل) و (يَفعِل)(٣) على أن الكسر في (يَفرِق) لهجة في (يَفرُق).(٤)

أما دلالة الفعل فقد قيل فيها " (فافرُق بيننا) ... بمعنى فاقض بيننا بلغة مَدْيَن ".(٥)

فالقراءتان باتفاق الدلالة واختلاف البنية .

(س) - الفعل : (تحسدوننا) من قوله تعالى :

﴿... بَلْ تَحْسُدُونَنَا ...﴾ الفتح / ١٥.

رسم المصحف : (تَحسُدوننا) بضم (السين).

وقرأ أبو حيوة وابن عون : (تَحسِدوننا) بكسر (السين).(٦)

---

(١) مقاييس اللغة : ٤/ ٣٠٤.

(٢) شواذ القراءات : ٣٢-٣٣ وينظر إعراب القرآن للنحاس : ١/ ٤٩١.

(٣) اللسان : (فرق) ١٠/ ٣٠٠.

(٤) المصباح المنير : ٢/ ٤٧٠.

(٥) اللغات في القرآن : ٢٣.

(٦) شواذ القراءات : ١٤١ وينظر البحر المحيط : ٨/ ٩٤ والكشاف : ٣/ ٤٤٥.

وقال الأخفش : " وبعضهم يقول : (يحسِده) بالكسر ".(١)

فالفعل قرئ على (يَفعُل) وعلى (يَفعِل) . باختلاف البنية واتفاق الدلالة .والحسد : تمني زوال نعمة من مستحق لها .(٢)

- الفعل : (يفسقون) من قوله تعالى :

﴿ ... بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ البقرة / ٥٩ .

. قرأ يحيى بن وثاب : (يَفسِقون)بكسر السين(٣) وعن الهذلي : (يَفسِقون) بكسر السين حيث وقع الأعمش ،والباقون بضمها . وهو الاختيار ،لأنه أشهر اللغتين ".(٤)

" فالكسر لغة "(٤) يقال : " فَسَق (يَفسِق) و (يَفسُق) فِسْقًا و فسوقا ".(٥) وقد نسب الكسر إلى الأخفش(٦) . وعزى الكرماني الكسر (يَفعِل) إلى بني أسد .(٧)

فالقراءتان باختلاف البنية واتفاق الدلالة . والفسق من قولهم ،فسق الرطب إذا خرج عن قشره . وفسق فلان خرج عن حجر الشرع ،وهو أعم من الكفر .(٨)

---

(١) الصحاح : ٤٦٥/٢ وينظر اللسان : (ح س د) ١٤٨/٣ .
(٢) المفردات : ١١٩ .
(٣) شواذ القراءات : ٥ وينظر البحر المحيط : ٢٢٥/١ وإعراب القرآن للنحاس : ١٧٩/١ والإتحاف : ١٣٧ .
(٤) الكامل في القراءات الخمسين ورقة : ١٦٠ .
(٥) اللسان (ف س ق) ٣٠٨/١٠ .
(٦) الصحاح : ١٥٤٣/٤ وينظر القاموس المحيط : ٢٧٦/٣ ، وشرح الشافية : ١١٨/١ .
(٧) شواذ القراءة للكرماني : ورقة : ٢٥ .
(٨) المفردات ٥٧٢ .

(ش) ـ الفعل : (تحشرهم) من قوله تعالى :

أ ـ ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ... ﴾ الأنعام/٢٢.

رسم المصحف : (نَحْشُرهم) بضم (الشين).

وقرأ أبو هريرة : (نَحْشِرهم) بكسر الشين .(١)

ب ـ ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ... ﴾ الفرقان/١٧.

رسم المصحف : (يحشُرهم) بضم الشين .

وقرأ الأعرج : (يَحشِرهم) بكسر الشين ،قال صاحب اللوامح : " في كل القرآن ،وهو القياس في الأفعال المتعدية الثلاثية، لأنّ (يَفعُل) بضم العين قد يكون من اللازم الذى هو (فعُل) بضمها في الماضي ".(٢)

وقال ابن عطية : هي قليلة في الاستعمال قوية في القياس ، لأنّ " يَفعِل " بكسر العين في المتعدي أقيس من " يَفعُل " بضم العين ".(٣)

وبهذا الرأى صرح ابن جني (٤) وهو ترجيح وجه الكسر قياسا إلّا أن أبا حيان ينبرى للرد على أصحاب الرأى السابق قائلا : " وهذا ليس كما ذكر بل (فَعَل) المتعدى الصحيح جميع حروفه إذا لم يكن للمبالغة ولا حلقي عين ولا لام، فإنه جاء على (يَفعِل) و (يَفعُل) كثيرا ، فإن شهر أحد الاستعمالين اتبع ، وإلا فالخيار،

---

(١) البحر المحيط : ٤/ ٩٤.

(٢) (٣) السابق : ٦/ ٤٨٨ وينظر الكشاف : ٣/ ٨٤.

(٤) المحتسب : ٢/ ١١٩.

حتى أن بعض أصحابنا خير فيهما سمعا للكلمة أولم يسمعا.[(١)]

فأبو حيان يساوي بين صيغتي (يَفعُل) و (يَفعِل) في مضارع (حشر) من الحشر ، وهو يوم القيامة.

وقد أوردت المعاجم الوجهين دون مفاضلة بينهما : قيل : " حَشَرهم (يَحشُرهم) و (يَحشِرهم) حَشرا ".[(٢)] مما يؤكد جواز استعمال الفعل بالصيغتين .

فتكون القراءتان باتفاق الدلالة واختلاف البنية .

- الفعل : (يرشدون) من قوله تعالى :

﴿ ... وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ البقرة / ١٨٦ .

" قرأ الجمهور :-(يَرشُدون)-بفتح الياء وضم (الشين) ...
وروى عن أبي حيوة وإبراهيم بن أبي عبلة : (يَرشِدون) بفتح الياء وكسر الشين ".[(٣)]

و " رَشَد الانسان بالفتح ، (يَرشُد) رُشدا ، بالضم ، ورَشِد بالكسر (يَرْشَد) رشدا ورشادا ".[(٤)] ولم يرد الكسر في المضارع.

ووصف الزبيدي الفعل على (يَفعُل) بأنه الأشهر والأفصح[(٥)]
ودلالته : يهتدون .[(٦)]

فالقراءتان باتفاق الدلالة واختلاف البنية.

---

(١) البحر المحيط : ٦/٤٨٨.

(٢) اللسان : (ح ش ر) ٤/١٩٠ وينظر القاموس المحيط : ٢/٩ والمخصص : ١٥/٦٦.

(٣) البحر المحيط : ٢/٤٧ والكشاف : ١/١١٤ وإملاء ما من به الرحمن : ١/٨٣.

(٤) اللسان : (رش د) ٣/١٧٤.

(٥) تاج العروس : ٢/٣٥٢.

(٦) زاد المسير : ١/١٨٩.

(ك) ـ الفعل : (ينكثون) من قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾ الزخرف/ ٥٠.

رسم المصحف : (يَنكُثون) بضم (الكاف).

قرأ أبو حيوة : (يَنكِثون) بكسر الكاف.(١)

" ويَنكِث لغة في يَنكُث "(٢) من " النكث " : نقض ما تعقده و تصلحه من بيعة وغيرها. ونكثه ينكُثه نكثا ".(٣)

فالقراءتان باختلاف البنية واتفاق الدلالة.

■

ـ قراءات متواترة على (يَفعِل) وشاذة على (يَفعُل) :

(ب) ـ الفعل : (يسبتون) من قوله تعالى :

﴿ ... وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ... ﴾ الأعراف / ١٦٣.

قرأ الجمهور : (لا يَسبِتون) بكسر (الباء). وقرأ عيسى ابن عمر وعاصم (لا يَسبُتون) بضم الباء.(٤)

وجاء الفعل في الاستعمال بصيغتي الكسر والضم ، قيل : " سبتوا (يَسبِتون) و (يَسبُتون) ،واسبتوا : دخلوا في السبت ".(٥)

---

(١) شواذ القراءات : ١٣٥ وينظر البحر المحيط : ٤/ ٣٧٥ وشواذ القراءة ورقة : ٨٩.

(٢) الشوارد في اللغة : ١٥١ والقاموس المحيط : ١/ ١٧٦.

(٣) اللسان : (ن ك ث) ٣/ ١٩٦.

(٤) البحر المحيط : ٤/ ٤١١ ،وينظر شواذ القراءات : ٤٧ ، والكشاف ٢/ ١٠٠ وشواذ القراءة للكرماني ورقة : ٦٣.

(٥) اللسان : (س ب ت) ٢/ ٣٨ وينظر : القاموس المحيط : ١/ ١٤٩ والمصباح المنير : ١/ ٢٦٢.

و (يَعْنُت) لغة في (يَعْنِت) ".[1]

فالقراءتان باختلاف البنية واتفاق الدلالة .

- الفعل : (يسبقونه) من قوله تعالى :

﴿ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ ... ﴾ الأنبياء / ٢٧.

رسم المصحف : (لا يَسبِقونه) بكسر (الباء).

وقرأ بعضهم : (لا يَسبُقونه) بضم (الباء)[2]

وعن أبي حيان : " وقرئ : (لا يَسبِقونه) بكسر البـاء ،
وقرئ بضمهـا من سابقني (فسبقته) (أسبُقه) ".[3] " و (يسبُق)
لغة في (يسبِق) ".[4]

وقيل إن الاختيار (يفعُل) بالضم[5] وذلك على الأصل
في المغالبة ، لأن مضارع (فَعَل) إذا كان للمغالبة فإن مضارعه
أبدا على (يفعُل) بضم العين نحو (ضاربني فضربته أضرُبُه) ،
و (كابرني فكبرته أكبُرُه) ".[6]

---

(١) الشوارد في اللغة : ١٥١.

(٢) شواذ القراءات : ٩١.

(٣) البحر المحيط : ٦/ ٣٠٦ وينظر الكشاف : ٢/ ٥٦٩.

(٤) الشوارد في اللغة : ١٦٥ وينظر اللسان (س ب ق) : ١٠/ ١٥١ والقاموس المحيط : ٣/ ٢٤٣.

(٥) الكامل في القراءات الخمسين ، ورقة : ١٩٥.

(٦) الممتع في التصريف : ١/ ١٧٣ ، ومعنى المغالبة : أن تشارك غيرك في معنى فيظهر واحد منكما على الآخر ، ويستبد بالمعنى دونه فينسبه لنفسه بصيغة ثلاثي مفتوح العين .

إلّا أننا نجد الرضي ينبه على " أنه ليس باب المغالبة قياسا بحيث يجوزلك نقل كل لغة أردت إلى هذا الباب لهذا المعنى ، قال سيبويه : وليس في كل شيء يكون هذا ،ألا ترى أنك لا تقول نازعني فنزعته أنزعه ،استغنى عنه بغلبته ،وكذا غيره ، بل تقول : هذا الباب مسموع كثيرا ". (١)

واختصاص المغالبة بـ (يَفْعُل) يرجع لمناسبة قوة الضم أقوى الحركات لمعنى المغالبة. (٢)

- الفعل (يهبط) من قوله تعالى :

* .. وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ .. * البقرة / ٧٤.

رسم المصحف : (يَهبِط) بكسر (الباء).

وقرأ الأعمش : (يَهبُط) بضم الباء. (٣)

* .. اهْبِطُوا مِصْرًا .. * البقرة / ٦١.

رسم المصحف : (اهبِطوا) بكسر (الباء).

وقرأ أبو حيوة والحسن : (اهْبُطوا) بضم الباء. (٤)

فالفعل استعمل (بالكسر والضم) أي بصيغتي (يفعِل) و (يفعُل).

وقد رجح ابن جني وجه الضم وعلل له قائلا : " إن باب فَعَل المتعدى أن يجيء على (يَفعِل) مكسور العين ،كضَرب يضرِب وحَبَس يَحبِس ،وباب فَعَل غير المتعدى : أن يكون على (يَفعُل) مضموم

---

(١) شرح الشافية : ١/ ٧١ وينظر شرح الجاربردى : ١/ ٤١.

(٢) شرح المفصل : ٧/ ١٥٧.

(٣) شواذ القراءات : ٧ وينظر البحر المحيط : ١/ ٢٦٦ والإتحاف : ١٣٩ وشواذ القراءة للكرماني : ٢٣.

(٤) شواذ القراءات : ٦ وينظر : البحر المحيط : ١/ ٢٣٤.

العين ، كقعَد يَقعُد وخَرَج يَخرُج ، وأنهما قد يتداخلان فيجيء هذا في هذا ، (كقتَل يقتُل) ، و (جَلَس يَجلِس) ، إلّا أن الباب ومجرى القياس على ما قدمناه ، فهبط (يَهبُط) على هذا بضم العين أقوى قياسا من (يهبِط) فهو كسقط يَسقُط ، لأنّ هبط غير متعد في غالب الأمر كسقط ". (١)

" و (يَهبُط) لغة في (يَهبِط) ". (٢) إلّا أن أبا حيان عدّ لهجة الكسر أفصح . (٣) ويؤيّد رأي أبي حيان ما ذهب إليه بعضهم ، أن الضم في (يَهبُط) لهجة قليلة . (٤)

فالقراءتان على المستوى اللغوى متساويتان في القوة :

فهي بالكسر لهجة فصيحة : (يهبِط) (اهبِطوا) ،

وبالضم لهجة قليلة ، قوية في القياس : (يهبُط) (اهبُطوا) .

(م) - الفعل : (يلمزك) من قوله تعالى :

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَـٰتِ .. ﴾ التوبة / ٥٨ .

" قرأ الجمهور : (يَلمِزك) بكسر (الميم) ، وقرأ يعقوب وحماد بن سلمة عن ابن كثير والحسن وأبو رجاء وغيرهم (يلمُزك) بضمها ، وهي قراءة المكيين ورويت عن أبي عمرو ". (٥)

---

(١) المحتسب : ١/ ٩٢ وينظر مجلة البحث : ٦/ ٩٢ تحت عنوان (دراسة حول ثلاثة مصطلحات في دراسة اللهجات للدكتور أحمد علم الدين الجندى) .
(٢) الشوارد في اللغة : ١٣٦ وينظر الصحاح : ٣/ ١١٦٩ .
(٣) البحر المحيط : ١/ ١٣٤ .
(٤) المصباح المنير : ٢/ ٦٣٣ .
(٥) البحر المحيط : ٥/ ٥٦ وينظر شواذ القراءات : ٥٣ .

" ولَمَزه لمزا من باب (ضَرَبه) . عابه ... ومن باب (قَتَل) لغة " (١)

فالقراءتان باختلاف البنية واتفاق الدلالة .

- الفعل : (اطمس) من قوله تعالى :

﴿... رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَالِهِمْ ...﴾ يونس / ٨٨ .

رسم المصحف : (اطمِس) بكسر (الميم) .

وقرأ عمر بن علي بن الحسن والشعبي وجابر عن عاصم : (اطْمُسْ) بضم (الميم) . (٢)

وهي لهجة مشهورة (٣) . " طَمَس الطريق (يطْمُس ويطْمِس) وطمسته طمسا : يتعدى ولا يتعدى (٤) أي " درس وامّحى أثره " (٥)

فالقراءتان باختلاف البنية واتفاق الدلالة .

(ف) - الفعل : (ويسفك) من قوله تعالى :

﴿.. وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ ..﴾ البقرة / ٣٠ .

وقرأ الجمهور : (ويَسفِكُ) بكسر (الفاء) ورفع الكاف ، وقرأ أبو حيوة وابن أبي عبلة : - (يسفُك) - بضم الفاء . (٦)

---

(١) المصباح المنير ٢ / ٥٥٨ .

(٢) شواذ القراءات : ٥٨ .

(٣) البحر المحيط : ٥ / ١٨٧ .

(٤) الصحاح : ٣ / ٩٤٤ وينظر القاموس المحيط : ٢ / ٢٢٧ .

(٥) اللسان : (ط م س) ٦ / ١٢٦ وينظر مقاييس اللغة : ٣ / ٤٢٤ .

(٦) البحر المحيط : ١ / ١٤٢ وينظر شواذ القراءات : ١ / ١٤٢ .

و "سَفَكت الدم والدمع سفكا من باب (ضَرَب) ، وفي لغة من باب (قَتَل) : أرقته ".(١) و (يَسفِك) الدم : لغة في (يَسفُكه) ".(٢) فالضم والكسر لهجتان .

والقراءتان باتفاق الدلالة واختلاف البنية .

(ف) - الفعل : (فانفروا) من قوله تعالى :

* .. فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا * النساء / ٧١.

" قرأ الجمهور: (فانفِروا) بكسر (الفاء) فيهما. وقرأ الأعمش بضمها فيهما ".(٣)

جاء في اللسان : " النَّفر : التفرق ، نَفَرت الدابة (تَنفِر) و (تَنفُر) نِفارا ونفورا ".(٤)

ودلالة الفعل : (فانفروا) " بمعنى تغزو بلغة كنانة ".(٥)

وأصل الفعل يدل على تجافٍ وتباعد.(٦)

فالقراءتان باتفاق الدلالة واختلاف البنية .

---

(١) المصباح المنير : ٢٧٩/٢ وينظر القاموس المحيط : ٣٠٦/٣.

(٢) الشوارد في اللغة : ١٣٤.

(٣) البحر المحيط : ٢٩٠/٣ وينظر شواذ القراءات : ٢٧ وشواذ القراءة للكرماني ورقة : ٢٩.

(٤) اللسان (ن ف ر) : ٢٢٤/٥ وينظر المخصص : ٦٥/١٥.

(٥) اللغات في القرآن : ٢٧.

(٦) مقاييس اللغة : ٤٥٩/٥.

(د) الفعل : (يصدفون) من قوله تعالى :

﴿ .. سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ .. ﴾

الأنعام / ١٥٧.

رسم المصحف : (يَصْدِفون) بكسر (الدال).

"وقرأت فرقة : (يَصْدُفون) بضم الدال"[1].

"وصَدَف عنه (يَصْدِف) أعرض وفلان صَدَفه كأصدفه وفلان (يَصْدُفُ) و (يَصْدِفُ) صَدْفا وصُدوفا : انصرف ومال"[2].

وقيل : (يصدفون) دلالتها (يعرضون) بلهجة قريش[3].

والفعل في الأصل : يدل على الميل[4].

فالقراءتان باتفاق الدلالة واختلاف البنية.

- الفعل : (يقدر) من قوله تعالى :

﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ... ﴾ الرعد / ٢٦.

رسم المصحف : (يَقْدِر) بكسر (الدال).

"وقرأ زيد بن علي : (ويَقْدُر) بضم الدال حيث وقع"[5].

وقد أوردت المعاجم الفعل بصيغتيه قيل : "وقَدَر الله تعالى ذلك عليه (يَقْدُرُه) و (يَقْدِرُه) قَدْرا وقَدَرا"[6] وقيل : يقدر : يضيّق في النفقة وغيرها[7].

فالقراءتان باتفاق الدلالة واختلاف البنية.

---

(١) البحر المحيط : ٢٥٨/٤.

(٢) القاموس المحيط : ١٦١/٣.

(٣) اللغات في القرآن : ٢٤.

(٤) مقاييس اللغة : ٣٣٨/٣.

(٥) البحر المحيط : ٣٨٨/٥.

(٦) القاموس المحيط : ١١٤/٢ وينظر المخصص : ٦٧/١٥.

(٧) اكمال الإعلام ٢ / ٨٤.

(ن) - الفعل : (يقنط) من قوله تعالى :

﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ الحجر/ ٥٦ ،
والروم / ٣٦ ،والزمر / ٥٣ .

" قرأ أبو عمرو والكسائي : (يقنِط) ،و (لا تقنِطوا) بكسر (النون) هنا وفي الروم والزمر "[١] . وقرأ يحيى بن يعمر والأشهب العقيلي وأبو عمرو وعيسى : (يقنُط) بضم (النون) "[٢] .

فالفعل (يقنط) قرئ بالصيغتين : (يَفعِل) و (يَفعُل) وكلاهما من (فَعَل) بالفتح قبل في الأولى : " والحجة لمن كسر النون : أن بنية الماضي عنده بفتحها كقولك : (ضَرَب يَضرِب) وهـذا قياس مطرد في الأفعال "[٣] ولذا أجمعوا على الفتح في الماضي[٤].

وقد وصفت القراءة على (يَفعِل) بالكسر ، بأنها أصح في العربية[٥] وأجود[٦] وأفصح[٧] وأصحاب هذه اللهجة هم أهل الحجاز وأسد .[٨]

أما القراءة على (يَفعُل) فهي لهجة ذكرها ابن جني.[٩]

---

(١) التبصرة : ٢٣٨ وينظر : العنوان : ١١٦ والسبعة :٣٦٧ والتيسير : ١٣٦ والنشر : ٢/ ٣٠٢ .
(٢) شواذ القراءات : ٧١ وينظر : البحر المحيط : ٥/ ٤٥٥ .
(٣) الحجة لابن خالويه : ٢٠٧ .
(٤) السبعة : ٣٦٧ .
(٥) إعراب القرآن للنحاس : ٢/ ١٩٨ .
(٦) املاء ما من به الرحمن : ٢/ ٧٦ .
(٧) إبراز المعاني : ٥٥٦ .
(٨) الإتحاف : ٢٧٥ .
(٩) المحتسب : ٢/ ٥ .

ومجيء القراءة باللهجتين ، نص عليه صاحب اللسان [١] وأيدها الفيروزآبادى فقد ذكر أن (قنط) : كنصر وضرب وحسب وكرم ، [٢] من القنوط : اليأس من الخير .

وذهب بعضهم الى أن الضم يعني القراءة على (يَفْعُل) - وهو الاختيار لأنّ حركة الضم أقوى [٣] إلّا أن الكسر أقرب من الناحية الصوتية لصامت (النون) عين الصيغة من الضم ويمكن القول بأن الكسر يرقق الصيغة ولذلك مالت إليه الحجاز ومن تأثر بها . وأن الضم يفخم الصيغة ولذا ترجح أن القراءة بالضم على لهجة البدو .

فالقراءتان على لهجتي الكسر والضم باختلاف البنية واتفاق الدلالة .

(ن) - الفعل : (تكنزون) من قوله تعالى :

﴿ .. فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ التوبة / ٣٥ .

رسم المصحف : (تَكْنِزون) بكسر (النون) .

وقرأ يحيى بن يعمر وأبو السمال : (تَكْنُزون) بضم (النون) [٤] .

" والكنز : المال المدفون ، وقد كَنَزه (يكْنِزُه) " [٥] وقيل : الاختيار فيه (يَفعِل) لأنه أشهر . [٦]

فالقراءتان باختلاف البينة واتفاق الدلالة .

---

(١) اللسان (ق ن ط) : ٧/ ٣٨٦ ، وينظر الأفعال لابن القطاع : ٣/ ٤٢ وأدب الكاتب : ٣٦٩ .

(٢) القاموس المحيط : ٢/ ٣٨٢ .

(٣) الكامل في القراءات الخمسين للهذلي : ورقة ٢٠٩ .

(٤) شواذ القراءات : ٥٢ وينظر البحر المحيط : ٥/ ٣٧ .

(٥) القاموس المحيط : ٢/ ١٨٩ .

(٦) الكامل في القراءات الخمسين : ورقة : ١٩٨ .

(ر) - الفعل : (تخرق) من قوله تعالى :

﴿ ... إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ ... ﴾ الاسراء /٣٧.

رسم المصحف : (تَخْرِق) بكسر (الراء).

وقرأ الجراح قاضي البصرة : (تَخْرُق) بضم (الراء) .(١)

وقد أنكر أبوحاتم هذه اللهجة حيث قال :" لا تعرف هـذه اللغة "(٢) في حين أثبتها صاحب اللسان : " خَرَقَه (يخرِقه) خرقا.. يكون ذلك في الثوب وغيره."(٣) " وخرقت الأرض خرقا أى جبتهـا. وخرق الأرض (يخرقها) : قطعها حتى بلغ أقصا ها ."(٤)

ويشير النص إلى أن خرق الأرض) ليس على المعنى الأصلي للفعل ، وإنما على سبيل المجاز(٥) والتوسع في الاستعمال ، فدلالة الفعل تطورت من المجال الخاص إلى المجال العام.

" وخرق (يَخْرُق) لغة في (يَخْرِق)."(٦) ، إلّا أن الكسـر أعلى .(٧)

فالقراءة على (يَفعِل) و (يَفعُل) لهجتان متفقتان فـي الدلالة إلّا أن قراءة الجمهور على اللهجة الأعلى .

---

(١) شواذ القراءات : ٧٦ وينظر البحر المحيط : ٣٧/٦ والكشاف: ٤٤٩/٢.

(٢) البحر المحيط : ٣٧/٦.

(٣) اللسان (خ ر ق) ٧٣/١٠.

(٤) السابق ٧٥/١٠.

(٥) أساس البلاغة : ١٠٨.

(٦) الشوارد في اللغة : ١٦١.

(٧) العباب : مادة (خ ر ق) نقلا عن الشوارد في اللغة: ١٦١.

(س) - الفعل : (تأسرون) من قوله تعالى :

﴿.. وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ...﴾ الأحزاب / ٢٦.

رسم المصحف : (تَأسِرون) بكسر (السين).

وقرأ أبو حيوة : (تَأسُرون) بضم (السين).(١)

وقد ورد الفعل في اللسان ،بالضم والكسر : " أَسَرَ (يأسِرُه) أسرا .. شدّه ".(٢) أي باستعمال الصيغتين (يَفعُل) و (يَفعِل) وعليهما وردت القراءتان باتفاق الدلالة.

- الفعل : (ينسلون)من قوله تعالى :

﴿... وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ الأنبياء / ٩٦.

" قرأ الجمهور : (يَنسِلون) بكسر (السين) ،وابن أبي إسحاق وأبو السمال بضمها ".(٣)

وكذلك ﴿... إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ يس / ٥١.

وقرأ ابن أبي إسحاق وأبو عمرو بخلاف عنه: (يَنسُلون) بضم (السين).(٤)

وقد أوردت المعاجم الوجهين يقال : " نسل في العدو (يَنسِل) و (يَنسُل) نسلا ونسلانا أى أسرع ".(٥)

---

(١) شواذ القراءات : ١١٩ وينظر البحر المحيط : ٢٢٥/٧ وتفسير القرطبي : ١٦٢/١٤.

(٢) اللسان : (أ س ر) ١٩/٤ وينظر الصحاح :٥٧٨/٢.

(٣) شواذ القراءات ٩١ وينظر البحر المحيط : ٣٣٩/٦ والكشاف :٥٨٤/٢.

(٤) البحر المحيط :٣٤١/٧ ،وينظر شواذ القراءات :١٢٥.

(٥) اللسان :(ن س ل) ٦٦١/١١ ،القاموس المحيط :٥٧/٤ وشرح الشافية :١١٨/١.

إلا أن دلالة الفعل جاءت على المجاز والتوسع ،لأن أصل النسلان للذئب ثم استعمل في غير ذلك .[١] وجاء استعمال القرآن للفعل بدلالته المتطورة .

والقراءة بالكسر على (يَفعِل) أشهر .[٢]

والقراءتان باختلاف البنية واتفاق الدلالة .

(ك) - الفعل :(تنكصون) من قوله تعالى :

﴿ ... فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴾ المؤمنون / ٦٦.

رسم المصحف : (تَنكِصون) بكسر (الكاف).

"وقرأ علي بن أبي طالب : (تَنكُصون) بضم (الكاف)".[٣]

فالفعل يستعمل مضارعا بالصيغتين : (يَفعِل ويَفعُل) وبدلالة واحدة قيل : " نكص عن الأمر (يَنكِص) و (يَنكُص) نَكْصاً ونكوصا : أحجم ".[٤] وقال صاحب المصباح نكص من باب (قعد) ".[٥]

فالقراءتان باختلاف البنية واتفاق الدلالة . أي : ترجعون.[٦]

---

(١) تاج العروس : ١٣٥/٨ وينظر أساس البلاغة : ١٥٥.

(٢) الكامل في القراءات الخمسين ورقة : ٢٢٠.

(٣) البحر المحيط : ٤١٢/٦ وينظر تفسير القرطبي :١٣٦/١٢ وشواذ القراءات :٩١ .

(٤) اللسان : (ن ك ص) ١٠١/٧ وينظر الصحاح :١٠٦٠/٣ والتهذيب :١٠ /٤٣.

(٥) المصباح المنير : ٦٢٥/٢ .

(٦) العمدة في غريب القرآن ٢١٦.

- قراءات شاذة على (يَفعِل) و (يَفعُل) :

(ز) - الفعل : (تعزروه) من قوله تعالى :

﴿ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ .. ﴾ الفتح / ٩.

* قرأ الجحدري :- (وتَعزُروه) - بفتح التاء وضم (الزاى) خفيف، وهو أيضا وجعفر بن محمد كذلك، إلا أنهم كسروا (الزاى).(١)

فهي على (يَفعُل) بالضم من عزر (يَعزُر) غير أن المعاجم لم تورده بالضم. وعلى (يَفعِل) بالكسر من عَزَر يَعزِر) وهــو الأشيع حيث اقتصرت المعاجم عليه.(٢)

والعَزْرُ في اللغة : المنع ... وقيل : العَزر : النصر بالسيف. وعَزَره عزرا وعزره : أعانه وقواه ونصره.(٣)

فالقراءتان باتفاق الدلالة واختلاف البنية.

- الفعل : (ينزفون) من قوله تعالى :

﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾ الصافات / ٤٧.

* قرأ ابن أبي إسحاق :- (يَنزِفون) - بفتح الياء وكسر (الزاى) وطلحة :- (يَنزُفون) - بفتح الياء وضم (الزاء)(٤) من " نَزَف (يَنزُف) كقرب يقرب، إذا سكر ".(٥)

---

(١) البحر المحيط : ٨/ ٩١ و ينظر المحتسب : ٢/٢٧٥ وشواذ القراءات : ١٤١ وشواذ القراءة : ورقة ٢٢٥.

(٢) ينظر القاموس المحيط : ٢/ ٨٨ واللسان : (ع ز ر) ٤/ ٥٦١ وتاج العروس : ٣/ ٣٩٤.

(٣) اللسان : (ع ز ر) ٤/ ٥٦١ - ٥٦٢.

(٤) البحر المحيط : ٧/ ٣٦٠.

(٥) الكشاف : ٣/ ٣٤٠.

وجاء استعمال الفعل بالصيغتين في قولهم : " نزفه الحجام (يَنْزِفه) و (يَنزُفه) : أخرج دمه كله ".(١)

وأصل النزف من قولهم : " نَزَف ماء البئر (يَنزِفه نزفا) : نزحه كله .. ونزف البئر ينزفها نزفا ،وأنزفها بمعنى واحد كلاهما نزحهما وأنزفت هي نزحت وذهب ماؤها ".(٢)

وجاء استعمال القرآن للفعل على المجاز على أن (لا ينزفون) أي لا تذهب عقولهم ولا يسكرون (٣) فهم لا ينزفون عقولهم كما ينزف ماء البئر .(٤)

فالفعل القرآني ورد على الاستعمال المتطور للفعل . والقراءة بالصيغتين متفقة الدلالة مختلفة البنية .

*

الطائفة الثانية : أفعال حلقية :

- قراءات متواترة على (يَفعُل) وشاذة على (يَفعِل) :

(ر) - الفعل : (سنفرغ) من قوله تعالى :

* سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ * الرحمن /٣١ .

" قرأ الجمهور : (سَنَفرُغ) بنون العظمة ،وضم (الراء) من فَرَغ بفتح (الراء) ، وهي لغة الحجاز .. وعيسى أيضا : (سَنَفرِغ) بفتح النون وكسر الراء ".(٥)

---

(١) اللسان : (ن ز ف) ٣٢٦/٩ .

(٢) السابق ٣٢٦/٩ .

(٣) ينظر تاج العروس : ٢٥٣/٦ .

(٤) المحتسب : ٣٠٨/٢ .

(٥) البحر المحيط : ١٩٤/٨ .

وقد جاءت القراءة بالضم على (يَفعُل) وبالكسر على (يَفعِل) على الأصل والقياس في المغايرة من (فَعَل) ، وذلك مع الفعل الحلقي (اللام) مما يستوجب الفتح لأسباب صوتية ،وقد أجاز سيبويه المجيء على الأصل في الفعل الحلقي .

إلا أننا نجد الكسر مناسبا لصامت (الراء) لتقاربهما المخرجي .

أما دلالة الفعل : (سنفرغ) ،أي نعمد ،يقال فرغت إلى كذا ،أي عمدت له ". (١) وعليه فالقراءتان باتفاق الدلالة واختلاف البنية . والقراءة على (يَفعُل) مما نزل به القرآن على لهجة الحجاز.

- قراءات متواترة على (يَفعِل) وشاذة على (يَفعُل) .

(ع) - الفعل : (ينعق) من قوله تعالى :

﴿... كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً...﴾ البقرة / ١٧١.

رسم المصحف : (يَنعِق) بكسر (العين).
وقرأ بعضهم : (يَنعُق) بضم (العين). (٢)

" ونعق : (ينعُق) : لغة في (يَنعِق). " (٣) ودلالته : (يصيح) بلهجة طيء. (٤) ويلاحظ مجيء الفعل على (يَفعُل) و (يَفعِل) وهو حلقي العين وذلك على الأصل .

---

(١) مقاييس اللغة : ٤/٤٩٣.
(٢) شواذ القراءات : ١١.
(٣) الشوارد في اللغة : ١٣٩ وينظر القاموس المحيط : ٣/ ٢٨٦ واللسان : (ن ع ق) ١٠/ ٣٥٦.
(٤) اللغات في القرآن : ١٨.

فالصوت الحلقي العين تجاور مع الضم والكسر ، وترتب على مجاورته للكسر أن أصبح أكثر أمامية ،أى أنها (العين) صارت لهوية مع الضم وطبقية مع الكسر .

فالقراءتان باختلاف البنية واتفاق الدلالة .



الطائفة الثالثة : أفعال مضعّفة :

- قراءات متواترة :

(د) - الفعل : (يصدون) من قوله تعالى :

﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ الزخرف/٥٧.

" قرأ نافع وابن عامر والكسائي : (يَصُدُّون) بضم الصاد . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة : (يَصِدُّون) بكسر الصاد ."(١)

وحجة من ضم أنه على معنى : " يعدلون ويعرضون عما جئتم به" فالمعنى : إذا قومك من أجل المَثَل يعدلون عما جئتم به.

وحجة من قرأ بالكسر أنه على " معنى (يضجون) ،وقيل معناه يضحكون ، أى يضحكون من ضرب المَثَل بعيسى ... وقيل : إنهما لغتان بمعنى : " يضجون "."(٢)

فهاتان القراءتان مختلفتان في البنية وفي الدلالة . وقد جاء في اللسان بما يؤيده " صَدَّ عنه (يَصِدّ) و (يَصُدّ) صَدًّا وصدودا : أعرض"(٣)

---

(١) السبعة : ٥٨٧ وينظر غيث النفع : ٣٤٨ والنشر : ٢/٣٦٩.

(٢) الكشف : ٢/٢٦٠ وينظر إعراب القرآن للنحاس : ٣/٩٦.

(٣) اللسان : (صدد) ٣/٢٤٥.

وقرئ : (يَصُدُّون) ، فيصِدُّون : يضِجُّون ويعجُّون كما قدمنا ،و(يصُدُّون) : يعرِضُون .. والاختيار (يصِدُّون) بالكسر وفسره يضجون ويعجون ... وقال الليث : إذا قومك منه يصدون : أي يضحكون ... فإذا كان المعنى (يضِجّ ويعِجّ) فالوجه الجيد صدّ يَصِدُّ مثل ضَجّ يَضِجُّ".(١)

وتعقب أبو حيان مجيء الفعل على (يَفعُل) و (يَفعِل) بالكسر فذكر أن " صَدّ (يَصُدّ) : أعرض . وكان قياسه للزومه (يَصِدّ) بالكسر وقد سمع فيه : وصدّه (يَصُدُّه) صَدّا : منعه ".(٢)

فالفعل على (يَفعِل) قياسي لكونه لازما ،لأنّ المضاعف اللازم قيده النحاة بالكسر ،على حين قيدوا المتعدى بالضم ،ولذلك كان الفعل في هذه القراءة ،على (يَفعُل) سماعيا للزومه . قيل : " صَدّ عن الشيء (يَصُدّ) و (يَصِدّ) : أي أعرض ... فالكسر على القياس والضم شاذ".(٣)

فالقراءة بالكسر : (يصِدّون) على (يَفعِل) أجود وأقيس وهي الاختيار(٤) ،لكون الفعل مضعفاً لازماً بمعنى : يضجون ويعجون .

وبالضم : (يَصُدّون) على (يَفعُل) لهجة مسموعة بمعنى : يعرضون .

فهما مختلفتان في البنية وفي الدلالة على الرأى الأرجح .

---

(١) اللسان : ٣/٢٤٦ وينظر التهذيب : ١٢/١٠٣ .

(٢) البحر المحيط : ٢/١٣٤ .

(٣) شرح بحرق اليمنى على لامية الأفعال لابن مالك : ٢٧ بهامش حاشية الرفاعي .

(٤) التهذيب : ١٢/١٠٣ .

(ل) - الفعل : (فيحلّ) من قوله تعالى :

* ... فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ... * طه / ٨١.

" قرأ الكسائي وحده : (فيحُلّ...) بضم (الحاء) " ومن يحلُلْ " بضم اللام . وقرأ الباقون : (فَيَحِلَّ) " ومن يَحْلِلْ " بكسر اللام "، ولم يختلفوا في كسر الحاء من قوله * أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ *(١) "(٢).

وحجة من كسر الحاء واللام أنه بناه على " فَعَل يَفعِل " لغة مسموعة . وحكى أبو زيد : حَلّ عليه أمرُ اللّهِ (يَحِل) . وقد أجمعوا على الكسر في قوله : * وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ *(٣).

وحجة من ضم أنه بناه على (فَعَل يَفعُل) جعله بمنزلة ما حَلّ في مكان . وحكى أبو زيد وغيره : حَلّ في المكان يحُل حلاًّ ، إذا نزل به : وحَلّ عليه أمر الله يَحِل حلولا وحل العقدة يحُلها حلاًّ ، وحلّ الصوم وأحلّ من إحرامه إحلالا "(٤) وقد أكد اللغويون اختلاف الدلالة بين (يَحِل) و (يَحُل) قيل :

وأما المكسور ، فهو مضارع حَلّ الشيء (يَحِل) حَلّا ، ضد حَرُم . وحَلّ من إحرامه (يَحِل) . وحَلّ الشيء (يَحِل) : إذا وجب.(٥)

---

(١) طه / ٨٦.

(٢) السبعة : ٤٢٢ وينظر غيث النفع : ٢٩١ والتيسير : ١٥٢ والنشر : ٢/ ٣٢١ والإتحاف : ٣٠٦.

(٣) هود / ٣٩.

(٤) الكشف : ٢/ ١٠٣-١٠٤ وينظر : الحجة لابن خالويه : ٢٤٥.

(٥) المثلث لابن السيد : ٢/ ٤٨١ وينظر إكمال الإعلام : ٢/ ٧٦٨-٧٦٩.

وأما المضموم : فهو مضارع حَلّ بالمكان (يَحُل) : إذا نزل. وحَلّ (يَحِل) ضد عقد.[1]

وقد اختار الفراء (يَفعِل) بالكسر ، وحجته أن التفسير جاء بالوجوب لا بالوقوع.[2]

فالنصوص السابقة بالإجماع تدلنا على اختلاف دلالة الفعل لاختلاف صيغتيه . ومن الناحية الصوتية نجد أن الكسر أنسب لصوت الياء في (يَحِل) لاتحاد مخرجهما .. والياء فرع الكسر ولا فرق بينهما إلّا في كمية الصوت .

فالقراءة بالكسر (يَحِلُّ) على (يَفعِل) لهجة مسموعة ، ضد (حَرُم) .

وبالضم (يَحُلُّ) على (يَفعُل) بمعنى (نزل) .

أي أنهما مختلفتان في البنية وفي الدلالة .

*

- قراءات متواترة على (يَفعُل) وشاذة على (يَفعِل) :

(ر) - الفعل : (فشدّوا) من قوله تعالى :

* ... فَشُدُّوا الوَثَاقَ ... * محمد / ٤ .

قرأ الجمهور : (فَشُدُّوا) بضم (الشين) وقرأ السلمى : (فشِدُّوا) بكسر (الشين).[3]

---

(١) معاني القرآن : ٢/ ١٨٨ وينظر إعراب القرآن للنحاس : ٢/ ٣٥٤ .

(٢) اللسان : (ح ل ل) ١١/ ١٧٠ .

(٣) البحر المحيط : ٨/ ٧٤ .

والكسر لهجة نادرة في المضعف المتعدى كما ذهب الفراء :

" وما كان على فَعَلت من ذوات التضعيف متعديا - مثل : رددت ومددت وعددت فإن يفعُل فيه مضموم ، إلّا ثلاثة أحرف نادرة ، جاءت باللغتين جميعا ، وهي " شَدَّه (يَشُدُّه) و (يَشِدُّه) ، ونَمَّ الحديث (يَنُمُّه) و (يَنِمُّه) ، وعَلَّه الشراب (يعِلُّه) و (يَعُلُّه)"(١) ووصف بعضهم الكسر بالشذوذ .(٢)

واكتفى الكسائي بذكر (فَشُدُّوا) بالضم ، ولم يورد الكسر ويفهم من ذلك أن الكسر عنده لحن.(٣)

والفعل بصيغتيه : " شَدَّه (يَشُدُّه) و (يَشِدُّه) شدا فاشتد ، وكل ما أحكم وشددت الشيء أشُدّ شدا إذا أوثقه ."(٤)

فالفراء يحصر مجيء المضعف المتعدى على (يَفعُل) و(يَفعِل) في أفعال معينة ولا يطلق القاعدة . فالقراءة بالضم على (يَفعُل) : (يَحُلّ) لهجة شائعة قياسية ، لأنّ الفعل مضعف متعد .

وبالكسر على (يَفعِل (فَشِدُّوا) لهجة نادرة شاذة ، إلّا أن اشتراك الكسر مع الضم في الفعل (فشدوا) من القليل النادر وعليه فالقراءتان باختلاف البنية واتفاق الدلالة .

---

(١) أدب الكاتب : ٣٦٩ وينظر شرح بحرق على لامية الأفعال : ٣٣.

(٢) المصباح المنير : ٦٨٥.

(٣) ما تلحن فيه العامة : ١٠٤.

(٤) اللسان : (ش د د) ٣/٢٣٢، ٢٣٣.

(ر) - الفعل : (فصرهن) من قوله تعالى :

﴿ ... فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ... ﴾ البقرة/ ٢٦٠.

" قرأ ابن عباس : " فَصِرَّهُنَّ " مكسورة (الصاد) مشددة الراء وهي مفتوحة ، وقرأ عكرمة : " فَصُرَّهُنَّ " ضم الصاد وشدد الراء ولم يقل مفتوحة أو مكسورة أو مضمومة . قال : وهو يحتمل الثلاثة كمدُّ ومدَّ ومدِّ "(١)

فالفعل (صَرَّ) استعمل المضارع منه بصيغتين : (يَصِرُّ ويَصُرُّ) على (يَفعِل ويَفعُل) .. إلا أن مجيء (يفعِل) بكسر العين في المضاعف المتعدى قليل .(٢) وقد أشار هذا الاستعمال ابن جنى يقول : " أما " فصِرّهن " بكسر الصاد وتشديد الراء فغريب، وذلك أن (يَفعِل) في المضاعف المتعدى شاذ قليل ، وإنما بابه فيه (يَفعُل) ، كصبَّ الماء يَصُبُّه ، وشَدَّ الحبل يَشُدُّه وكَرَّ الدابة يكُرُّها ".(٣)

ثم ذكر أنه قد يأتي (المضعف المتعدى) مكسورا وذلك عندما يشركه المضموم ، كما في : نَمّ الحديث (يَنمُّه) و (يَنِمّه) وطَلَّه بالماء (يَطُلّه) و (يَطِلّه) . وانتهى إلى القول : " وأما (صُرّهن)

---

(١) المحتسب : ١/ ١٣٦ وينظر إملاء ما من به الرحمن : ١/ ١١١ وتفسير القرطبي ٣/ ٣٠١ - ٣٠٢. والكشاف : ١/ ١٥٨ وشواذ القراءة للكرماني ، ورقة : ٤٣ (مخطوطة).

(٢) البحر المحيط : ٢/ ٣٠٠.

(٣) المحتسب : ١/ ١٣٦.

بضم الصاد فعلى الباب ،أعني : ضم عين يَفعُل في مضاعف المتعدى.
والوجه ضم الراء لضمة الهاء من بعدها ، والفتح والكسر من بعد .«(١)

فالفعل على (يَفعُل) على القياس في المضاعف المتعدى وعلى
(يَفعِل) قليل وضمت (الراء) إتباعا لضمة الهاء.

ونص أبو حيان على اتفاق الدلالة بالصيغتين (يَفعُل) و(يَفعِل).
فقال : " وقرأ ابن عباس وقوم (نصُرّهن) بتشديد الراء وضم الصاد
وكسرها من صَرّه (يَصُرُّه) و (يَصِرُّه) إذا (جمعه) نحو ضَرّه
(يَضُرُّه) و (يَضِرُّه) ".(٢)

فهما متفقان في الدلالة مختلفان في البنية بتعاقب صائتي
الضم والكسر على (عين) المضاعف المتعدى.

(ش) - الفعل : (أهش) من قوله تعالى :

﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي .. ﴾
طه / ١٨.

« قرأ الجمهور : (وأهُشُّ) بضم الهاء والشين المعجمة ،
والنخعي بكسرها .. وهي بمعنى المضمومة الهاء ».(٣)

ويتناول ابن جني قراءة (أهِشُّ) من جانبها الدلالي فيقول :
« أما (أهِشُّ) بكسر الهاء وبالشين معجمة فيحتمل أمرين :

---

(١) المحتسب : ١/ ١٣٦.
(٢) البحر المحيط : ٢/ ٣٠٠ وينظر اللسان : (صرر) ٤/ ٤٥١.
(٣) البحر المحيط : ٦/ ٢٣٤ وينظر إعراب القرآن للنحاس : ٢/ ٣٣٥
وإملاء ما من به الرحمن : ٢/ ٦٦ ، وتفسير القرطبي : ١١/ ١٨٦.

أحدهما : أن يكون : أميل بها على غنمي ، إمّا لسوقها ، وإمّا لتكسير الكلأ بها ، كقراءة من قرأ : (أَهُشُّ) بضم الشين معجمة ، يقال : هَشَّ الخبز (يَهِشُّ) إذا كان جافا يتكسر لهشاشته .

والآخر أن يكون أراد (أهُشُّ) بضم الهاء ، أي أكسر بها الكلأ ، فجاء به على (فَعَل يَفعِل) وإن كان مضاعفا ومتعديا فقد مر بنا نحو ذلك ، هَرّ الشيء (يَهِرُّهُ) إذا كرهه ".(١)

فالنص السابق ينتهي بنا إلى أمرين :

أولهما : اختلاف البنية الدلالية بين (أَهُشُّ) و (أَهِشُّ) على أن الثانية بمعنى : أميل .

وثانيهما : اختلاف البنية واتفاق الدلالة بين (أَهُشُّ) و (أَهِشُّ) فكلاهما بمعنى أكسر .

وعلى الأمر الثاني أجاز ابن جني مجيء المضاعف المتعدي مكسورا على (يَفعِل) .

وأيّد صاحب القاموس ما ذهب إليه ابن جني فقال : " هَشَّ الورق (يَهُشُّه) و (يَهِشُّه) ".(٢) قال الزجاج : " واشتقاقه من أني أحيل الشيء إلى الهشاشة والإمكان ".(٣) فتكون بمعنى أكسر بها .

---

(١) المحتسب : ٢/٥٠ .

(٢) القاموس المحيط : ٢/٢٩٣ وينظر اللسان (هـ ش ش) ٦/٣٦٤ . وشرح بحرق على لامية الأفعال : ٣٤ .

(٣) زاد المسير : ٥/٢٧٧ .

ولم يورد اللغويون (١) وجها غير الضم لـ (هَشَّ الورقَ يهشُّها) يضربها بالعصا لتتحات.

وحجتهم أن المضاعف المتعدى قياسه (يَفعُل). وأمّا (يَفعِل) فيه فشاذ.

وننتهي من هذه المناقشة إلى أن القراءتان مختلفتان في البنية متفقتان في الدلالة، وهو ما نرجحه، وقد نص عليه أبو حيان، فتكون بمعنى (أكسر بها).

*

- قراءات شاذة على (يَفعُل) و (يَفعِل).

(ر) - الفعل : (نقرِ) من قوله تعالى :

٢ - ﴿ ... وَنُقِرُّ فِي الأَرحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ... ﴾ الحج/ ٥.

قرأ يعقوب : (ونَقُرُّ) بفتح النون وضم (القاف) و (الراء) من قَرَّ الماء : صبه.

وقرأ أبو زيد النحويّ : (وَيقِرُّ) بفتح الياء وكسر (القاف) (٢).

فالفعل قرئ على (فَعَل يَفعُل) من قرَّ عليه ماء بـاردا (يقُرُّه) إذا صبّه.

وعلى (فَعَل يَفعِل) من قَرَّ في المكان (يقِرُّ) قرارا : استقر وثبت بكسر القاف (٣).

فالفعل (نقر) استعمل على (يَفعُل) و (يَفعِل) باختلاف البنية والدلالة. وعليه تكون القراءتان باختلاف البنية والدلالة.

---

(١) ينظر على سبيل المثال : إصلاح المنطق : ٢٠٠، والمثلث لابن السيد : ٤٧٩/٢، وإكمال الإعلام : ٧٩٠/٢، والصحاح :

(٢) البحر المحيط : ٣٥٢/٦.

(٣) المثلث لابن السيد : ٤٨٣/٢ وينظر اللسان : (ق ر ر) ٨٤/٥.

المجموعة الثانية : أفعال معتلة :

ذات الصوائت القصيرة :

- قراءات متواترة :

(و) - الفعل : (فصرهن) من قوله تعالى :

* ..فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ... * البقرة / ٢٦٠.

" واختلفوا في ضم (الصاد) وكسرها من قوله : " فَصُرْهُنَّ ".

فقرأ حمزة وحده (فَصِرْهُنَّ) بكسر (الصاد) . وقرأ الباقون : " فَصُرْهُنَّ " بالضم ".[1]

فالقراءة على (فَعَلَ يَفْعُلُ) الأجوف الواوي وعلى (فَعَلَ يَفْعِلُ) الأجوف اليائي ،وقد سقطت (الواو والياء) فيهما بسبب الجزم .

وخرجهما مكي[2] على أن ضم (الصاد) وكسرها لهجتان في الميل والتقطيع ،فهما بمعنى واحد ، وقيل : إن الكسر بمعنى (قطعهن) والضم بمعنى (أملهن).

وقال الفراء : " ضمت العامة الصاد ،وكان أصحاب عبدالله يكسرونها ،وهما لغتان ، فأما الضم فكثير ،وأما الكسر ففي هذيل وسليم ... وكلهم فسروا (فَصُرْهن) أملهن ،وأما (فصِرهن) بالكسر فبمعنى : قطعهن ".[3]

---

(١) السبعة : ١٨٩-١٩٠ وينظر : النشر : ٢/ ٢٣١.

(٢) الكشف : ١/ ١٥٨ وينظر الحجة لابن خالويه : ١٠١ والحجة لأبي زرعة : ١٤٥.

(٣) اللسان : (صور) ٤/ ٤٧٨.

فالفراء كشف عن عدة جوانب في القراءتين :

أولهما : أن الفعل على (يَفعُل) أكثر استعمالا منه على (يَفعِل) .

ثانيهما : أنهما لهجتان وعزى الثانية (يَفعِل) إلى هذيل وسليم[1] ،فيكون الضم لهجة عامة العرب .

ثالثهما : ويختص بدلالة الصيغتين : فالفعل على : (يَفعُل) (أملهن) وعلى (يَفعِل) : قطعهن .

وبالوقوف عند دلالة الفعل نجد مكياً يذهب إلى أن صيغتي الفعل كلتيهما بمعنى (الميل والتقطيع) . وفرّق الفراء بينهما فخصّ (يَفعُل) بالميل و (يَفعِل) بالتقطيع . ونص ابن حسنون على أن " (فَصِرهن إليك) بمعني : قطّعهن . وافقت لغة النبطية.[2] ونسبها أبوالأسود الدؤلي إلى السريانية .[3]

وقد جاءت لهجة هذيل موافقة للنبطية ،بنية ودلالة ،ولعل إحداهما تأثرت بالأخرى .

وتنتهي إلى أمرين :

الأول : وهو كما فسره مكي وهو أن الصيغتين بدلالة

---

(١) لغة هذيل : ٤٥ للدكتور عبد الجواد الطيب :طرابلس.
(٢) اللغات في القرآن : ١٩.
(٣) البحر المحيط : ٢/٣٠٠ . وينظر تفسير القرطبي : ٣/ ٣١١.

واحدة وتفسيره : أي أملهن إليك فقطعهن . وهو ما نرجحه.

الثاني : أن الصيغتين مختلفتان في الدلالة ،فتكون القراءتان باختلاف البنية والدلالة .

*

- قراءات شاذة :

- الفعل : (يضركم) من قوله تعالى :

﴿... عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ...﴾

المائدة / ١٠٥.

* قرأ الحسن : (لا يضُرْكم) بضم الضاد وسكون الراء ، من ضار يضور . وقرأ النخعي :- (يَضِرْكم) بكسر الضاد وسكون الراء من ضار يضير وهي لغات.(١)

فالقراءة بالضم على (فَعَل يَفعُل) من الأجوف الواوي وعلى (فَعَل يَفعِل) من الأجوف اليائي .

وباستجلاء مادة الفعل يطالعنا النص التالي :

" ضَارَه الأمر (يضُوره) كضَيَّره ضيرا وضورا أي ضرّه ،وزعم الكسائي أنه سمع بعض أهل العالية ،يقول : ما ينفعني ذلك ولا يضورني ... وضارني (يضيرني) ويضورني ضورا ."(٢)

فالقراءة بالضم على لهجة أهل العالية وبالكسر على لهجة غيرهم ونظنها لأهل الحجاز الذين يقلبون الياء (واواً) باطراد ،وذلك فيما يعرف بالمعاقبة الحجازية.(٣) فالقراءتان باختلاف البنية واتفاق الدلالة.

---

(١) البحر المحيط : ٣٧/٤ وينظر المحتسب : ٢٢٠/١.

(٢) اللسان(ضرر) ٩٤/٤ وينظر : المخصص : ٢٠/١٤.

(٣) ينظر : في اللهجات العربية : ٩٢.

وقفـــة :

بعد هذا العرض والتحليل للقراءات الواردة على صيغتي المغايرة (يَفعِل) و (يَفعُل) نجد أنفسنا أمام مسألة قائمة على تعاقب الحركة على صوت العين (يَفعِل) في مستقبل (فَعَل) في الفعـــل الواحد .

والحقيقة أن هذه المسألة قد شغلت بال اللغويين العرب القدامى والمحدثين فهم أمام صيغتين حائرتين بين اللهجات العربية القديمة ، فليست إحداهما تميمية محضة والأخرى حجازية خالصـــة، ولكن تتوزعهما القبائل العربية حاضرة وبادية من غير اختصاص .

وقد جاءت تعليلات الصرفيين لهذه الظاهرة ، عندمـــا يتناوب حالتـا الضم والكسر على عين (يَفعُِل) في اتجاهين :

١) الإطلاق .   ٢) التقييد .

أما أصحاب الإتجاه الأول ، فالوجهان عندهم جائزان أى : الضم والكسر ، وهما مستعملان فيما لا يعرف مستقبله متساويان فيـــه فكيف ما نطقت أصبت . وليس الضم أولى من الكسر ولا الكسر أولى من الضم . فقد نصّ ابن درستويه : على أن :" كل ما كان ماضيـــه على فَعَلت بفتح العين ولم يكن ثانيه ولا ثالثه من حروف اللســين والحلق ، فإنه يجوز في مستقبله (يَفعُل) بضم العين و (يَفعِـل) بكسرها كضَرَب يَضرِب وشَكَر يَشـكُر ، وليس أحدهما أولى به من الآخر ، ولا فيه عند العرب إلّا الاستحسان والاستخفاف ، فما جاء واستعمــل فيه الوجهان قولهم : نفر يَنفِر وينفُر ، وشتم (يشتِم) و (يشتُم) .

فهذا يدل على جواز الوجهين فيهما ،وأنهما شيء واحـــد ، لأنّ الضمة أخت الكسرة في الثقل ".(١)

وسوى أبو زيد بينهما في القياس فقال : "كلاهما قيـــاس ، وليس أحدهما أولى به من الآخر ، إلّا أنه ربما يكثر أحدهما في عادة ألفاظ الناس حتى يطرح الآخر ويقبح استعماله ،فإن عرف الاستعمال فذاك ،وإلّا استعملا معا وليس على المستعمل شيء ".(٢)

فأبو زيد يطلق الاستعمال بهذين الصائتين على صامــت واحد وليس أحدهما مقيساً والآخر سماعياً.. فكلاهما مقيس ،وقد أكد رأيه هذا بأكثر من مقوله بناها على تتبع لهجات العرب فـــي مواطنها الأصلية يقول : " طفت في عليا قيس وتميم مدة طويلـــة أسأل عن هذا الباب صغيرهم وكبيرهم ، لأعرف ما كان منه بالضـم أولى ،وما كان منه بالكسر أولى ، فلم أعرف لذلك قياسا ، وإنما يتكلم به كل امرئ على ما يستحسن وما يستخف ،لا على غير ذلك ".(٣)

وانتهى إلى القول : " إذا جاوزت المشاهير من الأفعال التي يأتي ماضيها على (فَعَل) فأنت في المستقبل بالخيار إن شئت قلت : (يَفعُل) بضم العين ، وإن شئت قلت : (يَفعِل) بكسرها ".(٤)

وقد وافق صاحب الممتع أبا زيد في رأيه هذه.(٥)

---

(١) تصحيح الفصيح : ١٠٩/١ وينظر المزهر : ٢٠٧/١.

(٢) شرح الشافية : ١١٧/١-١١٨.

(٣) المزهر : ٢٠٧/١. وينظر المواهب الفتحية : ٧٧/١ للشيخ حمزة فتح الله.

(٤) المزهر : ٢٠٧/١ وينظر تصحيح الفصيح : ١٠٩/١.

(٥) الممتع : ١٧٥/١.

ومن المحدثين الذين مالوا إلى هذا الاطلاق أستاذنا الدكتور أحمد علم الدين الجندي يقول : " والذي أميل إليه أن يكون هذا الباب قياسا ما دام بهذه الكثرة في التراث في الاحصاءات السابقة ... ، والقول بالقياس يكمل نقصا في المعاجم ، وبه تنمو المادة اللغوية وتتسع فتساير التطور الاجتماعي وما يتطلبه من تجديد في بناء العربية. وقد أقمنا هذا القياس مسترشدين بآراء أسلافنا أولا ، وثانيا لما سجلناه من الإحصاء لكثير من أمثلة (هذا الباب) وأخيرا لإحساسنا اللغويّ الذى يهدينا إلى استنباط أقيسة جديدة معتمدة على أننا بما نسمع من صيغ اقتفينا آثار القدماء فيها ، وقسنا عليها كلما أعوزتنا صيغة من الصيغ ."(١)

ثم رأى بعد ذلك أن الخيار في هذه العملية لا يقتصر على القدماء فحسب ، ولكن يعطي كذلك للموثوق بهم من علمائنا وأدبائنا المحدثين . كما نبه إلى وجود هذا الباب في لهجاتنا المعاصرة ، ففي قرى مصر وجنوب العراق ، يقولون : (يسكِت) ، (يأكِل) ، (يقعِد) بكسر العين ، على حين ينطقون بالضم في كثير من مدن مصر والعراق وغيرها.(٢)

والحقيقة إن هذا الاستعمال موجود كذلك في لهجات الجزيرة العربية في العصر الحديث .

---

(١) ثلاثة مصطلحات في دراسة اللهجات (مجلة التراث العلمي بمكة : ٦/٩٢).

(٢) السابق ٦/٩٣.

أما إذا ذهبنا إلى أصحاب التقييد : فابن جني يتصدرهم ، فالضمة تفترق عن الكسرة وكل منهما يمثل صيغة خاصة تؤدّي معنى في الفعل ،فقد نص على أن مضارع (فَعَل) المفتوح العين (يَفعِل) بالكسر دون الضم يقول : " إن الباب للكسر دون الضم . وهو أن الضم قد لزم باب ما ماضيه (فَعُل) نحو ظَرُف يظرُف ،وكرُم يكرُم " أفلا ترى أن الضم قد يستبد به (فَعُل) كما استبد " فَعِل " بـ " يَفْعَل " فكذلك كان القياس أن يستبد (فَعَل) بـ (يَفعِل)".(١)

فهو بذلك يريد أن يخضع اشتقاق المضارع من الماضي لمنطق تقسيمي أو بمعنى آخر للقسمة العقلية . وما خرج عن هذا المنطق فهو سماعي لا قياسي .

وحجته في اقتصار (فَعَل) على (يَفْعِل) المناسبة بين الفتحة والكسرة وذلك " لمقاربة الكسرة الفتحة ، واجتماعهما في مواضع كثيرة ،و إمالة كل واحدة إلى صاحبتها ".(٢) فالكسرة أسهل في أدائها من الضمة وتلتقي الفتحة مع الكسرة في انفراج الشفتين.

فابن جني قيد مستقبل (فَعَل) بـ (يَفعِل) ،إلا أنه عاد ووقف عند الأفعال التي جاءت بالوجهين " وأنهما قد يتداخلان فيجيء هذا في هذا ،وهذا في هذا : كقَتَل يَقتُل وجَلَس يَجلِس ".(٣)

---

(١) المنصف : ١/ ١٨٦.

(٢) المنصف : ١/ ١٨٧.

(٣) المحتسب : ١/ ٢٨٠ - ٢٨١.

فصيغة (يَفعِل) عنده هي الأصل في مضارع (فَعَل) وعليها القياس أمّا (يَفعُل) فتفرع عنها ولا يقاس عليها وما ورد عليها ليس إلّا من قبيل السماع . ولا وجه للتعاقب عنده.

ومن ناصر ابن جني في رأيه هذا الفراء[1] وابن يعيش[2].

إلّا أن الدراسات الحديثة القائمة على الإحصاء ترى فيما ذهب إليه ابن جنى ما ينافى الواقع اللغوى حيث أثبتت أن الضم يفوق الكسر : ٨٠٢ / ٥١٦ ،والاستعمال القرآني يدعم ذلك أيضا وذلك بنسبة : ١٠٢ / ٨٨ ،ولا شك أن المتعدى من هذه الأفعال يفوق اللازم.[3]

وقد حاول بعض اللغويين ربط قضية الضم والكسر بالمعنى فإذا وردت الصيغة بالضم فلمعنى وإذا وردت بالكسر فلمعنى ". كقولهم : ينفُر بالضم من النفار والاشمئزاز ،وينفِر بالكسر من نَفَر الحجاج من عرفات".[4]

إلّا أن التسليم بهذا الرأى يقتضي القيام بإحصاء معجمي شامل ولا يمكن الاكتفاء بالنزر اليسير.

وقد رجح أستاذى الدكتور أحمد علم الدين الجندى أنهم " كانوا في طفولة اللغة يستعملون أحد الوجهين للفرق بين المعاني - كما رجح - أن شكل الحروف قديما كان له تأثير على المعنى".[5] ونحسب أن لهذا الرأى أهميته إلّا أنه قد لا ينطبق على جميع الأفعال.

---

(١) المزهر : ٢/ ٣٩.

(٢) شرح المفصل : ٧/ ١٥٢ - ١٥٣.

(٣) التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث : ٩١ .

(٤) المزهر : ١/ ٢٠٧ - ٢٠٨.

(٥) اللهجات العربية في التراث : ٢/ ٥٦٢.

وبعد هذا العرض والمناقشة أرى أن اللغويين العرب قد أسرفوا في تعليلاتهم وكان عليهم أن يقبلوا وجود صيغ مشتركة بين اللهجات العربية ، تمثل عنصرا من عناصر الارتباط الفكرى بين لهجات اللغة الواحدة والالتقاء في جذور لغوية موحدة وحسبنا من كل ما ذكر مقولة أبي زيد ... " طفت في عليا قيس .."

ونخرج من دراسة هذه المجموعة بهذه الملاحظة ، وهي أن مستقبل (فَعَل) غير الحلقي لا يخضع لقاعدة ثابتة ، فاللهجة الواحدة لا تكاد تستقر على صيغة واحدة من صيغتي المغايرة (يَفعِل) و (يَفعُل) .

كما يلاحظ أن ضم (العين) جاء مماثلا لضم (لام) الفعل في عدد كبير من الأفعال ، ولعل الميل إلى تماثل الصوائت كان غاية من قرأها من القراء بالضم.

المبحث الرابع

(فَعِل يَفعَل)

التحول من الكسر إلى الفتح (فَعِل يَفعَل) :

من مظاهر تحول الصوائت في الصيغ المجردة نزوع بعض صيغ المغايرة إلى الفتح كما في (يَفعَل) مضارع (فَعِل) ، وذلك لمناسبة الفتحة للكسرة كما مر في الصيغة السابقة (فَعِل يَفعَل) لذا فهما حالتان متعاقبتان في صيغ المغايرة . وللتخفيف كما ذكر ابن مالك إذ قال : " لما كان الباعث على مخالفة حركة عين المضارع لحركة عين الماضي طلب التخفيف ، كانت الفتحة بعين مضارع (فَعِل) أولى من الضمة ، فلذلك كان مضارع (فَعِل) : (يَفعَل) دون (يَفعُل) كـ (عَمِل يَعمَل) و (عَلِم يَعلَم) ".(١)

ولأنّ الياء أيضا مقاربة للألف حتى أنهم قد قالوا : (حاحيت وعاعيت ، وهاهيت ، وحاريّ ، وطائيّ) وغير ذلك مما لا سبب فيه يوجب القلب ، إلا القرب ، وما ليس بعلة قاطعة ".(٢)

فالعلاقة البنائية قائمة على علاقة صوتية تتمثل في تناوب الحركات الانطلاقية (Continmoants) على عين الصيغة لتحقيق المغايرة .

---

(١) شرح الكافية الشافية : ٤/ ٢٢١٤ .

(٢) المنصف : ١/ ١٨٧ .

وقد عدّ الصرفيون الفتح قياسياً في مضارع (فَعِل)[1]، وهو يتعدى ولا يتعدى ، فالمتعدى نحو (شَرِب ولَقِم) ، وغير المتعدى نحو : (سَكِر وفَرِق)[2].

وسنرى فيما نعرضه من قراءات مظاهر استعمال هذه الصيغة (يَفعَل) .

*

المجموعة الأولى : أفعال صحيحة :

الطائفة الأولى : أفعال غير حلقية :

- قراءات متواترة :

(ب) - الفعل : (تحبط) من قوله تعالى :

﴿ ... أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُم وَأَنتُم لَا تَشْعُرُونَ ﴾ الحجرات / ٢ .

رسم المصحف : (تَحَبط) بفتح (الباء) . من حَبِط العمل حَبْطًا من باب (تَعِب) ، وحبوطا : فسد وهدر .[3]

أي بتحول الكسر إلى الفتح في المغايرة (فَعِل يَفعَل) .

وبالكسر جاء الفعل الماضي في كل القرآن ، ومنه الفعل : (حَبِطَت) من قوله تعالى : ﴿...حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُم..﴾ آل عمران / ٢٢ .

---

(١) شرح الشافية : ١/١٣٥ ، وينظر شرح الجاربردى على الشافية ، ٥٦ ضمن مجموعة الشافية وبغية الآمال في معرفة مستقبل الأفعال : ٣٨ . وارتشاف الضرب : ٧٦ .

(٢) شرح الملوكي في التصريف : ٤٢ ، وينظر شرح المفصل : ٧/١٥٣ ، والمزهر : ٢/٩٦ .

(٣) المصباح المنير : ١/١١٨ وينظر ديوان الأدب : ٢/٢٣٩ .

(م) ـ الفعل : (آمنكم) من قوله تعالى :

﴿ ... هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ .. ﴾

يوسف / ٦٤.

رسم المصحف : (آمَنكم) بفتح (الميم) قيل في دلالته :

" الأمن نقيض الخوف ، أَمِن فلان (يَأْمَن) أمنا وأمنا ".(١)

وفي كلتا القراءتين (يَحبَط) و (آمَنكم) تجاورت كل من

(الباء) والميم الشفويتين مع صائت الفتح فتغورتا .

(ط) ـ الفعل : (يخطف) من قوله تعالى :

﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ ... ﴾ البقرة / ٢٠ ، الحج / ٣١.

قرأ الجمهور : (يَخْطَف) على فتح الياء و (الطـاء)

وسكون الخاء وماضيه (خَطِفَ) .(٢) وهي القراءة الفصيحة.(٣)

و (يَخطَف) من " خَطِفَه ، بالكسر (يَخْطَفه) خطفا ، بالفتح ،

وهي اللغة الجيدة ".(٤) وعزيت هذه اللهجة إلى قريش.(٥)

فالقراءة على (يَفعَل) من (فَعِل) على لهجة قريـش

الفصيحة الجيدة وقد أكسبت (الطاء) صائت الفتح قيمة تفخيميـة

خاصة لمجاورته لها ... بل إن التفخيم شمل عناصر الصيغة كلها . وقد

---

(١) اللسان : (أ م ن) ١٣/ ٢٠ وينظر المصباح المنير : ١/ ٢٤.

(٢) إملاء ما من به الرحمن : ١/ ٢٣ وينظر زاد المسير : ١/ ٤٥ ، ٥/ ٤٢٩ ، والحجة لأبي زرعة : ٤٧٦ والحجة لابن خالويه : ٢٥٣.

(٣) إعراب القرآن للنحاس : ١/ ١٤٥ ، وينظر : تفسير القرطبي : ١/ ٢٢٢.

(٤) اللسان : (خ ط ف) ٩/ ٧٥.

(٥) البحر المحيط : ١/ ٨٩.

جاء الفتح في ضوء قانون المغايرة مناسبا للصوت المفخم .

أما دلالة الفعل فالأصل في خَطِفَه : " استلبه ،وقيل : أخذه في سرعة واستلاب .. ومن المجاز : (خَطِفَ البرق البصر) ،وخطفه : (ذهب به) ،ومنه قوله تعالى : ﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ﴾.(١)

وهي متفقة الدلالة مع دلالة القراءة الشاذة على (فَعِل يَفْعَل) مختلفة البنية .

(ر) - الفعل : (لتغرق) من قوله تعالى :

﴿ ... قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ... ﴾ الكهف / ٧١.

قرأ حمزة والكسائي : (ليَغرَق) بياء مفتوحة و فتح الراء .(٢)

فالفعل (يَغرَق) ثلاثي لازم مفتوح العين في المضارع ... أما ماضيه فيقال : " غرق من باب (تعب) ".(٣) ،أى أن الفعل مكسور العين في الماضي .. وفتحت عينه في المستقبل للمغايرة على الأصل فيه :

---

(١) تاج العروس : ٢٢٥/٢٣ وينظر أساس البلاغة : ١١٥.

(٢) الكشف : ٦٨/٢ ،وينظر السبعة : ٣٩٥ والعنوان : ١٢٣، والنشر : ٣١٣/٢ والإتحاف : ٢٩٣.

(٣) المصباح المنير : ٤٤٥/٢.

(س) - الفعل : (يحسبهم) من قوله تعالى :

﴿ ... يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ ... ﴾ البقرة / ٢٧٣.

" قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة :- (يَحْسَبهم)- بفتح السين في كل القرآن ".(١)

فالقراءة بالفتح على (يَفْعَل) من (فَعِل) . وقد وصف الفتح بأنه : أقوى في الأصول ، لأنّ (فَعِل) في الماضي إنما يأتي مستقبله على (يَفْعَل) بالفتح في الأكثر.(٢) وهو الجارى على القياس.(٣) وهو لهجة مشهورة وردت على الأصل.(٤) وعزيت إلى تميم(٥) وقيل إن (حَسِب) من باب (تَعِب) في لغة جميع العرب إلّا بني كنانة فإنهم يكسرون المضارع مع كسر الماضي أيضا على غير قياس".(٦)

---

(١) السبعة : ١٩١ وينظر : غيث النفع : ١٧٠ ، والتيسير : ٨٤ والنشر : ٢/ ٢٣٦ والإتحاف : ١٦٥ .
(٢) الكشف : ١/ ٣١٧.
(٣) إبراز المعاني لأبي شامة : ٣٧٧ ، تحقيق : إبراهيم عوض (شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر) .
(٤) المنصف : ١/ ٢٠٨ ، وينظر شمس العلوم لنشوان الحميرى : ١/ ٤٢٧ (عالم الكتب) .
(٥) البحر المحيط : ٢/ ٣٢٨.
(٦) المصباح المنير : ١/ ١٣٤.

من النصوص السابقة يتضح لنا أن قيمة الفتح في (يَحْسَب) ترجع إلى قانون المغايرة ، فالفتح هو الصائت المخالف للكسر في اشتقاق المضارع من الماضي في هذا الفعل [1] . ولما كانت الكسرة هي الوجه الوحيد في ماضي (حَسِب) فلا بد من فتح المضارع منه .

(ل) - الفعل : (ولا تركنوا) من قوله تعالى :

* ... وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا .. * هود / ١١٣ .

* قرأ الجمهور : (تَركَنوا) بفتح الكاف والماضي (رَكِـن) بكسرها ، وهي لغة قريش ، وقال الأزهري : هي اللغة الفصحى [2] . والاختيار [3] بفتحتين من (فَعَل يَفْعَل) .

هذا المستوى للقراءة يدلنا على أنها الأصل والقياس . وضابط المغايرة فيها الانتقال من الكسر إلى الفتح [4] .

فالقراءة على (يَفْعَل) من (فَعِل) تحولت فيها عين الصيغة من الأثقل (الكسر) إلى الأخف (الفتح) . وساعدت المغايرة على تحقيق نوع من التناسب بين صامت (الكاف) الأقصى حنكي وصائت الفتح . فالكاف في الدراسات الحديثة من مخرج (الغين والخاء) . وهما يؤثران الفتح .

---

(١) نزهة الطرف في علم الصرف للميداني : ١٠٣ ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي (ط : أولى ، دار الآفاق بيروت سنة ١٩٨١) .
(٢) البحر المحيط : ٥/٢٦٩ . وينظر المحتسب : ١/٣٢٩ وإعراب القرآن للنحاس : ٢/١١٦ .
(٣) الكامل في القراءات الخمسين : ورقة ٢٠٥ .
(٤) ينظر القاموس المحيط : ٤/٢٢٩ واللسان : (ر ك ن) ٣/١٨٥ وأدب الكاتب : ٣٧٢ والمصباح المنير : ١/٢٢٧ .

ودلالة الفعل : (ولا تركنوا) : ولا تميلوا بلهجة كنانة.(١)

والقراءتان (ولا تركَنوا) على (فَعِل يَفعَل) و (لاتركُنوا) على (فَعَل يَفعُل) باختلاف البنية واتفاق الدلالة .

(ق) - الفعل : (تلقف) من قوله تعالى :

* ... فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأفكون * الأعراف / ١١٧ ، والشعراء / ٤٥ .

قرأ حفص : (تَلْقَفُ)حيث وقع باسكان اللام وتخفيف القاف.(٢)

" والحجة لمن أسكن وخفف : أنه أخذه من لَقِفَ (يَلقَفُ)".(٣)

ودلالة الفعل تقول : اللقف : " تناول الشيء يرمى إليك ... واللقف : سرعة الأخذ لما يرمى باليد واللسان ... واللَّقف : أن تأخذ الشيء فتأكله أوتبتلعه ".(٤)

وقال الفراء : وهي في التفسير : تبتلع ".(٥)

وترتب على المغايرة التقاء صامت القاف (اللهوي) شبه المفخم مع صائت الفتح ، فاكتسب الفتح شيئا من التفخيم بتأثير المجاورة. وهي مناسبة للقاف .

---

(١) اللغات في القرآن : ٣٠ .
(٢) التبصرة : ٢٠٥ وينظر العنوان : ٩٧ . والسبعة : ٢٧١ .
(٣) الحجة لابن خالويه : ١٦١ و ينظر الكشف : ١/٤٧٣ .
(٤) تاج العروس : ٦/٢٤٨ وينظر التهذيب : ١٥٥/١٩ واللسان : (ل ق ف) ٣٢١/٩ .
(٥) معاني القرآن للفراء : ١/٣٩٠ .

- الفعل : (تثقفنهم) من قوله تعالى :

* فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ ... * الأنفال / ٥٧ .

رسم المصحف : (تَثْقَفَنهم) بفتح القاف من (ثَقِفت) الشيء ثَقْفا وثقافا وثقوفة : حذقته) [1] وهو من باب (تعب) ... وثَقِفت الرجل في الحرب : أدركته ، وثقفته : ظفرت به [2].

فدلالة الفعل تطورت من الحذق إلى الإدراك والظفر .

وهي كسابقتها في علاقة الصامت بالصائت .

*

- قراءات شاذة :

(ب) - الفعل : (تلبسون) من قوله تعالى :

* ... لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ... * آل عمران / ٧١ .

قرأ يحيى من وثاب : (تَلْبَسون) بفتح الباء [3] " مضارع (لَبِس) ، من باب (عَلِم) جعل الحق كأنه ثوب لبسوه . " [4]

ويتحدث ابن فارس عن دلالة الفعل وبنيته فيقول : " اللام والباء والسين أصل واحد ، يدل على مخالطة ومداخلة . من ذلك لَبِست الثوب (أَلْبَسه) وهو الأصل ، ومنه تتفرع الفروع . واللبس : اختلاط الأمر ، يقال لبست عليه الأمر (أَلبِسه) بكسرها ". [5]

---

(١) اللسان : ١٩/٩ ، وينظر تاج العروس : ٦١/٢٣ طبعة محققة ، والجمهرة : ٤٧/٢ .
(٢) المصباح المنير : ٨٢/١ .
(٣) شواذ القراءات : ٢١ .
(٤) البحر المحيط : ٤٩١/٢ .
(٥) مقاييس اللغة : ٢٣٠/٥ ، وينظر اللسان : (ل ب س) ٢٠٢/٦ وفصيح ثعلب : ١٧ ، والمصباح المنير : ٥٤٨/٢ .

فالنص السابق يدلنا على أن القراءة جاءت بنيتها (فَعِل يَفعَل)على الأصل في دلالة الفعل . ولعل هذا وجه الشذوذ فيها وهو هنا ليس بمعناه الحقيقي وإنما ما تفرع منه . ويمكن تلخيص الاستعمال في جانبين :

أولهما : إن الفعل على (فَعِل يَفعَل) على المعنى الحقيقي .

وثانيهما : إن الفعل على (فَعَل يَفعِل) على معنى المخالطة.

غير أن ابن درستويه قرب بين الدلالتين فقال : "وأصل الفعل واحد لأنهما جميعا من التغطية والاختلاط ،لأن ستر الأمر تغطية له ،ولبس ثوب تغطية للبدن". (١) فدلالة الفعل انتقلت من الاستعمال المادي إلى الاستعمال المعنوي.

وننتهي إلى أن قراءة الفعل على (يَفعَل) من فَعِل تدخل ضمن المعنى العام وهو المخالطة والمداخلة ،وعلى هذا النحو يوجه ابن جني قراءة شاذة في الفعل (لَبِس يَلْبَس) في قراءة شاذة.

(ب) - الفعل : (وليلبسوا) من قوله تعالى :

﴿... وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِم دِينَهُم ...﴾ الأنعام / ١٣٧.

"قرأ النخعي : (وليلبَسوا) بفتح الباء". (٢)

وفي توجيه هذه القراءة يقول ابن جني : "المشهور في هذا لَبِست الثوب (ألبَسه) ،ولَبَست عليهم الأمر (ألبِسه). فإما أن تكون هذه لغة لم تتأد الينا : لَبِست عليهم الأمر (ألبَسه).

---

(١) تصحيح الفصيح : ١/٢٤٥.

(٢) البحر المحيط : ٤/٢٣٠.

وإما أن تكون غير هذا ، وهو أن يراد به شدة المخالطة في دينهم...
كما أن لابس الثوب شديد المماسة له والإلتباس به فيقول على هذا :
لبست إليك طاعتك ".(١)

فتعليق ابن جني يشير إلى أن صيغة المغايرة (فَعِل يَفعَل) خرجت عن دلالتها الأصلية وهي (لَبِس الثوب) لتصبح عامة في المخالطة وهذا يعني اتساع دلالة الفعل كنوع من التطور .

(ذ) - الفعل : (ليُنذروا) من قوله تعالى :

* ... وَلِيُنْذَرُوا بِهِ ... * إبراهيم / ٥٢.

قرأ "يحيى بن عمر الذارع وأحمد بن يزيد بن أسيد السلمي :
(ولِيَنْذَرُوا) بفتح الياء والذال .. "(٢)

فالقراءة على (فَعِل يَفعَل) من نَذِرت بالشيء: إذا علمت به فاستعددت له ، فهو في معنى فهمته وعلمت به وظننت له ، وفي وزن ذلك ".(٣)

وبهذا الرأي قال صاحب البحر.(٤)

" وَنذِرت بالقوم بكسر الذال فأنا (أَنذَر) بفتحها ، إذا علمت بهم فاستعددت لهم".(٥)

وقيل : "وَنذِرت بالشيء علمته ."(٦)

---

(١) المحتسب : ١/ ٢٣١.
(٢) السابق : ١/ ٣٦٧.
(٣) المحتسب : ١/ ٣٦٧.
(٤) البحر المحيط : ٥/ ٤٤١.
(٥) فصيح ثعلب : ١٨.
(٦) الأفعال : ٣/ ١٤٥.

(ر) ـ الفعل : (تحرص) من قوله تعالى :

* إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ .. *

النحل / ٣٧.

قرأ النخعي : (إن تَحرَص) بفتح الراء.[١] وهي " مضارع (حرِص) بكسرها وهي لغة ".[٢]

إلّا أن الكسائي استبعد هذه اللهجة ،فقال : " ولا تقول : (تَحرَص) بفتح الراء ".[٣] ويفهم من حديثه أنه يعتبرها من لحن العامة . وعلى نهجه سار الأزهري فقال : " وأما حَرِص (يَحرَص) ، فلغة رديئة ".[٤]

على حين ينصفها ابن درستويه فيذكر أن " العامة تقول : حَرِصت (أَحرَص) ،بكسر الماضي وفتح المستقبل على وزن شَرِهت أَشرَه ،ورغِبت أَرغَب ، وهي لغة معروفة صحيحة ، إلّا أنها في كلام الفصحاء قليلة ".[٥]

ومما يقوي هذه اللهجة أن " اسم الفاعل منها : (حريص)على فعيل ، والقياس (حارص) ،إلّا أنه جاء على معنى المبالغة كما جاء عليم ورحيم ،واستغنى بحريص عن حارص ".[٦]

---

(١) شواذ القراءات : ٧٣.

(٢) البحر المحيط : ٥/٤٩٠.

(٣) ما تلحن فيه العامة : ٩٩ ،وينظر : إعراب القرآن للنحاس : ٢/٢٠٩ ،والصحاح : ٣/٣٢ ،والأفعال لابن القوطية : ٢١٨ وتثقيف اللسان : ١٤٧.

(٤) تهذيب اللغة : ٤/٢٣٩.

(٥) تصحيح الفصيح : ١/١٢٩ ،وينظر المزهر : ١/٢١٥.

(٦) تصحيح الفصيح : ١/١٢٩.

كما يسهــل أداء هذه اللهجة أن الفتح ورد مناسبا لصوت التفخيم (الصاد) عين الفعل ، ومن طبيعة هذه الأصوات إن وجدت في عين الصيغة أو لامها إيثارها للفتح على[1] عين الصيغة شأنها في ذلك شأن أصوات الحلق .

والفعل من حيث المغايرة يساير القياس . إلّا أنه على (فَعَلَ يَفعِل) أكثر استعمالا من (فَعِل يَفعَل) .

فالقراءة بالفتح لهجة فصيحة ، وأصحابها من يؤثرون فتح صوت التفخيم مع كونها أقل شيوعا واستعمالا من لهجة الكسر . والشذوذ فيها مخالفتها لقراءة الجماعة لهجة الفصحاء .

وتحدث ابن جني عن دلالة الفعل فذكر أنها من " معنى السحابة الحارصة ، وهي التي تقشر وجه الأرض ، وشَجَّة حارصة : التي تقشِر جلد الرأس ، فكذلك الحرص ، كأنه ينال صاحبه من نفسه لشدة اهتمامه بما هو حريص عليه حتى يكاد يَحُتّ مستقر فكره "[2] .

وقد أشرنا إلى دلالة الفعل مع قراءة الجمهور (تحرِص) من حَرَص على (فَعَل يفعِل) وهي متفقة الدلالة مع هذه القراءة فكلاهما بمعنى الشدة .

فالقراءتان على (فَعَل يَفعِل) و (فَعِل يَفعَل) باختلاف البنية واتفاق الدلالة .

---

(١) من أسرار اللغة : ٥٠ ، ٢٥٢ .
(٢) المحتسب : ٢/٩ .

(ش) ـ الفعل : (يرشدون) من قوله تعالى :

﴿ ... وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ البقرة / ١٨٦.

قرئ : (يَرْشَدُون) بفتحهما [١] يعني الياء و (الشين).

جاء عن الأخفش : " ولغة للعرب : رَشِدَ (يرشَد) "[٢] بفتح الشين ، وماضيه رَشِدَ بكسرها [٣] . والفعل يدل على استقامة الطريق [٤] ورشد كنصر وفرح رَشَدا ورشدا ورشادا : اهتدى. "[٥]

(ق) ـ الفعل : (تنقمون) من قوله تعالى :

﴿ ... هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ ... ﴾ المائدة / ٥٩.

قرأ يحيى والأعمش : (تَنقَمون) بفتح القاف [٦] وخرجها أبو حيان فقال : " ونقِم بالكسر (ينقَم) بالفتح لغة حكاها الكسائي وغيره ". [٧]

والفتح في مستقبل (نَقِمَ) لهجة العامة [٨] وبها قرئ .

---

(١) البحر المحيط : ٢/ ٤٧ وينظر الكشف : ١/ ٢٣٧.

(٢) معاني القرآن : ١/ ١٦٠.

(٣) إملاء ما من به الرحمن : ١/ ٨٣.

(٤) مقاييس اللغة : ٥/ ٤٦٤.

(٥) القاموس المحيط : ١/ ٢٩٤ والكتاب : ٤/ ٣٤.

(٦) شواذ القراءات : ٣٣.

(٧) البحر المحيط : ٣/ ٥١٦.

(٨) تصحيح الفصيح : ١/ ١٣١.

الطائفة الثانية : أفعال حلقية :

- قراءات متواترة :

(م) - الفعل : (يسمع) من قوله تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَآءَ ... ﴾

الأنبياء / ٤٥.

- قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وحمزة والكسائي : (لا يَسْمَعُ) بفتح الياء" (١) ، وفتح الميم. (٢)

والحجة لمن فتح الياء والميم : "أن الفعل مضارع من (سَمِع) الثلاثي يقال سمِع يَسمَع كعلِم يَعلَم." (٣)

والملاحظ على الفعل (سَمِع) أنه حلقي اللام إلا أن الفتح في مستقبله لم يرد مراعاة للحرف الحلقي وإنما تبعا لقانون المغايرة في (فَعِل يَفعَل). وجاء الفتح مماثلا للصوت الحلقي (العين).

- الفعل : (يعمهون) من قوله تعالى :

﴿ ... وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ البقرة / ١٥.

رسم المصحف : (يَعمَهون) بفتح (الميم). والعمه : التحير والتردد. (٤) قال الخليل : عَمِه الرجل (يَعْمَه) عمها، وذلك إذا تردد لا يدري أين يتوجه". (٥) و (يعمهون) : يتحيرون. (٦)

فالفعل من عَمِه (يَعمَه) بفتح الميم للمغايرة. ومع ذلك فقد ناسب الفتح الصامت الحنجري (الهاء).

---

(١) السبعة : ٤٢٩ ، وينظر غيث النفع : ٢٩٣ والنشر : ٣٢٣/٢.
(٢) الكشف : ١١١/٢.
(٣) قلائد الفكر : ٩٠.
(٤) الصحاح : ٢٢٤٢/٦.
(٥) مقاييس اللغة : ١٣٣/٤.
(٦) العمدة في غريب القرآن : ٧١.

(خ) - الفعل : (يسخطون) من قوله تعالى :

* ... إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ * التوبة / ٥٨.

رسم المصحف : (يَسخَطون) بفتح (الخاء) من سَخِط (يَسخَط) . "وهو الكراهية للشيء وعدم الرضا به ،وقد سَخِط كفرح (يَسخَط) سخطا ". (١)

والفعل حلقي (العين) بالخاء على (يَفعَل) قياسا في المغايرة من (فَعِل) .

(ق) - الفعل : (يفقهون) من قوله تعالى :

* ... لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا * الكهف / ٩٣.

قرأ ابن كثير و نافع وأبو عمرو وعاصم و ابن عامر : (يَفقَهُون)

---

(١) تاج العروس :٥/ ١٥١ ،وينظر المصباح المنير : ١/ ٢٦٩.

بفتح الياء".(١)

"وحجة من قرأ بفتح الياء أنه جعله فعلا ثلاثيا ،يتعدى إلى مفعول واحد ".(٢) وهو من : "فَقِهَ فقها : فهم ".(٣) وأصل الفقه : "إدراك الشيء والعلم به . تقول : "فَقِهتُ الحديث (أفقهه) وكل علم بشيء فهو فقه ".(٤) و"المعنى في (يفقهون) أنهم يفهمون بعد إبطاء ".(٥)

فالفعل على (يَفعَل) من (فَعِل)، وفتح العين في المضارع وإن كان لقصد المغايرة ففيه مناسبة للصامت الحنجري (الهاء) لام الصيغة .

(ح) - الفعل : (تضحكون) من قوله تعالى :

﴿...وَكُنتُمْ مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ المؤمنون /١١٠.

رسم المصحف : (تَضحَكون) بفتح الحاء من ضَحِك (يَضحَك ضحكا وضحكا ".(٦)

فالفعل على (يَفعَل) من (فَعِل) فتحت الحاء (عين) الصيغة تبعا للمغايرة وليس للصوت الحلقي (الحاء) وأيًا كانت العلة فالصوت الحلقي (الحاء) لحقه الفتح . وهو ما يناسبه.

---

(١) السبعة : ٣٦٩ . وغيث النفع : ٢٨٢ ،والنشر : ٣١٥/٢، والإتحاف : ٢٩٤.

(٢) الكشف : ٧٢/٢ وينظر الحجة لابن خالويه : ٢٣١ والحجة لأبي زرعة : ٤٣٢ .

(٣) إكمال الإعلام : ٤٨٨/٢.

(٤) مقاييس اللغة : ٤٤٢/٤ وينظر اللسان (ف ق هـ) ٥٢٢/١٣.

(٥) زاد المسير : ١٩٠/٥.

(٦) الصحاح : ١٥٩٧/٤ وينظر القاموس المحيط : ٣١١/٣.

الطائفة الثالثة : أفعال مضعّفة :

- قراءات متواترة :

(ذ) - الفعل : (تلذ) من قوله تعالى :

* ... وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ ... *

الزخرف / ٧١.

رسم المصحف : (تَلَذُّ) بفتح اللام ، من " (لَذِذتُ)الشيء بالكسر ،لذاذا ولذاذة ، أى وجدته لذيذا" (١) واللذة ضد الألم. (٢)

فالفعل على (فَعِلَ يَفْعَلُ) لَذِذتُ (ألذ).

(ر) - الفعل : (تبروا) من قوله تعالى :

* أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا * البقرة / ٢٢٤.

رسم المصحف : (تَبَرُّوا) بفتح (الباء) من " بَرَّ الرجل (يَبَرّ) بِرًّا وزان عَلِم يَعْلَم عِلْمًا فهو (بَرٌّ) بالفتح و (بارٌّ) أيضا : أى صادق وتقي ". (٣)

(ر) - الفعل (قرى) من قوله تعالى :

* فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ... * مريم / ٢٦.

يقرأ " (وقَرّى) بفتح (القاف) والماضي منه : (قَرِرتُ)

---

(١) اللسان : (ل ذ ذ) ٣/٥٠٦.

(٢) تاج العروس : ٢/٥٧٧.

(٣) المصباح المنير : ١/٤٣.

يا عين بكسر الراء "[1].

فالقراءة على (يَفْعَل) من (فَعِل) ،وقد قرئ بها من (فَعِل) على (يَفْعَل) .

وقد خصّ اللغويون[2] الفعل على (فَعِل يَفْعَل) بالدلالة على السرور والفرح في العين ، وعلى (فَعَل يَفعِل) بالدلالة على القرار والاستقرار في المكان.

وقد يرد الفعل بالدلالة الأولى على (فَعَل يَفعِل) ،إلّا أن الفتح في مضارعه أعلى ، كما يرد الفعل بالدلالة الثانية على (فَعِل يَفْعَل) ،والكسر أعلى فيه وأكثر .

فالقراءة بالفتح جاءت على الأصل الدلالي فيها وهي مختلفة البنية والدلالة مع قراءة الكسر[3] . والفتح أنسب للصوت اللهوى (القاف).

(س) - الفعل : (تمسسه) من قوله تعالى :

﴿... يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ...﴾ النور/ ٣٥.

رسم المصحف : (تَمَسَسه) بفتح السين الأولى من "مَسِسْتُه بالكسر ، (أَمَسُّه) مَسًّا ومسيسا :لمسته ،هذه اللغة الفصيحة ،ومَسَسْته ،

---

(١) إملاء ما من به الرحمن : ٢/ ١١٣ وينظر البحر المحيط : ٦/ ١٨٥ وتفسير القرطبي : ١١/ ٩٦.

(٢) ينظر : تاج العروس : ٣/ ٤٨٦ ،والمثلث للبطليوسي : ٢/ ٤٨٢-٤٨٣ ،وتصحيح الفصيح ١/ ٢٤٣-٢٤٤وزاد المسير : ٥/ ٥٢٤.

(٣) ينظر صيغ المغايرة : (فَعَل يَفعِل).

بالفتح ، (أَمُسُّه) ، بالضم ، لغة"[1].

فالفعل على (فَعِل يَفْعَل) لهجة فصيحة . ويقول ابن فارس في دلالة الفعل : الميم والسين أصل صحيح واحد يدل على جسّ الشيء باليد"[2].

*

- قراءات شاذة :

(ل) - الفعل : (أضل) من قوله تعالى :

﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ... ﴾ سبأ / ٥٠ .

" قرأ الحسن وابن وثاب وعبد الرحمن المقرئ :- (ضَلِلت) - بكسر اللام ، و-(أَضَلّ) - بفتح الضاد وهي لغة تميم"[3].

فالقراءة على (فَعِل يَفْعَل) . وقد عزي الفعل على هذه الصيغة إلى الحجاز وأهل العالية[4] على حين عزاها أبوحيان وكراع إلى تميم[5].

وقد استبعد أستاذنا الدكتور الجندي أن تكون تميم قد استعملت الفعل على (فَعِل يَفْعَل) وإنما آثرت تميم في هذا

---

(١) اللسان : (م س س) ٢١٧/٦ وينظر تصحيح الفصيح لابن درستويه : ١/ ١٥١.

(٢) مقاييس اللغة : ٥/ ٢٧١.

(٣) البحر المحيط : ٢٩٢/٧ وينظر تفسير القرطبي : ٣١٣/١٤.

(٤) اللسان : (ض ل ل) ٣٩٠/١١ والمخصص : ٥٧/١٥ ، والمصباح المنير : ٥٥٤/٢ .

(٥) إصلاح المنطق : ٢٠٦-٢٠٧.

الفعل المضاعف صيغة (فَعِل يَفعَل) بكسر عين الماضي والمضارع.[1]

وننتهي إلى أن الحجاز وأهل العالية متفقون على (فَعِل يَفعَل) بالمغايرة بين الصوائت في صيغة الماضي والإتباع بين الصوائت في المستقبل .

*

المجموعة الثانية : أفعال معتلة :

الطائفة الأولى : ذات الصوائت القصيرة :

- قراءات متواترة :

(ج) - الفعل : (لا توجل) من قوله تعالى :

﴿ قَالُوا لَا تَوْجَلْ ... ﴾ الحجر / ٥٣ .

" قرأ الجمهور : (لا تَوجل) مبنيا للفاعل"[2] . وهو الفعل المثال (غير الحلقي) الوحيد في القرآن على (يَفعَل) من (فَعِل) الذى احتفظ بالواو ، لوقوعها بين فتحتين .

وفيه أربع لهجات ، أجودها[3] وأكثرها وأعلاها لهجة القرآن[4] بتصحيح الواو (يَوْجَل) وقد عزاها سيبويه لأهل الحجاز.[5]

---

(١) اللهجات في التراث : ٢/ ٥٨٤ .

(٢) البحر المحيط : ٥/ ٤٥٨ وينظر تفسير القرطبي : ١٠/ ٣٥ .

(٣) ينظر شرح الملوكي : ٤٩ وشرح مختصر التصريف العربي : ١١٠ والصحاح : ٥/ ١٨٤٠ واللسان : (وج ل) ١١/ ٧٢٢ والقاموس المحيط : ٤/ ٦٣ والمنصف : ١/ ٢٠٢ ومستقبل الأفعال : ٤٧ .

(٤) التكملة لأبي علي الفارسي : ٢٤٧ .

(٥) الكتاب : ٤/ ١١١ .

واللهجات الأخرى فيه هي :

١ - ياجل : بقلب الواو ألفا . وهي لهجة قيس.(١)

٢ - ييجل : بقلب الواو ياء . وهي لهجة بني أسد .(٢)

٣ - ييجل : بكسر الياء . وهي لهجة تميم.(٣)

أما تصحيح (الواو) كما هو في لهجة الحجاز فيعلل له ابن يعيش بقوله : " كأنه ينبه على الفرق بين " وَجَلَ يَوْجَلُ) و (وَجَعَ يَوْجَعُ) وما كان منهما وبين قولهم : (وَسِعَ يَسَعُ) و (وَطِئَ يَطَأُ) ، فأثبتوا الواو في الأول - وحذفوها من الثاني ، والعلة في ذلك أن ما كان من نحو (وَجِلَ يَوْجَلُ) الفتحة فيه أصل ، لأنه من باب (عَلِمَ يعلَمُ) وشَرِبَ يَشْرَبُ ، فلم تقع (الواو) فيه بين ياء وكسرة فكانت ثابتة لذلك ".(٤)

أى أن بناء صيغة (يَفْعَلُ) حافظ على (الواو) من السقوط ، وذلك أن الفتحة أخفّ من الكسرة وأنسب للواو ، فهي وسطى بين الضمة والكسرة ، وأخف منهما.

وقد سجل الصيمري هذه اللغة فقال : " ولا تحذف الواو من هذا ، لأن الفتحة خفيفة فلم يلحقه من الثقل ما لحق باب (يَعِدُ) ونحوه ، فعلى هذا قياس هذا الباب ".(٥)

وقد أدى التركيب الصوتي للفعل إلى إتباع الفتحة بالواو ، مكونا حركة مزدوجة (Diphthong) في المقطع الأول من الفعل (ـَـو) .

---

(١) الجيم : ٣/ ٣٠٥ .

(٢) الصحاح : ٥/ ١٨٤٠ .

(٣) لغة تميم : ٧٤ (د/ ضاحي ، القاهرة ١٩٨٥ م) .

(٤) شرح المفصل : ١٠/ ٦٣ وينظر شرح الشافية : ٣/ ٩١ وديوان الأدب : ٣/ ٢٦١ .

(٥) التبصرة والتذكرة : ٢/ ٧٤٦ .

الطائفة الثانية : ذات الصوائت الطويلة .

- قراءات متواترة :

(و) - الفعل : (أخافُ) من قوله تعالى :

﴿ ... إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ المائدة / ٢٨ ،

آل عمران / ١٧٥.

رسم المصحف : (أخاف) بفتحة طويلة (الألف) حلت محل (الواو) عين الصيغة أي أن (عين) الصيغة أعلت كما هو معروف عند القدماء .

أما مبرر الإعلال عندهم فيرجع إلى صيغة المغايرة (يَفْعَل) ، وما يقتضيه صائت الفتح فيها ،" وإنما صارت (الواو) ألفا في يخاف ،لأنه على بناء (عَمِل يَعْمَل) فاستثقلوا الواو ، فألقوها ، وفيها ثلاثة أشياء ،الحذف والصرف والصوت ،وربما ألقوا الحرف بصرفها ،وأبقوا منها الصوت ،وقالوا : يخاف ،وكان حدّه (يَخْوَف) بالواو منصوبة ، فألقوا الواو واعتمد الصوت على صرف الواو ،وقالوا : (خاف) ،وكان حده (خَوِف) ، بالواو مكسورة فألقوا الواو بصرفها ، وأبقوا الصوت ،واعتمد الصوت على فتحة الخاء فصار معها ألفا لينة".(١)

---

(١) تاج العروس : ٢٣/٢٨٨ ، طبعة محققة ،وينظر اللسان : (خ و ف) ٩/٩٩ وتهذيب اللغة : ٧/٥٩٣.

فإبدال (الواو) ألفا يرجع إلى عاملين :

١ - صرفي : وهو بناء الصيغة (يَفْعَل).

٢ - صوتي : وهو مماثلة فتحة (الخاء).

فالتغيير الصرفي أدى إلى التغيير الصوتي.

(ى) - الفعل : (أكاد) من قوله تعالى :

* إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ... * طه/١٥.

رسم المصحف : (أكاد) بفتحة طويلة من "كاد يكاد" ، و

وأصله : (كيد يكيد)[1] يائي (العين) ، سقطت (الياء)

وحلت محلها (الألف) ، بعد نقل فتحة الياء إلى (الكاف) ،

فجاءت (الألف) لمناسبة الفتحة.[2]

- الفعل : (تناله) من قوله تعالى :

* ... مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ ... * المائدة ٩٤.

رسم المصحف : (تناله) بفتحة طويلة من " نال خيرا (ينال)

نيلا ، أي أصاب . وأصله (نيل ينيل) ، مثل (تَعِبَ يَتْعَب).[3]

فالفعل (تناله) يائي (العين) سقطت (ياؤه) وحلت

(الألف) محلها . بعد نقل الفتحة إلى ما قبلها (النون).

والتفسير الصوتي لهذه الظاهرة سقوط (الياء) ، وإطالة

صائتها لتصبح فتحة طويلة.

---

(١) اللسان : (ك ى د) ٣/٣٨٤.

(٢) ينظر شرح الملوكي : ٤٤٥ - ٤٤٦.

(٣) الصحاح : ٥/١٨٣٨.

الفصل الثالث :

صيغ المماثلة .

Assimilation Forms

فيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : مماثلة بالفتح (فَعَل يَفعَل) .

المبحث الثاني : مماثلة بالكسر (فَعِل يَفعِل) .

المبحث الثالث : مماثلة بالضم (فَعُل يَفعُل) .

الفصل الثالث

صيغ المماثلة

(Assimilation Forms)

تعني الباحثة من هذه التسمية : (صيغ المماثلة) الصيغ التي تتماثل فيها الصوائت على عين (فَعَل يَفعَل) في الماضي والمضارع قياسا على قانون المغايرة في الصيغ السابقة .

وتتشكل صيغ المماثلة على النحو التالي :

الصيغة الأولى : فَعَل يَفعَل مماثلة بالفتح وتشمل :

أ ـ أفعال حلقية .

ب ـ أفعال غير حلقية .

الصيغة الثانية : فَعِل يَفعِل مماثلة بالكسر .

الصيغة الثالثة : فَعُل يَفعُل مماثلة بالضم .

المبحث الأول

(فَعَل يَفعَل)

مماثلة بالفتح (فَعَل يَفعَل) :

أ - أفعال حلقية :

تشكل أصوات الحلق (pharynx) مرحلة انتقالية في مستقبل (فَعَل) ،وذلك بتحويله من طور المغايرة (يَفعُل) إلى طور المماثلة (يَفعَل) . أي أن حركة عين المضارع تتحول من الضم أو الكسر إلى (الفتح) ،وذلك بتأثير أصوات الحلق ، وفي ذلك يقول الفارابي : " فأما المفتوح العين في الماضي والمستقبل فهو لا يقوم إلّا أن يكون فيه أحد حروف الحلق في موضع العين أواللام ".(١)

وهذا يعني أن الصوامت قد أثّرت في الصوائت وألزمتها بأداء معين ، وصيغة محددة .هذاالتأثير من الظواهر الملحوظة في اللغات السامية حيث "تخضع الحركات في جميع اللغات السامية كلية لتأثير الأصوات الصامتة المحيطة بها ".(٢) ففي كل اللغات السامية ، كثيرا ما تتحول حركة حرف المضارع من الضم أو الكسر إلى الفتح ،إذا كانت عينه أولامه صوتا حلقيا .

---

(١) ديوان الأدب : ٢/ ١٣٨ ،وينظر بغية الآمال في معرفة مستقبل الأفعال : ٣٣ - ٣٤. وتصحيح الفصيح : ١/ ٢٧٣.

(٢) فقه اللغات السامية : ٧١.

فالفعل : (فَتَح) مضارعه في العربية : يَفْتَح ، وفي الحبشية : (yeftah) وفي العبرية (yiftah) ، وفي السريانية (neftah) ، وفي الآشورية (ipte) (من : iptah) .(١)

فاللغات السامية تمتاز عن غيرها من اللغات الأخرى بكثرة حروف الحلق وهي الهمزة والهاء والحاء والعين والغين والخاء .(٢) فهذه الأصوات الستة كلها مخرجها الحلق كما ذهب سيبويه (٣) وكافة اللغويين من بعده ، إلّا أنهم نظروا إلى الحلق على أنه مناطق متدرجة (أقصى) و (وسط) و (أدنى) . وقد عبر أحدهم عن هذه المجموعة الصوتية بقوله :

همزنهاء ثم عين حاء مهملتان ثم غين خاء (٤)

على حين كشف البحث الحديث عن ثمة اختلاف بين القدماء والمحدثين في هذه المخارج ، فهي عند المحدثين موزعة على الحنجرة - الحلق - أقصى الحنك .

ونمثل لهذا الاختلاف بين القدماء والمحدثين حول

---

(١) فقه اللغات السامية ٧١ .
(٢) حروف الحلق : للدكتور خليل نامي م/ك آداب القاهرة (ع ٢٨)٩٦٦ ام .
(٣) الكتاب : ٤/ ٤٣٣ وينظر : سر صناعة الإعراب : ١/ ٤٦-٤٧ . والرعاية : ١٤٥، ١٥٥، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٨، ١٦٩ .
(٤) علم اللغة العام : الأصوات : ١٢٢ .

مخارج هذه المجموعة من الأصوات بالجدول التالي :

الصـــوت	مخرجه عند القدماء	مخرجه عند المحدثين
الهمزة والهاء	من أقصى الحلق	من الحنجرة : السابقة للحلق .
العين والحاء	من وسط الحلق	من الحلق : التالي للحنجرة.
الغين والخاء	من أدنى الحلق	من أقصى الحنك : ما يلي الحلق من جهة الأمام .

ويمكن أن نسجل ملاحظاتنا على الجدول التالي :

١ - إن أقصى الحلق قد يكون هو الحنجرة عند القدامى ،لإمكان شمول لفظ الحلق الحنجرة عندهم.

٢ - إن (أدنى الحلق) هو (أقصى الحنك) فهو ليس خلافا في الموضع " وإنما هو خلاف لفظي "(١) . وهذا يعني أن القدامى والمحدثين متفقون حول مخرج (الغين والخاء) .

وهذه الأصوات كلها احتكاكية ما عدا الهمزة فصوت انفجاري.(٢)

وقد فسر الدكتور بشر ما ذهب إليه سيبويه وعامة اللغويين من بعده بأحد وجهين :

---

(١) الدراسات اللهجية والصوتية : ٣٠٥ د/حسام سعيد النعيمي ، (دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨٠م)

(٢) التشكيل الصوتي في اللغة العربية : ٩٣ .

الأول : ربما أخطأ هؤلاء القوم في الملاحظة ،فلم يستطيعوا التفريق بين مخارج هذه الأصوات .

الثاني : لعلهم أطلقوا الحلق على منطقة أوسع من تلك المنطقة التي نسميها اليوم بالحلق والمحصورة بين الحنجرة وأقصى الحنك ". (١)

ونجد الدكتور بشر يعقب على هذين الوجهين في موضع آخر فيقول : " وربما سوغ ما ذهب إليه الدارسون أمران :

أحدهما : قرب هذه المخارج بعضها من بعض ،بل عدم إمكانية الفصل بينهما فصلا تاما ، وإنما الفصل أمر تقديري مبني على الناحية الفسيولوجية .

ثانيهما : اشتراك هذه الأصوات الستة في بعض الخواص الصوتية والصرفية في اللغة العربية ،منها أن الفعل على وزن (فَعَل يَفْعل) بفتح العين في الماضي والمضارع لا يقع إلّا إذا كانت عين الفعل أولامه حرف حلق ". (٢)

ونضيف إلى ما قاله الدكتور بشر إن القدماء لم يفتهم التنبيه إلى توزيع هذه الأصوات على مستويات الحلق فقد أحسّوا بأن (الهمزة والهاء) من أبعد نقطة في الحلق وأن (العين والحاء) من مركز الحلق وأن (الغين والخاء) من أقرب نقطة إلى جهة الفم .

---

(١) علم اللغة العام : الأصوات : ١٢٣.

(٢) دراسات في علم اللغة : ١١٦ ،د/ كمال بشر .

ولكن الذى لم يدركوه هي المصطلحات التي تعبر عن كل نقطة.
ومن هنا جاء تعميمهم للحلق مع كل هذه الأصوات الستة.

وفي القرآن الكريم جاء الفعل الحلقي في مواضع عديدة مفتوح العين في الماضي والمضارع، ونورده على التقسيم التالي :

المجموعة الأولى : أفعال صحيحة :

الطائفة الأولى : أفعال حلقية العين :

- قراءات متواترة :

(ح) - الفعل : (يسحتكم) من قوله تعالى :

* ... لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ .. *

طه / ٦١.

قرأ ابن كثير ونافع وعاصم في رواية أبي بكر وأبو عمرو وابن عامر: (فَيَسْحَتَكُمْ)، (١) بفتحهما من (سَحَتَ) ثلاثيا .(٢) على (فَعَلَ يَفْعَل) بفتحهما مراعاة لصوت الحلق .

و(سَحَتَ) ثلاثيا لهجة أهل الحجاز (٣). والفتح في سحت بمعنى استأصله . (٤) وقيل : "سَحَتَ الشيء يَسْحَتُه سحتا : قشره قليلا قليلا ".(٥)

إلّا أن استعماله في النص القرآني ورد على المجاز والمعنى : فيجهدكم.(٦) وقيل : يهلككم ويستأصلكم.(٧)

---

(١) السبعة : ٤١٩ وينظر غيث النفع : ٢٩٠ والتيسير : ١٥١ والإتحاف : ٣٠٤.
(٢) البحر المحيط : ٢٥٤/٦ وينظر : الحجة لأبي زرعة : ٤٥٤ والكشف : ٦٨/٢.
(٣) إعراب القرآن للنحاس : ٣٤٢/٢ وينظر تفسير الألوسي ٢٢٠/١٦.
(٤) الحجة لابن خالويه : ٢٤٢.
(٥) اللسان : (س ح ت) ٤١/٥ وينظر : ديوان الأدب : ١٩٢/٢.

- الفعل : (يلحدون) من قوله تعالى :

﴿... وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ...﴾ الأعراف/١٨٠.

قرأ حمزة (يَلحَدون) بفتح الياء و (الحاء) (١) ومثله في النحل والسجدة (٢)، ووافقه الكسائي (٣) على ذلك في النحل خاصة، "جعلاه من (لَحَد) إذا مال ثلاثيا" (٤). والفتح مراعاة لصوت الحلق، ولَحِد لهجة في ألحد (٥). "ولَحَد في الدين يلحَد ... مال وعدل" (٦) وقيل: "يلحدون أي: يطعنون في أسمائه" (٧).

وأصل اللحد "الشقّ الذي يكون في عرض القبر موضع الميت، لأنه قد أميل وسطه إلى جانبه" (٨) ومن المجاز "ألحد في دين الله" (٩) فالفعل (يلحدون) جاء استعماله على غير الأصل.

- الفعل : (يجحد) من قوله تعالى :

﴿... وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ العنكبوت/٤٧.

رسم المصحف : (يَجحَد) بفتح (الحاء)، من جَحَد (يجحد) جحدا وجحودا" (١٠).

---

(١) السبعة : ٢٩٨ وينظر غيث النفع : ٢٣٠ والإتحاف : ٢٣٣، والنشر : ٢/٢٧٣.
(٢) النحل : ١٠٣ والسجدة : ٤٠.
(٣) التبصرة : ٢٠٩.
(٤) الكشف ١/٤٨٤.
(٥) الحجة لابن خالويه : ١٦٧.
(٦) اللسان : (ل ح د) ٣/٣٨٨ وينظر ديوان الأدب : ٢/٢٠١ باب (فَعَل يَفعَل).
(٧) الحجة لأبي زرعة : ٣٠٣.
(٨) تاج العروس : ٢/٤١٢.
(٩) أساس البلاغة : ٤٠٥.
(١٠) اللسان : (ج ح د) ٣/١٠٦.

- الفعل (يمحق) من قوله تعالى :

* يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَوٰا وَيُرْبِي الصَّدَقَـٰتِ ... * البقرة / ٢٧٦.

رسم المصحف : (يمحق) بفتح (الحاء) من " مَحَقَه

: (مَحْقا) من باب نَفَع نقصه وأذهب منه البركة وقيل هو ذهاب

الشيء كله حتى لا يرى له أثر ".(١)

والفتح لمناسبة صوت الحلق .

(هـ) - الفعل : (تجهر) من قوله تعالى :

* ... وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ... * الإسراء / ١١٠.

رسم المصحف : (تَجهَر) بفتح (الهاء) ، من جَهر (يَجْهر) :

بفتحتين : ظهر .(٢)

- الفعل : (تقهر) من قوله تعالى :

* فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * الضحى / ٩ .

رسم المصحف : (تقهَر) بفتح (الهاء) من (قَهَره يَقْهَره)

قهرا : غلبه .(٣)

وفتحت (الهاء) للتقريب .

---

(١) المصباح المنير : ٥٦٥/١ ،وينظر ديوان الأدب : ٢١٨/٢ [باب فعل يفعل].

(٢) المصباح المنير : ١١٢/١.

(٣) اللسان : (ق هـ ر) ١٢٠/٥ ،وينظر : الكتاب : ١٠١/٤.

- قراءات شاذة :

(ح) - الفعل : (ينحتون) من قوله تعالى :

﴿ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴾ الحجر / ٨٢ ، الأعراف / ٧٤ ، الشعراء / ١٤٩.

" قرأ الحسن .وأبو حيوة :-(ينحَتون)-بفتحها "(١) " لأن فيه حرفا من حروف الحلق "(٢).

وقد أوردت المعاجم لهجة الفتح في مستقبل (نحت) قبل : " نَحَتَ (يَنْحَتُ) الخشبة ونحوها يَنْحِتها) و (يَنْحَتها)"(٣).

وقفة : من خلال القراءات السابقة تتضح لنا العلاقة بين صوت الحلق وصائت الفتح وقد " فطن الأقدمون من علماء اللغة إلى ميل الأصوات الحلقية إلى الفتحة وأقرهم على هذا المستشرقون ،وقد ظهر هذا الميل بصورة أوضح في اللغة العبرية "(٤).

فالغالب على هذه الأصوات أن تتحرك بالفتح ومن هذا ما وجدناه مع الفعل الحلقي العين أواللام فإن مضارعه يلتزم صيغة (يَفْعَـــل) بفتح العين " ليقاوم خفة فتحة العين ثقالة حروف الحلق "(٥) وقد تحدث سيبويه عن هذه العلاقة فقال : " وإنما فتحوا هذه الحروف ،

---

(١) البحر المحيط : ٥/٤٦٣-٤٦٤.

(٢) إعراب القرآن للنحاس : ٢/٢٠٢ وينظر المحتسب : ٢/٥.

(٣) اللسان : (ن ح ت) ٢/٩٧ وينظر الصحاح : ١/٢٦٨ ، والمصباح المنير: ٢/٥٩٥ والمخصص : ١٤/٢٠٩.

(٤) في اللهجات العربية : ١٢٠.

(٥) شرح مراح الأرواح : ١٨.

لأنها سفلت في الحلق ، فكرهوا أن يتناولوا حركة ما قبلها بحركة ما ارتفع من الحروف ،فجعلوا حركتها من الحرف الذى في حيّزها ،وهو الألف ، وإنما الحركات من الألف والياء والواو ،وكذلك حركوهن إذا كن عينات ولم يُفعل هذا بما هو من موضع الواو والياء ،لأنهما من الحروف التي ارتفعت والحروف المرتفعة حيّزٌ على حدةٍ ،فإنما تتناول للمرتفع حركةٌ من مرتفع ،وكُره أن يُتناول للذى قد سُفُل حركةٌ من هذا الحيّز".(١)

هذه العلاقة الصوتية بين أصوات الحلق والفتح في (يَفعَل) تخرج هذه الصيغة (يَفعَل) من مجموعة صيغ المغايرة للماضي (فَعَل) لتدخلها في الظاهرة العامة ،وهي الميل إلى الانسجام بين الصوامت والصوائت " والسرّ فيه أن كل أصوات الحلق بعد صدورها ، من مخرجها الحلقي ،تحتاج إلى اتساع في مجراها بالفم ، فليس هناك مايعوق هذا المجرى في زوايا الفم ،ولهذا ناسبها من أصوات اللين أكثرها اتساعا ،وتلك هي الفتحة".(٢)

فالعلاقة بين الفتحة وأصوات الحلق تعد نوعا من المماثلة ، ولذا نجد ابن جني يذكر أن فتح عين مضارع المفتوح العين ما كانت عينه أو لامه من حروف الحلق ،إنما هو تقريب الصوت من الصوت وهو ضرب من الإدغام الأصغر.(٣)

---

(١) الكتاب : ٤/ ١٠١ وينظر التبصرة والتذكرة : ٢/ ٧٤٤.

(٢) في اللهجات العربية : ١٧٠ وينظر القراءات القرآنية : ٢٨٩ والتصريف العربي : ٩٠ .

(٣) ينظر الخصائص : ٢/ ١٤٣.

وتعدّ صيغة (يَفعَل) فرعا من (فَعَل يَفعُل) و (فَعِل يَفعَل) ،أي أن (فَعَل يَفعَل) بالفتح ليس بأصل (١) ، فالأصل أن يجيء بالمغايرة ،ولذا أطلقنا على هذه الصيغة (فَعَل يَفعَل) مماثلة بالفتح .

ونتساءل هل الفتح مع أصوات الحلق ظاهرة لهجية ؟ والجواب أنه قد عزى لبني عقيل فتح صوت الحلق الساكن (٢) ولذلك لا يستبعد أن تكون بني عقيل هي التي تؤثر فتح عين مضارع (فَعَل) الحلقي العين أواللام، وذلك على سبيل الانسجام بين الصوائت .

ويؤخذ من هذا أن لهجة عامة العرب في مستقبل الأفعال ذات الأصوات الحلقية أن يأتي في ضوء قانون المغايرة .

---

(١) شرح الشافية : ١/ ١٢١ وينظر شرح الجاربردى : ٥٣ ومجلة البحث العلمي : ٣٠/٤ من مقالة: (بين الأصول والفروع في التغيير الصوتي الصرفي) للدكتور أحمد علم الدين الجندى.

(٢) المحتسب : ١/ ٨٤، ١٦٧، ٢٣٤، وينظر الأصالة العربية في لهجات الخليج : ٥٠.

الطائفة الثانية : أفعال حلقية اللام :

ـ قراءات متواترة :

(م) ـ الفعل : (يجمحون) من قوله تعالى :

﴿ ... لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴾ التوبة / ٥٧.

رسم المصحف : (يجمَحون) بفتح (الميم) من (جَمَحَ يَجْمَحُ) بفتحهما ، والأصل في الاستعمال "جَمَحَ الفرس بصاحبه كمنع (جمحا) .. إذا ذهب يجري جريا غالبا وهو جاد ... وجمح إليه وطمح إذا أسرع ولم يردّ وجهه بشيء" ، وبه فسر أبو عبيدة قوله تعالى : ﴿ لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴾.(١)

فدلالة الفعل توسعت من الجري إلى السرعة مع عدم الالتفات وهذه من خصائص الفرس الجموح ثم استعيرت للإنسان ، ولذلك عدّ الزمخشري استعمال القرآن للفعل في الآية من المجاز فتكون دلالته "يجري جري الخيل الجامحة".(٢) أي يسرعون.(٣)

(ن) ـ الفعل : (يبدئ) من قوله تعالى :

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ... ﴾ العنكبوت / ١٩

قرئ : " يَبْدَأُ " بفتح الياء والدال معا ... ومن(فتح)أخذه من " بدأ " لغة في أبدأ.(٤)

---

(١) تاج العروس : ٢/ ١٣٢.

(٢) أساس البلاغة : ٦٣.

(٣) العمدة في غريب القرآن : ١٤٨.

(٤) الحجة لابن خالويه : ٢٧٩ وينظر البحر المحيط : ٧/ ١٤٦.

والفتح مراعاة لصوت الحلق "لام الفعل" الهمزة ، وهي "أقصى الحروف وأشدها سفولا "(١) وأقواها على الفتح (٢).

(ل) - الفعل : (لأملأن) من قوله تعالى :

﴿ ... لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ الأعراف / ١٨.

رسم المصحف : (لأملأن) بفتح (اللام) من "مَلَأَ الشيء (يَمْلَؤه) ملأ" (٣) بالفتح فيهما .

وجاء الفتح لمناسبة صوت الهمزة .

(ن) - الفعل : (فاجنح) من قوله تعالى :

﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ... ﴾ الأنفال / ٦١.

قرأ الجمهور : (فَاجْنَحْ) بفتحها ،وهي لغة تميم (٤). وفي المعاجم اللغوية ورد الفعل في المضارع على ثلاثة أوجه : الفتح والضم والكسر (٥) ، وكلها من (جَنَح) المفتوح العين في الماضي . إلا أن الفتح في مستقبله لمناسبة صوت الحلق (الحاء) .

(ر) - الفعل : (يذروكم) من قوله تعالى :

﴿... وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ...﴾ الشورى / ١١.

رسم المصحف : (يَذْرَؤكم) بفتح الراء من ذَرَأَ (يَذْرَأ) .. قيل ذرأ الله الخلق (يَذْرَؤهم) ذَرْءا : خلقهم (٦).

---

(١) الكتاب : ٤/ ١٠٢.

(٢) بغية الآمال في معرفة مستقبل الأفعال : ٣٤.

(٣) اللسان (م ل ء) ١/ ١٥٨.

(٤) البحر المحيط : ٤/ ٥١٤ وينظر تفسير القرطبي ٨/ ٣٩ والكشاف : ٢/ ١٣٣.

(٥) القاموس المحيط : ١/ ٢٢٦ وينظر اللسان : ٢/ ٤٢٨ والمخصص : ١٤/ ٢٠٦.

(٦) اللسان : (ذرء) ١/ ٧٩.

(ز) - الفعل : (ينزغ) من قوله تعالى :

﴿ ... إِنَّ الشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ... ﴾ الإسراء / ٥٣.

رسم المصحف : " يَنزَغ " بفتح (الزاء) . قال أبو حاتم :
القراءة بالفتح (١) وهي لهجة في يَنزِغ (٢) . ونزغ الشيطان
بينهم أي أفسد وأغرى (٣) ".

(س) - الفعل : (ننسخ) من قوله تعالى :

﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ... ﴾

البقرة / ١٠٦.

" قرأ الباقون : (ما نَنْسَخْ) بفتح النون الأولى والسين مفتوحة (٤)
و (نَنْسَخ) بفتح النون وماضيه (نَسَخَ) (٥) من باب نفع (٦) ، أزاله
... والشيء يَنسَخ الشيء نَسْخا أي يزيله ويكون مكانه ... ونَسْخُ الآية
بالآية إزالة حكمها (٧) ".

---

(١) البحر المحيط : ٤/ ٥١٤.
(٢) إملاء ما من به الرحمن : ٢/ ٩٣.
(٣) ديوان الأدب : ٢/ ٢١٦ باب (فَعَلَ يَفْعَلُ).
(٤) السبعة : ١٦٨ وينظر غيث النفع : ١٢٨ والنشر : ٢/ ٢١٩ والإتحاف : ١٤٥.
(٥) إملاء ما من به الرحمن : ١/ ٥٧ ، والحجة لابن خالويه : ٨٦.
(٦) المصباح المنير : ٢/ ٦٠٢.
(٧) تاج العروس : ٢/ ٢٨٢ وينظر الكتاب : ٤/ ١٠١.

المجموعة الثانية : أفعال معتلة :

الطائفة الأولى : ذات الصوائت القصيرة :

- قراءات متواترة :

(ق) - الفعل : (يقع) من قوله تعالى :

﴿ ... وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ ... ﴾ الحج/٦٥.

رسم المصحف : (تَقَع) ، بفتح (القاف) (١) ،والفتح لمناسبة صوت الحلق ودلالته (سقط)،وهو أحد المعاني التي ورد عليها الفعل في القرآن (٢).

(هـ) - الفعل : (يهب) من قوله تعالى :

﴿... يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾ الشورى /٤٩.

رسم المصحف : (يَهَب) بفتح (الهاء) من وَهَبَ يَهَب (٣).

وفتحت الهاء لأجل صوت الحلق ،ودلالته : يعطى .

- قراءات شاذة :

- الفعل : (ولا تهنوا)من قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ... ﴾ النساء /١٠٤.

" قرأ الحسن : (تَهَنوا) بفتح (الهاء) ،وهي لغة ، فتحت (الهاء) كما فتحت دال (يدع)لأجل حرف الحلق ،والمعنى : لا تضعفوا أو تخوروا جبنا في طلب القوم " (٤).

---

(١) ديوان الأدب : ٢٥٩/٣.
(٢) الأشباه والنظائر للثعالبي : ٢٦٣.
(٣) ديوان الأدب:٢٥٨/٣.
(٤) البحر المحيط : ٣٤٢/٣.

وقد أوردت المعاجم الماضي من الفعل على وجهين : " (وَهَن) و (وَهِن) ، بالكسر ، (يهِن) فيهما أي ضعف ".(١)

إلا أن صاحب القاموس المحيط أضاف وجها ثالثا فذكر أن فعل الوهن "كوَعَد وورِث وكرُم".(٢)

أي أن ماضيه على (فَعَل) و (فَعِل) و (فَعُل) . بالفتح والكسر والضم . ومضارعه مع فتح الماضي يرد على صيغة المغايرة (يَفعِل) ، ومع كسر الماضي على (يَفعِل) بتماثل صائتي (عين) الماضي والمضارع. ومع ضم الماضي يرد مضارعه على (يفعُل) بتماثل صائتي (عين) الصيغة . وذلك بكسر وضم الصوت الحلقي (الهاء) .

فما مبرر فتح المضارع في هذه القراءة (لا تَهَنوا) ؟ .

لقد حلت الفتحة محل الكسرة في مضارع (وهن) بقصد المضارعة وتقريب الصوت من الصوت.

ولنا وقفة مع الفعل المثال الحلقي في هذه الطائفة من الأفعال ، فالقياس في مستقبل الواوي (الفاء) إذا كان على (يَفعِل) يقضي حذف الواو لوقوعها بين ياء وكسرة. ولا تحذف عند وقوعها بين ياء وفتحة . فلماذا حذفت مع هذه الطائفة من الأفعال المفتوحة ؟

والجواب على ذلك : " وأما حذف الواو من يَقَعُ ، ويَضَعُ ، ويَهَبُ ، فللكسر المقدر ، لأن الأصل فيها كسر العين ، إذ ماضيها (فَعَلَ) بالفتح ؛ فقياس مضارعها (يَفعِلُ) بالكسر ، ففتح لأجل حرف الحلق تخفيفا ؛

---

(١) اللسان : (وهن) ١٣/٤٥٣ وينظر الأفعال للسرقسطي: ٤/٢٢٩ ، والصحاح : ٦/٢٢١٥ .

(٢) القاموس المحيط : ٤/٢٧٦ .

فكان الكسر فيه مقدّرا ، ويَسَع كذلك ؛ لأنه وإن كان ماضيه وَسِع بالكسر ، وقياس مضارعه الفتح ، إلا أنه لما حذفت منه الواو دلّ ذلك على أنه كان مما يجيء على (يَفعِل) بالكسر نحو وعق يَمِق ".(١)

فالنص السابق يشير إلى أمرين هما :

١ - إن حذف الواو في الفعل المثال الحلقي حدث على الأصل في مضارعه المكسور (العين) على (يفعل) .

٢ - إن مجيء الفتح بعد عين (يَفعَل) حدثٌ طارئ استدعاه صوت الحلق ففتح للتخفيف "فالفتحة إذاً عارضة ، والعارض لا اعتداد به ، فهو كالمعدوم . فحذفت الواو فيهما ، لأن الكسرة في حكم المنطوق بها ".(٢)

وعليه يكون توجيه القراءات السابقة ، ففتحت (عين) الصيغة على غير الأصل مراعاة للصوت الحلقي .

---

(١) شرح الأشموني : ٨٨٥/٣ وينظر المخصص : ١٦٤/١٤ وديوان الأدب : ٢٥٩/٣ .

(٢) شرح الملوكي : ٣٣٧ .

ب - أفعال غير حلقيـــة :

المجموعة الأولى : أفعال صحيحة :

- قراءات متواترة :

(ن) - الفعل : (يقنط) من قوله تعالى :

* قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ * الحجر/٥٦.

" قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة : (يَقْنَط) بفتح النون في كل القرآن ... وكلهم قرأوا : (من بعد ما قَنَطوا)(١) بفتح النون ".(٢)

فهذا النص يشير إلى أن القراءة : (يَقْنَط) من (قَنَط) بالفتح فيهما على (فَعَلَ يَفْعَل) بمماثلة صائتي العين في صيغتي الماضـي والمضارع .

وخرجها مكي على أنها مع قراءة الكسر لهجتان ، فقال : " وهما لغتان : (قَنَطَ يَقْنَط) و (قَنِطَ يَقْنَط)".(٣) ورجح وجه الفتح في الماضي والمضارع من المحدثين الدكتور أنيس قائلا : " أما الفعل الوحيد الذى أثار دهشة المتأخرين من اللغويين في أفعال القرآن فهو (قَنَطَ يَقْنَط) ، لأنه ورد في القرآن مفتوح العين في الماضي والمضارع ، وليس فيه حرف من حروف الحلق . ولا شك أن هذا الفعل على هذه الصورة ينتمي للهجة أخرى غير اللهجة القرشية . على أن المعاجم قد روت طرقا أخـــرى ،

---

(١) الشورى آية : ٢٨.

(٢) السبعة : ٣٦٧ وينظر : إعراب القرآن للنحاس : ٢/ ١٩٨.

(٣) الكشف : ٢/ ٣١.

ولا شك أن واحدة منها هي التي تنتمي للهجة القرشية".[1]

بيد أننا نجد بعض اللغويين يخرجها على وجه آخر ، قائلا : فإذا قرأ (من يَقنَط) على لغة من قال : (قَنِط يَقنَط) ، وإذا قرأ ومن (يَقنِط) فهو على لغة من قال : (قَنَطَ يَقنِط) مثل ضَرَب يضرِب".[2]

والأرجح أن تكون القراءة على (يَقنَط) بفتح المضارع والماضي من (قَنَط) ونؤيده بما عزى إلى من قرأ بالفتح في المضارع أنه قرأ بالفتح كذلك في الماضي . ولنا في توجيه مكي حجة قوية ، وكون الفتح في الماضي والمضارع من (قَنَط يَقنَط) لهجة يجعلها بمنأى عن تداخل اللغات . وقد عرف عن طيء أنها تفتح (عين) المعتل الآخر في الماضي والمضارع[3] فلا غرابة أن تكون هناك قبيلة أخرى تفتح عين الصحيح غير الحلقي في الماضي والمضارع . وقد رجح الدكتور أنيس عزوه إلى غير قريش ، إلا أنها قد تكون لهجة قليلة الشيوع . وأصحابها ممن يميلون إلى انسجام الصوائت في صيغتي الماضي والمضارع .

---

(١) من أسرار اللغة : ٥٣ .

(٢) النحاس في : إعراب القرآن : ٢/٩٨ ، وابن خالويه في : الحجة : ٢٠٧ .

(٣) ينظر ديوان الأدب : ٢/١٣٨ .

- قراءات شاذة :

(ل) - الفعل : (يهلك) من قوله تعالى :

﴿ ... وَيُهْلِكَ الحَرْثَ وَالنَّسْلَ.. ﴾ البقرة / ٢٠٥.

قرأ الحسن وابن أبي اسحاق وابن محيصن : (وَيَهْلَكُ) بفتح الياء واللام ورفع (الكاف) - (الحرث والنسل) - رفع فيهما.[1] من (هَلَكَ يَهْلَكُ) .

فالقراءة على (فَعَلَ يَفْعَلُ) إحدى ثلاث لهجات ذكرها الفيروزآبادي[2] . وهي : (كضرب) و (منع) و (علم) ، أي أن الفعل يرد على صيغتي المغايرة : (فَعَلَ يَفْعِلُ) و (فَعِلَ يَفْعَلُ) ، وصيغة المماثلة : (فَعَلَ يَفْعَلُ).

غير أن مجيء الفعل على (فَعَلَ يَفْعَلُ) بتماثل صائتي العين عُدّ لهجة ضعيفة.[3] ولعلها لهجة من يميل إلى انسجام الصوائت في صيغتي الماضي والمضارع ، وهي ظاهرة معروفة في اللهجات البدوية القديمة . ونظنها لطيء التي مالت إلى تماثل صائتي (العين) في المعتل الآخر غير الحلقي .

ووجه الضعف فيها فتح (عين) الماضي والمضارع في غير الحلقي .

---

(١) المحتسب : ١/ ١٢١.

(٢) القاموس المحيط : ٣/ ٣٢٤.

(٣) إملاء ما من به الرحمن : ١/ ٨٩.

المجموعة الثانية : أفعال معتلة :

- قراءات متواترة :

(ب) - الفعل (تأبى) من قوله تعالى :

﴿ ... يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ ... ﴾ التوبة /٨، ٣٢.

رسم المصحف : (تأبَى) بفتح (الباء) . في الثلاثي المعتل اللام.

جاء في اللسان : "أَبَى فلان "يَأْبَى" بالفتح فيهما مع خلوه من حروف الحلق ، وهو شاذ".(١)

وقال فيه سيبويه : "وقالوا : أَبَى فأنت تِئْبِى ، وهو يِئْبِى . وذلك أنه من الحروف التي يستعمل (يَفْعَل) فيها مفتوحا وأخواتها ، وليس القياس أن تفتح ، وإنما هو حرف شاذ".(٢)

وقد قاس سيبويه الشاذ بالشاذ عندما نظر أَبَى يَأْبَى بحَسِب يَحسِب ، قال : " وفي يَأْبَى وجه آخر : أن يكون فيه مثل : حَسِب يَحسِب ، فُتِحا كما كُسِرا".(٣)

وعلله سيبويه قائلا : " وقالوا أَبَى يَأْبَى ، فشبهوه بيقرأ".(٤)
(٥) " أي أنهم فتحوا من أجل تشبيه الهمزة الأولى بما الهمزة فيه أخيرة".

---

(١) اللسان : "أبى" ١٤/ ٣.
(٢) الكتاب : ٤/ ١١٠.
(٣) السابق : ٤/ ١٠٥.
(٤) الكتاب : ٤/ ١٠٥.
(٥) المخصص : ١٤/ ٢١١.

ولابن عصفور تعليل آخر ذهب فيه إلى أن " وجه مجيء " مضارع

أبى على (يَفعَل) تشبيه الألف بالهمزة ،لقربها منها في المخرج .
فكما أن ما لامه حرف حلق من (فَعَل) يأتي مضارعه على (يفعَل) ،نحو يقرأ فكذلك
ما لامه الف[1] وقد رّد على من قال بهذا الرأى : " وذلك غلط ،لأن الألف

ليست بأصل في أبى يأبى وإنما هي منقلبة من ياء (أبيت) لانفتـــاح

ما قبلها فإذا قلت في الماضي أبى لانفتاح ما قبلها فحقها أن تكـون

في المستقبل على يأبِى كما تقول : أتَى يأتِي ورَمَى يرمِى ، وإنما تنقلب

في المستقبل ألفا إذا فتحنا ما قبلها ،فلا سبيل إلى الألف ".[2]

وقيل : " وشذ أبى يأبى " قال بعضهم : إنماذلك لأن الألف

حلقية ،وليس بشيء لما ذكرنا أن الفتحة سبب الألف فكيف يكـون

الألف سببها ".[3]

وأرى أن يوجه الفعل (أَبَى يَأْبَى) على لهجة طيء التي

تفتح (عين) الماضي والمضارع في المعتل الآخر ،وحسبه مجــيء

القرآن به ،ولا مدعاة لتلك التعليلات التي ساقها الصرفيون حول فتح

(عينه) في الماضي والمضارع .

---

(١) الممتع : ٢/٥٣٢ .

(٢) المخصص : ١٤/٢١٠-٢١١ .

(٣) شرح الشافية : ١/١٢٣ .

المبحث الثانـــي

فَعِـــل يَفعِـــل

ماثلة بالكسر : (فَعِل يَفعِل) :

المجموعة الأولى : أفعال صحيحة :

- قراءات متواترة :

(س) - الفعل : (يحسبهم) من قوله تعالى :

﴿ ... يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ... ﴾ البقرة/ ٢٧٣.

"قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي : (يَحْسِبُهُمْ) و (يَحْسِبَنَّ) بكسر السين في كل القرآن ".(١)

وقد وجهت قراءة الكسر على أنها على (يَفعِل) وماضيه علـــى (فَعِل) بالكسر ، إلّا أن " الكسر فيه لغة شذت عن القياس ، وله نظائر أتت بالكسر في المستقبل والماضي مسموعـــة ، وروى أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ بكسر السين ، وهي لغة حجازية ".(٢)

فالقراءة على (فَعِل يَفعِل) ، وقد يرد مضارع (حَسِب) بالفتح ، وله نظائر من الأفعال استعملت العرب في مضارعها الكسر ، وهي : (يَنعِم) ، و (يَيئِس) ، و (يَيبِس) حتى صار الكســـر فيهن أفصح .(٣)

---

(١) السبعة : ١٩١ وينظر التبصرة : ١٦٥ وغيث النفع : ١٧٠ والنشر: ٢/ ٢٣٦.

(٢) الكشف : ١/ ٣١٨ وينظر إبراز المعاني : ٣٧٧ .

(٣) الحجة لابن خالويه : ١٠٣ وينظر الحجة لأبي زرعة : ١٤٨ ، وإملاء ما من به الرحمن : ١١٦.

وهذا الاستعمال على (فَعِل يَفعِل) و (فَعِل يَفعَل) تنفرد به هذه الأفعال الأربع ،وليس في كلام العرب سواها.(١)

ويمكن أن نلخص ما وصفت به لهجة الكسر في (حَسِب يَحسِب) :

١ - إنها لهجة شاذة : حيث جاء مضارع (فَعِل) بالكسر.(٢)

٢ - إنها مسموعة على غير القياس : وقد استحسن ذلك أبو علي الفارسي فقال " والكسر حسن لمجيء السمع(٣) به ، وإن كان شاذا عن القياس".(٤)

٣ - إنها أفصح : وقد ذهب بحرق إلى أن الكسر مع الشذوذ أفصح(٥) ولا عجب لاجتماع الشذوذ مع الفصاحة ،فالشذوذ مرجعه عدم حصول المغايرة في مستقبل الفعل (حَسِب) ،أما وجه الفصاحة، فحسبه نزول القرآن به وقراءة الرسول صلى الله عليه وسلم أفصح من نطق بالضاد .

٤ - إنها كثيرة الشيوع بين القبائل المتحضرة : فقد عزاها بعضهم إلى (الحجاز)(٦) ، بعامة وخصص بعضهم ،فعزاها إلى (قريش)(٧) ، كما عزيت إلى (بني كنانة)(٨) من القبائل

---

(١) ليس في كلام العرب : ٤٤ - ٤٥ وينظر شرح الملوكي : ٤٢.

(٢) الممتع في التصريف : ١/ ١٧٦.

(٣) لعله يعني السماع .

(٤) الحجة لأبي علي الفارسي : ١/ ٣٠٤.

(٥) شرح بحرق على لامية الأفعال : ١٦.

(٦) ينظر : الكشف ١/ ٣١٨ والبحر المحيط :٢/ ٣٢٨ ،وزاد المسير : ١/ ٣٢٨.

(٧) ينظر اللغات في القرآن : ٢٧.

(٨) ينظر المصباح المنير : ١/ ١٣٤.

الحجازية[1]. كما عزيت إلى (طيا مضر)[2]، وهم قريش وقيس[3].

وفي عزوها إلى قريش تأكيد لفصاحتها.

و رأنها أجود[4]، ويعلل ابن جني لمجيء الكسر في (حسب يحسب) وأخواتهما تعليلا يتفق مع روح اللغة، فيعدّه (لضرب من الاتساع)[5].

وقد جاء تماثل صائت الكسر في الأفعال التي بنيت على (فَعِل يفعِل) قياسا على الأفعال التي بنيت على (فَعُل يَفعُل) بتماثل صائت الضم، يقول سيبويه: " وقد بنوا (فَعِل) على (يفعِل) في أحرف، كما قالوا: (فَعُل يَفعُل) فلزموا الضمة، وكذلك فعلوا بالكسرة فشبّه به. وذلك (حَسِب يحسِب)، و (يئِس ييئِس)، و (يبِس ييبِس) و (نَعِم ينعِم)"[6].

ومن الناحية الصوتية ترى أن الكسر في (فَعِل يفعِل) نوع من المماثلة، ليكون عمل اللسان في اتجاه واحد، كما أن الكسر أقرب إلى صوت السين من صائت الفتح. وفي الكسر رقة مستحبة.

وقيل في دلالته: (يحسِب): يظن[7] فالقراءة على (فَعِل يَفعَل) و (فَعِل يفعِل) باختلاف البنية واتفاق الدلالة.

---

(١) في اللهجات العربية: ٦٠.

(٢) ينظر: أدب الكاتب: ٣٧٢ والنوادر في اللغة: ٥٥٧.

(٣) اللسان: (ع ل ى) ١٥/ ٩٣.

(٤) تهذيب اللغة ٤/ ٣١٣.

(٥) المنصف: ١/ ٢٠٨.

(٦) الكتاب: ٤/ ٣٨.

(٧) إكمال الإعلام ٢/ ٧٦٢.

المجموعة الثانية : أفعال معتلة :

ذات الصوائت القصيرة :

- قراءات متواترة :

(ر) - الفعل : (ترثوا) من قوله تعالى :

* ... لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ... * النساء/ ١٩.

رسم المصحف : (تَرِثُوا) من ورث فلانا (أرِثُهُ) ورثا وورثا إذا مات على (فَعِل يَفْعِل) [١] وذلك بتماثل حركتي العين في الماضي والمستقبل .

وقد أعلّ الفعل (يَرِثُوا) بحذف فائه لوقوعها بين ياء وكسرة قياسا على ما ورد على (فَعَل يَفْعِل) كوَعَد يَعِد .

فما موقف الصرفيين من هذا الفعل ونحوه مما هو معتل الفاء على (فَعِل يَفْعِل) ، يصفها ابن عصفور بالشذوذ : " وقد شذت ألفاظ [٢] فجاء المضارع منها على (يَفْعِل) فحذفت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة وذكر منها (ورِث يَرِث) ".

وذهب أبو حيان إلى أن مجيء الكسر فيها وجوبا [٣] والكسر في المعتل (الفاء) أكثر من الصحيح. [٤]

---

(١) المصباح المنير : ٢/ ٢٠٠.

(٢) الممتع : ٢/ ٤٢٤.

(٣) ارتشاف الضرب : ١/ ٧٦. طبعة محققة وينظر : شرح مختصر التصريف العربي : ٣٤.

(٤) شرح الملوكي في التصريف : ٥٠.

أما التعليل الصوتي عندهم لمجيء المعتل الفاء (المثال) في المضارع على (يَفعِل) من فَعِل دون (يَفعَل) على القياس فيرجع إلى صعوبة النطق بالمعتلين عند تتابعهما ،" فحملوه على بناء يسقط الواو "(١) ، " فتخف الكلمة ".(٢)

فمجيء (فَعِل على يَفعِل) بصائتين متماثلين في المعتل الفاء بالواو ضرورة صوتية ... وليس من الشذوذ .

فكما سقطت الواو من (فَعَل يَفعِل) مع المغايرة سقطت من (فَعِل يَفعِل) عند تماثل صوائت العين .

وقد أكد هذه النتيجة سيبويه من قبل بقوله : " فلما كانت الواو في (يَفعِل) لازمة وتستثقل صرفوه من باب فَعِل يَفعِل إلى باب يلزمه الحذف ، فشركت هذه الحروف وَعَد ، كما شركت حَسِب يَحسِب وأخواتها في ضَرَب يَضرِب وَجَلَس يَجلِس . فلما كان هذا في غير المعتل كان في المعتل أقوى ".(٣)

فمجيء المعتل على (فَعِل يَفعِل) وجه قويٌّ . وهذا مما ينفي شذوذ المماثلة بين الماضي والمضارع في(عين)المعتل الفاء .

وقد حصر صاحب المصباح المنير هذه الأفعال المعتلة على (فَعِل يَفعِل) في أحد عشر فعلا هي : (وبِق يبِق)، (وفِق أمره يفِق) ، (وهِن يهِن) ،أي ضعف في لغة ،(وثِق يثِق) ، (ورِع يرِع) ، (ورِم يرِم) ،(ورِث يرِث) ، (ورِي الزند يرِي) في لغة ،(ولِي يلِي) ، (وعِم يعِم) بمعنى نعم ،(ورِي المخ يرِي) إذا اكتنز".(٤)

مما يدل على شيوع الكسر في ماضي ومستقبل المثال الواوي.

---

(١) شرح الملوكي في التصريف : ٥٠ .
(٢) شرح الشافية : ١/١٣٥ ،وينظر بغية الآمال : ٤٦ .
(٣) الكتاب ٤/ ٥٤ .
(٤) الفيومي في المصباح المنير : ٦٨٨ (الخاتمة)

المبحث الثالث

فَعُل يَفْعُل

مماثلة بالضم : (فَعُلَ يَفْعُل) :

أفعال صحيحة :

- قراءات متواترة :

(ب) - الفعل : (يكبروا) من قوله تعالى :

﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ .. ﴾

الإسراء / ٥٠ ، ٥١ .

رسم المصحف : (يَكْبُرُ) بضم (الباء) من (كَبُرَ يَكْبُر) بتماثل صائتي (العين) في الماضي والمستقبل ، على (فَعُلَ يَفْعُل) .

ودلالته : (عَظُم) .

(ص) - الفعل : (يبصروا) من قوله تعالى :

﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ... ﴾ طه / ٩٦ .

رسم المصحف : (يَبْصُروا) من : (بصر يبصر) بتماثل صائتي (العين) في الماضي والمستقبل على (فَعُلَ يَفْعُل) .

ودلالته (علم) .

(هـ) - الفعل : (يطهرن) من قوله تعالى :

﴿ ... وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ... ﴾ البقرة / ٢٢٢ .

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص : (يَطْهُرن) مضموم الهاء ، مخففا (١) .

---

(١) السبعة : ١٨٢ وينظر غيث النفع : ١٦١ والنشر : ٢/٢٢٧ والإتحاف : ١٥٧ .

وقد وجهت[١] هذه القراءة (يَطهُرن) على أن ماضيه إمّا بالفتح (طَهِر) وإما بالضم (طَهُر).

فالفعل يرد الماضي منه على صيغتي: (فَعَل) و (فَعُل) باتفاق الدلالة يدلنا عليه قول الزجاج: "يقال: (طَهَرت) المرأة و (طَهُرت) إذا انقطع الدم عنها".[٢]

وإلى هذا ذهب ابن قتيبة[٣] وابن خالويه[٤] وفي نص اللسان: "طَهُرت تَطْهُر فهي طاهر".[٥] فاسم الفاعل (طاهر) مشترك بين (طَهَر) و (طَهُر).

والنتيجة التي نصل اليها أن (يَطْهُر) ترد من (طَهُر) بتماثل صائتي (عين) الماضي والمستقبل على (فَعل يَفعُل).

وعليه يمكن تخريج قراءة (يَطْهُرن) على أنها من (طَهُر) على (فَعُل يَفْعُل) وإن كانت (طَهُر) لهجة قليلة[٦] في الفعل الحلقي (العين)، ولعل وجه القلة يرجع إلى ثقل اجتماع صائت التفخيم الضمة مع أشد أصوات الحلق سفولا (الهاء)، إلّا أن لزوم الفعل يبرر ضم الماضي والمستقبل منه.

---

(١) ينظر الحجة لأبي علي الفارسي: ٢/٣٢٢.
(٢) الحجة لأبي زرعة: ١٣٥.
(٣) زاد المسير: ١/٢٤٨.
(٤) الحجة لابن خالويه: ٩٦.
(٥) اللسان: (ط هـ ر) ٦/٥٠٥ وينظر إصلاح المنطق: ٢٠٧.
(٦) المصباح المنير: ١/٣٧٩.

الفصل الرابع :

صيغ نادرة .

Rares Forms

فيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : التحول من الكسر إلى الضم (فَعِل يَفعُل) .

المبحث الثاني : التحول من الضم إلى الفتح (فَعُل يَفعَل) .

المبحث الثالث : الاحتفاظ بصائت الفتح (فَعَل يَفعَل) .

الفصل الرابع

صيغ نادرة

(rares formses)

وأرجع لها هذه التسمية لندرة الأمثلة التي وردت عليها ،ولقلة استعمالها ،وعدم اطرادها . وهذه الصيغ هي :

فَعِل يَفْعُل	بمغايرة صائت (العين) في المضارع ، من الكسرة إلى الضمة .
فَعُل يَفْعَل	بمغايرة صائت (العين) في المضارع من الضمة إلى الفتحة .
فَعَل يَفْعَل	بتماثل صائتي (العين) في الماضي والمضارع غير الحلقي .

وقد فسرها اللغويون والنحويون تفسيراً خاصا ،فهذا ابن جني يعدها من : (تركب اللغات) و (تداخل اللغات) (١).

ويشرح عملية التداخل هذه فيقول : " تلاقى أصحاب اللغتين فسمع هذا لغة هذا ،وهذا لغة هذا ، فأخذ كل واحد منهما من صاحبه ما ضمه إلى لغته ،فتركبت هناك لغة ثالثة" (٢).

---

(١) الخصائص : ٣٧٤/١ ، ٣٧٥ وينظر المنصف : ٢٥٦/١ وشرح المفصل : ١٥٤/٧.

(٢) السابق : ٣٧٦/١ وينظر الاقتراح للسيوطي : ٢٦.

وهو تفسير يصطبغ بالنزعة العقلية المنطقية التي لا تتفق مع روح اللغة وواقعها .

وقد رفض المحدثون تفسير ابن جني القائم على استعارة الصيغ لمخالفته طبيعة اللغة ، فهذا الدكتور إبراهيم أنيس يتصدى له بقوله :

" وليس تداخل اللغات الذى زعمه ابن جني إلا نوعا من الصناعة لا تبرره تلك الأمثلة التي رواها . وإنما الواجب أن تجمع كل الأفعال الثلاثية ، ماضيها ومضارعها ، ثم تبوّب وتنسق وينظر إليها على أنها تنتمي إلى لهجات متعددة . فإذا قيل إن المراد بتداخل اللغات استعارة بعضها من بعض . واستعارة اللغات بعضها من بعض أمر معترف به بين المحدثين من علماء اللغات ، قلنا إن اللغات قد تستعير الكلمات لا الصيغ ، وليس هناك من سر يمكن معه أن تنتقل القبيلة أو الرجل منها من قوله : (نعِم ينعَم) إلى (نعِم ينعُم) !! "(١)

فمنطق اللغة يجيز استعارة الكلمات ولا يجيز استعارة الصيغ وهذا ما نجده حاصلا بين اللهجات الحديثة في البلاد العربية .

أما الدكتور الجندى فيعقب على تفسير (تركب اللغات) كما جاء إلينا من النحويين واللغويين بأنه تم بعملية منطقية ومنظمة ومقصودة ، بمعنى أخذ العربي الماضي من لهجة والمضارع من أخرى ، فهي عملية مقصودة - ثم يضيف - لكن العنصر الاجتماعي أساسي في اللغة : صيغا وأبنية ، وهذا هو نتيجة تعارف المجتمع ، وبعد ذلك

---

(١) في اللهجات العربية : ١٦٦ .

يلتزم الفرد بها ويراعيها ويتكلم بها دون تفكير فيها ولا وعي بتفصيلها - وينتهي إلى القول - فاختلافي مع القدماء في تفسير (تداخل اللغات) لا في إنكاره ".

وقد رجح عدة تفسيرات لتركب اللغات وهي :(١)

١ - إنه يرجع إلى بقايا في جسم اللغة لم يتكامل ولم يأخذ تمام دورته بل جمد في مرحلة ما من تطور اللغة ، ويمكن أن تسمى هذه البقايا اللهجية ، والتي فسرها اللغويون بالتداخل " بالتحجرات اللغوية التي يبقى عليها لصالح التاريخ ".(١)

٢ - من الجائز أن تكون هذه الصيغ المتداخلة " من أخطاء القياس والأجيال الناشئة ".

٣ - احتمال خطأ الرواة في النقل ، مما تسبب عنه وجود هذا النوع من الصيغ المتخالفة وقد نبه إلى أن هذا التعليل خاص بما ورد في المعاجم فحسب ، أما ما جاءنا منه في قراءات القرآن أياً كانت متواترة أو شاذة فلا نفسرها على أنها من أخطاء القياس أو الرواة ، لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تجردوا وبذلوا أنفسهم في تلاوة القرآن وروايته حرفاً حرفاً ، ولم يهملوا منه حركة ولا سكوناً ولا إثباتاً ولا حذفاً ، ولا دخل عليهم شيء منه شك ولا وهم ".

---

(١) اللهجات في التراث : ٢/ ٥٩١ - ٥٩٢ .

المبحث الأول

فَعِل يَفْعُل

التحول من الكسر إلى الضم (فَعِل يَفْعُل) :

ذكرها سيبويه (١) والأفعال الواردة عليها وهي : (فَضِل يَفْضُل) و (مِتّ تَموت) ، وأضاف بعضهم : (قَنِط يَقنُط) (٢) و (حَضِر يَحضُر) و (نَكِل يَنكُل) و (نَجِد يَنجُد) ،وأنكر الأصمعي التداخل في الأخيرتين (٣).

ومن القراءات التي خرجت على (فَعِل يَفعُل) :

المجموعة الأولى : أفعال صحيحة :

قراءات شاذة :

(ض) - الفعل : (حضر) من قوله تعالى :

﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ ... ﴾ البقرة / ١٣٣.

قرأ أبو السمال : (حَضِر) بكسر الضاد (٤).

وقد خرجت هذه القراءة على أنها على (فَعِل يَفعُل) على غير القياس بفتح الماضي وضم المستقبل (فَعَل يَفعُل) ،لكن العرب

---

(١) الكتاب : ٤/٤٠.

(٢) ينظر ليس في كلام العرب : ٩٥.

(٣) شرح الشافية : ١/١٣٦-١٣٧.

(٤) شواذ القراءات : ٩-١٠.

استغنت فيه بمضارع (فَعَل) المفتوح العين ،فقالت : (حَضِرَ يحضُر) بالضم ، وهي ألفاظ شذت فيها العرب فجاء مضارع (فَعِل) المكسور العين على (يَفعُل) بضمها ". (١)

وعزي الكسر إلى أهل المدينة فقيل : " ولغة أهل المدينة (حَضِرت) وكلهم يقولون : (يَحضُر) ".(٢) أي على (فَعِل يَفعُل).

المجموعة الثانية : أفعال معتلة :

- قراءات متواترة :

(و) - الفعل : (متم ، ومت) من قوله تعالى :

* وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ ... * آل عمران / ١٥٧، ١٥٨.

.. يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا.. مريم / ٢٣ ،والمؤمنون / ٣٥، ٨٢.

" قرأ نافع وحفص والكسائي وحمزة (مِتُّم) ،و (مِتْنا ومِتُّ) بكسر الميم حيث وقع ، غير أن حفصا ضم الميم في هذه السورة دون غيرها ، وكسر ما بقي ". (٣)

وقد وجه مكي قراءة الكسر هذه على أن الفعل على (فَعِل يَفعُل) فذكر أن حجة من كسر الميم أنه حمله على لغة أتت فيه على (فَعِل يَفعُل) ، وذلك قليل في القياس ، أتى في المعتل كما أتى في السالم ، نحو : (فَضِل يَفضُل) ،وهو قليل أيضا في السالم ،

---

(١) البحر المحيط : ١/ ٣٩٧.

(٢) الأفعال للسرقسطي : ١/ ٣٥٢.

(٣) التبصرة : ١٧٥ ،وينظر السبعة : ٢١٨.

فلما كان الماضي على (فَعِل) كسر أوله في الاخبار ،لتدل الكسرة على أن (العين) من الفعل أصلها الكسر كما كسروا في (كِلت) ،لتدل الكسرة على الياء المحذوفة ، ف (مِتُّ) بالكسر كثير الاستعمال ، شاذ في القياس"[1]. وظاهر كلام مكي أن من قرأ (مِتُّ) فالمستقبل عنده (أموت) على (فَعِل يَفعُل) .

غير أن أبا حيان[2] وابن حسنون[3] عزيا الفعل : (مِت تَموت)إلى أهل الحجاز . فهذا يعني أن صيغة (فَعِل يَفعُل) لا تداخل فيها .

- قراءات شاذة :

- الفعل : (ما دمت) من قوله تعالى :

﴿ ... إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ... ﴾ آل عمران / ٧٥.

قرأ أبو عبد الرحمن السلمي ويحيى بن وثاب وابن أبي ليلى والفياض بن غزوان وطلحة وغيرهم : (دِمتَ) بكسر الدال،" وهي لغة تميم"[4].

وخرجها الفراء[5] على أنها على (فَعِل يَفعُل) على

---

(١) الكشف : ١/٣٦٢.
(٢) البحر المحيط : ٣/٩٦.
(٣) اللغات في القرآن : ٤٠.
(٤) البحر المحيط : ٢/٥٠٠.
(٥) السابق : ٢/٤٩٨.

لهجة تميم . إلّا أنها وصفت بالشذوذ [١] تارة وبالقلة تارة أخرى.[٢]

فمن قرأ (دِمتَ) بالكسر فالمستقبل عنده (تَدوم) على (فَعِل يَفعُل).

والنتيجة التي نخلص إليها من عرض ومناقشة القراءات السابقة، ورود القراءات القرآنية على (فَعِل يَفعُل) وهي من صيغ المغايرة عند الحجازيين ،ولم يلتفت إليها الصرفيون لندرة الأمثلة الواردة عليها،[٣] يؤيد ما نذهب إليه :

١ - أن (مِت تموت) لهجة حجازية.

٢ - عزو ابن دريد : (فَضِل يَفضُل) إلى الحجاز.[٤]

٣ - عزو (حَضِر يَحضُر) لأهل المدينة ،وأهل المدينة من أهل الحجاز ، أما عزو (رِمت تروم) إلى تميم ،فنحسبه لبعضها من تأثر بلهجة الحجاز ،خاصة وأن (مُتنا) بالضم لهجة تميم.[٥]

---

(١) ينظر المنصف : ١/ ٢٥٦ والتبصرة للصيمري : ٢/ ٨٧٥.

(٢) معاني القرآن للأخفش : ١/ ٢٠٧.

(٣) شواذ القراءات : ٩-١٠.

(٤) الاشتقاق : ١/ ٦٤.

(٥) اللغات في القرآن : ٤٠.

المبحث الثاني

فَعُل يَفعَل

التحول من الضم إلى الفتح (فَعُل يَفعَل) :

وقد حصر اللغويون أفعال هذه الصيغة في الأفعال التالية :

(كُدت تكاد)[١] و (دُمت تدام) و (جُدت تَجاد)

و (مُت تمات)[٢] .

غير أن (كُدت تكاد) عزيت إلى عدي[٣] . و (مُت تمات)

إلى طيء[٤] ، مما يشير إلى أن (فَعُل يَفعَل) من صيغ المغايرة

في هاتين اللهجتين .

ولم أعثر فيما رجعت إليه من كتب القراءات ما يحتمل أن يكون

على هذه الصيغة .

---

(١) الكتاب : ٤٠/٤ .

(٢) بغية الآمال : ٥٤ .

(٣) ينظر تاج العروس : ٤٨٩/٢ ، واللسان : (ك و د) ٣٨٢/٣ .

(٤) ينظر اللسان : (م و ت) ٩١/٢ والجمهرة : ٤٨٥/٣ .

المبحث الثالث

فَعَل يَفعَل

بتماثل صائت العين في فَعَل يَفْعَل :

تحدث عنها ابن جني قائلا : " وقالوا أيضا فيما جاء من (فَعَل يفعَل) ،وليس عينه ولا لامه حرفا حلقيا ،نحو قَلَى يَقْلَى ،وسَلا يَسلَى ،وجَبَى يَجبَى ،ورَكَن يَركَن ،وقَنَط يَقْنَط ".(١)

وقد عدّ سيبويه (جَبَى يَجبَى) و (قَلَى يَقلَى) لهجة ضعيفة (٢) ،إلّا أنه ورد عن طيئ أنهم يفتحون غير الحلقي في الماضي والمستقبل فقد نص الفارابي قائلا : " فأما المفتوح العين في الماضي والمستقبل فهو لا يقوم إلا أن يكون فيه آحد حروف الحلق في موضع العين أو اللام ،إلا في لغة (طيئ) فإنهم يخالفون العرب في هذا بإجازة ذلك فيما خلا من حروف الحلق مثل : (فَنَى يَفنَى) ، و (بَقَى يَبقَى)".(٣)

فصيغة (فَعَل يَفعَل) بفتح عينيهما في غير الحلقي (المعتل) لهجة طائيّة مما يجعلنا نميل إلى أن (فَعَل يَفعَل) في غير الحلقي لهجة كذلك ،وأصحابها من يؤثر تماثل الصوائت ولعلها الطيئ كما هي عندهم في المعتل .

ومن القراءات التي وجهت على (فَعَل يَفعَل) بفتح عينيهما في غير الحلقي .

---

(١) الخصائص : ٣٧٥/١.

(٢) الكتاب : ١٠٦/٤.

(٣) ديوان الأدب : ١٣٨/٢.

أفعال صحيحة :

- قراءات متواترة :

(ن) - الفعل : (قنطوا) من قوله تعالى :

* وَهُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ الغَيْثَ مِنْ بَعْدِ ما قَنَطُوا ... * الشورى/٢٨.

- والفعل : (تقنطوا) من قوله تعالى :

* ... لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ... * الزمر / ٥٣.

- والفعل : (يقنط) من قوله تعالى :

* قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ * الحجر / ٥٦.

- والفعل : (يقنطون) من قوله تعالى :

* ... وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ * الروم / ٣٦.

رسم المصحف : (قَنَطُوا) و (تَقنَطُوا) و (يَقنَطَ) و (يَقنَطُون) بفتح النون في الماضي والمضارع . وقد عدّ الصرفيون مائلة صائت (العين) في الماضي والمضارع من تركب اللغات في (قَنَط يَقْنَط) ، إلّا أنّ مكيّاً عدّها لهجة (١) . ولذلك نستبعد أن تكون من تداخل اللغات ، ولا سيما وأنها قراءة متواترة نزل بها القرآن وبها قرأ السبعة .

ونتساءل لماذا يجيزون (حَسِب يَحسِب) بكسر عين الماضي

---

(١) الكشف : ٢/ ٣١.

والمضارع ويحملونها على (كَرُمَ يَكْرُم)[1] بضم عين الماضي والمضارع؟ ولا يجيزون (قَنَطَ يَقْنَطُ) بفتح عين الماضي والمضارع ويعدّونه من تداخل اللغات، وأرى أن تعليل ذلك أنهم خصوا (فَعَلَ يَفْعَل) بالأفعال الحلقية العين واللام، وعندما وجدوا أفعالاً مثل (قَنَطَ يَقْنَطُ) بالفتح فيهما عدّوها من التداخل، حتى لا تخرم القاعدة التي وضعوها في الحلقي. ويبدو أن للاستقراء الناقص للهجات القبائل دوراً في ذلك.

- قراءات شاذة :

(ل) - الفعل : (يهلك) من قوله تعالى :

﴿... وَيُهْلِكَ الحَرْثَ وَالنَّسْلَ ...﴾ البقرة / ٢٠٥.

قرأ الحسن وابن أبي اسحاق وابن محيصن : (ويَهلَكُ) بفتح الياء واللام ورفع الكاف - (الحرثُ والنسلُ) - رفع فيهما.[2]

وقد وصفت قراءة الفتح بأنها غلط[3]، كما وصفت بالشذوذ،[4] وبأنها لهجة ضعيفة.[5]

وقد علل ابن جني لهذه القراءة فقال : " لعمرى إن ذلك ترك لما عليه اللغة، ولكن قد جاء له نظير أعنى قولنا : (هَلَكَ يَهلَكُ)، (فَعَلَ يَفْعَلُ) وهو ما حكاه صاحب الكتاب من قولنا : (أبَى يَأبَى)،

---

(١) الخصائص : ١/ ٣٧٩.
(٢) المحتسب : ١/ ١٢١.
(٣) السابق : ١/ ١٢١.
(٤) البحر المحيط : ٢/ ١١٦ وينظر اللسان : (هـ ل ك) ١٠/ ٥٠٣.
(٥) إملاء ما من به الرحمن : ١/ ٨٩.

وحكى غيره (قَنَط يَقنَط)، و(سَلاَ يَسلَى)، و(جَبَا الماء يَجبَاه)، و(رَكَن يركَن)، و(قَلاَ يَقلَى) و(غَسَا الليل يَغسَى).

وكان أبو بكر (١) يذهب إلى أنها لغات تداخلت، وذلك أنه قد يقال: (قَنَط) و(قَنِط)، و(رَكَن)، و(رَكِن)، و(سَلَى)، و(سَلِي)، فتداخلت مضارعاتها، وأيضا فإن آخرها ألفا، وهي ألف سلا وقلا وغسا. وأبى فضارعت الهمزة نحو قرأ وهدأ (٢).

إلا أن ابن جني ينبري للدفاع عن القراءة ومن قرأ بها فيقول:

" وبعد فإذا كان الحسن وابن أبي إسحاق إمامين في الثقة واللغة فلا وجه لدفع ما قرآ به ولا سيما وله نظير في السماع. وقد يجوز أن يكون (يَهلَك) جاء على (هَلَك) بمنزلة (عَطِب)، غير أنه استغنى عن ماضيه (يَهلَك) (٣).

فابن جني يرتضي هذه القراءة لسببين:

أولهما : منزلة القارئين العلمية.

ثانيهما : ورود نظائر لما قرآ به في السماع.

أما الدكتور الجندي فيذهب في تعليل فتح (هَلَك يَهلَك) إلى أن " الفعل (هَلَك) سبب قلق عينه في العربية كما ورد في المعاجم، إذ ورد فيها من باب: ضرب ومنع وعلم (٤) - تطور في

---

(١) أبو بكر: محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن بن مقسم الإمام المقرئ النحوي .. توفي سنة (٣٥٤هـ) ينظر طبقات القراء: ٢/١٢٣.

(٢) المحتسب: ١/١٢١.

(٣) المصدر السابق نفسه والصفحة.

(٤) القاموس المحيط: ٣/٣٢٤.

معناه ترتب عليه تقاصف الحركات على عينه . فالمعنى الأول لـه : (المضي والسير) ثم انتقل في حقبة تاريخية تالية إلى معنى آخر مجازي وهو : (الموت) . فكان لا بد أن تتغير أيضا حركة عينه تبعا لتغيّر معناه . ثم نجد تطورا آخر لحقه من جانب التعدى واللزوم. وفي القاموس : هلك بمعنى سار و بمعنى سيّر (بالتضعيف للتعدية) . و في المعاجم : هلكني بمعنى أهلكني ،لكن المعاجم لم تتنبه إلى هذا التطور في الدلالة وربطه بحركة العين أى تخصيص كل حركة بمعنى معين ،ولذلك جاء عنهم أن (هلك)جاء من باب (ضرب) و (منع) و (علم). وغاب عنهم أن كل معنى يتعلق بصيغة معينة ،بوء كـد ذلك قولهم : " يَنفُر بالضم من الاشمئزاز . وبالكسر من (نَفَر) الحجاج من عرفات ".

فالفتح في (هَلَك يَهلَك) يرجع إلى تطور دلالته إلى معنى الموت .

ونضيف إلى ما سبق ولعل من قرأ بالفتح مال إلى انسجام الصوائت ، في صيغتي الماضي والمضارع ،وهي ظاهرة عامة ،عزيت إلى القبائل البدوية ،ومنها طيء .

الباب الثاني :

المستوى الصوتي لصيغ الثلاثي المجرد .

ويتضمن خمسة فصول :

الفصل الأول : تأثر الصوائت .
الفصل الثاني : تأثر الصوامت المتماثلة .
الفصل الثالث : التأثر بالإبدال .
الفصل الرابع : التأثر بالقلب المكاني .
الفصل الخامس : التأثر بالهمز .

الفصل الأول :

تأثر الصوائت .

ويشمل سبعة مباحث :

المبحث الأول : التأثر بالحذف
المبحث الثاني : التأثر بالنقل
المبحث الثالث : التأثر بالإتباع
المبحث الرابع : التأثر بالإشمام
المبحث الخامس : التأثر بالاختلاس
المبحث السادس : التأثر بالإشباع
المبحث السابع : كسر حروف المضارعة .

المبحث الأول

التأثر بالحذف

تعرضت صوائت العين في هذه الصيغ (فَعَل وفَعِل وفَعُل وفُعِل) للظاهرة العامة (التسكين) وذلك بحذف صائت العين وتسكينها تخلصا من تتابع الصوائت في الصيغة .

والتفسير الصوتي لهذه الظاهرة قائم على أساس مقطعي نبري . فبعض اللهجات لا تستسيغ اجتماع ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة ،لذلك تلجأ إلى البتر الحركي بحذف صائت (العين) ،فيصبح التركيب المقطعي للصيغة مكوناً من مقطعين ، فالتسكين يختصر المقاطع ،ويوفر الجهد العضوي بدوره الوظيفي في التركيب المقطعي "فهو يميز نهاية المقطع المنتهي بحرف خال من الحركات الثلاث ، كما في المقطع : ص ح ص (=صوت صامت + حركة + صوت صامت = CVC) وهو مقطع متوسط مغلق ، يقابل المقطع : (ص ح ص) ،وهو مقطع متوسط مفتوح . أو المقطع : (ص ح) وهو مقطع قصير"(١). هذا التركيب المقطعي يدلنا على أن عامل النبر هو المبرر(٢) الصوتي لعملية الحذف والتسكين ، وذلك بالضغط على المقطع الأول (المغلق) ، فالمقطع المغلق ينتهي عادة بتوتر في أعضاء النطق .

---

(١) دراسات في علم اللغة : ٢٠٣ .

(٢) ينظر العربية الفصحى : ٤٩ (هنري فليش تعريب د / عبد الصبور شاهين ،ط : ثانية ، بيروت) .

فالتسكين لهجة القبائل التي تميل إلى التخلص من تتابع الصوائت عن طريق النبر .

ويعلل سيبويه لهذا التخفيف فيقول : " وإنما حملهم على هذا أنهم كرهوا أن يرفعوا ألسنتهم عن المفتوح إلى المكسور ، والمفتوح أخفّ عليهم ، فكرهوا أن ينتقلوا من الأخف إلى الأثقل ... فكرهوا أن يحولوا ألسنتهم إلى الاستثقال ".(١)

فهم يجدون في التغاير الحركي على صوامت الصيغة - كالانتقال من الفتح إلى الكسر ثقل في الأداء يتخلصون منه بالتسكين وبتر الحركة . وينتقلون من الحركة إلى الأخف منها وهو السكون .

وهذا التخفيف يحدث في الأفعال كما يحدث في الأسماء وذلك كقولهم : في " (كَرُم الرجل) : (كَرْم) ، وفي (عَلِم) : (عَلْم) ، وهي لغة بكر بن وائل ، وأناس كثير من بني تميم ".(٢)

فالتسكين يحدث في صيغتي (فَعُل) و (فَعِل) كما يحدث في الحلقي ما هو على (فَعِل) بعد نقل حركة العين إلى (الفاء) وذلك قولك : " (شِهْدَ) و (لِعْبَ) ، تسكن العين كما أسكنتها في (عَلْم) ، وتدع الأول مكسورا لأنه عندهم بمنزلة ما حرّكوا فصار كأوّل إِبِل ...

ومثل ذلك : (نِعْم) و (بِئْس) ، إنما هما (فَعِل) وهو أصلهما ".(٣)

---

(١) الكتاب : ٤/ ١١٤ وينظر المخصص : ١٤/ ٢٢٠ .

(٢) السابق : ٤/ ١١٣ وينظر المخصص : ١٤/ ٢٢٠ .

(٣) الكتاب : ٤/ ١١٦ وينظر المخصص : ١٤/ ٢٢١ - ٢٢٢ .

أولا : تسكيـــن (عين) فَعَل :

- قراءات شاذة :

(ب) - الفعل : (عبد) من قوله تعالى :

﴿ ... وَعَبَدَ الطَّـٰغُوتَ ... ﴾ المائدة / ٦٠.

"قرأ الحسن في رواية : (وعَبْد ...) بإسكان (الباء) . والتخريج الصحيح أن يكون تخفيفا من (عَبَد) بفتحها ، كقولهم في سَلَف : (سَلْف)".(١) والقراءة المتواترة : (عَبَدَ) بفتح (الباء).

(ج) - الفعل : (شجر) من قوله تعالى :

﴿... حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ...﴾ النساء / ٦٥.

"قرأ أبو السمال : (فيما شَجْر) بسكون (الجيم) ، وكأنه فرّ من توالي الحركات . وليس بقوي ، لخفة الفتحة ، بخلاف الضمة والكسرة فإن السكون بدلهما مطّرد على لغة تميم".(٢) والقراءة المتواترة : (شَجَر) بفتح (الجيم).

فما موقف اللغويين من تخفيف الفتح ؟ . استبعده سيبويه ، فهو لا يرى في الفتح ثقلا يستدعي تخفيفه بالإسكان ، ويعلل لذلك بقوله : "وأمّا ما توالت فيه الفتحتان فإنهم لا يسكنون منه لأنّ الفتح أخف عليهم من الضم والكسر ، كما أن الألف أخف من الواو والياء".(٣)

---

(١) البحر المحيط : ٣/٥١٩.

(٢) السابق : ٣/٢٨٤.

(٣) الكتاب : ٤/١١٥.

وقد عدّ أستاذنا (د/ الجندي) رأي سيبويه هذا مجانبا للصواب، لأنّ السكون أخف من الفتح، فهو يختصر المقاطع.(١)

ويمكن الرد على سيبويه بما قاله أبو حيان في تعليل سكون الجيم من (شَجْر) بأنه فرار من توالي الحركات فهناك - كما سبق وتحدثنا - من القبائل البدوية من يكره توالي الأمثال في الكلمة الواحدة فيلجأ إلى التسكين، ويترتب على ذلك تغيير في النظام المقطعي وتحويله من ثلاثة مقاطع إلى مقطعين، فالتسكين مبرره الصوتي. وقد أحس بعض القراء بدور التسكين في الأداء فمالوا إليه في قراءتهم.

وليس سيبويه وحده من لا يقبل بهذا التخفيف، فقد عدّه الرضي شاذا، وعدّ ما ورد منه في الشعر ضرورة، ويستشهد على ذلك ببيت الأخطل:

وما كُلُّ مُبتاعٍ ولو سَلْفَ صَفْقُهُ
يراجع ما قد فاته بِرِدَادِ(٢)

(٣)
ويلتمس له تأويلا وهو التشبيه بـ(فَعِل) المفتوح الفاء المكسور العين.

---

(١) اللهجات في التراث: ١/ ٤٠، والهامش: (٣).

(٢) البيت من البحر الطويل ورد في ديوانه: ١٣٧ (تحقيق أنطوان صالحاني، بيروت سنة ١٨٩١م) وهو من شواهد المنصف: ١/ ٢١ والمحتسب: ١/ ٥٣، ٦٢، والخصائص: ٢/ ٣٣٨. والمبتاع المشتري، والصفق: مصدر صفق البائع اذا ضرب بيده على يد صاحبه عند المبايعة والمراد إيجاب البيع.
والشاهد فيه: تسكين لام (سَلْف).

(٣) شرح الشافية: ١/ ٤٤.

وبهذا الرأى تحدث ابن جني فعدّ (سَلِفَ) من باب الاستغناء أى أنه كان في الأصل من باب (فَعِل) "فإن تستغنى (بفَعَل) عن (فَعِل) من لفظه ومعناه ، وليس بينهما إلّا فتحة عين هذا وكسرة عين ذلك _أجدر . وهو أحسن من أن تحمل الكلمة على الشذوذ ماوجدت لها ضربا من القياس ".(١)

فما قول الرضي وابن جني في قراءتين تردان بسكون العين في فعليهما . وليس للضرورة فيهما مقولة. وإن كانتا شاذتين ، فقد دافع ابن جني نفسه عن القراءات .

ويظهر أن أصحاب (الحذف) والإسكان لم يقيدوا أداءهم هذا بصائت معين ،وإنما كان ظاهرة عامة عندهم . وليس لنوع الصائت عندهم علاقة كما يبدو . فالتخلص من التتابع واختصار المقاطع مما يحقق السرعة في الأداء ،هو المبرر الصوتي . فالفتح كغيره من الصوائت لا يختصر المقاطع ،بخلاف الإسكان . كما أن الحذف لم يكن متقيداً . فقد ورد في الأفعال والأسماء ،كما ورد في صوائت البنية والصوائت الإعرابية .

والنتيجة التي ننتهي إليها أن الإسكان يرمى إلى التقليل من الكمية الصوتية في صيغة الكلمة في الدرجة الأولى ،وذلك بسقوط صائت العين .

---

(١) المنصف : ١/ ٢١/ ٢٢ .

ثانيا : تسكين (عين) فَعِل :

- قراءات شاذة :

(ل) - الفعل : (لعلمه) من قوله تعالى :

* ... لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ... * النساء / ٨٣.

" قرأ أبو السمال :(لَعَلْمه) بسكون (اللام) "[١] ،والقراءة المتواترة بكسر (اللام) .

(س) - الفعل : (وسع) من قوله تعالى :

* ... وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ... * البقرة/ ٢٥٥.

قرئ شاذا : (وسْع) بسكون (السين) [٢] على تخفيف الكسرة ،كعَلْم في (عَلِم) [٣] . والقراءة المتواترة بكسر (السين).

(ع) - الفعل : (فنعم) من قوله تعالى :

* ... فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ * الرعد / ٢٤.

" قرأ ابن وثاب : (فَنَعْم) بفتح النون وسكون (العين) ، وتخفيف (فَعِل) لغة تميمية "[٤] والقراءة المتواترة : (فنِعْم) بكسر فسكون .

---

(١) البحر المحيط : ٣/ ٣٠٧.
(٢) السابق : ٢/ ٢٧٩.
(٣) إملاء ما من به الرحمن : ١ / ١٠٧.
(٤) البحر المحيط : ٥/ ٣٨٧ وينظر المحتسب : ١/ ٣٥٦ ،وإعراب القرآن للنحاس : ١/ ٣٦٩.

(هـ) - الفعل : (وهنوا) من قوله تعالى :

﴿ ... فَمَا وَهَنُوا لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ... ﴾ آل عمران/ ١٤٦.

قرأ عكرمة وأبو السمال : (وهْنوا) بإسكان (الهاء) ، كما قالوا نعْم في (نَعِم) ، و شَهْد في : شَهِد ، وتميم تسكن عين (فَعِل) .(١)

والتسكين في (عين) فَعِل لهجة ، فكل ما كان على وزن (فَعِل) من الاسم والفعل عينه حرف من حروف الحلق فإنه يجوز فيه أربع لغات ، فالاسم نحو : (فَخِذ) و (فِخِذ)و(فَخْذ)و(فِخْذ)، والفعل نحو : قد (شَهِد) و (شِهِد) و (شَهْد) و (شِهْد) .(٢)

وبالوقوف على القراءات السابقة نجدهما نوعين :

أولهما : غير حلقية العين وهما : (لعلمه) و (وسع).

ثانيهما : حلقية العين وهما : (فنعم) و (وهنوا).

فالتسكين في صيغة (فَعِل) لا يختص بالحلقي العين ، وإنما يقع في غيره وقد مثل سيبويه لذلك بـ (عَلْم) .(٣)

---

(١) البحر المحيط : ٣/ ٧٤.

(٢) الإنصاف : المسألة الرابعة عشرة وينظر المنصف : ١/ ١٩.

(٣) الكتاب : ٤/ ١١٦.

ثالثا : تسكين عين (فَعُل) :

- قراءات شاذة :

(ب) - الفعل : (كبرت) من قوله تعالى :

﴿... كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ...﴾ الكهف / ٥٠

• وقرئ : (كَبْرت) بسكون (الباء) ،وهي في لغة تميم •(١)

والقراءة المتواترة بضم (الباء) •

(س) - الفعل : (حسن) من قوله تعالى :

﴿.. وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ النساء / ٦٩٠

• قرأ أبو السمال : (وحَسْن) بسكون (السين) ،وهي لغة تميم... قال الزمخشري : (وحَسُن أولئك رفيقا) فيه معنى التعجب •(٢)

والقراءة المتواترة بضم (السين) •

(ح) - الفعل : (رحبت) من قوله تعالى :

﴿... وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ...﴾ التوبة / ٢٥ ،١١٨•

• قرأ زيد بن علي : (... رحْبت) في الموضعين ،بسكون (الحاء) ،وهي لغة تميم ،يسكنون ضمة (فَعُل) فيقولون في : (ظَرُف) : (ظَرْف)•(٣)

والقراءة المتواترة بضم (الحاء)•

في هذه المجموعة سكنت عين غير الحلقي (كبر) و(حسن) كما سكنت عين الحلقي (رحب)•

---

(١) البحر المحيط : ٩٧/٦ ،وينظر الكامل في القراءات الخمسين : ٢١٢•
(٢) السابق : ٢٨٩/٣ وينظر شواذ القراءات : ٢٧ وإعراب القرآن للنحاس : ٤٣٢/١ واللهجات في التراث : ٣٣٩/١•
(٣) البحر المحيط : ٢٤/٥•

رابعا : تسكين (عين) فُعِـل :

ـ قراءات شاذة :

(ف) ـ الفعل : (كفر) من قوله تعالى :

*... جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ * القمر / ١٤.

• قرأ مسلمة بن محارب :ـ(كُفْر)ـ بإسكان (الفاء)". (١)

وذلك في مقابل القراءة المتواترة بكسر (الفاء).

(ع) ـ الفعل : (ولعنوا) من قوله تعالى :

... وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ... المائدة / ٦٤.

• قرأ أبو السمال :ـ(لُعْنوا)ـ بسكون (العين) كما قالوا في (عُصِر : عُصْر) ". (٢) والقراءة المتواترة : (لُعِنوا) بكسر العين.

ففي القراءتين السابقتين سقطت الكسرة (صائت عين) فُعِل وسكنت العين . فتخلص القارئ من تتابع صائتين ثقيلين (الضم والكسر) وذلك بخلاف الصيغ السابقة التي تكون أقل ثقلا من هذه الصيغة.

ومع تسكين (العين) تغير التركيب المقطعي للأفعـال السابقة فكل واحد من هذه الأفعال مكون من ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة عند أهل الحجاز صار بعد تخفيفه عند التميميين مكونا من : مقطع طويل + مقطع قصير مفتوح ". (٣)

---

(١) البحر ١٧٨/٨ وينظر شواذ القراءات : ١٤٧.

(٢) البحر المحيط ٣/ ٥٢٣ وينظر الكشاف ١/ ٣٥١.

(٣) لهجة تميم لغالب المطلبي : ٢٠٦.

فالنظام المقطعي للفعل (كُفِر) (فُعِل) :

(ص ح + ص ح + ص ح)

أى بتوالي ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة .

وبتحويل الصيغة إلى (فُعْل) أصبح التركيب المقطعي لـ (كفر) :

(ص ح ص + ص ح)

أى بتوالي مقطعين : (طويل مغلق + قصير مفتوح) . فالتسكين اختصر مقاطع الصيغة وأدى إلى الابتداء بالمقطع المغلق .

ومما جاء في الأثر ساكن العين مما هو على (فُعْل) ، قولهم في المثل (١) (لم يُحْرَم من فُصْد له) . وقول أبي النجم :

* لو عُصْرَ منه المسك والبان انعصر * (٢)

بضم عين (عُصْر) وسكون الصاد .

وقد رجّح أستاذنا (د / الجندى) عزو التخفيف في (فُعِل) إلى بكر بن وائل وتغلب كما هو في تميم استنادا إلى نسب أبي النجم وغيره . (٣)

---

(١) أورد هذا المثل أبي عبيد القاسم بن سلام في كتابه الأمثال : ٢٣٥ (تحقيق : د / قطامش ، ط : أولى ، نشر مركز البحث العلمي والتراث الإسلامي بجامعة الملك عبد العزيز، ١٩٨٠ م) وتخريجه "أنهم كانوا إذا لم يقدروا على قِرى الضيف فصدوا له بعيرا ، ثم عولج دمه بشيء حتى يمكن أن يأكلوه" وينظر الأمثال للميداني : ٢٠ / ١٩٢ .

(٢) رجز وصدره :

* خود يغطى الفرع منها المؤتزر *

ورد في الديوان : ١٠٣ (صنعه وشرحه علاء الدين آغا ، النادى الأدبي - الرياض ١٩٨١ م) .

وهو من شواهد الكتاب ٤ / ١١٤ وشرح الشافية ١ / ٤٣ وارتشاف الضرب ٢ / ٩٥ والانصاف م / ١٤٠ والمنصف ١ / ٢٤ ، ٢٠ / ٢٤ ، والمخصص ٤ / ٢٢٠ .

والشاهد فيه : (فُصْد) بتسكين (الصاد) والأصل (فُصِد) بالكسر على (فُعِل) وأبو النجم اسمه الفضل بن قدامة بن عبيد ابن محمد بن عبد الله بن عبده .. ينظر الشعر والشعراء ٢ / ٧٣٧ - ٨٣٨ وهو من بكر بن وائل .

(٣) اللهجات في التراث ١ / ٢٤٤ .

المبحث الثاني

التأثر بالنقل

ويختص هذا النقل بصيغة (فَعُل) أي بنقل ضمة العين إلى الفاء فيكون على وزن (فُعْل) فالصيغة تحول فيها صائت العين من الضم إلى السكون طلبا للتخفيف كما تحول صائت الفاء من الفتح إلى الضم بحذف الفتحة فتحولت الفاء من الصائت المتسع إلى الصائت الضيق (الضمة) فأكسبها شيئا من التفخيم مما جعل أداؤها أصعب مما هي عليه مع الفتح وعند تسكين العين انتقل اللسان من الأثقل إلى الأخف .

ويرتبط النقل في هذه الصيغة بمعنى التعجب . وقد وردت قراءة شاذة على هذه الصيغة المنقولة : في الفعل : (حسن) من قوله تعالى :

﴿... طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ الرعد / ٢٩ .

" قرئ : (وحُسْنَ مآب) بفتح (النون) ، ورفع مآب ، فحسن فعل ماض ، أصله (وحَسُن) نقلت ضمة السين إلى الحاء ، وهذا جائز في (فَعُل) إذا كان للمدح أو للذم "(١)

---

(١) البحر المحيط ٣٩٠/٥ وينظر شواذ القرآن : ٦٧ .

فالتغيير في الصيغة تبعه تغيير في الدلالة ، بإضافة معنى التعجب ،وقد أشار إلى هذا التغيير الرضي[(١)] قائلا : وقد ذكرنا في فعل التعجب أن (فَعُل) الذى فيه معنى التعجب يقال فيه : (فُعْل)، قال :

* وحُبَّ بها مقتولةً حين تُقتل *[(٢)]

فالشاهد فيه (حُبَّ) فعل ثلاثي مضعف تعرض للنقل والحذف والتخفيف فالأصل فيه : حَبَبَ ثم حَبُبَ (فَعُلَ) ثم حُبَّ بضم ففتح على (فُعْلَ).

وهكذا نجد أن الانتقال من الضم إلى السكون أيسر وأخف على اللسان من الانتقال من الفتح إلى الضم. فالتغيير في هذه الصيغة (فَعُل) ذو طابعين أحدهما صوتي ،والآخر دلالي .

وقد رُجح نسبة هذه الصيغة إلى تغلب ،خاصة وقد وردت على لسان أحد شعرائها وهو الأخطل ،وتغلب وبكر ابنا وائل من ربيعة . وهذا يعني أن هذا التفريع لم يكن خاصا بتميم وحدها بل شمل أجزاء كبرى من الجزيرة العربية.[(٣)]

---

(١) شرح الشافية : ١/ ٧٣.

(٢) هذا عجز بيت للأخطل التغلبي من البحر الطويل ،ورد في ديوانه : ٤ ومطلعه :

* فقلت اقتُلوها عنكم بِمزَاجِها *

وهو من شواهد : شرح المفصل : ٧/ ١٢٩ وشرح الشافية : ١ : ٧٣. كما أورده البغدادى في الخزانة : ٤/ ١٢٢.

وتقتل : تشعشع بالماء وتمزج فيكسر الماء حدتها.

(٣) ينظر اللهجات العربية في التراث : ١/ ٢٤١.

المبحث الثالث

التأثر بالإتباع

من مظاهر التأثر بين الأصوات ميل الصوائت المتجاورة إلى الانسجام وذلك بإتباع أحدهما الآخر فيتحقق بذلك "التماثل والتقارب بين حركتين في مقطعين متجاورين ،بأن تتحدا في مقياس من مقاييس الحركات ،وتنطقا فتحتين ،أوكسرتين ،أوضمتين".(١)

فالصيغ التي تتعرض لهذا التأثر تنتقل من مرحلة التغاير إلى مرحلة الانسجام ولذلك عدّ الانسجام بين أصوات اللين (Vowel Harmony) "من ظواهر التطور في حركات الكلمات . فالكلمة التي تشتمل على حركات متباينة تميل في تطورها إلى الانسجام بين هذه الحركات حتى لا ينتقل اللسان من ضم إلى كسر إلى فتح في الحركات المتوالية".(٢)

وهذا الانسجام ظاهرة شائعة بين لهجات البدو ،وقد يرد في لهجات الحضر ، إلّا أنه أقل.(٣)

وقد عرفت ظاهرة تماثل الأصوات هذه عند القدماء ،فأطلق عليها سيبويه (المضارعة)(٤) وسماها ابن جني : (المجانسة)

---

(١) الأصالة العربية في لهجات الخليج (عبد العزيز مطر) :٩٣، (عالم الكتب ،الرياض).

(٢) في اللهجات العربية : ٩٦.

(٣) ينظر في اللهجات العربية : ٩٧.

(٤) الكتاب : ٤/٤٧٧، ٤٧٨.

أو (التجنيس) (١) ، ومرة أخرى يعبر عنها (بالتقريب) (٢) . وتعرف عند ابن يعيش (بالمشاكلة) (٣) .

وباتباع الصوائت وردت القراءات القرآنية التالية :

- قراءات متواترة : مع الحلق :

(ع) - الفعل : (فنعما) من قوله تعالى :

﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ... ﴾ البقرة / ٢٧١ .

قرأ ابن كثير ، وعاصم في رواية حفص ، ونافع في رواية ورش : (فَنِعِمَّا هي) بكسر النون والعين . (٤)

ويعلل مكي لهذه القراءة فيقول : " وحجة من قرأ بكسر النون والعين أن الأصل فيه (نَعِم) بفتح النون ، وكسر العين ، لكن حرف الحلق ، إذا كان عين الفعل ، وهو مكسور أتبع بما قبله ، فكسر لكسره ، يقولون : شَهِد وشِهِد ، ولَعِب ولِعِب ، فقالوا في (نَعِم) (نِعِم) ، وهي لغة هذيل " . (٥)

---

(١) سر صناعة الإعراب : ١/٥٨ .
(٢) الخصائص : ٢/١٤٣ .
(٣) شرح المفصل : ٩/٥٤ .
(٤) السبعة : ١٩٠ وينظر غيث النفع : ١٧٠ والنشر : ٢/٢٣٥ والإتحاف : ١٦٥ .
(٥) الكشف : ١/٣١٦ وينظر إعراب القرآن للنحاس : ١/٢٩٠ - ٢٩١ .

- قراءات شاذة : مع غير الحلقي :

(ط) - الفعل : (خطف) من قوله تعالى :

* إِلَّا مَنْ خَطِفَ الخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ * الصافات/١٠٠

قرأ ابن عباس : (خِطِف) بكسر (الخاء) و (الطاء) مخففة ، أتبع حركة الخاء لحركة الطاء كما قالوا : (نِعِم) ⁽١⁾ .

وروى ابن خالويه : أن الحسن قرأ (خِطِّف) بالتخفيف ⁽٢⁾ .

وقد علل الرضي للإتباع في هذه الصيغة فقال : " وانما جعلوا ما قبل الحلقي تابعا له في الحركة مع أن حق الحلقي أن يفتح نفسه أو ما قبله كما في (يدَع) لثقل الحلقي وخفة الفتحة ، ولمناسبتها له " ⁽٣⁾ .

أما سيبويه فيرى أن كسر الصوت إنما حدث للدلالة على أصل الصيغة و " كراهية أن يلتبس (فَعِلُ) بفَعَلٍ فيخرج من هذه الحروف (فَعِل) ، فلزمها الكسر هنا وكان أقرب الأشياء إلى الفتح ، وكانت من الحروف التي تقع الفتحة قبلها ، لما ذكرت لك ، فكسرت ما قبلها حيث لزمها الكسر ، وكان ذلك أخف عليهم حيث كانت الكسرة تشبه الألف ، فأرادوا أن يكون العمل من وجه واحد " ⁽٤⁾ .

فسيبويه يقصر كسر الفاء في (فِعِل) على الحلقي العين .

واختيار الكسر للإتباع الحركي في عين (فِعِل) وتخفيفا لعمل اللسان في اتجاه واحد ⁽٥⁾ .

---

(١) البحر المحيط : ٧/٣٥٣ .

(٢) شواذ القرآن : ١٢٧ .

(٣) شرح الشافية : ١/٤٠ .

(٤) الكتاب : ٤/١٠٨ .

(٥) تاج العروس : ٦/ ٩١ وينظر اللسان : ٩/٧٥ .

أما القراءة الثانية (خِطِف) فقد اتبع صائت الفاء لصائت العين في غير الحلقي العين، وقد وصف الإتباع فيها بأنه "ضعيف جداً" (١).

والإتباع في هذين الفعلين نوع من التأثر المدبر حيث تأثر السابق (صائت الفاء) باللاحق (صائت العين).

وتقريب صائت (الفاء) من صائت (العين) في صيغة (فَعِل) لهجة من عدة لهجات ذكرها ابن جني (٢) في الحلقي (العين) وهي:

الأولى : فتح الأول وكسر الثاني وهو الأصل مثل : (فَخِذ ومَحِك ونَغِر).

الثانية : فتح الأول وتسكين الثاني : (فَخْذ ومَحْك ونَغْر).

الثالثة : كسر الأول وتسكين الثاني : (فِخْذ ومِحْك ونِغْر).

الرابعة : كسر الأول اتباعا للثاني : (فِخِذ ومِحِك ونِغِر).

وترد هذه اللهجات في الفعل كما وردت في الإسم ومن ذلك : (ضَحِك) و (ضَحْك) و (ضِحْك) و (ضِحِك).

وقد حدث الإتباع هنا على خلاف القاعدة التي تنص على حدوثه في كل حرف كان قبل أحد حروف الحلق في (فعلت) و (فعيل)، يقولون : بعير وزئير وشهيق، ونهلت الابل وسخرت منه" (٣).

---

(١) تاج العروس : ٦/ ٩١ وينظر اللسان : ٩/ ٧٥.

(٢) المحتسب : ١/ ٣٥٦ - ٣٥٧.

(٣) اللسان : (م خ ض) ٧/ ٢٢٨.

وفي هذه القراءة اتبع الأول الثاني الغير حلقي . وهذا يعني أن اتباع الأول للثاني في (فعل) لا يشترط فيه حلقية الثاني فالصوت الثاني في (خطف) (الطاء) من أصوات الاطباق (المفخمة) وليس بحلقي .

تعقيب :

لقد وقع الإتباع بالكسر في الفعلين (نعم) الحلقي العين ، و (خطف) وهو ليس بحلقي العين . وفي هذا رد على سيبويه الذى حصر (فعل) في الحلقي العين كما حصره في (فعيل)(١) .

إلا أننا نجد من المحدثين من يرد هذا الرأى ، وهو اختصاص الإتباع في (فعل) و (فعيل) بما كان حلقي العين . ولنقرأ رد الدكتور إبراهيم أنيس : " روى عن تميم وأسد أنهم كانوا ينطقون باطراد كلمات مثل : (بِعير ، شِهيد ، زِئير) بكسر الحرف الأول . وليس هذا في الحقيقة إلا نوعا من الانسجام بين حركات هذه الكلمات . وعلى هذا لا معنى لما يشترطه بعض اللغويين من أن الحرف الثاني في مثل هذه الكلمات يجب أن يكون من حروف الحلق !! ويظهر أن الراوى قد سمع من تميم كلمات تصادف أن كانت مشتملة على حروف الحلق . وليست هذه الظاهرة التميمية إلا انسجاما بين الحركات يشبه ما نسمعه الآن في بعض اللهجات الحديثة من نطق (كِبير ، بِعيد ، نِظيف) بكسر أولها "(٢) .

---

(١) الكتاب : ٤/١٠٧ .

(٢) في اللهجات العربية : ٩٨ وينظر : الدراسات اللهجية الصوتية عند ابن جني : ٣١٦ .

ويؤيد هذا الرأي ما يورده الزبيدي في معجمه من أن قوما من العرب يقولون ذلك ، وإن لم تكن عينه حرف حلق كـ (كبير) ، و (كريم) و (جليل) ونحوه .(١)

وكذلك ما نسمعه في لهجات شرق الجزيرة العربية من أهالي نجد ينطقون بكسر الفاء على غرار ما ينطق به المصريون اليوم من نحو (كبير) و (سمين) .

وما الإتباع في لهجاتنا الحديثة إلا استمرار لتلك اللهجات القديمة في شبه الجزيرة العربية فقد عزى الاتباع في (فعل) و (فعيل) إلى تميم .(٢)

أما عزوه لهذيل كما ذهب مكي في تخريج قراءة الكسر في (فنعما) ، مع كون هذيل من القبائل المتحضرة ، فلعل ظاهرة الإتباع هذه كانت عند هذيل المتبدية ، ذلك أن مجتمع هذيل كان بعضه متحضرا وبعضه متبديا .

فالظاهرة شائعة كما ذكرنا في المجتمعات البدوية ، وبلهجتهم قرأ القراء .

----

(١) تاج العروس : ٢/ ٣٩١ .

(٢) الكتاب : ٤/ ١٠٧ .

المبحث الرابـــع

التأثـــر بالإشـــمـــام

تشاب كسرة (فاء) المعتل (العين) بضمة سريعة ، للدلالة على أصل الصيغة (فُعِل) بضم فكسر . وقد عرفت هـــذه الظاهرة عند القدماء (بالإشمام) وهو " الإتيان بحركة بين الضم والكسر ، ولا يظهر ذلك إلّا في اللفظ ، ولا يظهر في الخط "(١) .

ونقل أبوحيان عن الداني أن " الإشمام هنا بمعنى الاختلاط ولا بد من سماعه "(٢) .

وبهذه الظاهرة وردت القراءات المتواترة في الأفعال التالية :

(و) ـ الفعل : (قيل) من قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ... ﴾ البقرة / ١١ وهود / ١٤

(ى) ـ الفعل : (غيض) من قوله تعالى :

﴿ ... وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ... ﴾ هود / ٤٤ .

ـ الفعل : (سيء) من قوله تعالى :

﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ ... ﴾ هود / ٧٧ .

----

(١) شرح ابن عقيل : ١١٧/٢ وينظر الإقناع : ٨٢٣/٢ ، والتبصرة للصيمري : ٨٢٣/٢ وشرح الشافية لنقركار : ١١٧/٢ (ضمن مجموعة شروح الشافية) .

(٢) ارتشاف الضرب : ١٩٥/٢ .

- الفعل : (حيل) من قوله تعالى :

* وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ... * سبأ/ ٥٤.

- الفعل : (جيء) من قوله تعالى :

* ... وَوُضِعَ الكِتَابُ وَجِايءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَآءِ ... *

الزمر/ ٧٠.

الأفعال السابقة قرأها الكسائي وهشام بالإشمام في أوائلها حيث وقعت ،وقرأ ابن ذكوان بالإشمام في (حيل) و (سيق) و(سيء) و (سيئت) دون غيرها.(١)

وعلة الإشمام في هذه الأفعال : (قيل) ، (غيض) ، (سيء) ، (حيل) ، (جيء) الدلالة على أصل صائت (فاء) الصيغة وهو الضم على (فُعِل). وليس الحرف الأول من هذه الأفعال بمضموم ، إنما هو مكسور ، يخالط كسرته شيء من ضم يسمع.(٢)

وقد وصف الإشمام في الفعل المعتل (العين) المبني للمجهول بأنه فصيح قليل.(٣) وهو لهجة كثير من قيس وعامة أسد.(٤)

فمن قرأ بهذه اللهجة جعل صائت (فاء) الصيغة في مرحلة (بين بين)،أي بين الكسرة والضمة ، فصوت الضم لم يستوف ،لالتقائه بصوت الكسرة ، إلا أن كمية الكسر أكثر من الضم.

---

(١) التبصرة لمكي : ١٤٦ - ١٤٧.

(٢) ينظر الكشف : ١/ ٢٣٠ - ٢٣١ ، والحجة لأبي زرعة : ٨٩.

(٣) شرح الكافية : ٢/ ٢٧٠.

(٤) ارتشاف الضرب : ٢/ ١٩٥ ، وينظر : زاد المسير : ١/ ٣١.

المبحث الخامس

التأثر بالاختـــــلاس [(١)]

من الظواهر الصوتية التي تعرض لبعض القراءات القرآنية "الإسراع بالحركة ليحكم السامع بذهابها كاملة الوزن والصفة".[(٢)]

وتحدث هذه الظاهرة لتحقيق نوع من التخفيف (Diluteness)

ولذلك "خففوا عن ألسنتهم بأن اختلسوا الحركات اختلاسا وأخفوها فلم يمكنوها في أماكن كثيرة ولم يشبعوها".[(٣)]

فالاختلاس يختص بالصوائت، ومما قرئ به مع الثلاثي المجرد :

(ع) ـ الفعل : (فنعما) من قوله تعالى :

* إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ... * البقرة / ٢٧١.

قرأ قالون وأبو عمرو وأبو بكر : (فَنِعما) بكسر (النون) واختلاس حركة (العين) [(٤)] أي بكسرة خاطفة (مختلسة) ، استخفافا ، وتخلصا من اجتماع الساكنين (العين وأول المدغم).[(٥)]

وقد وصف الاختلاس بأنه حسن [(٦)] وأقيس من الإسكان ، وهما صحيحان.[(٧)]

---

(١) ويعبر عنه بالإخفاء والإضعاف والخطف.

(٢) القواعد والإشارات في أصول القراءات للقاضي الحموي : ٥٤ ، (تحقيق د/ عبد الكريم بكار ، ط : أولى ، دار القلم ، دمشق سنة ١٩٨٦ م) ، وينظر الإقناع : ١/ ٤٨٥.

(٣) الخصائص : ١/ ٧٢.

(٤) الإقناع : ١/ ٤٨٧ وينظر التيسير : ٨٤ والحجة لابن خالويه : ١٠٢ والإتحاف : ١٦٥ والبحر : ٢/ ٣٢٤.

(٥) الكشف : ١/ ٣١٦.

(٦) التبصرة لمكي : ١٦٥.

(٧) النشر : ٢/ ٢٣٦.

المبحث السادس

التأثر بالإشباع

(Saturation)

ويحدث ذلك بإطالة الصوائت القصيرة ،وتحويلها من درجة القصر إلى درجة الطول ، لتصبح صوائت طويلة (Long Vowels)، فهي إما فتحة طويلة (الألف) وإما كسرة طويلة (الياء) وإما ضمة طويلة (الواو) ،أى أن كمية الصائت القصير ضوعفت فصارت بمقدار صائتين قصيرين ، فهو يحدث لأسباب صوتية بحتة ، أو لعادة نطقية معينة لا يترتب عليه تغيير في الصيغة أو المعنى.[1]

وقد وقف سيبويه عند هذه الظاهرة وسماها (الإشباع).[2] كما تعرض لها ابن جني وأفرد لها بابا سماه (مطل الحركات).[3]

أمّا القراءات القرآنية فقد قرئ في الشواذ :

(ح) - الفعل : (وتنحتون) من قوله تعالى :

﴿... وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ...﴾ الأعراف / ٧٤.

قرأ الحسن[4] : (وتنحاتون) بإشباع الفتحة ،كقوله[5] :

---

(١) ينظر في الأصوات اللغوية : ٢٩٦ (د/ غالب المطلبي).

(٢) الكتاب : ٤/٢٠٢.

(٣) الخصائص : ٣/١٢١.

(٤) البحر المحيط : ٤/٣٢٩ وينظر الكشاف : ٢/٩٠ ،وشواذ القراءات : ٤٤.

(٥) عنترة بن شداد .

* يَنْباعُ من ذُفرى غضوبٍ جسرةٍ * (١)

والتفسير الصوتي لحدوث الإشباع يرجع إلى عامل النبر ، والضغط على مقطع معين في الصيغة ، ويعرف هذا النوع من النبر ،

---

(١) هذا صدر بيت من البحر الكامل ورد في معلقته ،وعجزه :

* زيّافةٍ مِثْلَ الفَنيقِ المُكْرَمِ *

وقد وردت القافية بعدة روايات :

١ - (المكرم) : شرح المعلقات السبع الزوزني : ١٤٤، والخصائص : ٢/ ٢١٦ وخزانة الأدب : ١/ ٥٣٩، ٤٠ /٤ ، والتصريح : ١/ ٢٦٠ وشذور الذهب : ٣٧٨ . واللسان : (ذ ف ر) ٩ /١٤٣.

٢ - (المقرم) : الخصائص : ٣/ ١٢١ ،واللسان : (غ ض ب) ١/ ٦٤٩ ، (ن ب ع) ٨/ ٣٤٥ و (ت ن ف) ٩/ ١٩، والتهذيب : ١٠/ ٦٨.

٣ - (المكدم) شرح الشافية : ١/ ٧٠ ،والإنصاف : المسألة الثانية ،واللسان : (ب و ع) ٨/ ٢٣ ،والديوان : ١٤٨.

والشاهد فيه : (ينباع) بإشباع فتحة الباء ،وأصله (ينبع) كيفتح فأشبعت فتحة (الباء) فصارت ألفا . والإشباع في البيت ضرورة شعرية ، ينظر : الضرائر اللغوية في الشعر الجاهلي (د / عبد العال شاهين ، دار الرياض للنشر والتوزيع) : ١٣٦ - ١٣٧ ،والضرورة الشعرية في النحو العربي : (د / حماسه عبد اللطيف ،دار مرجان للطباعة / القاهرة) ٢٢٢ - ٢٢٣ .

و (ينباع) معناه ينبع ،و (الذفرى) العظم الذي خلف الأذن ،و (غضوب) هي الناقة و (جسرة) الطويلة العظيمة الجسم ،و (زيافة) هي السريعة السير ،و (الفنيق) الفحل المكرم الذي لا يؤذي لكرامته على أهله ،و (المكدم) الفحل القوي ،ينظر الإنصاف : ١/ ٢٦، ٢٧.

بالنبر الكمي (١) فالضغط على صائت الفتح في القراءة السابقة أدّى إلى توليد الصائت الطويل (الألف) فتحولت الصيغة من توالي ثلاث صوائت قصيرة إلى صائتين قصيرين بينهما صائت طويل ولذلك فالإشباع ظاهرة صوتية مرجعها إلى طلب الخفة ... ولعل طلب الخفة هنا يتمثل في العزوف عن توالي الحركات. (٢)

---

(١) ينظر : في الأصوات اللغوية (د/ غالب المطلبي) : ٤٠.

(٢) التمهيد في اكتساب اللغة العربية لغير الناطقين بها : ٢٩.

المبحث السابع

كسر حرف المضارعة

تلتزم العربية الفصحى بفتح حروف المضارعة في جميع صيغ الأفعال الثلاثية محافظة منها على الأصل القديم ،وعلى هذا الأصل العربي القديم جاءت حروف المضارعة في القرآن الكريم في قراءاته المتواترة .

وقد عزى الفتح إلى أهل الحجاز وقوم من أعجاز هوازن وأزد السراة وبعض هذيل.(١) إلا أنّ بعض اللهجات العربية القديمة والحديثة كسرت حروف المضارعة بدلا من فتحها ،مما يثير قضية هامة حول الأصل والفرع فيهما . وقد رجح (د/ أنيس) : "أن الأصل في شكل حروف المضارعة هو ما شاع في لهجات الحجاز من الفتح في كل الحالات، وقد انحدر هذا الأصل إلى هذه اللهجات من السامية الأولى ، ثم تطور إلى كسر في معظم اللغات السامية".(٢)

غير أن (د/ عبد التواب)(٣) رجح أصالة الكسر في حروف المضارعة مستندا على هذه الأدلة :

١ - عدم وجود الفتح في اللغات السامية الأخرى .

٢ - ما بقي من الكسر في بعض اللهجات العربية القديمة.

٣ - استمراره في اللهجات العربية الحديثة .

---

(١) اللسان : (وقى) ١٥/ ٤٠٣ وينظر الكتاب : ٤/ ١١٠.

(٢) في اللهجات العربية : ١٤٠.

(٣) فصول في فقه اللغة : ١٢٥.

إلا أننا نميل إلى أن الفتح أصل في العربية بدليل وجوده في اللهجة الحجازية أقل اللهجات عرضة للتطور، وأن الكسر أصل في بعض الساميات كالعبرية والسريانية والحبشية (١). وأن ظهور الكسر في اللهجات القديمة إنما هو من قبيل التأثر باللغات السامية المجاورة. ووجوده في اللهجات المعاصرة إنما هو امتداد للهجات القديمة. كما أن للعلاقة الصوتية بين الكسر وحروف المضارعة دورا قويا في ميل اللهجات القديمة والحديثة إلى الكسر يتفق وقانون التطور والميل نحو الأيسر، ذلك أن "الكسر في التحليل الصوتي يجد ما يسوغه، فهذه الأصوات الثلاثة - (ت / ن / ى) - من أصوات مقدم الفم، والكسرة صوت أمامي يسهل البدء به مع الأصوات المتقدمة" (٢).

أما موقف القدماء من هذه الظاهرة فقد نظروا إليها بمنأى عن الأصل والفرع. واكتفوا بتفسيرها كما فعل سيبويه ومن بعده فقال: "وإنما كسروا هذه الأوائل، لأنهم أرادوا أن تكون أوائلها كثواني (فَعِل) كما ألزموا الفتحة ما كان ثانيه مفتوحا في (فَعَل) وكان البناء عندهم على هذا أن يجروا أوائلها على ثواني (فَعِل) منها" (٣).

فظاهر النص يشير إلى أن حروف المضارعة كسرت إتباعا لكسر (عين) فَعِل. أوكما يذهب البعض للدلالة على كسر (عين) الماضي (٤).

---

(١) فصول في فقه اللغة : ١٢٥.

(٢) في التطور اللغوى (د/عبد الصبور شاهين) : ٦٤ (ط: أولى، مكتبة دار العلوم، القاهرة ٩٧٥ (م).

(٣) الكتاب : ٤/١١٠.

(٤) شرح الشافية : ١/١٤١.

إلّا أن سيبويه حصر حروف المضارعة المكسورة في (التاء)
و (النون) و (الهمزة) واستثنى (الياء) محتجا بثقلها مع الكسرة.
كما نبه إلى أن كسر حروف المضارعة حاصل في كل الأفعال الواردة على
(فَعِل) الصحيحة والمعتلة .

وفيما يلي نورد القراءات التي وردت فيها الأفعال المستقبلة
بكسر أحرف مضارعتها وذلك في السالم والمضاعف والمثال والناقص
مع كسر الهمزة والتاء والنون والياء .

(أ) - مع فَعِل يَفعَل :

أولا : كسر (التاء) :

المجموعة الأولى : أفعال صحيحة :

الطائفة الأولى : أفعال غير حلقية :

- قراءات شاذة :

(م) - الفعل : (تأمنه) من قوله تعالى :

﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ... ﴾ آل عمران / ٧٥.

قرأ يحيى بن وثاب : (تِيمنه)[1]. وقرأ أبي بن كعب[2] : (تِئمنه) في الحرفين و (تِئمنا) في يوسف[3]. وقرأ ابن مسعود[4] والأشهب العقيلي وابن وثاب : (تِيْمنه) بتاء مكسورة، وياء ساكنة بعدها. قال الداني : وهي لغة تميم، وأما إبدال الهمزة ياء في (تيمنه) فلكسرة ماقبلها[5].

(ل) الفعل : (تألمون) من قوله تعالى :

﴿ ... إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ... ﴾

النساء / ١٠٤.

قرأ ابن السميفع : (تِئْلمون) بكسر التاء[6].

---

(١) شواذ القراءات : ٢١.
(٢) المصاحف : ١٢٤.
(٣) آية : ١١.
(٤) المصاحف : ٣٣.
(٥) البحر المحيط : ٤٩٩/٢.
(٦) السابق : ٣٤٣/٣.

(ر) - الفعل : (تقربا) من قوله تعالى :

﴿... وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ...﴾ البقرة / ٣٥.

قرأ يحيى بن وثاب : (ولا تِقربا) بكسر التاء.[(١)]

(ك) - الفعل (تركنوا) من قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ... ﴾ هود / ١١٣.

قرأ ابن وثاب : (تِركنوا) بكسر التاء.[(٢)] و" عن أبي عمرو بكسر التاء على لغة تميم في مضارع (عَلِم) غير الياء ".[(٣)]

- الفعل : (لتركبن) من قوله تعالى :

﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ الانشقاق / ١٩.

" قرأ ابن مسعود وابن عباس : (لتركبن) بكسر التاء وهي لغة تميم ".[(٤)]

---

(١) شواذ القراءات : ٤ وينظر البحر المحيط : ١/١٥٨.
(٢) شواذ القراءات : ٦١.
(٣) البحر المحيط : ٥/٢٦٩.
(٤) السابق : ٨/٤٤٨.

الطائفة الثانية : أفعال حلقية :

- قراءات شاذة :

(ن) - الفعل : (تيأسوا) من قوله تعالى :

﴿ ... وَلَا تَايْئَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ ... ﴾ يوسف / ٨٧.

قرأ الأعرج : (ولا تِيئسوا) بكسر التاء[1] من (يَئِسَ) ييأس.[2]

الطائفة الثالثة : أفعال مضعّفة :

- قراءات شاذة :

(س) - الفعل : (فتمسكم) من قوله تعالى :

﴿ ... فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ... ﴾ هود / ١١٣.

"قرأ ابن وثاب وعلقمة والأعمش وابن مصرّف وحمزة فيما روى عنه :

(فتِمسكم) بكسر التاء على لغة تميم".[3]

---

(١) البحر المحيط : ٥/٣٣٩.

(٢) اللسان : (ى ء س) ٦/٢٥٩.

(٣) السابق : ٥/٢٦٩ وينظر المحتسب ١/٣٣٠.

المجموعة الثانية : أفعال معتلة :

الطائفة الأولى : أفعال معتلة الصامت الأول (فاء) الصيغة :

- قراءات شاذة :

- الفعل : (تلقونه) من قوله تعالى :

* إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ ... * النور / ١٥.

" قرأ يعقوب في رواية المازني : (تِيلَقونه) بتاء مكسورة بعدها ياء ولام مفتوحة كأنه مضارع (ولق) بكسر اللام ".(١)

الطائفة الثانية : أفعال معتلة الصامت الأخير (لام) الصيغة :

- قراءات شاذة :

(ث) - الفعل : (تعثوا) من قوله تعالى :

* ... وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * هود / ٨٥.

" قرأ الأعمش : (ولا تِعثوا) بكسر التاء، كقولهم : أنت تِعلم، وهي لغة ".(٢)

(د) - الفعل : (فتردى) من قوله تعالى :

*... وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ * طه / ١٦.

قرأ يحيى بن وثاب : (فتِرْدى) بكسر التاء.(٣)

---

(١) البحر المحيط : ٤٣٨/٦ وينظر شواذ القراءات : ١٠٠.

(٢) البحر المحيط : ٣٢٩/٤، وينظر الإتحاف : ٢٥٩ وشواذ القراءات : ٦٠.

(٣) شواذ القراءات : ٨٧ وينظر البحر المحيط : ٢٣٣/٦.

(د) - الفعل : (تنبا) من قوله تعالى :

* ... وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى * طه / ٤٢.

* قرأ ابن وثاب : (ولا تِنِيا) بكسر التاء ،إتباعا لحركة النون *.(١)

*

ثانيا : كسر(النون) : - أفعال صحيحة -

الطائفة الأولى : أفعال غير حلقية :

- قراءات شاذة :

(ل) - الفعل : (ونعلم) من قوله تعالى :

* ... وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا ... * المائدة / ١١٣.

قرأ الأعمش : (ونِعْلَم) (٢) بكسر النون .

الطائفة الثانية : أفعال حلقية :

- قراءات شاذة :

(ر) - الفعل : (سنفرغ) من قوله تعالى :

* سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ * الرحمن / ٣١.

قرأ عيسى وأبو السمال : (سَنِفْرَغ) بكسر النون ،

---

(١) البحر المحيط : ٦/٢٤٥ وينظر شواذ القراءات : ٨٨.

(٢) شواذ القراءات : ٣٦.

وفتح الراء[1]، وهي لهجة سفلى مضر[2] على أن الفعل الحلقي من باب (تَعِب) على لهجة تميم (فَرِغ يَفرَغ)[3].

(ى) ـ الفعل : (نشاء) من قوله تعالى :

* ... وَنُقِرُّ فِى الأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ ... * الحج / ٥.

" قرأ يحيى بن وثاب : (ما نِشاء) بكسر النون "[4] على (فَعِل يَفعَل)[5].

*

ثالثا : كسر (الياء) : ـ أفعال صحيحة ـ

الطائفة الأولى : أفعال غير حلقية :

ـ قراءات شاذة :

(م) ـ الفعل : (تألمون) من قوله تعالى :

* ... إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ ... * النساء / ١٠٤

وقرأ ابن وثاب ومنصور بن المعتمر : (يِئلمون) بكسر ياء المضارعة[6].

وعلق ابن جني على كسر الياء فقال : " العرف في نحو هذا أن من قال : أنت تِسْمن وتِشلف وإيلف فكسر حرف المضارعة في نحو هذا إذا صار إلى الياء فتحها البتة، فقال : هو يألف، ولا يقول : هو ييلف، استثقالا للكسرة في الياء "[7].

---

(١) شواذ القراءات : ١٤٩.
(٢) البحر المحيط ٨/٣٤٣.
(٣) ينظر : المصباح المنير : ٣/٤٧٠.
(٤) البحر المحيط : ٦/٣٥٢.
(٥) ينظر المصباح المنير : ١/٣٣٠.
(٦) البحر المحيط : ٣/٣٤٣.
(٧) المحتسب : ١/١٩٨.

الطائفة الثانية : أفعال مضعّفة :

- قراءات متواترة :

(ل) - الفعل : (ليضلوا) من قوله تعالى :

* ... رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ ... * يونس / ٨٨ .

قرأ الشعبي : (لِيِضِلوا) ، بكسر الياء ، والياء بين الكسرات الثلاث . ونقل أبوحيان أن كسر الياء لبعض بني كلب.(١)

*

رابعا : كسر (الهمزة) :

المجموعة الأولى : أفعال صحيحة :

الطائفة الأولى : أفعال غير حلقية :

- قراءات شاذة :

(ل) - الفعل : (أعلم) من قوله تعالى :

* ... تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ... *

المائدة / ١١٦.

قرأ الأعمش : (ولا إِعلم) (٢) بكسر الهمزة.

---

(١) البحر المحيط : ٧/ ٢٤٣.

(٢) شواذ القراءات : ٣٦.

الطائفة الثانية : أفعال حلقية :

- قراءات شاذة :

(هـ) - الفعل : (أعهد) من قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَٰنَ .... ﴾

يس / ٦٠ .

قرأ يحيى بن وثاب : (إِعهد) [1] ، وأضاف أبو حيان :

" وقرأ طلحة والهذيل بن شرحبيل الكوفي :- (إِعهد)- بكسر الهمزة ، قاله صاحب اللوامح ، وقال : لغة تميم ، وهذا الكسر في النون والتاء أكثر من بين حروف المضارعة " [2] .

و (إِعهد) من الحلقي (العين) (عَهِد يَعْهَد) من باب تَعِب . [3]

الطائفة الثالثة : أفعال مضعّفة :

- قراءات شاذة :

(ل) - الفعل : (اضل) من قوله تعالى :

﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ... ﴾ سبأ / ٥٠

قرأ عبد الرحمن المقرى : (إِضل) بكسر اللام والهمزة . [4]

---

(١) شواذ القراءات : ١٢٥ .

(٢) البحر المحيط : ٣٤٣/٧ وينظر الكشاف : ٣٢٧/٣ .

(٣) المصباح المنير : ٤٣٥/٢ .

(٤) شواذ القراءات : ١٢٢ وينظر البحر المحيط : ٢٩٢/٧ .

المجموعة الثانية : أفعال معتلة :

- قراءات شاذة :

(س) - الفعل : (آسى) من قول تعالى :

﴿ ... فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾ الأعراف / ٩٣.

قرأ يحيى بن وثاب وطلحة (إيسى) بكسر الهمزة.(١)

تعقيب :

إن مجيء القراءات بكسر حروف المضارعة يقتضي منا أن نتعقب هذه الظاهرة في اللهجات العربية القديمة لمعرفة مدى شيوعها، وقراءة القراء بها.

عزا اللغويون القدماء كسر (التاء) إلى بهراء، وأطلقوا على هذه الظاهرة (تلتلة بهراء) ، يقول ابن جني : " وأما تلتلة بهراء فإنهم يقولون : (تِعلمون) و (تِفعلون) و (تِصنعون) ، بكسر أوائل الحروف ".(٢)

وقد ذهب (د/أنيس) الى أن " بهراء هذه قبيلة في قضاعة وكانت مساكنهم متاخمة لحدود الشام "(٣)، ثم رجّح أن بهراء تبعت اللغات السامية المجاورة لها.(٤)

---

(١) شواذ القراءات : ٤٥ وينظر البحر المحيط ٣٤٧/٤ ... والمصاحف : ٢٥٦.

(٢) الخصائص : ١١/٢.

(٣) في اللهجات العربية : ١٣٩.

(٤) السابق : ١٤٠.

إلا أننا وجدنا أبا حيان يعزو كسر (التاء) في أكثر من موضع في القراءات السابقة إلى تميم . وقد ذهب ابن منظور إلى أن " (تعلم) بالكسر لغة (قيس) و (تميم) و (أسد) و (ربيعة) ،وعامة العرب ".(١)

فكسر(التاء) ليس من خصائص بهراء وحدها ،وإنما تشترك فيه معها عدد من القبائل . كما عزى إلى تميم كسر (النون) في (سنفرغ)، أما كسر (الهمزة) في قراءة (اعهد) فقد نسب إلى سفلى مضر ، وبعد وأن سفلى مضر هم تميم.(٢)

فكسر (التاء) و (النون) و (الهمزة) كان معروفا في تميم ،إلا أن أستاذنا (د/ الجندي) يرجح الحاق كسر همزة (اخال) بطيء (٣) ثم انتشارها فيما جاورها .

ونقف عند كسر (الياء) فقد عزاه أبوحيان إلى بعض بني كلب كما مضى في قراءة (ليضلوا) . وكلب هذه من قضاعة(٤) ،كما نسب لأسد(٥) كسر (الياء) في (ييجل).

وقد استبعد سيبويه كسر (الياء) وعلته "أنهم كرهوا الكسرة في الياء . . كما يكرهون الياءات والواوات مع الياء وأشباه ذلك ".(٦)

---

(١) اللسان : (وق ى) ٤٠٣/١٥ وينظر الصاحبي : ٣٤.

(٢) ينظر لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة : ٥٠.

(٣) اللهجات في التراث : ٣٩٣/١.

(٤) ينظر اللسان : (وج ل) ٧٢٢/١١.

(٥) خزانة الأدب : ٢٢/٢.

(٦) الكتاب : ١١٠/٤.

غير أن القراءات قد وردت بكسر (الياء) كما ذكرنا وهو خلاف ما ذهب إليه سيبويه .

وقد نلتمس مبررا صوتيا لاجتماع الكسر مع (الياء) وهو انسجامهما لاتحاد مخرجيهما ، وكسر الياء أداء واضح في لهجتنا العامية.

ونخلص من هذا العرض إلى أن كسر حروف المضارعة كان شائعا في لهجات القبائل البدوية التي مالت إلى الكسر ، وقد شمل هذا الكسر جميع حروف المضارعة.

ولا عجب أن تجيء القراءات القرآنية بكسر حروف المضارعة بعد أن عرفنا مدى شيوع هذه الظاهرة التي امتدت إلى اللهجات العربية المعاصرة .

(ب) مع فَعَل يَفعَل :

خَصّ سيبويه واللغويون من بعده كسر حروف المضارعة بالأفعال الواردة في الماضي على (فَعِل) بكسر (عين) الصيغة ، وذلك في الثلاثي . وهذا يعني أن بقية الصيغ الثلاثية لا تكسر حروف المضارعة معها ، إلّا أن بعض القراءات ورد فيها كسر حرف المضارعة مع كون الفعل على (فَعَل يَفعَل) مما هو حلقي :

أولا : كسر التاء :

(خ) - الفعل : (تبخسوا) من قوله تعالى :

* ... وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ... * هود / ٨٥ .

قرأ المطوعي : (ولا تِبخسوا) بكسر التاء (١) من (بَخَس يَبْخَس) (٢) بفتح (الخاء) فيهما (صوت الحلق) وهي على (فَعَل يَفعَل) .

ثانيا : كسر الهمزة :

(ص) - الفعل : (أنصح) من قوله تعالى :

* أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ ... * الأعراف/ ٦٢ .

قرأ يحيى بن وثاب وطلحة : (إِنصح لكم) بكسر الهمزة (٣) من (نصَح ينصَح) (٤) بفتح الصاد فيهما

---

(١) الإتحاف : ٢٥٩ .

(٢) اللسان : (ب خ س) ٦/ ٢٤ .

(٣) شواذ القراءات : ٤٥ .

(٤) المصباح المنير : ٢/ ٦٠٧ .

على (فَعَل يَفعَل) في الحلق (اللام).

فهذان الفعلان دليل واضح على كسر حرف المضارعة في غير ما كان ماضيه على (فَعِل). ومما يقوي ما نحن بصدده أن هذين الفعلين (نَصَح) و (بَخَس) لم يرد الماضي منهما إلا على (فَعَل) فحسب. كما أن ابن جني عزى إلى بهراء كسر (التاء) في : (تِذملون) و (تِصنعون).(١)

ولعل هذه الأفعال التي تكسر حروف مضارعها ما هي على (فَعَل يَفعَل)من القلة والندرة بحيث لم يلتفت إليها اللغويون.

ويذهب بعض المحدثين إلى القول : " فلعل كسر حروف المضارعة في الأصل كان بصيغة (يفعل) المفتوحة العين ، بغض النظر عن حركة العين في الماضي ".(٢)

وقد توسعت بعض اللغات السامية في الصيغ التي ترد حروف المضارعة فيها مكسورة العين ، ففي العبرية والسريانية انتقل كسر حرف المضارعة من وزن (فَعِل يَفعَل) بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع إلى بقية الأوزان الأخرى.(٣)

وهذا ما يرجح حدوث الكسر في اللهجات العربية في غير صيغة (فَعِل) تأثراً باللغات السامية المجاورة كما هو حاصل في قبيلة بهراء.

---

(١) سر صناعة الاعراب : ٢٣٠/١ ، تحقيق حسين هنداوي.

(٢) في الأصوات اللغوية لغالب المطلبي : ١٩٠.

(٣) السابق : ١٩٠.

الفصل الثاني :

تأثر الصوامت المتماثلة .

ويشمل ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : التأثر بالإدغام .
المبحث الثاني : التأثر بالحذف .
المبحث الثالث : التأثر بالمخالفة .

من مظاهر التأثير التي تتعرض لها صيغ الفعل الثلاثي تأثر الأصوات المتجاورة/ المتماثلة بعضها ببعض ،ويحدث هذا التأثير على مستويين :

الأول : (تأثر مقبل) ،وفيه يتأثر اللاحق بالسابق(١ ← ٢)

الثاني : (تأثر مدبر) ،وفيه يتأثر السابق باللاحق(١ → ٢)

والغاية التي يهدف إليها هذا التأثر هو تحقيق التخفيف في الأداء ويتم هذا التخفيف بواسطة الظواهر الصوتية التالية :

١ - الإدغام .

٢ - الحذف .

٣ - المخالفة .

وسنرى مدى تحقق هذا التأثر في القراءات القرآنية .

المبحث الأول

التأثر بالإدغام

(Gemination)

إذا تجاور صامتان متماثلان في الصفة والمخرج فإن أحدهما يدمج في الآخر لينطق بهما صوتا واحدا مشددا ،فالإدغام "أداء صوتي مفاده إدخال الصوت في مجاوره "(١).

ويتم ذلك على أساس موقعية الصوت الأقوى والأضعف ،فالأضعف يدغم في الأقوى ،ولما كان السابق يحتل عادة نهاية مقطع مما يجعله في موقع المتأثر ،واللاحق يحتل بداية مقطع مما يجعله في موقع المؤثر، فإن الأول (الأضعف) يدغم في الثاني (الأقوى) .(٢) ولذلك يدغم الساكن في المتحرك (تأثر مقبل) . ومن هنا يعدّ الإدغام ظاهرة سياقية موقعية .(٣) تؤدي إلى تغيير التركيب المقطعي وموقع النبر. ويتم ذلك بعد سقوط الحركة الفاصلة بين الصوتين المتماثلين.

وهذا ما أشار إليه المبرد بقوله :" وتأويل قولنا مدغم أنه لا حركة تفصل بينهما فإنك تعتمد لهما باللسان اعتماده واحدة لأن المخرج واحد ولا فصل ".(٤)

وقد عرفه ابن جني بقوله :

" الإدغام المألوف المعتاد إنما هو تقريب الصوت من الصوت ".(٥)

وهو عنده قسمان :

---

(١) ما ذكره الكوفيون من الإدغام للسيرافي : ٣٠ (تحقيق د/صبيح التميمي / ط : أولى ،نشر دار البيان العربي ،جدة).

(٢) ينظر أثر القراءات في الأصوات والنحو : ٢٣٧ (د/ عبد الصبور شاهين ،ط: أولى مكتبة الخانجي ،القاهرة ١٩٨٧م).

(٣) ينظر اللغة العربية مبناها ومعناها (د/ تمام حسان) : ٢٦٢-٢٦٣.

(٤) المقتضب ٤١٧/٤.

(٥) الخصائص ١٣٩/٢.

أ - الإدغام الأكبر .   ب - الإدغام الأصغر .

ثم قسم الأكبر إلى نوعين :

الأول : (إدغام المتماثلين) .

الثاني : (إدغام المتقاربين) .

وكلاهما يرد على وجهين :

الأول - تقريب ساكن من متحرك ، وذلك " كطاء (قطّع) ، وكاف (سكّر) الأوليين ، ومثل (أمّحى) و (أتّاز) " .

الثاني - تقريب متحرك من متحرك " نحو دال : (شدّ) ولام : (معتلّ) ، ومثل (ودّ) في اللغة التميمية ".(١)

ثم عقّب على هذه التقسيمات بقوله : " والمعنى الجامع لهذا كله تقريب الصوت من الصوت ".(٢) فإدغام المتماثلين عند ابن جني نوع من التقريب . والذى يعنينا في هذا البحث هو (إدغام المتماثلين) في الفعل الثلاثي المضعف ، " فالتضعيف يلحقه الإدغام ".(٣) " لأن التضعيف يثقل على ألسنتهم ، وأن اختلاف الحروف أخف عليهم من أن يكون من موضع واحد ... وذلك لأنه يثقل عليهم أن يستعملوا ألسنتهم من موضع واحد ثم يعودوا له ".(٤) ويرى المحدثون أنه لا صلة لإدغام المتماثلين بظاهرة التقريب (التماثل) ، لأنه قائم على أصوات متحدة أصلا في الصفة والمخرج يقول شادة : " ولا محل هنا لتقريب الحرفين المتواليين بعضهما من بعض لأنهما متماثلان من بادئ الأمر ".(٥) وإلى هذا الرأى يذهب (د / عبد الصبور شاهين) (٦) . فماذا يعني ابن جني بالتقريب في المتماثلين ؟

----

(١) الخصائص : ٢/ ١٤٠ .

(٢) السابق : ٢/ ١٤٠ .

(٣) شرح مختصر التصريف العزى : ٩٦ وينظر مراح الأرواح : ٨١ . شرح ابن كمال باشا ، القاهرة ١٩٣٧ م .

(٤) الكتاب ٤/ ٤١٧ .

(٥) علم الأصوات عندنا وعند سيبويه (شادة) : ١٦ .

(٦) أثر القراءات في الأصوات والنحو : ٢٤٠ .

يقول ابن جني موضحًا تقريب الساكن من المتحرك "ألا ترى أنك في (قطّع) ونحوه قد أخفيت الساكن الأول في الثاني حتى نبا اللسان عنهما نبوة واحدة وزالت الوَقْفة التي كانت تكون في الأول لو لم تدغمه في الثاني ... فإن أنت أزلت تلك الوقيفة والفترة على الأول خلطته بالثاني فكان قربه منه وإدْغامه فيه أشد لجذبه إليه وإلحاقه بحكمه ".(١)

ويشرح تقريب المتحرك من المتحرك فيقول : " لتخلطه بالثاني وتجذبه إلى مضامته ومماسته لفظه بلفظه بزوال الحركة التي كانت حاجزة بينه وبينه ".(٢)

فالتقريب في المتماثلين كما يرى ابن جني يعني خلط الصوت الأول بالثاني ،وسقوط صائت أول المتماثلين -فيما كان أوله متحركا - والنطق بهما صوتا واحدا يتحرك معهما اللسان حركة واحدة ،لأن شرط الإدغام هو إزالة ما بين الصوتين واتصال الأول بالثاني ،وبهذا المفهوم كان تعريف اللغويين للإدغام.(٣)

أي أن التقاء الصوتين المتماثلين أدى إلى تأثر أحدهما بالآخر، يقول (د/ أنيس) : فإذا اجتمع صوتان متماثلان كل المماثلة أو بعضها ترتب على هذا أن يؤثر أحد الصوتين في الآخر تأثيرا تختلف نسبته تبعا للظروف اللغوية الخاصة بلغة من اللغات.(٤) وهذا ما يجعلني أميل إلى القول بأن كل تأثير مماثلة ،وسقوط الصائت الفاصل واتصال المتماثلين ونطقهما صوتا واحدا يؤدي إلى المماثلة التامة ،وقد ألمح ابن يعيش إلى هذا التأثر ،وهو يعرّف الإدغام قائلا : " معناه في الكلام أن تصل حرفا ساكنا بحرف مثله متحرك من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف فيصيران لشدة اتصالهما كحرف واحد ترفع اللسان عنهما رفعة واحدة شديدة فيصير الحرف الأول كالمستهلك على حقيقة التداخل والإدغام ".(٥)

---

(١) الخصائص ٢/ ١٤٠.

(٢) السابق ٢/ ١٤٠.

(٣) ينظر شرح الشافية ٢/ ٦٣١ والتكملة لأبي علي الفارسي : ٢٧٣، والأصول في النحو لابن السراج ٣/ ٤٠٥ ،وشرح الأشموني ٣/ ٨٨٩، والممتع ٢/ ٦٣١ .

(٤) في اللهجات العربية : ٧٠.

(٥) شرح المفصل ١٠/ ١٢١.

فالإدغام والحالة كذلك نوع من المماثلة .

ويطلق بعض المحدثين عليه مسمى (المماثلة الكاملة) (Complete Assimilation) فيقول : " تميل اللغة العربية إلى الإدغام حين يتوالى صوتان متماثلان سواء في كلمة واحدة أو في كلمتين ، إذا كان الصوت الأول مشكلا بالسكون والثاني محركا ،وذلك لتحقيق حد أدنى من الجهد عن طريق تجنب الحركات النطقية التي لا يمكن الاستغناء عنها ".(١)

ويترتب على عملية إدغام المتماثلين حدوث تأثر مدبر حيث يتأثر السابق باللاحق .

إلّا أن الصامتين المتماثلين قد يحتفظ كلا منهما بموقعه من غير إدغام ، وهذا ما يعرف بالفك أو الإظهار ،وإن كنا نرجح استعمال مصطلح الإظهار .

ويعرف الإظهار بأنه الأصل ،يقول في ذلك مكي : اعلم أن الإظهار هو الأصل ،والإدغام دخل لعلة ... وإنما قلنا إن الإظهار هو الأصل لأنه أكثر ،لأن الواقف يضطر فيه إلى الإظهار ،ولاختلاف لفظ الحرفين ".(٢)

فهذا النص يشير إلى حقيقة هامة ،وهي أن الإظهار سابق على الإدغام ،وأن الإدغام يمثل مرحلة متطورة في حياة اللغة العربية ،يؤيد هذا شيوعه في لهجات البدو وأكثر اللهجات تعرضا للتطور . فهو فرع عن الإظهار ، فخصّ بالفعل لفرعيته ".(٣)

---

(١) دراسة الصوت اللغوى : ٣٣٢ - ٣٣٣.

(٢) الكشف : ١/ ١٣٤ ،وشرح الأشموني : ٣/ ٨٩٠.

(٣) ينظر شرح الأشموني : ٣/ ٨٩٠.

وجاء القرآن مشتملا على الظاهرتين : الإدغام والإظهار ، فقد "أنزل الله القرآن بلغة الحجازيين ، إلّا قليلا فإنه نزله بلغة التميميين كالإدغام".(١)

وفيما يلي نعرض صور الإدغام والإظهار في الصيغ الفعلية في ضوء قراءاته على مستويات في الصحيح والمعتل.

أولا : إذا كان المتماثلان صوتين صحيحين :

المستوى الأول :

إذا تحرك الصامت الثاني من المتماثلين فالعرب مجمعون على الإدغام ،(٢) وقد جاء القرآن بهذا المستوى مع صيغ الماضي والمغايرة ،

المجموعة الأولى : مع صيغ الثلاثي المجرد :

- قراءات متواترة :

(ب) الفعل : (تبت) من قوله تعالى :

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ المسد/ ١.

رسم المصحف : (تبَّت) بإدغام المجهورين : (صوتا الباء).

---

(١) الإتقان : ١/١٣٦.

(٢) الكتاب : ٢/٥٢٩ ، التبصرة والتذكرة : ٢/٧٣٧ وشرح الأشموني ٣/٨٩٠ ، والممتع : ٢/٦٣٤ وشرح الشافية : ٣/٢٤٠ ، وذلك عند اتصال الفعل بضمير يتحرك له الساكن الذي قبله.

(م) ـ الفعل : (فتّم) من قوله تعالى :

* ... فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ... * الأعراف / ١٤٢.

رسم المصحف : (فتّم) بإدغام المجهورين : (صوتا الميم .

(ض) ـ الفعل : (عضّوا) من قوله تعالى :

* ... وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ ... * آل عمران / ١١٩.

رسم المصحف : (عضّوا) بإدغام المجهورين : (صوتا الضاد).

(ر) ـ الفعل : (خرّ) من قوله تعالى :

* ... وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗا ... * الأعراف / ١٤٣.

رسم المصحف : (خرّ) بإدغام المجهورين (صوتا الراء).

(ج) ـ الفعل : (حج) من قوله تعالى :

* ... فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ ... * البقرة / ١٥٨.

رسم المصحف : (حجّ) بإدغام المجهورين : (صوتا الجيم).

(ك) ـ الفعل : (دُكّت) من قوله تعالى:

* كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا * الفجر / ٢١.

رسم المصحف : (دكت) بإدغام المهموسين (صوتا الكاف).

المجموعة الثانية : مع صيغ المغايرة :

أ ـ فَعَلَ يَفْعُلُ :

ـ قراءات متواترة :

(ب) ـ الفعل : (ولا تسبوا) من قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ... ﴾ الأنعام / ١٠٨.

رسم المصحف : (تَسُبُّوا) بإدغام المجهورين : (صوتا الباء).

(ف) ـ الفعل : (يكف) من قوله تعالى :

﴿ ... عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا ... ﴾ النساء / ٨٤.

رسم المصحف : (يَكُفَّ) بإدغام المهموسين : (صوتا الفاء).

(د) ـ الفعل : (سنشد) من قوله تعالى :

﴿ ... سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ... ﴾ القصص / ٣٥.

رسم المصحف : (سَنَشُدُّ) بإدغام المجهورين : (صوتا الدال).

(ض) ـ الفعل : (يحض) من قوله تعالى :

﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾ الحاقة / ٣٤.

رسم المصحف : (يَحُضُّ) بإدغام المجهورين : (صوتا الضاد).

(ل) ـ الفعل : (تحل) من قوله تعالى :

﴿ ... أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ ... ﴾ الرعد / ٣١.

رسم المصحف : (تَحُلُّ) بإدغام المجهورين : (صوتا اللام).

(ل) ـ الفعل : (أدلك) من قوله تعالى :

﴿... هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ ...﴾ طه / ١٢٠.

رسم المصحف : (أدلك) بإدغام المجهورين : (صوتا اللام).

(ر) ـ الفعل : (تسر) من قوله تعالى :

﴿... إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّـٰظِرِينَ﴾

البقرة / ٦٩.

رسم المصحف : (تَسُرُّ) بإدغام المجهورين : (صوتا الراء).

ـ الفعل : (تمر) من قوله تعالى :

﴿... وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ...﴾ النمل / ٨٨.

رسم المصحف : (تَمُرُّ) بإدغام المجهورين : (صوتا الراء).

(ق) ـ الفعل : (أشق) من قوله تعالى :

﴿... وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ...﴾ القصص / ٢٧.

رسم المصحف : (أشُقَّ) بإدغام المهموسين : (صوتا القاف).

ب ـ فَعَلَ يَفْعِلُ :

ـ قراءات متواترة :

(ل) ـ الفعل : (أضل) من قوله تعالى :

﴿... فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ...﴾ سبأ / ٥٠

رسم المصحف : (أَضِلّ) بإدغام المجهورين : (صوتا اللام).

(ل) ـ الفعل : (يحل) من قوله تعالى :

* ... وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ .. *

البقرة / ٢٢٨.

رسم المصحف : (لا يَحِلُّ) بإدغام المجهورين : (صوتا اللام).

(ر) ـ الفعل : (ففروا) من قوله تعالى :

* فَفِرُّوٓاْ إِلَى اللَّهِ ... * الذاريات / ٥٠.

رسم المصحف : (فَفِرّوا) بإدغام المجهورين : (صوتا الراء).

(ر) ـ الفعل : (تخر) من قوله تعالى :

* ... وَتَخِرُّ الجِبَالُ هَدًّا * مريم / ٩٠.

رسم المصحف : (تَخِرّ) بإدغام المجهورين : (صوتا الراء).

جـ - مع فَعِل يَفعَل :

ـ قراءات متواترة :

(ض) ـ الفعل : (يعض) من قوله تعالى :

* وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ... * الفرقان / ٢٧.

رسم المصحف : (يَعَضُّ) بإدغام المجهورين : (صوتا الضاد).

(ل) ـ الفعل : (فنظل) من قوله تعالى :

* قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ * الشعراء / ٧١.

رسم المصحف : (فَنَظَلُّ) بإدغام المجهورين : (صوتا اللام).

(ر) ـ الفعل : (تبروا) من قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا ... ﴾

البقرة / ٢٢٤.

رسم المصحف : (تَبَرُّوا) بإدغام المجهورين : (صوتا الراء).

(ر) ـ الفعل : (تقر) من قوله تعالى :

﴿ ... فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا ... ﴾ طه/ ٤٠.

رسم المصحف : (تَقَرَّ) بإدغام المجهورين : (صوتا الراء).

يلاحظ على مجموعتي الأفعال السابقة أنها إمّا ماضية أو مضارعة من غير إسناد ، أو مسندة كما في (دكت) و (عضوا) و (لاتمسوا) و (فنفروا) و (تبروا) . وهنا يكون الإدغام واجباً عموما وخاصة مع الإسناد فالحجازيون وغيرهم من العرب يدغمون ، لأنّ الفعل يصبح مبنيا لاتصاله بهذه الضمائر ، فتحريك الفعل ليس بعارض.(١)

المستوى الثاني :

إذا كان الصامت الثاني من المتماثلين ساكنا ، وذلك عند اتصاله بضمائر الرفع البارزة المرفوعة المتحركة ، لأنّ ما قبلها لا بد أن يكون ساكنا وهو الثاني فلا بد من الإظهار (٢) وعليه لهجة أهل الحجاز وعامة العرب فكلهم بالإظهار (٣) إلا ناسا من (بكر بن وائل) فإنهم يدغمون.(٤)

---

(١) ينظر شرح الأشموني : ٣/ ٨٩٦.

(٢) ينظر شرح مختصر التصريف العزي : ١٠٠.

(٣) ينظر الكتاب : ٣/ ٥٣٤ - ٥٣٥.

(٤) سنعرض لها مع المتماثلين المعتلين.

الإظهار على لهجة عامة العرب :

- قراءات متواترة :

(ف) - الفعل : (حففناهما) من قوله تعالى :

﴿ ... وَحَفَفْنَـٰهُمَا بِنَخْلٍ ... ﴾ الكهف / ٣٢.

رسم المصحف : (وَحَفَفْنٰهما) بإظهار الصوتين المهموسين : (صوتا الفاء).

(ل) - الفعل : (زللتم) من قوله تعالى :

﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ... ﴾ البقرة / ٢٠٩

رسم المصحف : (زَلَلْتم) بإظهار الصوتين المجهورين : (صوتا اللام).

(ل) - الفعل : (ضللت) من قوله تعالى :

﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ... ﴾ سبأ / ٥٠

رسم المصحف : (ضَلَلْتُ) بإظهار الصوتين المجهورين : (صوتا اللام).

المستوى الثالث :

إذا كان الصامت الثاني من المتماثلين ساكنا سكونا عارضا (أمرًا أم مضارعًا مجزومًا) ففيه وجهان :

الأول : الإظهار (الفك) ،عزاه سيبويه إلى أهل الحجاز،(١)

---

(١) الكتاب : ٣/ ٥٣٠ وينظر : ارتشاف الضرب : ١/ ١٦٥ ،وشرح الشافية للرضي : ٣/ ٢٤٦ ،والممتع : ٢/ ٦٥٦.

ووصف لهجتهم فيه بأنها "اللغة العربية القديمة الجيدة" [1] فهم يأتون بالمجزوم على الأصل [2] فيقولون : (لم يغضُضْ) . و (لم يفررْ) ، و (لا تغضُضْ) و (لا تفرِرْ) .

" وحجتهم في ذلك أن الحرف الآخر لما سكن بطل الإدغام ، لأنّ الحرف الذى قبله ساكن ، ولا يمكن حرفان ملتقيان " [3] .

فشرط الإدغام عند الحجازيين (تحريك الثاني) والجزم يقتضي تسكينه فيعدلون عن الإدغام حتى لا يلتقي الساكنان ، وذلك على القياس الأصلي [4] لأنّ سكون الثاني للجزم يقتضي تحريك الأول (الساكن أصلا للإدغام) .

الثاني : الإدغام . وعزاه سيبويه ومن تبعه إلى تميم [5] وغيرهم [6] .

ثم يعلل سيبويه لإدغام تميم فيقول : " وأما بنو تميم فيدغمون المجزوم ، كما أدغموا إذا كان الحرفان متحركين ، ... فيسكنون الأول ويحركون الآخر ، لأنهما لا يسكنان جميعا ، وهو قول غيرهم من العرب ،

---

(١) الكتـــاب : ٤/٤٧٣ وينظر المحتسب : ١/١٤٨ ، والخصائص : ١/٢٦٠ .

(٢) ينظر شرح الملوكي في التصريف : ٤٥٤ .

(٣) التذكرة والتبصرة : ٢/٧٣٨ .

(٤) ينظر الكامل في اللغة والأدب للمبرد : ١/٢٩٣ .

(٥) ينظر شرح الأشموني : ٣/٨٩٦ وشرح ابن عقيل : ٤/٢٥٣ والتصريح : ٢/٤٠١ .

(٦) ينظر شرح المفصل : ٩/١٢٧ ، والبحر المحيط : ٣/٤٣ .

وهم كثير". (١)

فالسكون عند تميم "عارض لا اعتداد به فيُحرك الثاني ويدغم فيه الأول" (٢) . والتحريك على وجوه كما سيرد .

إلّا أن الإدغام أوسع استعمالا وانتشاراً بين القبائل من الإظهار ، وكلها قبائل بدوية ، فقد عزاه المبرد (٣) لقيس وأسد كذلك ، على حين انحصر الإظهار مع الأمر والمضارع المجزوم في اللهجة الحجازية .

وقد وصف الإظهار (الفك) بأنه أجود من الإدغام ، وإن كان كل منهما فصيحا مقروءًا به في المتواتر" (٤)

وسنتعرف على مدى شيوع اللهجتين في الفعل الثلاثي المجرد من خلال قراءاته :

١ - ما ورد بالإظهار على لهجة الحجاز وهو مختص بصيغ المغايرة :

أ - فَعَل يَفْعُل :

- قراءات متواترة :

(م) - الفعل : (واضمم) من قوله تعالى :

* وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ ... * طه / ٢٢ .

رسم المصحف : (اضْمُمْ) بإظهار الجمهورين : (صوتا الميم) .

---

(١) الكتاب : ٣/٣٠٥ .

(٢) شرح مختصر التصريف العزي : ١٠٨ .

(٣) الكامل في اللغة والأدب : ١/٤٣٨ (تحقيق محمد الدالي ، بيروت ، ١٩٨٦).

(٤) شرح الأشموني : ٣/٨٩٣ .

(د) الفعل : (اشدد) من قوله تعالى :

* ... وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ... * يونس/ ٨٨، طه/ ٣١.

رسم المصحف : واشْدُدْ) بإظهار المجهورين : (صوتا الدال).

- الفعل : (فليمدد) من قوله تعالى :

* ... فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا ... * مريم / ٧٥.

رسم المصحف : (فليَمْدُدْ) بإظهار المجهورين : (صوتا الدال).

(ض) - الفعل : (واغضض) من قوله تعالى :

* ... وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ... * لقمان / ١٩.

رسم المصحف : (واغْضُضْ) بإظهار المجهورين : (صوتا الضاد).

(ل) - الفعل : (واحلل) من قوله تعالى :

* وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * طه / ٢٧.

رسم المصحف : (واحْلُلْ) بإظهار المجهورين : (صوتا اللام).

(ل) - الفعل : (يغلل) من قوله تعالى :

* ... وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ... * آل عمران/ ١٦١.

رسم المصحف : (يَغْلُلْ) بإظهار المجهورين : (صوتا اللام).

(ص) - الفعل : (تقصص) من قوله تعالى :

* ... لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ ... * يوسف / ٥

رسم المصحف : (لا تَقْصُصْ) بإظهار المهموسين :

(صوتا الصاد).

ب ـ فَعَل يفعِل :

ـ قراءات متواترة :

(ل) ـ الفعل : (يحلل) من قوله تعالى :

﴿ ... وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴾ طه / ٨١.

رسم المصحف : (يَحْلِلْ) بإظهار المجهورين : (صوتا اللام).

جـ ـ فَعِل يفعَل :

ـ قراءات متواترة :

(س) ـ الفعل : (تمسسه) من قوله تعالى :

﴿ ... يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ .. ﴾ النور/ ٣٥.

رسم المصحف : (تَمْسَسْه) بإظهار المهموسين : (صوتا السين).

*

٢ ـ قراءات متواترة على لهجة الحجاز وشاذة على لهجة تميم :

(ن) ـ الفعل : (تمنن) من قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ﴾ المدثر / ٦.

« قرأ الجمهور : (ولا تمنُنْ) بفك التضعيف ، والحسن وأبو السمال : (لا تمنّ) بشد النون » (١)

---

(١) البحر المحيط : ٨/ ٣٧١ - ٣٧٢ وينظر شواذ القراءات : ١٦٤.

(ر) - الفعل : (يغررك) من قوله تعالى :

﴿... فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾ غافر / ٤ .

"قرأ الجمهور : (فلا يَغْرُرْكَ) بالفك ، وهي لغة أهل الحجاز ، وقرأ زيد بن علي وعبيد بن عمير : (فلا يغرّكَ) بالإدغام مفتوح الراء ، وهي لغة تميم" (١).

إن تردد المثلين بين الإظهار والإدغام يدعو إلى معرفة طبيعة الأداء عند كل من الحجازيين والتميميين . فكل لهجة سارت مع طبيعة الأداء عندها ، فجاء الإظهار متفقا مع طبيعة التأني وإعطاء كل صوت حقه عند الحجازيين . وهذه اللهجة تستدعي الإتيان بهمزة الوصل مع فعل الأمر ، وقد رأينا ذلك في القراءات ، تخلصا من الابتداء بالساكن .

وجاء الإدغام منسجما مع السرعة في الأداء ، والميل إلى الخفة عند التميميين وغيرهم من القبائل المتبدية .

*

٣ - قراءات متواترة على لهجة تميم وشاذة على لهجة الحجاز :

(ر) - الفعل : (يضركم) من قوله تعالى :

﴿... وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ...﴾

آل عمران / ١٢٠ ، المائدة / ١٠٥ .

قرأ الكوفيون وابن عامر : (لا يَضُرُّكم) بضم الضاد والراء المشددة ، من (ضَرّ يَضُرّ) ، واختلف : أحركة الراء إعراب ، فهو

---

(١) البحر المحيط : ٧/٤٤٩ .

مرفوع أم حركة إتباع لضمة الضاد ،وهو مجزوم ، كقولك : (مُدَّ)
ونسب هذا إلى سيبويه ،وخرج أيضا على أن (لا) بمعنى ليس مع
إضمار الفاء : فليس يضركم ،قاله الفراء والكسائي .

وقرأ عاصم فيما روى أبو زيد عن المفضل عنه بضم الضاد
وفتح الراء المشددة ،وهي أحسن من قراءة ضم (الراء) ، نحو :
لم يرد زيد ،والفتح هو الكثير المستعمل .

وقرأ الضحاك بضم (الضاد) وكسر الراء المشددة على أصل التقاء
الساكنين ... وقرأ أبي : (لا يضرركم) بفك الإدغام ،وهي لغة
أهل الحجاز... ولغة سائر العرب الإدغام في هذا كله". (١)

فالفعل : (يضركم) قرئ بالإدغام متواترا على لهجة تميم ،
وبالإظهار شاذا على لهجة الحجاز ، وقد تنوعت حركة (الراء) مع
الإدغام وذلك على ثلاثة أوجه :

الأول : بالضم إتباعا لصائت (الضاد) فاء الصيغة
(تأثر مقبل) ، وهو أكثر في كلامهم (٢) . يرد مع كافة صيغ المغايرة

نحو :
(رُدُّ) و (غُضُّ) على (فَعَلَ يَفْعُلُ) .
(فِـرّ) و (قِـرِّ) على (فَعَلَ يَفْعِلُ) .
(عَـضَّ) على (فَعِلَ يَفْعَلُ) .

---

(١) البحر المحيط : ٣/ ٤٣ وينظر إبراز المعاني : ٢٩٧ وإعراب القرآن للنحاس : ١/ ٣٦٢ والنشر : ٢/ ٢٤٢ ،وتفسير القرطبي ٤/ ١٨٤ . والحجة لأبي زرعة : ١٧١ ،والإتحاف : ١٧٨ .

(٢) ينظر شرح التصريح : ٢/ ٤٠٢ والأشموني : ٣/ ٨٩٧ .

وقد رجح (د/ الجندي) عزوه لتميم [١] التي تميل إلى انسجام الصوائت.

الثاني : الفتح طلبا للخفة، وهو كثير مستعمل، وقد عزاه الأشموني إلى أسد وناس غيرهم. [٢] ونسبها الفيومي إلى أهل نجد [٣] والفتح مطلقا مع صيغ المغايرة نحو :

(رُدَّ) المضموم الأول، مما هو على : (فَعَل يَفْعُل).

(فِرَّ) المكسور الأول، مما هو على : (فَعَل يَفْعِل).

(عَضَّ) المفتوح الأول، مما هو على : (فَعِل يَفْعَل). [٤]

الثالث : الكسر على أصل التقاء الساكنين، وقد نسبه سيبويه [٥] والرضي [٦] إلى كعب وغنيّ. على حين ينسبها الأشموني [٧] والأزهري [٨] وأبو حيان [٩] إلى كعب ونمير.

وقد علل أستاذنا (د/ الجندي) لاختلاف العزو، فذهب إلى أن جميعها ينتهي نسبها في قيس [١٠] فمن نسب إلى كعب وغنى اكتفى بها

---

(١) اللهجات في التراث : ١/٣١٠.
(٢) شرح الأشموني : ٣/٨٩٧ وينظر ارتشاف الضرب : ١/٣٤٦.
(٣) المصباح المنير : ٢/٦٦٢.
(٤) ينظر شرح الملوكي في التصريف : ٤٥٤-٤٥٥.
(٥) ينظر الكتاب : ٣/٥٣٤.
(٦) ينظر شرح الشافية : ٢/٢٤٣.
(٧) ينظر شرح الأشموني : ١/٨٩٧.
(٨) ينظر شرح التصريح : ٢/٤٠٢.
(٩) ينظر ارتشاف الضرب : ١/٣٤٦.
(١٠) ينظر اللهجات في التراث : ١/٣١٠.

عن أختها من نمير . وكذلك الأمر عند من ينسبها إلى كعب ونمير .

ويشترط النحاة لهذا النوع من الإدغام شرطين :

أولهما : ألا يتصل بهاء الغائبة نحو (رُدَّها) وهاء الغايب نحو (رُدَّه). ولا ساكن كالألف واللام ،نحو : (رُدِّ) القوم .(١)

وثانيهما : طرح همزة الوصل لعدم الاحتياج إليها.(٢)

وسواء حرّك بالفتح لالتقاء الساكنين أم أتبع لحركة الفاء ففي كلا الحالين تكون الحركة حدث صوتي يرمى إلى تحقيق الخفة . وقد نبه سيبويه من خلال حديثه عن الإدغام إلى هذه الخفة سواء أكانت خفة إعرابية أم خفة صوتية ، "والخفة الإعرابية منحصرة في حذف الحركة الإعرابية من آخر الكلمة المدغمة ،والخفة الصوتية هي إشاعة الانسجام بين الأصوات المنطوقة حتى لا ينبو بعضها عن بعض".(٣)

أمّا التفسير الصوتي الحديث لظاهرتي الإدغام والإظهار في هذا المستوى فيرجع إلى اختلاف مواضع النبر في نطق هذه القبائل . فقد وصل الدكتور أنيس إلى معرفة "السرّ في التزام الحجازيين فك الإدغام ، فهو أن يترتب على الجزم عادة نقل النبر من موضعه إلى المقطع الذى قبله ،لأن الجزم يختصر أواخر الكلمات ... وعلى هذا كان من

---

(١) ينظر ارتشاف الضرب : ١/٣٤٦.

(٢) ينظر شرح الأشموني : ٣/٨٩٦.

(٣) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي للدكتور عبد الصبور شاهين : ٢١١ ، ط: أولى ،مكتبة الخانجي ،القاهرة سنة ١٩٨٧ (م) .

الواجب في حالة جزم الفعل (يَردُّ) أن ينقل النبر من المقطع (رُدْ) إلى المقطع (ير) لتصبح الكلمة لم (يُرْدُ) ، ولكن التباس هذا الوضع بوضع الفعل المعتل العين ، والحرص على إظهار تضعيف الفعل ، جعل العرب من الحجازيين يفكون الإدغام ليجمعوا بين أمرين : نقل النبر إلى الوراء بسبب الجزم ، وإظهار تضعيف الفعل"(١).

فالسرّ إذن في فك الإدغام ، المحافظة على موقع النبر ، أما بنو تميم فلم ينقل النبر في لهجتهم بسبب الجزم وبهذا بقي الإدغام . فكانوا يقولون : في حالة الوقف (لم يردّ) ، أما في الوصل فكانوا يحركون الدال الثانية بحركة لالتقاء الساكنين"(٢).

ويصف هنري فليش الإدغام عند غير الحجازيين من العرب بأنه يشبه أن يكون حدثا ثانويا (٣) . وذلك مع مختلف المصوتات المساعدة في النهاية ونقل مصوت الصامت الثاني في الأصل .

ويرجع ذلك إلى طبيعة الأداء عند غير الحجازيين من القبائل البدوية التي تميل إلى السرعة في نطق/الكلمات ومزجها بعضها ببعض ، فلا يعطى الحرف حقه الصوتي من تحقيق أو تجويد في النطق به (٤) .
أما الحجازيون وهم القبائل المتحضرة المستقرة فيميلون إلى التأني في النطق وتحقيق الأصوات وعدم الخلط بينها (٥).

---

(١) في اللهجات العربية : ١٥٠.
(٢) السابق : ١٥.
(٣) العربية الفصحى : ٢٠٥.
(٤) في اللهجات العربية : ٧١.
(٥) السابق : ٧٢.

ثانيا : إذا كان المتماثلان صوتين معتلين :

- المستوى الأول :

إذا تحرك المثلان فيما كانت عينه ولامه ياء نحو (حيي) و (عيي) فالإظهار أكثر ويجوز الإدغام[1]، وذلك حتى لا تنقلب الياء منهما ألفا في المستقبل، فإن لزم الياء الثانية فتحة لا تفارقها فيجوز الإدغام.[2]

- قراءات متواترة :

(ي) - الفعل : (حيي) من قوله تعالى :

﴿... وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ ...﴾ الأنفال / ٤٢.

" قرأ نافع والبزّي وأبو بكر : (حَيِيَ) بياءين ظاهرتين، وقرأ الباقون بياء مشددة ".[3]

فالفعل (حَيّ) على (فَعِل) قرئ بالإدغام والإظهار. وقد احتج لقراءة الإظهار فقال :

" وحجة من قرأ بياءين أنه أتى بالفعل على أصله، واستثقل الإدغام والتشديد في الياء، وأيضا فإنه شبّههما بياء (يحيى) التي لا يحسن فيها الإدغام ".[4] في حال نصب ولا رفع، وإنما أشبهها لأنها قد تتغير إذا اتصل بها المضمر المرفوع، كما تتغير ياء (يحيى) في النصب ولا تدغم فيها، لأن تغيرها عارض ".[4]

---

(١) ينظر ارتشاف الضرب : ١/١٦٦.

(٢) ينظر التبصرة والتذكرة : ١/ ٧٤١ - ٧٤٢.

(٣) التبصرة : ٢١٢ وينظر السبعة : ٣٠٧ وغيث النفع : ٢٣٤، والنشر : ٢/٢٧٦ والإتحاف : ٢٣٧.

(٤) الكشف : ١/٤٩٢، وينظر الحجة لأبي زرعة : ٣١١. والمقنع للداني : ٦١.

ويرى النحاس أن الإظهار حدث قياسا على المستقبل ،يشير إلى ذلك ، قوله : " إنه لا يجوز الإدغام في المستقبل فاتبعوا المستقبل الماضي ".(١)

أما القراءة بالإدغام فالعلة في حدوثه " أنه استثقل اجتماع ياءين متحركتين ،فأسكن الأولى وأدغمها في الثانية ".(٢) ، وذلك أن " الياء الأولى من (حيّ) يلزمها الكسر كما يلزم عين (عَضِضْت) و (شَمِمْت) فصارت بلزوم الحركة لها كغيرها من حروف السلامة ، فصارت كالصحيح في نحو (شمّ) و (عضّ) ،أجرى هذا مجراه فأدغم إذ صارت الياء الأولى بالحركة في حكم الصحيح ،فإذا لزمت الحركة لام الفعل جاز الإدغام ".(٣)

والإظهار والإدغام في (حيي) لهجتان عربيتان أجازهما سيبويه فقال فيهما " والإدغام أكثر والأخرى عربية كثيرة ".(٤) وساوى بينهما أبوحيان فقال : " والفك والإدغام لغتان مشهورتان ".(٥) وقد عزى الإدغام إلى بكر بن وائل .(٦)

وفي حدوث الإدغام في الفعل اليائي العين واللام (اللفيف المقرون) تعرض الفعل للإعلال بإدماج عينه في لامه ليصبحا صوتا واحدا مشددا أي أن الإدغام ترتب عليه إعلال . وبذلك يكون الإظهار في الفعل بتصحيح عينه ولامه من غير إعلال.

---

(١) إعراب القرآن : ٦٧٨/١.

(٢) الحجة لابن خالويه : ١٧١.

(٣) الكشف : ٤٩٢/١ وينظر :

(٤) الكتاب : ٣٩٥/٤ وينظر شرح مختصر التصريف العزي : ١٦٠. والتكملة : ٢٧١.

(٥) البحر المحيط : ٥٠١/٤.

(٦) السابق : ١٢٣/٨.

ونخلص من المناقشة السابقة إلى أن القراءة الصحيحة أخذت بالإدغام، وذلك على القياس عند اجتماع الحرفين المتجانسين المتحركين. وجاءت القراءة الثانية بالإظهار على لغة من التزم الإظهار في هـــذه الحالة.(١)

المســـتوى الثانـــي :

إذا كان الصامت الثاني من المتماثلين ساكنا وذلك عند اتصاله بضمائر الرفع البارزة فالإدغام ممتنع عند أهل الحجاز وعامة العرب، إلا ناسا من بكر بن وائل فإنهم يدغمون.

قراءات متواترة بالإظهار وشاذة بالإدغام :

(ى) ـ الفعل : (أفعيينا) من قوله تعالى :

﴿ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ... ﴾ ق / ١٥.

قرأ الجمهور : (أفعيينا) بياء مكسورة بعدها ياء ساكنة، ماضي (عيي) كرضي.(٢) وقرأ ابن أبي عبلة والوليد بن مسلم والقورصي عن أبي جعفر والسمسار عن شيبة وأبو بحر عن نافع :ـ(أفعيّنا)ـ بتشديد الياء من غير إشباع في الثانية.(٣)

وقد رجّح الهذلي قراءة الجمهور بالتخفيف، فذكر أنهـا الاختيار، لأنه يقال : (عييت) بالأمر إذا لم يقدر عليه.(٤) وهـي لهجة عامة العرب.

---

(١) ينظر شرح مراح الأرواح لابن كامل باشا : ٨٤.

(٢) البحر المحيط : ٨/١٢٣.

(٣) الكامل في القراءات الخمسين : ورقة : ٢٣٨ وينظر شواذ القراءة للكرماني : ورقة ٢٢٨ وشواذ القراءات لابن خالويه : ١٤٢.

(٤) الكامل في القراءات الخمسين : ورقة ٢٣٩.

وفي توجيه القراءة الثانية يقول أبوحيان : " وذكرت في توجيه هذه القراءة إذ لم يذكر أحد توجيهها ،فخرجتها على لغة من أدغم الياء في الياء في الماضي ،فقال : (عيّ) في عَيِي) ،و (حيّ) في (حَيِي) ، فلما أدغم ألحقه ضمير المتكلم المعظم ولم يفك الإدغام فقال : (عيّنا) ،وهي لغة لبعض بكر بن وائل ".(١)

فالفعل (عيي) أدغمت عينه في لامه على غير القياس الذي يوجب الإظهار عند الاتصال بالضمائر ،إلّا أن هذا الإدغام وارد في بعض اللهجات البدوية (بكر بن وائل) ،وهو كما يبدو أثر من آثار السرعة في الكلام. وقد قرئ به .

*

تعقيب :

يذهب علماء الأصوات المحدثون إلى أن الصوت المشدد يتكون في حقيقته من صوت واحد طويل ، أى بمعدل النطق بصوتين ساكنين. يقول في ذلك الدكتور رمضان عبد التواب : " وليس أمر الطول والقصر خاصا بالأصوات المتحركة وحدها ،بل إن الصوامت تطول وتقصر كذلك ، وإن ما نعرفه باسم الحرف المشدد ، أو الصوت المضعّف ، ليس في الحقيقة صوتين من جنس واحد ،الأول ،ساكن ،والثاني متحرك - كما يقول نحاة العربية ،وإنما هو في الواقع صوت واحد طويل ، يساوى زمنه زمن صوتين اثنين ".(٢) ويترتب على هذا أن يطول زمن النطق بالصوت المشدد .

---

(١) البحر المحيط : ٨/ ١٢٣.

(٢) المدخل الى علم اللغة : ٩٧ ومناهج البحث اللغوى: ٩٧ ،

===

فالتضعيف في الزمن لا الصوت . وقد أحس أحد نحاة العرب بطول الزمن مع الصوت المشدد فقال : "المشدد زمانه أطول من زمان الحرف الواحد وأقصر من زمان الحرفين".(١)

وقد أدرك ابن جني أن الصوتين المتماثلين عند إدغامهما يصيران صوتا واحدا "وذلك أن الادغام انبى اللسان عن المثلين نبوة واحدة فصارا لذلك كالحرف الواحد".(٢)

فعملية الإدغام والحالة كذلك تعني "إحلال صوت ساكن طويل محل الصوتين الساكنين القصيرين".(٣)

وبعد معرفة آراء القدماء والمحدثين في حقيقة الإدغام ،نتساءل لما الإدغام وفي الإظهار متسع ؟

إن غاية الإدغام إنما هي النزوع إلى التخفيف والتخلص من صعوبة النطق بالمثلين . وقد شبه بعض القدماء صعوبة النطق بالمثلين من غير إدغام بمشي المقيد ،"لأنه يرفع رجلا ثم يعيدها إلى موضعها أو قريب منه ،وشبهه بعضهم بإعادة الحديث مرتين ،وذلك ثقيل على السامع".(٤)

=== وينظر : دراسة الصوت اللغوى : ٣٣٣. ودراسات في علم أصوات اللغة : ٢٦ لداود عبده ،والمنهج الصوتي للبنية العربية : ٢٠٧. وأسس علم اللغة : ٣٣٣ لماريو باى . ودروس في علم أصوات العربية : ٣٩ واللغة لفندرس : ٤٩ .ترجمة الدواخلي والقصاص ،القاهرة ١٩٥٠م.

(١) مراح الأرواح : ٨٣.

(٢) الخصائص : ٢/٤٩٦.

(٣) في قضايا الأدب واللغة : ٢٠٥ من مقالة للدكتور أحمد عمر مختار بعنوان (صور من الادغام الوارد في القرآن الكريم وقراءاته)

(٤) التبصرة والتذكرة : ٢/٩٣٣ ،والكشف : ١/١٣٤.

وهذا يعني أن الإدغام يختصر العملية النطقية ويحد من التكرار أو التتابع الذى يحدثه تجاور المتماثلين .

ولذا فعملية الإدغام ترمى إلى تحقيق السهولة في الأداء الصوتي . ومن هنا يمكن أن تدرج ضمن نظرية السهولة ، والتي تنادى "بأن الانسان في نطقه لأصوات لغته يميل إلى الاقتصاد في الجهد العضلي ، وتلمس أسهل السبل مع الوصول إلى ما يهدف إليه من إبراز المعاني وإيصالها إلى المتحدثين معه ... ومن نادى بهذه النظرية (Gurtius Whitnes)."(١)

ويترتب على عملية الإدغام تغيير في التركيب المقطعي ومواضع النبر . وذلك "بذهاب مقطع من مقاطع الكلمة أولا ثم إدغام أحد الحرفين في الآخر".(٢)

فعند الإدغام يحذف الصائت الذى يفصل بين المتماثلين فيتحول المقطع المفتوح إلى مقطع مقفل بسبب الحذف والتضعيف ولذلك قيل : إن "التضعيف هو إطالة الأصوات المتمادة وقفل أطول في الوقفيات".(٣)

ويترتب على التغيير المقطعي انتقال النبر إلى المقطع الطويل من موضعه حيث كان قبل الإدغام . وهذا النبر يعرف بالنبر التوترى.(٤)

---

(١) الأصوات اللغوية : ٢٣٤ - ٢٣٥.

(٢) دروس في علم أصوات العربية : ٣٩ وينظر التصريف العربي : ٩٩ - ١٠٠ وفقه اللغات السامية : ٧٩.

(٣) التشكيل الصوتي في اللغة العربية : ١١٩ (د/سلمان العاني).

(٤) ينظر : العربية الفصحى : ٤٩.

المبحث الثانـــي

التأثر بالحــــــذف

(Deletion)

تميل اللغة العربية كغيرها من اللغات إلى (التخفيف) وذلك عن طريق الحذف أو الإشباع .. والحذف إما أن يكون في الصوائت أو الصوامت ومن حذف الصوامت ما حدث في صيغة الفعل المضعف الثلاثي مما عينه ولامه من جنس واحد حيث تحذف عين الصيغة أو لامها .

والتفسير الصوتي لهذا الحذف هو التخلص من توالي المقاطع المتماثلة . يقول بروكلمان : " إذا توالى مقطعان ، أصواتهما الصامتة متماثلة أو متشابهة جدا ، الواحد بعد الآخر في أول الكلمة ، فإنه يكتفي بواحد منهما ، بسبب الارتباط الذهني بينهما ". (١)

وسنرى مدى تحقق هذه الظاهرة في القراءات القرآنية في المقطع الثاني من الصيغة .

- قراءات متواترة :

(ر) - الفعل : (وقرن) من قوله تعالى :

* وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ... * الأحزاب / ٣٣ .

" قرأ المدنيان (٢) وعاصم :- (وَقَرن) - بفتح القاف . وقرأ الباقون -(وَقِرن)- بكسرها . " (٣)

---

(١) فقه اللغات السامية : ٧٩ . وينظر العربية الفصحى : ٤٧ .

(٢) المدنيان : هما نافع وأبوجعفر .

(٣) النشر : ٢/٣٤٨ وينظر غيث النفع : ٣٠٦ .

وقد خرجت القراءتان على حذف (الراء الأولى) استثقالا للتضعيف بعد نقل حركتها إلى القاف، وأصل الفعل : (واقررن) (١) .

وقد سقط منه أحد المتماثلين : (صوتا الراء) بعد نقل صائته إلى المقطع الأول وحذف ألف الوصل .

- قراءات شاذة : في المقطع الثاني من الصيغة :

(ل) - الفعل : (ظلت) من قوله تعالى :

﴿... وانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ...﴾ طه / ٩٧ .

قرأ ابن مسعود وقتادة والأعمش وأبو حيوة وابن أبي عبلة وابن يعمر كذلك (٢) : (ظِلت) إلا أنهم كسروا "الظاء (٣) .

والأصل : " (ظَلِلت) " بكسر اللام الأولى ، فحذفت ونقلت كسرتها إلى الظاء ومن فتح لم ينقل " (٤) .

- الفعل : (ظلتم) من قوله تعالى :

﴿... فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ الواقعة / ٦٥ .

قرأ الجمهور : (فظَلتم) بفتح الظاء ولام واحدة ... وقرأ عبد الله والجحدري : (فظلِلتم) على الأصل بكسر اللام " (٥) .

---

(١) ينظر حجة القراءات : ٥٧٧ وينظر الكشف : ٢/١٩٨ ومعاني القرآن : ٣/٣٤٢ ، والبحر المحيط : ٧/٢٣٠ .
(٢) أي بالتخفيف .
(٣) البحر المحيط : ٦/٢٧٦ ، والمصاحف لآرثر جفري : ٦١ .
(٤) إملاء ما من به الرحمن : ٢/١٢٦ وإعراب القرآن للنحاس : ٢/٦٩ وتفسير القرطبي : ١١/٢٤٢ .
(٥) البحر المحيط: ٨/٢١١-٢١٢ وينظر : تفسير القرطبي : ١٧/٢١٩ .

فالفعل (فظلتم) قرئ بوجهين : بالحذف وعلى الأصل فالتخفيف أدى سقوط أول المتماثلين . (عن) الصيغة.

(ر) - الفعل : (فمرت) من قوله تعالى :

* ... فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ ... *

الأعراف / ١٨٩.

قرأ ابن يعمر : (فَمَرَتْ به) خفيفة .(١)

ويعلل ابن جني لهذه القراءة قائلا : "أصله (فمرّت به) مثقلة ،كقراءة الجماعة ،غير أنهم قد حذفوا نحو هذا تخفيفا لثقل التضعيف. وهذا الحذف في المكسور أسوغ ،لأنه اجتمع فيه مع التضعيف الكسرة وكلاهما مكروه ،... وقال أبو زيد :

خلا أنَّ العِتاق من المطايا أَحَسْنَ به فهن إليه شُوس (٢و)

أراد (أحْسَسْن) وهذا وإن كان مفتوحا فإنه قد حمل الهمزة الزائدة فازداد ثقلا ".(٢) فحذف أحد المضعفين للتخفيف .

(ز) - الفعل : (عزني) من قوله تعالى :

* ... وَعَزَّنِي فِي الخِطَابِ * ص / ٢٣.

قرأ أبو حيوة وطلحة : (وعزني) بالتخفيف .(٤)

---

(١) المحتسب : ١/ ٢٠٩.
(٢) البيت لأبي زيد الطائي من البحر الوافر ،وهو من شواهد الخصائص : ٢/ ٤٣٨ ،والمنصف : ٣/ ٨٤ ،والمقتضب : ١/ ٢٤٥ ،وشرح المفصل : ١٠/ ١٥٤ ومجاز القرآن : ٢/ ٢٨ ،وتهذيب اللغة : ٣/ ٤٠٨ ،واللسان : (ح س س) ٦/ ٢١٩.
و(شوس) : جمع أشوس وشوساء ،من الشوس وهو النظر بمؤخرة العين تكبرا أو تغيظا .
(٣) المحتسب : ١/ ٢٠٩.
(٤) شواذ القرآن ١٣٠ وينظر البحر المحيط ٧/ ٢٩٢.

قال أبوالفتح : "وأصله (عزّنى) غير أنه خفف الكلمة بحذف (الزاى) الثانية أو الأولى ،... وقالوا في مسست : مست ... وذلك كله على تشبيه المضاعف بالمعتل العين ،لكن (عزنى) أغرب منه كله ، غير أنه مثله في أنه محذوف للتخفيف".(١)

فالأفعال : (قرن) ،(ظلت) ،(ظلتم) ،(مسرت) ، (عزنى) ،أفعال ثلاثية مضاعفة بعضها ماض وبعضها أمر (قرن). وكلها تعرضت لحذف أحد المتماثلين فيها .

ففى (قرن) حذفت (الراء الأولى) : المقطع الأول من المقطعين المتماثلين .

أما في (ظلت) فقد حذف الصامت الثالث (لام) الصيغة، أى المقطع الثاني من المقطعين المتماثلين .. وما حدث في (ظلت) حدث في (ظلتم) و (مرت) و (عزنى) بحذف (اللام الثانية) و (الراء الثانية) و (الزاى الثانية) .

ولا فرق في أن تحذف عين الصيغة أولامها ،وقد قيل : "واختص بالأولى ، لأنها تدغم ،وقيل : بالثانية لأن الثقل إنما يحصل عندها".(٢) فلا ضير من حذف إحداهما طالما القصد من ذلك التخلص من ثقل التضعيف . وفي بقاء أحدهما ما يكفي للدلالة على المحذوفة.

---

(١) المحتسب : ٢/٢٣٢.

(٢) شرح مختصر التصريف العزى في فن الصرف : ٩٤ بتحقيق د/ عبد العال سالم مكرم الكويت ١٩٨٣م.

وقد قيد النحاة حدوث التخفيف في الفعل الثلاثي المضعف بالإسناد وفي ذلك يقول ابن مالك : "كل فعل مضاعف على وزن (فَعِل) فإنه في إسناده إلى ياء الضمير أو نونه يستعمل على ثلاثة أوجه :

تاما : ك (ظَلِلْتُ) .

ومحذوف اللام مفتوح الفاء نحو : (ظَلْتُ) .

ومحذوف اللام مكسور الفاء نحو : (ظِلْتُ) .

وكذلك يستعمل نحو : (يَقْرِرْنَ) و (اقْرِرْنَ) فيقال فيهما : (يَقِرْنَ) و (قِرْنَ) .

لكن فتح الفاء من هذين وشبههما غير جائز .

و" إن كانت العين مفتوحة الفاء فالحذف قليل . حكاه الفراء ، ولا يقاس على ما ورد منه ، ولا يحمل عليه إن وجد عنه مندوحة ".(١)

فالحذف مقيد بالفعل الثلاثي المكسور العين عند إسناده لنون النسوة ، وتاء الفاعل .

وقد عَدَّ سيبويه حذف أحد المثلين شاذا ، يقول :

" وليس هذا النحو إلّا شاذا . والأصل في هذا عربي كثير وذلك قولك : أحسست ، ومسست وظللت ".(٢)

فالأصل عندهم الإتمام لكثرة ما ورد منه والتخفيف فرع عنه لقلة وروده في كلامهم .

---

(١) شرح الكافية الشافية : ٢١٧٠/٤ وينظر شرح ابن عقيل : ٤٥٧/٢ .

(٢) الكتاب : ٤٢٢/٤ وينظر الخصائص : ٤٣٩/٢ والمنصف : ٣٨٠/١ .

ولذا يمكن أن يقال : إن التخفيف مرحلة متطورة في الفعل الثلاثي المضعف ، وأرى أن وصفهم له بالشذوذ إسراف فقد ورد في قراءة سبعية . وهو ظاهرة لهجية عزيت إلى بني سليم [1] الذين يفرون من المقاطع المتماثلة في الكلمة بعامة سواء أكانت مكسورة (الفاء) أم مفتوحة فيتخلصون من الأصوات المتكررة بحذف أحدها وساعدهم على ذلك استحالة الإدغام لسكون الصوت الثاني .

وقد رجّح أستاذنا (الدكتور الجندى) نسبة هذه الظاهرة كذلك إلى نمير وطيء ، وأيد ذلك بالعلاقة التاريخية الجغرافية بين هذه القبائل البدوية [2] . فهذه الصلات لا بد أن يتمخض عنها تأثر لغوى .

وكل هذه القبائل بدوية تجنح إلى الاقتصاد في الجهد العضوى والسرعة في الأداء بما يناسب طبيعة حياتهم البدوية . ولذا فالتخفيف أكثر شيوعا في هذه القبائل البدوية ، ومن هنا كانت الظواهر اللغوية المتطورة أكثر حدوثا عندهم ، بخلاف غيرهم من القبائل المتأنية التي لا يتفق التخفيف مع طباعهم .

نخلص من كل ما سبق أنه لا مجال لوصف هذه الظاهرة بالشذوذ وعدم القياس فهي صحيحة من الناحية الصوتية كما سبق أن وضحنا ذلك ثم ترددها بين أكثر من قبيلة بدوية . فقد عزى كذلك الحذف مع فتح الفاء

---

(١) البحر المحيط : ٦/ ٢٧٦ .

(٢) اللهجات في التراث : ٢/ ٦٠١ .

إلى تميم[1] وبني عامر[2] كما عزى الحذف مع كسر الفاء إلى أهل الحجاز.[3]

فهي ظاهرة لهجية عامة عند البدو ترد باطراد في صيغ الماضي والمضارع ،وإذا كانت قد عزيت إلى الحجاز في بعض المصادر فذلك لأن بعض قبائله تتاخم قبائل البدو في الجزء الشرقي من الجزيرة ، فتأثروا بهم .

وعلى هذه اللهجات تخرج القراءات السابقة.

---

(١) التصريح للأزهري :٢/٣٩٧.

(٢) المصباح المنير : ٢/٦٨٦.

(٣) اللسان : ٤/٢٧٣ وينظر : تاج العروس : ٨/٤٢٦ ،والمصباح المنير : ٢/٦٨٦.

المبحث الثالث

التأثر بالمخالفة

(Dissimilation)

مما يمكن إلحاقه بموضوع التحول الداخلي في الصيغ الفعلية ظاهرة المخالفة (١) . وهي في أقرب تفسير لها محاولة للتخلص من التضعيف بتحويل أحد الصوتين المتماثلين في الصيغة ، إما إلى صوت من أصوات المد : (الواو) أو (الياء) أو (الألف) . وإما إلى أحد الأصوات الذلقية (٢) : (اللام) ، (الراء) ، (النون) ، (الميم)، وهي ما تعرف حديثا بالأصوات المائعة : (Liquids) ، وذلك لأنها تقوم مقام حروف المد لما بينها من تشابه في النواحي التالية :

---

(١) ينظر الأصوات اللغوية : ٢١٠ ودراسة الصوت اللغوى : ٣٢٩ ، والتطور اللغوى : ٣٧ والتطور النحوى : ٣٤ ولحن العامة (د/ عبد العزيز مطر) : ٢٥٩ ومابعدها (ط: ثانية مصر سنة ١٩٨١م) وأسس علم اللغة لماريوى باى : ١٤٧. (ترجمة د/ أحمد مختار ، ط: ثانية ، عالم الكتب ، القاهرة سنة ١٩٨٣م).

(٢) الأصوات الذلقية : "هي حروف عملها وخروجها من طرف اللسان وما يليه من الشفتين ... إذ هي من طرف اللسان ، وهي ذلقة ، وهي أخف الحروف على اللسان وأحسنها ... وهي ستة أحرف : ثلاثة تخرج من الشفة ، ولا عمل للسان فيها وهي : (الفاء) و (الباء) و (الميم) . وثلاثة تخرج من أسلة اللسان إلى مقدم الغار الأعلى ، وهن : (الراء) و (النون) و (اللام) ... فهذه الستة هي الذلقة والمصمتة" الرعاية : ١٣٦ وينظر سر صناعة الإعراب : ١/ ٦٤ ، تحقيق (د/ هنداوى).

(١)
١ - الناحية الفسيولوجية ، ٢ - الوضوح السمعي ، ٣ - الشيوع والسهولة كما يطلق على هذه الأصوات (أشباه الصوائت) (Semi Vowels).

وبذلك نجد أن المخالفة تفسر العلاقة بين الفعل المضعف وبين كثير من أمثلة الفعل الأجوف والناقص. (٢)

وهذا يعني أن أحد المضعفين تطور إلى صوت معتل أو شبيه بالمعتل وبذلك نستطيع أن نقول إن المماثلة هنا (التضعيف) أصل والمخالفة فرع. ذلك أن المخالفة تحدث على إثر التقاء صوتين متماثلين تمام المماثلة. وهي بهذا تحقق نوعا من التوازن في اللغة " فعامل المخالفة يستخدم لإعادة الخلافات التي لا غنى عنها ، ولإبراز الفونيمات في صورة أكثر استقلالية ". (٣)

ولم يفت القدماء الوقوف عند هذه الظاهرة وعلى رأسهم سيبويه حيث علل حدوثها بكراهية التضعيف قال : " هذا باب ما شذ فأبدل مكان اللام ياء لكراهية التضعيف ، وليس بمطرد ". (٤)

وسنعرض لمدى تحقق هذه الظاهرة في الصيغ الفعلية على ضوء القراءات القرآنية .

---

(١) مجلة مجمع اللغة المصرى : ١٦/١٣-١٤ من مقالة للدكتور أنيس بعنوان (حروف تشبه الحركات) .

(٢) جمع (د/أنيس) عشرات الأمثلة التي يشترك فيها المضعف مع المعتل ومع أشباه الحركات ، ينظر الأصوات اللغوية : ٢١٢ والمقال السابق .

(٣) دراسة الصوت اللغوى : ٣٣٠.

(٤) الكتاب : ٤/٤٢٤ وينظر المقتضب : ١/٢٤٦ ، والكامل : ٦/٦٩ ، والأمالي الشجرية : ١/٣٨٩ ، ٢/٥٥ .

أولا - تحول المضعف إلى الأجوف :

في المقطع الثاني من الصيغة :

- قراءات متواترة :-

(ر) - الفعل : (يضركم) من قوله تعالى :

﴿ ... وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ... ﴾

آل عمران / ١٢٠.

قرأ ابن عامر والكوفيون وأبو جعفر :- (لا يضُرُّكم) - بضم الضاد ، ورفع الراء وتشديدها، وقرأ الباقون :- (لا يضِرْكم) - بكسر الضاد وجزم الراء مخففة".(١)

فالقراءة الأولى : (يَضُرّكم) مضعفة من (ضَرّه يَضُرّه) ، والثانية : (يَضِرْكم) معتلة العين من (ضار يضور) وتجمعهما دلالة واحدة . ويمكن توجيه هذه القراءة الثانية في ضوء ظاهرة المخالفة ، فتكون بإبدال أحد المضعفين (الراء الأولى) ياء . فيتحول الفعل من المضعف إلى الأجوف .

وقد قيل : " ضاره يضيره ضيرا : بمعنى (ضَرّ)".(٢)

وكذلك مصدرهما : " الضير والضرّ واحد ".(٣) وهما لهجتان : (ضرّه يَضرّه) (وضاره يضيره) (٤) إحداهما بالتثقيل والأخرى بالتخفيف .

---

(١) النشر : ٢٤٢/٢ وينظر الحجة لابن خالويه : ١١٣.

(٢) إملاء ما من به الرحمن : ١٤٧/١.

(٣) اللسان : (ض و ر) ٤٩٤/٤ وينظر : تهذيب اللغة : ٥٧/١٢.

(٤) الكشف : ٣٥٥/١ وينظر حجة القراءات : ١٧١.

وذكر مكي أن "التشديد كثير في الاستعمال ... والاختيار التخفيف ، لخفته وأنها لغة موازية للتشديد ،لأن أهل الحرمين[1] عليه مع أبي عمرو".[2]

فالقراءة الأولى بالتضعيف والثانية بالمخالفة ،وهما يشيران إلى أن استعمال الأصل والفرع يسيران جنبا إلى جنب.

(ر) - الفعل : (وقرن) من قوله تعالى :

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ... ﴾ الأحزاب/ ٣٣.

" قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي : (وقِرن) بالكسر".[3]

وقد وجه مكي هذه القراءة على وجهين ، ألمح في الثاني إلى حدوث المخالفة،والأول القراءة فيه من القرار ،يقال (قرّ) (يقرّ) ، بتضعيف الراء .

أما الثاني فعلى "أنهم أبدلوا من الراء الأولى (ياء) ، كما فعلوا في "قيراط ودينار" ،فصارت الياء مكسورة ،كما كانت الراء مكسورة، واستثقلت الكسرة عليها فألقيت على القاف ،وحذفت الياء لسكونها وسكون الراء بعدها ،واستغني عن ألف الوصل لتحرك القاف".[4]

---

(١) أهل الحرمين : هما نافع وابن كثير (الحرميان).

(٢) الكشف : ١/ ٣٥٥.

(٣) السبعة : ٥٢٢ وينظر غيث النفع : ٣٢٥ والنشر : ٢/ ٣٤٨.

(٤) الكشف : ٢/ ١٩٨ وينظر حجة القراءات.

فالمخالفة حدثت بتحويل أحد المضعفين - (الراء الأولى) إلى (ياء) للتخفيف فهي مخالفة بين الأجوف اليائي والمضاعف . ودلالتهما واحدة .

قراءات متواترة مع المضعف وشاذة مع الأجوف :

(ر) - الفعل : (فمرت) من قوله تعالى :

* ... فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ ... *

الأعراف / ١٨٩ .

قرأ الجمهور : (فمرّت به) مثقلة ... وقرأ عبدالله بن عمرو:(١) (فمارت) بألف ، وهذه من مار يمور ، إذا ذهب وجاء والمعنى واحد ،(٢) ومنه سمي الطريق مورا ، للذهاب والمجيء عليه ، ومنه المور : التراب لذلك .

وجاء في اللسان : ومرّ يمرّ مرًّا ومرورا : ذهب ... قال ابن سيده : مر يمر مرا ومرورا جاء وذهب .(٣) و " مار يمور مورا إذا جعل يذهب ويجيء و يتردد ".(٤)

فاتحاد الدلالة بين القراءتين : (فمرّت) و (فمارت) يرجح حدوث الإبدال بالمخالفة في أحد المضعفين ، وتحول (الراء الأولى) إلى (الألف) مما يدل على أن التطور قد حدث في الفعل المضعف (مرّ) وجاءت الصورة الجديدة للفعل معتلة العين (مار) .

---

(١) وقيل عبدالله بن عمر : المجمع للطبرسي : ٥٠٨/٢ .

(٢) المحتسب : ٢٧٠/١ وينظر البحر المحيط : ٤٣٩/٤ والكشاف ٤٣٩/٤ .

(٣) اللسان : (م ر ر) ١٦٥/٥ .

(٤) السابق (م و ر) ١٨٦/٥ والتهذيب : ٢٩٢/١٥ .

فمن قرأ بالفعل الأجوف (فصارت) مال إلى التخفيف ، فتخلص من التضعيف في (فصرّت) . فالمخالفة حدثت في (عين) الصيغة.

قراءات متواترة مع الأجوف وشاذة مع المضعف :

(ر) ـ الفعل : (فصرهن) من قوله تعالى :

﴿ ... فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ... ﴾ البقرة/ ٢٦٠.

" قرأ حمزة ويزيد وخلف ورويس :ـ (فصِرهن)ـ بكسر الصاد ، وباقي السبعة ـ (فصُرهن)ـ بالضم . وهما لغتان ... صار يصور ويصير بمعنى أمال . وقرأ ابن عباس وقوم :ـ (فصُرّهن) و (فصِرّهن)ـ بتشديد الراء وضم الصاد وكسرها من (صَرّه) (يَصُرّه) و (يَصِرّه) إذا جمعه "(١).

فالقراءات السابقة على النحو التالي :

١ - (فَصِرهن) من (صار) يصور ويصير .

٢ - (فصِرّهن) من (صَرّ) يَصُرّ ويَصِرّ .

ويمكن توجيهها على إبدال أحد المثلين (الراء) إلى صوت المد (الواو) في قراءات من قرأ بالضم . و (الياء) في قراءات من قرأ بالكسر .

ومما يرجح أن الفعل (صار يصور أو يصير) متطور من أصل مضعف (صَرّ)(يَصرّ) أنهما يلتقيان في دلالة مشتركة وهي (الجمع). قيل : " صَرّ يَصِرّ إذا جمع ... يقال : صَرّ الفرس أذنيه ضمهما إلى

----

(١) البحر المحيط : ٢/ ٣٠٠.

رأسه "(١) . ومن صار يصور يقول الزجاج : قال أهل اللغة معنى صِرهن إليك أملهن وأجمعهن إليك (٢) ... و" قال بعضهم : (صُرَّهن) بضم الصاد وتشديد الراء وفتحها من : الصرّ أي الشد "(٣).

كذلك خرجت القراءتان بمعنى القطع فقد قيل في (فَصِرهن) : " قطعهن صورة صورة "(٤) وقيل في قراءة ابن عباس (فَصِرَّهن) : قطعهن .(٥)

وفي ضوء ما سبق تخرج القراءة الأولى على المخالفة .

*

ثانيا : تحول المضعف إلى الناقص :

في المقطع الثالث من الصيغة :

- قراءات متواترة مع المضعف وشاذة مع الناقص :

(ب) - الفعل : (أصب) من قوله تعالى :

﴿ ... وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ... ﴾

يوسف / ٣٣ .

قرأ الجمهور : (أصْبُ ...) من صبا إلى اللهو يصبو صبًا وصبوًا . (٦)

وقرأ محمد بن السميفع (أصَبّ إليهن) (٧) من صببت صبابة فأنا صبّ

---

(١) اللسان : (صور) ٤/ ٤٥١-٤٥٢ وتاج العروس مادة (صور) : ٣/ ٣٣٠ .

(٢) السابق : (صور) ٤/ ٤٧٤ .

(٣) تاج العروس : (صور) : ٣/ ٣٣٣ .

(٤) المفردات : ٤٢٧ وينظر التاج : (صور) ٣/ ٣٤٣ .

(٥) انظر المحتسب : ١/ ١٣٦ والبحر : ٢/ ٣٠٠ واللسان : (صور) ٤/ ٤٧٤ .

(٦) البحر المحيط : ٥/ ٣٠٧ .

(٧) شواذ القراءات : ٦٤ .

والصبابة إفراط الشوق كأنه ينصب فيما يهوى ".[1]

فنحن بصدد قراءتين إحداهما من (الصبابة) وفعلها ثلاثي مضعف (صَبّ) والثانية من (الصبا) وفعلها ثلاثي معتل الآخر (صبا) . والمضعف والمعتل يلتقيان في دلالة واحدة وهي الشوق قيل : " صببت إليه صبابة ، فأنا صبٌّ أي عاشق مشتاق "[2] وقيل : " الصَّبا من الشوق يقال منه : تصابى وصبا يصبو صَبْوَةً وصُبُوا أي مال ".[3] " وصبا فلان يصبو صبوا وصبوة ، إذا نزع واشتاق ".[4]

وهذا الاشتراك في الدلالة يجعلنا نميل إلى أن المضعف قد تطور إلى المعتل ، وذلك بإبدال (الباء الثانية) ياء ، مع استمرار الأصل في الاستعمال . فالقراءة الثانية تخرج على المخالفة.

(ف) ـ الفعل : (يزفون) من قوله تعالى :

﴿ فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴾ الصافات/ ٩٤.

" قرأ الجمهور : (يَزِفُّون) بفتح الياء من زفّ: أسرع . . . وقرئ يَزْفون بسكون الزاى من زفاه إذا حداه ، فكأن بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم إليه ".[5]

---

(١) البحر المحيط : ٥/ ٣٠٧.

(٢) اللسان : (ص ب ب) ١/ ٥١٨.

(٣) السابق : (ص ب و) ١٤/ ٤٥٠.

(٤) المفردات : ٤٠٥.

(٥) البحر المحيط : ٧/ ٣٦٦ وينظر تفسير القرطبي : ١٥/ ٩٦.

فالفعلان يشتركان في دلالة واحدة ،يقول ابن فارس : " (زفّ) الزاء والفاء أصل يدل على خفة وسرعة في كل شيء" . يقال : زفّ الظليم زفيفا ، إذا أسرع".(١) وقال في (زفى) " الزاء والفاء والحرف المعتل يدل على خفة وسرعة ... يقال : ناقة زَفَيانٌ : سريعة".(٢)

ومن هنا نرجح أن أحد المثلين في (زَفّ) تحول إلى صوت معتل ليصير الفعل (زفى) معتل الآخر . فالمخالفة تمت بإبدال (الفاء) (ياء) للتخفيف، فالمضعف تطور إلى الناقص .

وعليه تخرج القراءة الثانية.

*

تعقيب :

من عرض وتحليل القراءات السابقة يتبين لنا أن المخالفة حدثت عن طريق الإبدال . وقد تناول الصرفيون (٣) هذه الظاهرة ضمن حديثهم عن الإبدال وكذلك فعل اللغويون (٤) ،وذلك لما يترتب على ظاهرة المخالفة من إحلال صوت محل آخر ، ويطلق بعض

---

(١) مقاييس اللغة : (ز ف ف) :٣/ ٤ وينظر اللسان : (ز ف ف) ١٣٦/٩.

(٢) السابق : (ز ف ى) :٣/ ١٤ وينظر اللسان : (ز ف ى) ٣٥٦/١٤.

(٣) ينظر على سبيل المثال : شرح الملوكي في التصريف : ٢٤٦-٢٥٤، والممتع : ١/ ٣٧٣- ٣٧٦ والمبدع : ١٥٢-١٥٣. وشرح مختصر التصريف العربي : ٩٣ ،وشرح الشافية :٣/ ٢١٠-٢١١ ومن كتب النحو والصرف : الأصول في النحو : ٣/ ٢٦٣-٢٦٤. والتبصرة والتذكرة : ٢/ ٨٣٣ - ٨٣٦.

(٤) الإبدال لأبي الطيب : ٢/ ١٠٤ ، ٢١٦، ٢٠/ ٢٨٣ ، ٤٢١. ===

المحدثين عليها مسمى (إبدال التضعيف) [1] ، إلا أنني أميل إلى أن يطلق عليه (إبدال المخالفة) لأن الغرض منه تحقيق المخالفة.

وقد دلّ هذا الإبدال على مرحلة متطورة في مسيرة بعض الأفعال ، يقول في ذلك اللغوي أحمد فارس الشدياق : " إن الفعل السالم جاء آخر الأفعال ، أما الأجوف فإنه غالبا يأتي عقب المضاعف كطبّ وطاب وضرّ وضار ، وصرّ وصار أي صوت ، وجبّ وجاب ، ومرّ ومار " ... كما استدل على أن الأجوف عاقب للمضاعف باحتواء عدة من مصادر الأجوف على حرف مكرر مع خلو الفعل منه مثل : (بان بينونة) و (بات بيتوتة) و (دام ديمومة) و (صار صيرورة) ... الخ [2] . إلا أنه لم يذكر معاقبة الناقص للمضاعف ونظر إليه نظرة أخرى .

ومهما في رأي الشدياق من إشارة إلى ثنائية اللغة ، فلعله اقتبس هذا الرأي من قول الخليل : " والعرب تشتق في كثير من كلامها أبنية المضاعف من بناء الثلاثي المثقل بحرفي التضعيف ، ومن الثلاثي المعتل ، ألا ترى أنهم يقولون : صلّ اللجام يصلّ صليلا ، فإن حكيت ذلك قلت : صلصل ، تمد اللام وتثقلها في الصلصلة لصوت اللجام ، فالثقل مد والتضاعف ترجيع وتخفيف في إعادة " [3] .

=== والإبدال لابن السكيت : ١٣٣ - ١٣٥ والمخصص لابن سيده : ٢٨٨/١٣ - ٢٩٠ وأدب الكاتب : ٣٣٠ .

(١) مجلة مجمع اللغة العربية : ٥٩/١٩ .

(٢) سر الليالي في القلب والإبدال : ٢٥ ، المطبعة السلفية بالآستانة .

(٣) العين ٦٣/١ تحقيق الدكتور عبدالله درويش ، مطبعة العاني بغداد ١٩٦٧م .

ويذهب بعض المحدثين إلى أن الأفعال المضعفة والمعتلة تعدّ ثنائية ، ولا تعدّ ثلاثية إلّا لاعتبارات صرفية . ويذهب إلى أن تكرار الحرف الثاني أو اضافة حرف العلة لا تأثير له يذكر في تغيير المعنى الأساسي (١) . فكلاهما تطور عن الثنائي .

وكل ما نود قوله أن الفعل المضاعف تطور عن طريق المخالفة إلى المعتل . للتخفيف والتخلص من ثقل التضعيف . وهذا التطور هو إحدى نتائج نظرية السهولة والتي تشير إلى أن الإنسان في نطق يميل إلى تلمس الأصوات السهلة .

واستنادا على ذلك ، فإننا نرجح أن المخالفة مما تجنح إليه القبائل البدوية ومن تأثر بها لميلها إلى توخي اليسر والسهولة .

وقد ذهب غالب المطلبي إلى أن المخالفة عند تميم كانت أيضا للتخلص من الفك ، ذلك أن كراهية الفك خصيصة من خصائص اللهجة التميمية ، فهي تميل غالبا إلى إدغام المثلين ، فإذا تعذر ذلك عمدت إلى المخالفة فقلبت الثاني منهما ياء (٢) .

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية : ١١/ ١٢١ من مقالة بعنوان : (ثنائية الأصول اللغوية) للأستاذ حامد عبد القادر .

(٢) لهجة تميم لغالب المطلبي : ١١٧ .

الفصل الثالث

التأثر بالإبدال .

فيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : إبدال صوت صحيح من آخر صحيح .
المبحث الثاني : إبدال صوت معتل من آخر معتل .
المبحث الثالث : المعاقبة بين الواو والياء .

الإبـــدال :

تعاقب صوتين في الكلمة الواحدة لعلاقة صوتية بينهمـــا ، يترتب عليه ظهـور لفظ جديد للكلمة ، مع اتفاق الدلالة بينهما أو تقاربها. فالإبدال ظاهرة صوتية تحدث نوعا من التحول في الصيغة .

وهو في اصطلاح اللغويين : " إقامة حرف مكان حرف في موضعه ". (١)

وهناك نوعان من الإبدال :

أولا : الإبدال الصرفي أو القياسي (٢) ويحدث فيه الإبدال لعلة تصريفية ، " ويخضع لقوانين صوتية خاصـة ، وهذا النوع تنطبق قوانينه على اللغة المشتركة ". (٣) ويتناول أصوات اللين الثلاثة (الألف) و (الواو) و (الياء) ، كما يشمل بعض الصوامت (الهمزة) و(الدال) و (الطاء) و (التاء) و (الميم) .

ثانيا : الإبدال اللغوي أو السماعي ، ويسمى اللهجي (٤) . وقد عرّفه أبو الطيب بأنه " لغات مختلفة لمعان متفقة ، تتقـــارب

---

(١) الصاحبي في فقه اللغة : ٢٠٣ ، وينظر شرح المفصل : ٧/١٠ وشرح الشافية : ١٩٧/٣ .

(٢) ويسمى المطرد : ينظر الممتع : ١٦٧ ، وشرح الكافية الشافية : ٢٠٧٧/٤ ، وشرح الملوكي : ٢١٦ ، وشرح المفصل : ٧/١٠ ، وشرح التصريح : ٣٦٦/٢ - ٣٦٧ ، وشرح الأشمونـــي : ٢٨٢/٤ .

(٣) ظاهرة الإعلال والإبدال في العربية بين القدماء والمحدثين : (د/ محمد حماسة عبد اللطيف) : ٢٥ (بحث بالآلة الكاتبة) واللغة المشتركة : " مصطلح بين دارسي اللغة المحدثين يقصد به اللغة التي نزل بها القرآن الكريم ، وقيل بها الشعر الجاهلي .. " البحث السابق .

(٤) ينظر البحث السابق : ٢٦ .

اللفظتان في لغتين لمعنى واحد ،حتى لا يختلفا إلّا في حرف واحد "(١)،
فهو لا يخضع لقاعدة صرفية .

وفي الإبدال اللغوى "تكون كلتا صورتي اللفظ مستعملتين ،
فقد تكون إحداهما أكثر شيوعا واستعمالا من الأخرى ،أو أكثر فصاحة
أو ورود عليها الشواهد الكثيرة ، ولكن اللفظين مستعملان ،بخلاف الإبدال
الصرفي القياسي الذى تكون إحدى صورتيه غير مستعملة أو نادرة الاستعمال"(٢).

وقد حاول بعض المحدثين إنكار الإبدال اللهجي ورده إلى
الترادف وحجته " أن الترادف يعني ورود لفظين بينهما تغيير
(فونيمي) واتحاد دلالي وهو أمر مستساغ النشأة على مستويين لغويين
مختلفين دون نظر للعلاقات الصوتية بين الفونيمين المتغيرين"(٣).

وهي حجة مرفوضة ،وتنحية العلاقات الصوتية غير ممكن ،
لأنّ الإبدال يحدث في الأصل لأسباب صوتية ،فالإبدال ظاهرة
واضحة ، لا مجال لإنكارها اعترف بها القدماء ،وأحاطوها بدراسة
وافية .

والإبدال اللهجي يرجع حدوثه إلى أحد سببين :

أولهما : يحدث بتأثير المجاورة وهو ما يكون نوعا من المضارعة

---

(١) المزهر : (١/٤٦٠).

(٢) ظاهرة الابدال اللغوى (د/ البواب) : ٢٥ (ط: أولى ، دار العلوم بالرياض سنة ١٩٨٤م).

(٣) الدكتور اسماعيل الطحان في مقاله : (الإبدال اللغوى في ضوء علم اللغة الحديث) : ٥٢ ، (مجلة آداب المستنصرية ،العدد الأول ،السنة الأولى سنة ١٩٧٦م ،الجامعة المستنصرية ،بغداد).

أو التقريب .(١)

وثانيهما : يحدث لمجرد التعاقب ، وذلك أن قبائل معينة تؤثر بعض الأصوات على بعض ، فتجهر المهموس وتهمس المجهور ، أو تميل إلى الرخو ، وتترك الشديد أو العكس .

وعلى ضوء هذا التوزيع ستكون دراستنا للإبدال في القراءات القرآنيـة .

---

(١) وينظر الكتاب : ٤/١٩٦، ٤٩٧.

المبحث الأول

إبدال صوت صحيح من آخر صحيح

المجموعة الأولى : الإبدال بتأثير المجاورة[1] :

أولا - جهر السين :

في المقطع الأول من الصيغة :

- قراءات متواترة بالسين وشاذة بالصاد :

- الفعل : (سلقوكم) من قوله تعالى :

* ... سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ... * الأحزاب/١٩.

" قرأ الجمهور : (سلقوكم) بالسين ، وابن أبي عبلة : (صلقوكم) بالصاد "[2].

في المقطع الثاني من الصيغة :

- قراءات متواترة بالوجهين :

(س) - الفعل : (يبسط) من قوله تعالى :

* ... وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَ يَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * البقرة/ ٢٤٥.

قرأ أبو عمرو وحمزة وقنبل و هشام :(يبسط) ، و (بسطة) في الأعراف/ ٢٤٧ بالسين ، وروى عن حفص السين والصاد فيهما... وقرأ الباقون بالصاد فيهما "[3].

---

(١) ويكون في الأصوات المتجانسة : وهي التي تتحد في المخرج وتختلف في الصفة .

(٢) البحر المحيط : ٧/ ٢٢٠.

(٣) التبصرة في القراءات : ١٦١ وينظر السبعة : ١٨٦-١٨٧ ، وغيث النفع : ١٦٨ ، والنشر : ٢/ ٢٢٨ والكامل في القراءات الخمسين ورقة : ١٧٠ (مخطوط).

ففي الفعلين (سلق) ،و (بسط) تحولت السين إلى صاد فأصبحت صورة الفعل : (سلق) : (صلق) ،و (بسط): (بصط).

والتفسير الصوتي لهذا التغيير يرجع إلى عامل التأثر ،حيث أثرت (الطاء) في (السين) فحولتها إلى صوت قريب منها وهو (الصاد) على سبيل التجانس. [1] ويوصف هذا النوع من التأثر بالتأثر المدبر (Regressive) (١) ⟵ (٢) .

ويطلق سيبويه على هذا النوع من الإبدال مسمى (المضارعة) [2] وهي تقريب الصوت من الصوت ليكون عمل اللسان في اتجاه واحد [3] ، التماسا للخفة. [4]

وهو عند ابن جني ضرب من ضروب التقريب [5] ، وهذا كله يعرف عند المحدثين بالمماثلة الجزئية (Partial Assimilation).

ويلاحظ أن هذا النوع من التماثل الناقص (التقريب) لا يشترط الاتصال في كل الأحوال ،فقد يفصل بين الصوتين المبدلين بفاصل، وقد يكون هذا الفاصل صائتا أو صامتا ،وقد أحس سيبويه بذلك فقال : " وربما ضارعوا بها وهي بعيدة ،نحو مصادر والصراط ، لأن الطاء كالدال ". [6]

---

(١) ينظر شرح المفصل : ١٠/ ٣٩١.

(٢) الكتاب : ٤٧٧/٤ وينظر اللسان : (م ص خ) ٥٦/٣ (وصخ) ٦٦/٣.

(٣) الكتاب : ٤٧٨/٤.

(٤) ينظر شرح المفصل . ١/ ١٢١.

(٥) ينظر الخصائص :٢/ ١٤١.

(٦) الكتاب : ٤٧٨/٤.

والفاصل بين الصاد والطاء في هذه القراءة (يبصط) هو صائت الكسر . أى أن ثمة تباعد أو فصل بين الصوتين حاصل ، ولذلك يعد هذا النوع مماثلة تباعدية (Distant Assimilation) عند المحدثين .

فما علاقة الطاء بالصاد الصوت (المبدل)؟ وما هي الوشائج الصوتية بين (السين) و (الصاد) ؟ كما هي في القراءة الأولى .

(الطاء) : " صامت مهموس سني مطبق انفجاري ".[1] وأما (الصاد) " فصامت مهموس لثوى احتكاكي مطبق ".[2] فهما يلتقيان في الهمس والإطباق . وإذا التفتنا إلى (السين) نجدها تلتقي مع (الصاد) مخرجا وصفة[3] ، إلا أن الصاد صوتا مطبقا ، " يقتضي عملية إضافية على نطق السين ... تتمثل في حركة مؤخرة اللسان إلى أعلى وحركة جذره إلى الخلف ".[4] ولذلك اقتضى تقريب (السين) من (الطاء) إبدالها (صادا) . ويشرح أبو علي الفارسي عملية التقريب بين (السين) و (الطاء) فيقول : " إن الطاء حرف مستعل يتصعد من مخرجها إلى الحنك ، ولم يتصعد السين تصعدها فكره التصعد من التسفل ، فأبدل من السين حرفا من مخرجها في تصعد (الطاء) ، فتلاءم الحرفان وصار كل واحد منهما وفق صاحبه في التصعد ، فزال بالإبدال ما كان يكره من التصعد عن التسفل ".[5]

---

(١) علم اللغة العام للسعران : ١٥٥ .
(٢) السابق : ١٧٥ .
(٣) علم اللغة العام للسعران : ١٧٥ .
(٤) دراسة الصوت اللغوى : ٣٤٠ .
(٥) الحجة لأبي علي الفارسي : ٣٤٧/٢ (تحقيق قهوجي ، وجويجاتي) .

وعملية التقريب هذه يلمح منها أنها لا تعني مطلق الإبدال وإنما انتقال صفة الصوت دون مخرجه ،ويمكن أن يطلق عليها (جهر السين) ٠

ويعزى هذا النوع من التقريب إلى بلعنبر من بني تميم[1] ، فهذه القبيلة كان يشيع فيها هذا الضرب من تأثر الأصوات بعضها في بعض، إلا أن هذا التقريب لا يتحقق إلا بشرطين :

الأول : أن يلي (السين) أحد أصوات الاستعلاء : (الغين) ، (الخاء)، (القاف) ، (الطاء) ٠

الثاني : أن يكون ذلك في كلمة واحدة ٠

وهذان الشرطان يستدل عليهما من نص ابن جني حيث قال : "إذا كان بعد (السين) غين أوخاء أوقاف أو طاء جاز قلبها (صادا) ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ ﴾[2] و (يصاقون) ،و ﴿ مَسَّ سَقَرَ ﴾[3] و (صقر) ،و ﴿ سَخَّرَ ﴾[4] و (صخر) ، و ﴿ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ﴾[5] و (أصبغ) ،و ﴿ سِرَاطَ ﴾[6] و (صراط) ٠ وقالوا في سقت : (صقت) ،وفي سويق : (صويق) "[7] .

---

(١) ينظر الكتاب : ٤/٤٨٠ والبحر المحيط : ٨/١٢٢ ،واللسان : (س ر ط) ٧/٣١٣ (ص د غ) ٨/٤٤ ،الصحاح (ص د غ) ٤/١٣٢٣٠

(٢) الأنفال / ٦٠

(٣) القمر / ٤٨٠

(٤) الرعد / ٢٠

(٥) لقمان/ ٢٠٠

(٦) الفاتحة / ٧٠

(٧) سر صناعة الإعراب : ١/٢١٢ وينظر:الأصول لابن السراج :٣/ ٤٣١، واللسان : (ص د غ) ٨/٤٤٠ ٠وذكر الفرق بين الأحرف الخمسة للبطليوسي :٣٢٨ (تحقيق د/حمزة النشرتي مكتبة المتنبي)٠

أي أن مصاحبة هذه المجموعة من الأصوات المطبقة للسين أثرت فيها فأطبقتها لتصير صادا . وهذا ما يجعلنا نرجح قلب (السين) (صادا) في القراءة الثانية لمجيء (القاف) بعدها ،ولا اعتداد بالفاصل .

ومجيء الكلمة بصورة(السين) مرة وبصورة (الصاد)مرة يثير أمامنا تساؤلا ،مفاده أيهما الأصل وأيهما الفرع ؟

ويجيب مكي قائلا : " وحجة من قرأ بالسين أنه الأصل ،والدليل على أن السين هي الأصل أنه لا بد أن تكون السين هي الأصل،أو الصاد هي الأصل . فلو كانت الصاد هي الأصل ما جاز أن ترد إلى السين ،إذ لا علاقة توجب ذلك ، وإذ لا ينقل الحرف إلى أضعف منه ،والصاد أقوى بكثير لاطباقها واستعلائها ،فإذا لم يجز أن ترد الصاد إلى السين ،وجاء رد السين إلى الصاد ، علم أن السين هي الأصل ،والصاد داخلة عليها لعلة "(1).

فالقراءة بالصاد جاءت بالصورة المتطورة ، ومما يرجح كون الصاد هي الفرع أن قانون التطور قائم على توخي السهولة والانسجام ، وتحقيق الخفة والمشاكلة بين الأصوات المتجاورة .

وسلقوكم وصلقوكم : غلبوكم بالقول .(2)

---

(1) الكشف : ٣٠٢/١ وينظر إعراب القرآن للنحاس : ٢٧٦/١ ، والاقتضاب لابن السيد البطليوسي : ٢٠٣ (دار الجيل / بيروت ، ١٩٧٣) وتاج العروس : ٢٣/٦ .

(2) العمدة في غريب القرآن : ٢٤٢ .

المجموعة الثانية : إشمام الصاد الزاي :

في المقطع الأول من الصيغة .

- قراءات متواترة :

(د) - الفعل : (يصدفون) من قوله تعالى :

* ... ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ * الأنعام / ٤٦.

قرأه حمزة والكسائي وخلف ورويس : بإشمام (الصاد) ، (الزاي) (١) .

- الفعل : (يصدفون) من قوله تعالى :

* ... سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا ... * الأنعام/١٥٧.

قرأه حمزة والكسائي : بإشمام (الصاد) ، (الزاي) (٢) .

- الفعل : (فاصدع) من قوله تعالى :

* فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ... * الحجر / ٩٤ .

قرأه حمزة والكسائي وخلف ورويس : بإشمام الصاد (٣) .

- الفعل : (يصدر) من قوله تعالى :

* يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا ... * الزلزلة / ٦.

قرأه حمزة والكسائي وخلف ورويس بإشمام الصاد (٤) .

---

(١) غيث النفع : ٩٠ وينظر الإتحاف : ٢٠٨.

(٢) غيث النفع : ١١٠ وينظر الإتحاف : ٢٢٠.

(٣) الإتحاف : ٢٧٦.

(٤) غيث النفع : ٢٨٨ ، وينظر النشر : ٢/ ٤٠٣ والإتحاف : ٤٤٢.

فما معنى إشمام الصاد زايا ؟ قبل الإجابة ،لا بد لنا من وصف الأفعال التي حدث فيها الإشمام : (يصْدفون) ،(فاصْدع) ،(يصْدر) ، لقد سكنت فيها (الصاد) المهموسة مع مجاورة الدال المجهورة ،هذا التركيب الصوتي أدّى إلى التقريب كما يقول ابن جني :" فلما سكنت الصاد فضعفت به وجاورت الصاد - وهي مهموسة - الدال - وهي مجهورة - قربت منها بأن أشمت شيئا من لفظ الزاى المقاربة للدال بالجهر ".(١)

فالإشمام يقتضي الشروط التالية :

١ - تسكين الصاد ،لأنّ الصوت إذا سكن ضعف ،وأمكن تغييره.

٢ - اتصال الصاد اتصالا مباشرا بالدال مع تقدم الصاد .

ومعنى الإشمام : إشراب الصاد صوت الزاى.(٢) وهو ما عبر عنه سيبويه بالمضارعة فقال : " فضارعوا به أشبه الحرف بالدال من موضعه ،وهي (الزاى) ،لأنّها مجهورة غير مطبقة ".(٣)

أى أن الدال أثرت في الصاد فحولتها إلى شيء من الجهر ، بإشمامها الزاى ، فالصوت الجديد المتفرع من الصاد مزيج من الجهر والإطباق كما يقول العكبرى : " ومن أشم الصاد زايا قصد أن يجعلها بين الجهر والإطباق ".(٤)

---

(١) الخصائص : ٢/ ١٤٤.

(٢) ينظر شرح الشافية للرضي : ٣/ ٢٣١ وينظر الرعاية : ١٣٠.

(٣) الكتاب : ٤/٤٧٧ - ٤٧٨.

(٤) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٤.

ومع ذلك فالصاد ما زالت تحتفظ بشيء من الهمس يدلنا عليه نص ابن جني : " وأما الصاد التي كالزاي ، فهي التي يقل همسها قليلا ويحدث منها ضرب من الجهر ، لمضارعتها الزاي ، وذلك قولك في : (يصدر) : (يصدر) ، وفي : (قصد) : (قصد) ".(١)

ونخلص من جملة هذه الأوصاف إلى أنه لا صور محددة لكتابة الصاد المشمة ولا يمكن التعرف عليها إلا من خلال النطق . وقد حاول ابن سينا تحديد نطقها فسماها زايا ظائية (٢) . ويذكر (د/أنيس) أن هذا الإشمام موجود في نطق العوام في مصر ، حيث ينطقون الصاد ظاء غير لثوية .(٣)

والتفسير الصوتي لهذه الظاهرة يرجع إلى علاقة الصاد بالزاي ، فكلاهما صامت لثوي احتكاكي (٤) ، غير أن الصاد مطبقة والزاي مجهورة . أما الدال فصامت مجهور . ولتحقيق نوع من الانسجام بين الصوامت ، أشمت الصاد رائحة الجهر ، وذلك بتأثير المجاورة ، وهو تأثر ناقص مدبر متصل (١) ←—— (٢) وهذا النوع من التأثر لا يصل إلى حد الفناء ، أي أنه لا يبلغ القلب الذي يكون عند إخلاصها زايا .(٥)

ولم تبدل الصاد زايا إبدالا تاما ، حتى لا يذهب إطباقها . ولذلك عد إشمامها أكثر وأعرف .(٦)

ويعزى هذا الأداء إلى قبيلة قيس (٧) . وفي ضوء هذا التحليل تخرج قراءات الإشمام .

---

(١) سر صناعة الإعراب ١/٥٦ .

(٢) ينظر أسباب حدوث الحرف : ٩١ .

(٣) ينظر في اللهجات العربية : ٧٤ .

(٤) علم اللغة العام : ١٧٥ .

(٥) ينظر الخصائص : ٢/٢٢٩-٢٣٠ .

(٦) ينظر الكتاب : ٤/٤٧٩ وشرح المفصل : ١٠/٥٣ .

(٧) الإتحاف : ١٢٣ وإعراب القرآن للنحاس : ١/١٢٣ والبحر المحيط : ١/٢٥ .

المجموعة الثالثة : الإبدال لغير المجاورة :

أولا : إحلال اللام محل الراء :

في المقطع الثاني من الصيغة :

- قراءات متواترة بالراء وشاذة باللام.

(ر) - الفعل : (برق) من قوله تعالى :

* فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ * القيامة / ٧.

قرأ الجمهور : (بَرِق) بكسر الراء وقرأ أبو السمال : (بلق) باللام بدل الراء لغة [١]، وذلك بتعاقب صوتي (الراء) و (اللام) كقولهم : (نثره) و (نثله) ، و (وجر) و (وجل) [٢] [٣].

والتفسير الصوتي لهذا التبادل يرجع إلى علاقة الراء باللام ، فهما متقاربان مخرجا ومتفقان صفة.

فالراء صوت لثوي مكرر مجهور ... واللام صوت أسناني - لثوي جانبي مجهور [٤].

فهما فونيمان لثويان [٥]، إلا أنهما يختلفان في درجة القوة ، فالراء " حرف قوي للتكرير الذي فيه ، ولأنه حرف مجهور ، ولأنه مخرج النون ، ولأنه انحرف عن النون إلى مخرج اللام " [٦] . أما اللام فصوت " متوسط

---

(١) البحر المحيط : ٨/ ٣٨٥ ، وينظر تفسير الرازي : ٣٠/ ٢١٩ ، والكامل في القراءات الخمسين ورقة : ٢٤٦.

(٢) شواذ القراءة للكرماني ورقة : ٢٥٤ وينظر شواذ القراءات : ١٦٥.

(٣) ينظر البحر المحيط : ٨/ ٣٨٥.

(٤) علم اللغة العام (د/ بشر).

(٥) الأصوات اللغوية (د/ الخولي) : ١٠٠.

(٦) الرعاية : ١٩٥.

في القوة ،لأنّ فيها جهرا ،وفيها رخاوة ،وفيها انحرافا ".(١)

ومع اختلاف مستوى القوة بينهما حصل الإبدال حيث سوغه تلاقيهما مخرجا وصفة.

وقد عزيت صورة الفعل (باللام) إلى بعض الأفراد من قيس.(٢)

ولعلهم آثروا (اللام) لخلوها من التكرار.

ولكن أيهما الأصل : (الراء) أقوى ،كما أنها تحظى بنسبة أكبر في الجذور الثلاثية من (اللام)(٣). و (برق) هي المستعملة الشائعة في الفصحى وهي أكثر تصرفا ،مما يجعلنا نرجح أن صورة الفعل بالراء (برق) هي الأصل. وصورته باللام الفرع المتطور.

ومما يؤيد حدوث الإبدال بين (برق) و (بلق) اتحاد دلالتيهما ،فكلاهما يرد بمعنى (فتح) ففي اللسان : " ومن قرأ : (برق) يقول فتح عينيه من الفزع ،و (برق) بصره ،أيضا كذلك".(٤)
وبلق بصره أي " انفتح وانفرج يقال،بلق الباب وأبلقته وبلقته : فتحته".(٥)

وفي ضوء التحليل السابق توجه القراءتان.

---

(١) الرعاية : ١٨٨.
(٢) مجالس العلماء : ٢٤٧ - ٢٤٨.
(٣) دراسة الصوت اللغوي : ٣٤١.
(٤) اللسان : (ب ر ق) ١٠/١٦.
(٥) البحر المحيط : ٨/٣٨٥ وينظر : تهذيب اللغة : ٩/١٧٧
واللسان : (ب ل ق) ١٠/٢٥ ،وتاج العروس : ٦/٢٩٩.

ثانيا : إحلال اللام أو النون محل الواو :

في المقطع الأول من الصيغة .

- قراءات متواترة بالواو وشاذة باللام والنون :

ك) - الفعل : (فوكزه) من قوله تعالى :

﴿ ... فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ ... ﴾ القصص / ١٥.

رسم المصحف : (فوكزه) بالواو . وقرأ عبد الله (١) : (فلكزه) باللام وعنه : (فنكزه) بالنون (٢). وهو لغة (٣) . وقد رجح بعض المحدثين عزوها إلى هذيل (٤) استنادا إلى قراءة عبد الله ابن مسعود .

وصور الفعل الثلاث متفقة الدلالة . فقد ذكر أبو الطيب أن (اللكز) و (الوكز) واحد ، يقال : لكزه (يلكزه) لكزا ، ووكزه (يكزه) وكزا : إذا دفعه بيده دفعا عنيفا (٥). وقيل : (وكزته) و (نكزته) بمعنى واحد (٦).

فما سوغ تعاقب هذه الأصوات (الواو) ، (اللام) ، (النون) في الفعل الواحد ؟ حتى نتلمس العلاقة الصوتية بينها لا بد من التعرف

---

(١) مصحف ابن مسعود : ٧١ (المصاحف / جفري).
(٢) البحر المحيط : ١٠٩/٧ وينظر تفسير القرطبي : ٢٦٠/١٣، والكشاف : ١٦٨/٣.
(٣) معاني القرآن للفراء : ٣٠٤/٢.
(٤) لغة هذيل : ١٢٦.
(٥) الإبدال لأبي الطيب : ٤١٥/٢ وينظر تهذيب اللغة : ٩٧/١٠، ٣٢٢ ، وغريب القرآن : ٣٣٠.
(٦) اللسان : (وك ز) ٤٣٠،٤٢١/٥.

على مخارجها وصفاتها : (فالواو) صوت شفوي [1] باتفاق القدماء والمحدثين . أمّا (اللام) فمن "بين أول حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينهما وبين ما يليها من الحنك الأعلى فما فويق الضاحك ،والناب ،والرباعية والثنية . [2]

أما (النون) فهي "من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا". [3]

فاللام والنون متجاوران في المخرج مشتركان في طرف اللسان وهما من الأصوات الذلقية ، أو ما يعرف حديثا بالأصوات المائعة (Liquids) [4] ، وكلاهما : مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة وهما يلتقيان مع (الواو) في صفة الجهر [5] وفي قرب المخرج . ولذلك جاز تعاقب (الواو) مع (اللام) أو (النون) . ولم يدرج ابن سيده هذه الأصوات ضمن الإبدال وعدها مما يجرى مجرى البدل [6] ، ولعله لكون الإبدال واقعاً بين معتل وصحيح .

على حين أطلق الدكتور إبراهيم أنيس على هذا النوع من التعاقب (الإبدال التاريخي) تناوله في مقال نشره في مجلة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية [7] حاول فيه تطبيق نظريتي السهولة والشيوع على الأصل الاشتقاقي لما يسمى بحروف العلة في اللغات السامية.

---

(١) ينظر علم اللغة العام (د/ بشر) ١٣٣.

(٢) الأصول في النحو : ٣/ ٤٠٠.

(٣) السابق : ٣/ ٤٠٠.

(٤) الأصوات اللغوية : ٦٤ ، ٦٦.

(٥) علم اللغة العام (د/ بشر) ١٣٠.

(٦) المخصص : ١٣/ ٢٨٧.

(٧) مجلة كلية الآداب ،جامعة الإسكندرية : ١٩٤٤.

وقد جاء في هذا المقال ما نصه : " وصلنا فيما قررناه آنفا إلى أن اللام والنون والميم تعد من الناحية الصوتية أشباها لأصوات اللين ، وإلى أن الواو والياء أنصاف لأصوات اللين. فهل كان كل من الواو والياء في الأصل السامي القديم ، أحد الأصوات الثلاثة اللام والميم والنون ؟ ." إلى أن يقول: وبتطبيق نظريتي السهولة والشيوع ، نجد أولا أن الواو والياء من الناحية الصوتية ، أسهل من اللام والنون والميم ، ولكن الفرق بينهما ليس مما يحتاج إلى جهد عضلي كبير. والذى يمكن أن يكون قد برر الانتقال من النطق باللام أو النون أو الميم ، إلى النطق بالواو أو الياء ، ليس عنصر السهولة وحده ، وإنما يضاف إليه أثر شيوع هذه الأصوات الثلاثة في اللغة العربية. (١)

فالنطق بالواو مرحلة متطورة عن اللام والنون .. يقول الدكتور إبراهيم أنيس : " أى أن الفعل متطور في أغلب أمثلته عن فعل صحيح ، وقد وردت لنا في نصوص اللغة العربية بعض الأمثلة التي نرى فيها الأصل الصحيح العرف جنبا إلى جنب مع الفرع أو الصورة المتطورة التي تسمى بالمعتل مثل لكز = وكز ، جلخ السيل الوادى = جاخ . فصل الشيء عن الشيء = فصي ." (٢)

فالنص السابق يكشف عن الجوانب التالية :

١ - تطور أصوات أشباه اللين إلى أنصاف أصوات اللين. وهذا يعني إمكان تطور الصوت الصحيح إلى صوت لين.

٢ - إن التطور يرجع لسببين أولهما السهولة وثانيهما الشيوع.

---

(١) الأصوات اللغوية : ٢٣٨.

(٢) السابق : ١٠١.

واستنادا إلى ما وصل إليه الدكتور أنيس فإن الفعل (وكزه) متطور عن الفعل (لكز) أو (نكز) فهما الأصل وهو الفرع . وقد ترتب عليه تحول فاء الصيغة الثلاثية المجردة (فعل) من الصحيح إلى المعتل توخيا للسهولة .

ونخلص مما سبق إلى أن الصورة الأصلية تستعمل جنبا إلى جنب مع الصورة المتطورة ، وأن القراءة المتواترة كانت بالصورة المتطورة ، وبالأصل قرأ ابن مسعود ، وكلاهما تخرج على الإبدال . والله أعلم.

*

ثالثا : إحلال القاف محل الكاف :

في المقطع الأول من الصيغة .

ـ قراءات متواترة بالكاف وشاذة بالقاف :

(ش) ـ الفعل : (كشطت) من قوله تعالى :

* وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ * التكوير / ١١ .

رسم المصحف : (كشطت) بالكاف . وقرأ ابن مسعود [1] وابن أبي عبلة : (قشطت) بالقاف [2] ، بإبدال الكاف قافا " وهما كثيرا ما يتعاقبان ، كقولهم : عربي قح وكح " [3] . و (كشطت)

---

(١) مصحف ابن مسعود : ١٠٨ (المصاحف / جفري) .

(٢) شواذ القراءة للكرماني : ٢٦٠ (مخطوط) وينظر : شواذ القراءات لابن خالويه : ١٧٩ ، والإتحاف : ٤٣٤ .

(٣) البحر المحيط : ٨/ ٤٣٤ وينظر تفسير القرطبي : ١٠/ ٢٨٣ ، والكشاف : ٤/ ٢٢٣ .

و (قشطت) بدلالة واحدة قيل : " قشط الجُلُّ عن الفرس قشطا : نزعه وكشفه ،... قال الزجاج : (قشطت) و (كشطت) واحد معناهما قلعت كما يقلع السقف ".(١)

وعزى الفعل بالكاف (كشطت) لقريش ،وبالقاف (قشطت) لقيس ،وتميم ،وأسد (٢) ،أى أن البيئة البدوية كانت تؤثر الصوت المجهور (القاف) ، على حين مالت البيئة المتحضرة إلى الصوت المهموس (الكاف). وهذا موضع من المواضع التي نزل فيها القرآن بلغة قريش .

وقد رجح بعض المحدثين (٣) عزو (قشطت) إلى هذيل، لقراءة ابن مسعود بها .

وقد وجدنا عكس القراءة السابقة ورد فيها إبدال القاف كافا في

(هـ) ـ الفعل : (تقهر) من قوله تعالى :

﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ الضحى / ٩ .

قرأ الجمهور : (تقهر) بالقاف، وقرأ ابن مسعود (٤) وابراهيم التيمي : (تكهر) بالكاف، بدل القاف " وهي لغة بمعنى قراءة الجمهور ".(٥)

---

(١) اللسان : (ق ش ط) ٣٧٩/٧.

(٢) الإبدال لابن السكيت : ١١٤، وينظر : المخصص : ٢٧٧/١٢ وتهذيب اللغة : ٦/١٠ ،والمزهر : ٣٣٠/١ ،والإبدال لأبي الطيب : ٣٥٦/٢ واللسان ٣٨٠/٧ ومعاني القرآن للفراء : ٢٤١/٣. والأمالي : ١٣٩/٢ واللهجات في التراث : ٤٦٢/٢.

(٣) الدكتور عبد الجواد الطيب في كتابه لغة هذيل : ١٢٤.

(٤) مصحف ابن مسعود : ١٠٠ (المصاحف / جفري).

(٥) البحر المحيط : ٨٦/٨ وينظر : الكشاف : ٢٦٥/٤ ومعاني القرآن للفراء : ٢٧٤/٣ ،والألوسي ١٦٣/٣٠ ،وشواذ القراءات : ٣٧٥، وشواذ القراءة للكرماني : ٢٦٦ (مخطوطة).

وقد عزى ابن السكيت [١] (تكّهر) بالكاف ، إلى بعض بني غنم بن دودان من بني أسد . ونحن نعلم أن أسد من قبائل البيئة البدوية ، وقد عزى إليها الفعل (قشطت) مع صوت القاف فكيف تنزع هنا إلى صوت (الكاف) المهموس في (تكهر) ؟ لقد جاء عزو ابن السكيت إلى بعض بطون أسد ، ولعل هذا البعض من تأثر بالبيئة المتحضرة ، فمال إلى الصوت المهموس (الكاف) .

وتلتقي القراءتان في دلالة واحدة ، يقال : " الكهر : الانتهار ، و (كهره) و (قهره) بمعنى " [٢] .

أما العلاقة الصوتية بين فونيمي : (القاف) و (الكاف) ، فالمعروف أنهما متجاوران في المخرج ، يدلنا على ذلك تعريفهما الصوتي ، (فالقاف) عند القدماء مخرجها من " أقصى اللسان وما فوقه من الحنك " [٣] . وهي صوت مجهور شديد مستعلٍ [٤] . أما (الكاف) " فتخرج من دون موضع القاف قليلاً مما يلي الحنك " [٥] ، وهي مهموسة شديدة [٦] .

وقد وصفهما الخليل بأنهما لهويتان [٧] ، إلّا أن ثمة خلاف

---

(١) الإبدال لابن السكيت : ١١٤ وينظر : الإبدال لأبي الطيب اللغوي : ٢/٣٥٦ والأمالي : ٢/١٣٩ .

(٢) اللسان : (ك هـ ر) ٥/١٥٤ وينظر : تهذيب اللغة ٦/١١ .

(٣) التبصرة والتذكرة : ٢/٩٣٦ وينظر الأصول لابن السراج : ٣/٤٠٠ .

(٤) الرعاية : ١٧١ .

(٥) التبصرة : ٢/٩٣٦ وينظر الأصول لابن السراج : ٣/٤٠٠ .

(٦) الرعاية : ١٧٣ .

(٧) العين : ١/٦٥ .

حول القاف في المخرج والصفة بين القدماء والمحدثين ، فالقاف عند المحدثين " صوت لهوي شديد مهموس ".(١)

إلا أن (د/ بشر) نبّه إلى أن ما يعرف باللهاة عند القدماء يختلف عنه عند المحدثين وانتهى إلى القول بأن القديمة تخرج من أقصى الحنك ، أو هي حنكية - قصيّة بالتعبير الحديث ، على حين أنها لهوية في النطق المعاصر.(٢)

أمّا الاختلاف في الصفة فهي مجهورة عند القدماء ومهموسة عند المحدثين .

وقد برر (د/ أنيس) هذا الخلاف ، وردّه إلى التطور ، واختلاف النطق بينهما ، وافترض أن القاف الأصلية القديمة " كانت تشبه ذلك الصوت المجهور الذى نسمعه الآن من بعض القبائل السودانية ، ثم همس مع توالي الزمن وأصابته صفة الشدة فأدى إلى ما نعهده في قراءتنا ".(٣)

ونخلص من المناقشة السابقة إلى وجود علاقة قوية بين الكاف والقاف تسمح بتعاقبهما في الصيغة الواحدة . وأن اختلافات القدماء والمحدثين حولهما لا تمس هذه القربى الصوتية . فهما يكادان أن يكونا صوتا واحدا لولا الاستعلاء الذى تتميز به القاف على الكاف ، ولذلك تعد الكاف " أيسر نطقا من القاف من ناحيتي مخرجهما ، وعدم تدخل مؤخرة

---

(١) مناهج البحث في اللغة : ١٢٤ وينظر علم اللغة (الأصوات) : ١٠٩ .

(٢) علم اللغة العام (الأصوات) : ١١٠ .

(٣) الأصوات اللغوية (د/ أنيس) : ٨٥ .

اللسان -بحركة ثانوية -في أثناء نطقها . أما القاف فمخرجها متطرف من ناحية ،ونطقها يصحب بحركة ثانوية لمؤخرة اللسان ،من ناحية أخرى ، مما يكسبه بعض القيمة التفخيمية(١) .

ف (القاف) صوت مفخم نظيره المرقق (الكاف) ،وهذا ما يجعلنا نميل إلى أن الصورة الأصلية للفعل (قشطت) و (قهر) إنما هي بالقاف ،والصورة الفرعية بالكاف : (كشطت) و (كهر) ، فالقاف تطورت إلى الكاف لتوفر مسوغات الإبدال ،وتوخيا للسهولة تحول الفعل من التفخيم إلى الترقيق ،كما أن (القاف) من الأصوات التي تعرضت للتطور(٢) .

ونجد صورة الفعل في حالة الترقيق أصواته أكثر انسجاما ، فالشين المجاورة للكاف تقاربها في المخرج وتتحد معها في الهمس .

وكذلك الأمر في الفعل (تكهر) وقد أبدلت فيه القاف كافا من (تقهر) فإننا نميل إلى أن الصورة المتطورة (تكهر) لما بين الصوتين المتجاورين (الكاف) و (الهاء) من انسجام صوتي ،فالهاء تشارك الكاف في الهمس والاستفالة(٣) .

وننتهي إلى أن استعمال الفعلين : (كشطت) و (تكهر) بالكاف أيسر وأسهل أداء من استعمالهما بالقاف : (قشطت) و (تقهر) .

---

(١) دراسة الصوت اللغوى : ٣٤١ وينظر مناهج البحث في اللغة: ١٢٤ .

(٢) ينظر لطائف الاشارات : ١٨٥ .

(٣) ينظر الرعاية : ١٢٣ .

فالإبدال حول صيغة الفعل من مستوى ذى قيمة تفخيمية إلى مستوى الترقيق . ونخلص مما سبق إلى أن القراءتين وردتا على الإبدال.

غير أن الغريب ألا يعترف لغوى كابن جني بهذا الإبدال فيصرح : " وليس القاف في هذا بدلا من الكاف ، لأنهما لغتان لأقوام مختلفين ".(١)

فابن جني لا يعترف بالإبدال إلا إذا كانت صورتا الفعل في القبيلة الواحدة . ويتفق معه في هذا الرأى ابن سيده(٢) والبطليوسي.(٣)

ونرى أن الإبدال يحدث بين لهجات القبائل من أبناء الأمة الواحدة الذين ينتمون إلى لغة واحدة . وقد وجدنا أبا الطيب اللغوى يرد الإبدال إلى اختلاف اللهجات فيقول : " ليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف ، وإنما هي لغات مختلفة لمعان متفقة تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنى واحد حتى لا يختلفان إلا في حرف واحد ، والدليل على ذلك أن قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طورا مهموزة وطورا غير مهموز ، ولا مرة بالصاد وبالسين أخرى ... وإنما يقول هذا قوم وذاك آخرون ".(٤) . وهو تعليل يتفق ومنطق اللغة.

أما المحدثون فقد فسر (د/ أنيس) معظم صور الإبدال في ضوء التطور الصوتي ، يقول : " حين نستعرض تلك الكلمات التي

---

(١) سر صناعة الإعراب : ٢٧٨/١.

(٢) ينظر المخصص : ٢٨٧/١٣.

(٣) ينظر المزهر : ٤٧٤/١.

(٤) السابق : ٤٦٠/١.

فسرت على أنها من الإبدال حينا أو من اختلاف اللهجات حينا آخر لا نشك لحظة في أنها جميعا نتيجة التطور الصوتي".(١)

ومسألة التطور الصوتي تقتضي وجود أصل وفرع . وقد وقف القدماء عند هذه المسألة ،وقيدوا الأصل بكثرة التصرف ، وكثرة الاستعمال ، فيكون الأقل تصرفا هو الفرع أو البدل أو الحال . وقد مثل ابن جني للفرع والأصل بقوله : " رجل (خامل) و (خامن) النون فيه بدل من اللام ،ألا ترى أنه أكثر ،وأن الفعل عليه تصرف ،وذلك قولهم : خمل يخمل خمولا ".(٢)

*

رابعا : إحلال العين محل الغين :

في المقطع الثاني من الصيغة .

- قراءات متواترة بالغين وشاذة بالعين :

(غ) - الفعل : (شغفها) من قوله تعالى :

﴿ ... قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ... ﴾ يوسف / ٣٠ .

رسم المصحف : (شَغَفَهَا) بالغين ،وقرأ الحسن وابن محيصن : (شَعَفَهَا) بالعين المهملة(٣) ،أي بإبدال الغين عينا (غ ← ع) وهما صوتان من أصوات الحلق . إلّا أن " العين تخرج من أول المخرج الثاني من مخارج الحلق الثلاثة مما يلي الفم - وهي - من الحروف

---

(١) أسرار اللغة : ٧٥.

(٢) الخصائص : ٢/ ٨٢، ٨٤.

(٣) الإتحاف : ٢٦٤ ،وينظر البحر المحيط : ٥/ ٣٠١.

المجهورة الرخوة ،ويقال إن فيها بعض الشدة ،فهي حرف قوى ".[1]

أما الغين فتخرج ... من آخر المخرج الثالث من مخارج الحلق مما يلي الفم ،والغين حرف مجهور ،... ومن الحروف الرخوة ".[2]

فهما عند القدماء يتحدان في المخرج (الحلق) - مع اختلاف المواضع فيه - على حين يرى المحدثون[3] أن " العين صامت مجهور حلقي احتكاكي ، أما الغين فهي " صامت مجهور حنكي قصي احتكاكي أى أنهم يفرقون بينهما في المخرج فالعين (حلقية) ، والغين (حنكية) قصيّة ،ومرجع الخلاف بين الفريقين أن فكرة القدماء عن الحلق أنه يشمل منطقة واسعة تمتد من الحنجرة (من الخلف) إلى الطبق (من الأمام).[4]

ويرى المحدثون : أنه لا يشمل المنطقة التى تسمى (Baccal Area) فهو ما بين الحنجرة وبين جذر اللسان ويسمى في العامية (الزور).[5]

فصوتا (العين) و (الغين) يلتقيان في تقارب المخرج واتحاد الصفة - الجهر والرخاوة (الاحتكاك) مما يسوغ تبادلهما . كما يتقاربان في الدلالة ،يقول في ذلك ابن جني " شعفها معناه : وصل

---

(١) الرعاية : ١٦٢ وينظر : التبصرة والتذكرة : ٢/٢٢٦ .

(٢) السابق : ١٦٩ .

(٣) علم اللغة العام : ١٩٥ ، ١٩٤ وينظر التشكيل الصوتي : ٥٨/ ٩٧ .

(٤) الأصوات العربية : ٣٩ لسعد الغريبي .

(٥) مناهج البحث في اللغة : ١١١ .

حبه إلى قلبها فكاد يحرقه لحدته ،وأصله من البعير يهنأ[1] بالقطران ، فيصل حرارة ذلك إلى قلبه ... وأما قراءة الجماعة (شغفها) فتأويلها : أنه خرق شغاف قلبها وهو غلافه ،فوصل إلى قلبها ".[2]

وقال صاحب اللسان : " وشعفه الحب : أحرق قلبه ،وقيل أمرضه ... وشعفه الحب يشعفه شعفا وشعفا : وصل إلى شغاف قلبه ".[3]

وفي ضوء ما تقدم تخرج القراءتان.



خامسا : إحلال الصاد محل الضاد :

في المقطع الثالث من الصيغة .

- قراءات متواترة بالضاد وشاذة بالصاد :

(ب) - الفعل (قبضت) من قوله تعالى :

﴿... فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا...﴾ طه / ٩٦ .

- قرأ الجمهور : (فَقَبَضْتُ) (قبضةً) بالضاد المعجمة فيهما ، أي : أخذت بكفي مع الأصابع وقرأ عبد الله وأبيّ وابن الزبير وحميد والحسن :(فَقَبَصْتُ) (قبصة)- بالصاد فيهما وهو الأخذ بأطراف الأصابع ".[4] و" الاختيار قراءة الضم ،لأنه بجميع الكف ".[5]

---

(١) المحتسب : ١/٣٣٩ .
(٢) يهنأ بالقطران : يطلى .
(٣) اللسان : (شرغ ف) ٩/١٧٨ ، ١٧٩ .
(٤) البحر المحيط : ٦/١٧٢ وينظر : الإتحاف : ٣٠٧ وشواذ القراءات : ٨٩ .
(٥) الكامل في القراءات الخمسين ،ورقة : ٢١٨ (مخطوطة) .

فالقراءتان وردتا بتعاقب صوتي (الضاد) و (الصاد) مع تقارب الدلالة بينهما.[1]

وتناول ابن جني القراءتين معللا لهما على أساس العلاقة بين الصوت والمدلول (الدلالة الصوتية) فقال: "القبض بالضاد معجمة باليد كلها، وبالصاد غير معجمة بأطراف الأصابع - وهذا ما قدمت إليك في نحو تقارب الألفاظ لتقارب المعاني، وذلك أن (الضاد) لتفشيها واستطالة مخرجها جعلت عبارة عن الأكثر، والصاد لصفائها وانحصار مخرجها وضيق محلها جعلت عبارة عن الأقل".[2]

فابن جني أدرك القيمة التعبيرية للفونيم[3]، وقدرته على صبغ معنى الكلمة بما توحي به وهو ما سماه (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني).[4]

ولكل من فونيم (الضاد) و (الصاد) معنى في الفعل، فصوت الضاد مع الباء والقاف يدل على أن عملية القبض باليد كلها وليس بأطرافها. واستبدال الضاد بالصاد مع الباء والقاف جاءت لتدلنا على تخصيص القبض بأطراف الأصابع. وبذلك تكون "القبصة أصغر من القبضة"[5] فالصوت المتسع الضاد ورد مع القبضة الكبرى والصوت الصغرى (الصاد) الأقل ورد مع القبصة الصغرى.

غير أنه قيل: "قبض قبضة، وقبص قبصة بمعنى"[6] وهذا مما يرجح الإبدال بينهما لاتحاد الدلالة.

---

(١) ينظر الأمالي للقالي: ٢٣/١.
(٢) المحتسب: ٥٥/٢ وينظر معاني القرآن للفراء ٩٠/٢، واللسان: (ق ب ص) ٦٨/٧.
(٣) ينظر الدلالة اللغوية عند العرب: (د/ عبد الكريم مجاهد): ٢١٥ (دار الضياء، الأردن).
(٤) الخصائص: ١٤٥/٢-١٥٢.
(٥) الإبدال لأبي الطيب: ٢٤٦/٢.
(٦) السابق: ٢٤٦/٢.

فما يسوغ الإبدال بين (الصاد) و (الضاد) ؟ قبل أن نحدد علاقتهما ، لا بد لنا من وقفة مع الصوتين عند القدماء والمحدثين .

الصاد عند القدماء : "حرف مطبق مستعل ، فيه صفير مهموس"(١). ويخرج من بين طرف اللسان وفويق الثنايا(٢) . أما الضاد فتخرج من "أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس ، وهو حرف قوى ،لأنه مجهور مطبق من حروف الاستعلاء"(٣).

وقد جاء وصف المحدثين للصاد قريبا من وصف القدماء مع شيء من الاختلاف(٤) ،إلا أن اختلافهم في الضاد كان واضحا ، فهي عند علماء العربية من منطقة قريبة من وسط الحنك أى (لثوية - حنكية) ، وعند المحدثين من نقطة الدال والتاء ،فهي أسنانية - لثوية.(٥) كما أنها عند القدماء صوت رخو(٦) ،وعند المحدثين صوت انفجارى.(٧)

وقد ردّ (د/ بشر) هذا الخلاف إلى أحد أمرين :(٨)

الأول : رؤية البعض : أن اللغويين العرب قد أخفقوا في تحديد الموضع الدقيق لنطق الضاد . وقد استبعده الدكتور بشر ، لمناقضة الشواهد الكثيرة الواردة عنهم.

---

(١) الرعاية : ٢١٥.
(٢) ينظر الكتاب : ٤/ ٤٣٢ والأصول لابن السراج : ٣/ ٤٠٠.
(٣) الرعاية : ١٨٤.
(٤) علم اللغة العام (الأصوات) : ١٢٠.
(٥) السابق : ١٠٥.
(٦) ينظر الأصول لابن السراج : ٣/ ٤٠٢.
(٧) علم اللغة للسعران : ١٥٥.
(٨) علم اللغة العام (الأصوات) : ١٠٥.

الثاني : يبدو أنهم كانوا يتكلمون عن ضاد غير تلك الضاد التي نعرفها ونمارسها.

ونضيف إلى ما سبق ما وصل إليه (د/أنيس) من أن الضاد القديمة "قد أصابها بعض التطور حتى صارت إلى ما نعهده لها من نطق في مصر ... والضاد القديمة كما أتخيلها يمكن النطق بها بأن يبدأ بالضاد الحديثة ثم ينتهي نطقه بالظاء، فهي إذن مرحلة وسطى فيها شيء من شدة الضاد الحديثة وشيء من رخاوة الظاء العربية، ولذلك كان يعدّها القدماء من الأصوات الرخوة".(١) وقد نبّه إلى أن "الضاد يشبه لفظها الظاء".(٢)

فالضاد والصاد في ضوء وصف المحدثين (٣) لهما متقاربان مخرجا ويتحدان في صفة الإطباق والاستعلاء، وفي ضوء وصف القدماء وإن كانا من الأصوات التي مخرجها الفم، إلا أنهما يختلفان في المخرج ويشتركان في الإطباق كما هو عند المحدثين.

فالعلاقة الصوتية بينهما تتجلى في اتحادهما في صفة الإطباق والاستعلاء. وهي نقطة الاتفاق الوحيدة حول هذا الصوت بين القدماء والمحدثين. وهي مسوغ الإبدال بينهما وبين الصاد.

ويلاحظ أن صورة الفعل بالضاد (قبضت) أصواتها ذات تقارب صوتي فقد اجتمعت فيها ثلاثة أصوات انفجارية (القاف)، و (الباء)، و (الضاد) (٤) مما يجعلنا نميل إلى أن هذه الأصوات تمثل الصورة الأصلية لكونها أشيع استعمالا، وأن الصورة المتطورة (قبصت). والله أعلم.

---

(١) الأصوات اللغوية : ٤٩ وينظر اللهجات في التراث : ٢/ ٤٣١.

(٢) الرعاية : ١٨٤.

(٣) فالضاد عندهم "صامت مجهور سني مطبق انفجارى" : علم اللغة للسعران : ١٥٥، أما الصاد فهي "صامت مهموس لثوى احتكاكي مطبق" : علم اللغة للسعران : ١٧٥.

(٤) على أن الضاد انفجارية عند المحدثين.

سادسا : إحلال (الحاء) محل الجيم :

في المقطع الأول من الصيغة :

- قراءات متواترة بالجيم وشاذة بالحاء :

(و) - الفعل (فجاسوا) من قول تعالى :

﴿ ... فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ... ﴾ الإسراء / ٥ .

" قرأ الجمهور : (فجاسوا) بالجيم ، وقرأ أبو السمال وطلحة (فحاسوا) بالحاء المهملة ".(١)

ذهب ابن جني إلى أن القراءتين بمعنى واحد وذلك فيما رواه عن أبي زيد " قال أبو زيد أو غيره : قلت له : إنما هو (فجاسوا) فقال : (حاسوا) و (جاسوا) واحد ".(٢) يقال : تركت فلانا (يجوس) بني فلان ويحوسهم : أي يدوسهم ويطلب فيهم ".(٣) وهما بمعنى واحد .(٤)

إن مسألة قلب الجيم حاء تثير خلافا بين اللغويين ، وذلك لتباعدهما مخرجا وصفة . " فالحاء صوت حلقي احتكاكي مهموس ".(٥) أما الجيم " فصوت قصي انفجاري مجهور "(٦) ، وهي عند القدماء

---

(١) البحر المحيط : ٦/ ٩-١٠ .

(٢) المحتسب : ٢/ ١٥ .

(٣) الإبدال لابن السكيت : ٩٧ ، وينظر الإبدال لأبي الطيب : ١/ ٢٠٥ .

(٤) ينظر الأمالي للقالي : ٢/ ٧٨ .

(٥) علم اللغة العام د/ كمال بشر : ١٢١ .

(٦) السابق : ١٢٨ .

" تنتج من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك بتعبير بعضهم ،أو من شجر الفم بتعبير بعض آخر ،وهو يرادف تعبير المحدثين : الغار أو الطبق الصلب أو الحنك الصلب ".(١)

وقد أجاز هذا الإبدال أبو الطيب ،كما ذهب عزالدين التنوخي إلى أن التباعد من مسوغات الإبدال ،على حين رفضه البعض.(٢)

ومن المحدثين الرافضين لهذا الإبدال (د / أنيس) فيصرح قائلا : " ويزعم ابن السكيت أن هناك ارتباطا صوتيا بين (جاسوا) خلال الديار و (حاسوا) ".(٣) فهما عنده " كلمتان مستقلتان تنحدران من مصدرين مختلفين ،أي أنهما من الترادف الحقيقي . وتبدو صحة هذا الرأي من كثرة شيوعهما وورود أمثلة لكل منهما في معجم اللغة ".(٤)

وقد أنصف ابن سيده حيث عدّ (حاس) و (جاس) مما يجرى مجرى البدل(٥) وليس إبدالا حقيقيا.

وأرى أنه يمكن تفسير الإبدال بين (جاس) و (حاس) في ضوء تطور الصوت إلى نظيره ،فالفعل بالحاء تحول عن الصوت المجهور (الجيم) إلى المهموس . ولعل ذلك بتأثير السين المهموسة (تأثر مدبر) جزئ منفصل ،وتقريب الأصوات بعضها من بعض مظهر من مظاهر التطور.

---

(١) الصوت اللغوى : ٢٩١.

(٢) ينظر هامش الإبدال لأبي الطيب : ١/٢٠٥.

(٣) من أسرار اللغة : ٨١.

(٤) السابق : ٨١.

(٥) المخصص : ١٣/٢٨٨.

تعقيـــب :

من خلال الدراسة السابقة يتبين لنا أن ظاهرة الإبدال لاتحدث إلا في ضوء من التغييرات الصوتية ،منها وجود علاقة صوتية بيـــن البدل والمبدل منه ، ويأتي هذا التقارب في مقدمة العلاقات الصوتيـــة التي لا يتم التبادل إلا في ضوئها ، فقد نص ابن جني على أن " أصل القلب (البدل) في الحروف إنما هو فيما تقارب منها ،وذلك : الدال والطاء ،والذال والظاء والثاء ،والهاء والهمزة ،والميم والنون ،وغير ذلك مما تدانت مخارجه "(١).

وبهذا الرأي قال ابن سيده(٢) . فابن جني وابن سيده يشترطان وحدة المخرج في الإبدال . وقد حاول بعض المحدثين(٣) وضع حدود لهذه العلاقة التي تسوغ الإبدال اللغوى فحصرها في العلاقات التاليـــة :

١ - التماثل : وهو أن يتحد الحرفان مخرجا وصفة ،كالبائيـــن والتائين .

٢ - التجانس : وهو أن يتفق الحرفان مخرجا ويختلفان صفة : (كالدال والطاء) ،ونضيف إليه (السين) و (الصاد) كما في القراءتين (بسط) و (بصط).

---

(١) سر صناعة الاعراب : ٩٧/١ وينظر اللهجات في التراث :٤٧٢/٢.

(٢) المخصص : ٢٧٤/١٣.

(٣) ينظر دراسات في فقه اللغة لصبحي الصالح : ٢١٨.

٣ - التقارب :

أ - أن يتقارب الحرفان مخرجا و يتحدا صفة : كالحاء والهاء ،ونضيف : (العين) و (الغين) كما في القراءتين : (شغفها) و (شعفها) .

ب- أن يتقارب الحرفان مخرجا وصفة (كاللام) و (الراء) ، وقد وجدنا ذلك في القراءتين : (برق) و (بلق) والكاف والقاف في القراءتين (كشطت) و (قشطت) و (تقهر) و (تكهر) ، والواو مع النون أواللام في القراءات (وكزه) و (نكزه) و (لكزه) .

جـ - أن يتقارب الحرفان مخرجا ،ويتباعدا صفة : كالدال والسين .

د - أن يتقارب الحرفان صفة ويتباعدا مخرجا كالشين والسين ، ونضيف (الصاد) و (الضاد) كما في القراءتين : (قبضت) و (قبصت) .

٤ - التباعد :

أ - أن يتباعد الحرفان مخرجا و يتحدا صفة ،كالنون والميم .

ب- أن يتباعد الحرفان مخرجا وصفة : كالميم والضاد ،ونضيف (الجيم) و (الحاء) كما في القراءتين (فجاسوا) و (فحاسوا) .

المبحث الثاني

إبدال صوت معتل من آخر معتل

من الظواهر الصوتية التي تعترى أصوات الصيغ الفعلية مايعرف بظاهرة الإعلال (Ablaut) ،وهو ظاهرة موقعية ترتبط بالسياق [(١)] تهدف إلى تحقيق التماثل والانسجام بين أصوات الصيغة ، فهو يقوم على " تغيير حرف العلة للتخفيف ويجمعه القلب والحذف والإسكان [(٢)] وحروفه (الألف) و (الواو) و (الياء) " [(٣)].

فالإعلال بالقلب نوع من الإبدال ،لأن الإبدال هو جعل صوت مكان صوت ،سواء أكان صوتا صحيحا أم صوت علة ،وفي أى مكان من الكلمة . ومن هنا تتضح صلة هذا المبحث بالمبحث السابق ،فكلاهما من الإبدال ، إلا أن كل إعلال بالقلب إبدال وليس كل إبدال إعلال ، لأن الإبدال قد ينفرد عن الإعلال عندما تكون الأصوات صحيحة . والإعلال يختص بإبدال الأصوات المعتلة وهي : (الألف) و (الواو) و (الياء) ، ويسميها ابن جني [(٤)] (اللينة المصوتة) على حين يطلق عليها (د/أنيس) [(٥)] يسمى (أصوات اللين) ،وهي عند (د/ تمام) [(٦)] (أصوات العلة) .

ولنا وقفة سريعة مع هذه الأصوات :

---

(١) ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٦٤ .

(٢) درس هذين النوعين :(الحذف والإسكان في الفصل السابق) .

(٣) شرح الشافية ٣ /٦٨ .

(٤) الخصائص ٣ / ١٢٤ .

(٥) الأصوات اللغوية : ٢٦ - ٢٨ .

(٦) مناهج البحث في اللغة : ١٠٨-١٠٩ .

الألف : ولا تكون إلّا صوت مد ، ولا تقبل الحركة ، ويطلق عليها المحدثون (الفتحة الطويلة) كما في : قال وقام.

الواو والياء : وترد على مستويين :

الأول : أنهما صائتان طويلان ، فالواو (ضمة طويلة) كما في : يرجو ويدعو . والياء (كسرة طويلة) كما في : يجرى ويهدى ، وتسمى هذه الحالة بأصوات المد واللين لما فيهما من المد واللين ؛ لأنهما تخرج في لين من غير كلفة على اللسان ، وذلك لاتساع مخرجها ، فإن المخرج إذا اتسع انتشر الصوت وامتد ولان ".(١)

الثاني : أنهما صوتا علة وتعدان في هذه الحالة من الصوامت وذلك في سياقين صوتيين معينين وهما :(٢)

١ - إذا أتبعت الواو والياء بحركة من أى نوع كما في (ولد) و (يترك).

٢ - إذا وقعتا ساكنتين وقبلهما فتحة كما في(حوض) و(بيت).

ويحدث هذا مع شبههما النطقي بالصوائت ، ولذلك يطلق عليهما أنصاف الصوائت (Semi Vowels).

وفيما يلي نعرض لصور من الإعلال في القرآن وقرآته حسب موقعه في الصيغة.

المجموعة الأولى : الأفعال الواردة على (فعل) :

في المقطع الثاني من الصيغة :

- إحلال الألف(فتحة طويلة) محل الواو أو الياء :

أ - ذات الأصل الواوى :

(و) - الفعل : (جابوا) من قوله تعالى :

﴿ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴾ الفجر / ٩ .

رسم المصحف : (جَابُوا) من الجوب ، والمعنى " قطعوه ونقبوه ليتخذوا منه بيوتا ".(٣)

---

(١) شرح مختصر التصريف العزى : ١٠٦.
(٢) علم اللغة العام (الأصوات) : ٨٦.
(٣) معجم ألفاظ القرآن : ١١٦.

(و) - الفعل : (فراغ) من قوله تعالى :

* فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِ ... * الذاريات / ٢٦.

رسم المصحف : (فَرَاغَ) من الرَّوغ ، أى عدل.(١)

(و) - الفعل : (فاتكم) من قوله تعالى :

* وإِنْ فَاتَكُم شيءٌ من أَزْوَٰجِكُم ... * الممتحنة / ١١.

رسم المصحف : (فَاتَكُم) وأصله من الفوت ، الفرجه بين الشيئين ، ومنه بعد الشيء من الإنسان بحيث يتعذر إدراكه.(٢)

(و) - الفعل : (فار) من قوله تعالى :

* ... وَفَارَ التَّنُّورُ ... * هود / ٤٠.

رسم المصحف : (فَارَ) واوى الأصل: (فور) وهو شدة الغليان وهياج النار نفسها.(٣)

ب - ذات الأصل اليائي :

(ى) - الفعل (ران) من قوله تعالى :

* كَلَّا بَلْ رَانَ على قُلُوبِهِم ... * المطففين / ١٤.

رسم المصحف : (رَانَ) يائي الأصل: (رين) ودلالته : غلب.(٤)

(ى) - الفعل :(فسالت) من قوله تعالى :

* ... فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ... * الرعد / ١٧.

رسم المصحف : (فَسَالَت) من السيل ، والمعنى جرت.(٥)

(ى) - الفعل : (خاب) من قوله تعالى :

* ... وَخَابَ كُلُّ جبارٍ عنيدٍ * إبراهيم / ١٥.

رسم المصحف : (خَابَ) من (الخيب) "خاب يخيب خيبة : لم يظفر بما طلب".(٦)

(ى) - الفعل (طاب) من قوله تعالى :

* ... فانكحوا ما طاب لكم من النساء ... * النساء / ٣.

رسم المصحف : (طَابَ) يائي الأصل: (طيب) ، يقال طاب الشيء يطيب فهو طيّب ... وأصل الطيب ما تستلذه الحواس وما تستلذه النفس".(٧)

المجموعة الثانية : الأفعال الواردة على صيغ المغايرة :

أولا : في المقطع الأول من الصيغة : (إبدال لهجي).

إحلال الألف محل الواو:

- قراءات متواترة بالواو وشاذة بالألف :

(ج) - الفعل (لا توجل) من قوله تعالى :

---

(١) العمدة في غريب القرآن : ٢٨٢.
(٢) معجم ألفاظ القرآن : ٤٨٤.
(٣) السابق : ٤٨٥.
(٤) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة : ٥١٩.
(٥) معجم ألفاظ القرآن : ٣٢٢ (المجمع).
(٦) السابق : ١٩٣.
(٧) المفردات : ٤٦٤.

﴿ قالوا لا توجل ... ﴾ الحجر / ٥٣.

قرأ أبو معاذ : (لا تاجَل) (١) بإبدال الواو ألفا كما قالوا : تابه في توبه". (٢) وهي لهجة عزيت إلى قيس (٣) كما عزيت إلى أهل الحجاز (٤).

وقد علل ابن يعيش لهذا الإبدال تعليلا يكاد يتفق مع أحدث الآراء الصوتية (٥). يقول : " وقد أبدلوا الألف من الواو والياء مع سكونها، وذلك إذا انفتح ما قبلهما . وذلك قليل غير مطرد ، قالوا : (وجل ياجل)، أجروا الحرف الساكن مجرى المتحرك ، طلبا للتخفيف " (٦) لأن الحرف إذا سكن ضعف ، فيسهل تغييره .

غير أن سيبويه تناولها من وجهة أخرى فرد الإعلال إلى كراهية اجتماع الواو مع الياء ، فأبدلوها ألفا كما تبدل من الهمزة الساكنة (٧).

وللمماثلة دورها في هذا الإبدال ، فسقطت (الواو) وحلت محلها الألف لمناسبة الفتحة .

وهذا النوع من الإبدال يمثل المرحلة الثالثة من مراحل تطور الأفعال المعتلة ، مرحلة (انكماش الأصوات المركبة) (٨) ، أي أن " الصوت المركب (تو) انكمش وتحولت الحركة المالة الناتجة عن هذا الانكماش إلى فتحة خالصة " (٩).

فالمقطع المغلق (Yew) تطور إلى المقطع الطويل المفتوح (Ya) .

---

(١) شواذ القراءات : ٧١ وينظر الكشاف : ٢/ ٣٩٢ .

(٢) البحر المحيط : ٥/ ٤٥٨ وينظر إعراب القرآن للنحاس : ٢/ ١٩٦ .

(٣) الجيم : ٣/ ٣٠٥ (باب الواو) وينظر ديوان الأدب : ٣/ ٢٦١ وشرح الملوكي : ٢٦٣ . والجمل في النحو للخليل بن أحمد : ٢٩٢ (تحقيق د/ فخر الدين قباوة ، ط: أولى ، بيروت ١٩٨٥ م) .

(٤) المقتضب : ١/ ٩٠ .

(٥) الأصوات اللغوية : ٢٤٧ .

(٦) شرح الملوكي : ٢٢٦ .

(٧) ينظر الكتاب : ٤/ ١١١ .

(٨) ينظر المدخل إلى علم اللغة (د/ عبد التواب) : ٢٩٥ .

(٩) التطور اللغوي (د/ عبد التواب) : ٥٢ .

ثانيا : في المقطع الثالث من الصيغة (إبدال لهجي).

إحلال الألف محل الياء :

- قراءات متواترة بالياء وشاذة بالألف :

(ق) - الفعل (بقى) من قوله تعالى :

﴿ ... وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَوٰٓا ... ﴾ البقرة / ٢٧٨.

رسم المصحف : (ما بقي) بكسر القاف معتل الآخر بالياء من باب تعب [(١)] كما هو معروف في الفصحى . وقرأ الحسن : (ما بقا) [(٢)] بقلب (الياء) (ألفا) ، وهي لغة لطيئ ولبعض العرب [(٣)].

فالمعروف أن طيئا " تبدل الكسرة فتحة فتنقلب الياء ألفا فيصير (بقا) وكذلك كل فعل ثلاثي سواء كانت الكسرة والياء أصليتين نحو (بقي) و (نسي) و (فني) أو كان ذلك عارضا " [(٤)] ، وهذا قياس عندهم [(٥)].

ووصف ابن عصفور هذه اللهجة بأنها " لغة فاشية في طيئ " [(٦)] . ومثل (بقا) ، (فنا) " وهما لغتان لطيئ . وقد تكلمت بهما العرب ، وهما في لغة طيئ أكثر " [(٧)].

---

(١) المصباح المنير : ١/ ٥٨ .
(٢) وهي قراءة أبي في مصحفه : ١٢٣ (المصاحف / جفرى).
(٣) البحر المحيط : ٢/ ٣٣٧ وينظر الإتحاف : ١٦٥ والمصاحف : ١٢٣.
(٤) المصباح المنير : ١/ ٥٨ وينظر اللسان : (ب ق ى) ١٤/ ٨٠ والصحاح : ٦/ ٢٢٨٤ .
(٥) شرح مختصر التصريف العزى : ٣٣.
(٦) الممتع : ١/ ١٥٣.
(٧) طبقات ابن سلام : ١/ ٣٤.

وقد وردت هذه الظاهرة في مواضع عديدة على لسان شاعرهم (زيد الخيل الطائي)(١) ،ومنها قوله :(٢)

لعمرُك ما أخشَى التَّصعُلُك ما بقَـا
على الأرْض قيسيٌّ يسوق الأباعرا

فهذه الظاهرة في طيء تحدث في الفعل المعتل الآخر،لأنّ الأطراف محل التغيير والتخفيف والتفسير الصوتي لهذه الظاهرة يرجع إلى الميل إلى المماثلة والانسجام " فإذا قارنا بين (بقِي) و (بقَى) - وجدنا أن بالثانية انسجاما ،والانسجام هوتطور ملحوظ ، لأنّ اللسان يعمل فيه من وجه واحد . وهو بالقبائل البادية أليق كطيء ومن سار سبيلها ".(٣) ويمثل هذا التطور المرحلة الثانية في تطور الأفعال المعتلة في العربية واللغات السامية(٤) . ولا تزال هذه اللهجة مستعملة في بعض البلاد العربية ،ويعتقد أستاذنا (د/ الجندى) أن تكون هذه الظاهرة سامية قديمة - احتفظت بها طيء وقبلتها وظهرت آثارها على شعرائها .(٥)

---

(١) هو زيد الخيل بن مهلهل الطائي ،هذا اسمه في الجاهلية وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير . الشعر والشعراء :

(٢) البيت من البحر الطويل .
ورد البيت في النوادر لأبي زيد : ٢٧٩ وتفسير القرطبي : ٣/ ٢٧٠ ،وشعراء طيء وأخبارها في الجاهلية والإسلام : ١/ ١٥٣ (جمع وتحقيق ودراسة وفاء السندويى، طبعة أولى ، دار العلوم ،الرياض سنة ١٩٨٣م).

(٣) اللهجات العربية في التراث : ٢/ ٥٣٨.

(٤) ينظر بحوث ومقالات في اللغة : (د/ عبد التواب) ٢٤٨.

(٥) اللهجات العربية في التراث : ٢/ ٥٣٦ . وينظر : مجلة البحث العلمي : ٤/ ١٤٥ ،مقالة بعنوان بين الأصول والفروع للدكتور أحمد علم الدين الجندى .

ثالثا : في المقطع الاخير من صيغ المغايرة (إبدال قياسي) :

الطائفة الأولى :

أ - إحلال الألف (فتحة طويلة) محل المقطع الاخير في (يفعَل)من(فَعِل) :

- قراءات متواترة :

(م) - الفعل : (تعمى) من قوله تعالى :

* ... فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ ... * الحج / ٤٦.

رسم المصحف : (تعمَى) بفتحة طويلة (الألف) في آخره من " عَمِي (يَعمَى) عَمًى " ،(١) وقيل في دلالته : " أمّا (يَعمَى) المفتوح الميم ، فإنه مضارع (عَمِي) الرجل من بصره وعمى من قلبه ".(٢)

(ض) - الفعل : (ترضى) من قوله تعالى :

* وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ ... * البقرة / ١٢٠.

رسم المصحف : (ترضى) بفتحة طويلة (الألف) في آخره من " رَضِي (يرضى) رِضًا ورضا ورضوانا ورضوانا وهو ضد سَخِط ".(٣)

(ل) - الفعل : (تصلى) من قوله تعالى :

* تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً * الغاشية / ٤.

قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم :

---

(١) اللسان : (ع م ى) ١٥/ ٩٥.

(٢) المثلث للبطليوسي : ٢/ ٤٨٠.

(٣) اللسان : (ر ض ى) ١٤/ ٣٢٣ ،وينظر ديوان الأدب : ٤/ ٩٤.

(تَصلَى) بفتح التاء .[1] جعلوه فعلا ثلاثيا [2] من صَلِي فلان بالنار يَصْلَى صُلِيًّا : احْتَرَق .[3]

فالفعل (تصلى) بفتحة طويلة (الألف) في آخره.

(ق) - الفعل : (لتشقى) من قوله تعالى :

﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾ طه / ٢

رسم المصحف : (لِتَشقى) بفتحة طويلة (الألف) في آخره ، من " شَقِي الرجل ، انقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها ، و (يَشْقَى) انقلبت في المضارع ألفا لفتحة ما قبلها ".[4] فالقراءة على (فَعِل يَفعَل).

- الفعل : (ويبقى) من قوله تعالى :

﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَٰلِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ الرحمن / ٢٧.

رسم المصحف : (يبقى) بفتحة طويلة (الألف) في آخره من " بَقِيَ " : الشيء (يَبقَى) من باب (تعب) بقاء وباقية : دام وثبت ".[5]

---

(١) السبعة : ٦٨١.

(٢) الكشف : ٢ / ٣٧١.

(٣) اللسان : (ص ل ى) ١٤/٤٦٧ وينظر ديوان الأدب : ٤/٩٥.

(٤) اللسان : (ش ق ى) ١٤/٤٣٨.

(٥) المصباح المنير : ١/٥٨ وينظر ديوان الأدب : ٤/ ٩٤.

- قراءات شاذة :

(و) - الفعل : (تهوى) من قوله تعالى :

* ... فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ...* إبراهيم/ ٣٧.

قرأ علي بن أبي طالب وزيد بن علي ومحمد بن علي وجعفر بن محمد ومجاهد : (١) (تَهوَى) بفتح الواو . (٢) بفتحة طويلة (الألف) .

وقد تناول ابن جني صيغة الفعل ودلالته على هذه القراءة فقال : " (تَهوَى) إليهم بفتح (الواو) من هَوِيت الشيء إذا أحببته ، إلا أنه قال إليهم ، وأنت لا تقول : هويت إلى فلان ، ولكنك تقول : هويت فلانا ، لأنه (عليه السلام) حمله على المعنى ، ألا ترى أن معنى هويت الشيء : ملت إليه ، فقال : (تهوى إليهم) لأنه لاحظ معنى تميل إليهم . وهذا باب من العربية ذو غور ". (٣)

فالفعل : (هَوِي يَهوَى) على (فَعِل يَفعَل) : أحبّ، (٤) إلّا أنه في الآية ضمن معنى تميل إليهم فعُدِّي بإلى. (٥)

على حين أشار الفراء إلى أن (إلى) هذه زائدة فقال (٧) " والمعنى : تهواهم ، كما قال : * رَدِفَ لَكُم * (٦) يريد ردفكم" أي أن أصل الفعل أن يتعدى مباشرة ، بلا واسطة .

ويلاحظ على هذه القراءة أنها كقراءة الجمهور (تَهوِي) من (هَوَى يَهوِي) متقاربتان في المعنى (٨) ، إلّا أنهما مختلفان في البنية.

---

(١) البحر المحيط : ٥/ ٤٣٣.

(٢) شواذ القراءة للكرماني : ورقة : ١٢٧.

(٣) المحتسب : ١/ ٣٦٤.

(٤) ينظر اللسان : (هـ و ى) ١٥/ ٣٧٢ وينظر الصحاح : ٦/ ٢٥٣٨

(٥) ينظر البحر المحيط : ٥/ ٤٣٣ .

(٦) الآية ٧٢ من سورة النمل .

(٧) معاني القرآن للفراء : ٢/ ٧٨ وينظر مغني اللبيب : ١/ ٧٦.

(٨) ينظر إملاء ما من به الرحمن : ٢/ ٦٩.

ب : إحلال واو الضمير (ضمة طويلة) محل المقطع الأخير في (يفعَل) من (فَعِل)

- قراءات متواترة :

(ث) - الفعل : (تعثوا) من قوله تعالى :

* ... وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * البقرة / ٦٠

رسم المصحف : (ولا تَعثَوا) بضمة طويلة (واو الضمير) ، من عَثِي (يَعثَى) عُثُوا وهو أشد الفساد ... قال الأزهري : واللغة الجيدة (عَثِي يَعثَى) .[(١)] ووصف الكسائي هذه الصيغة فقال : و (عَثِي) (يَعثَى) بكسر عين الماضي وفتح المضارع ، وهو أفصح .[(٢)]

فالقراءة على (فَعِل يَفعَل) اللهجة الجيدة الفصيحة .

(ل) - الفعل : (اصلوها) من قوله تعالى :

* اصْلَوْهَا الْيَوْمَ ... * يس / ٦٤ .

رسم المصحف : (اصلَوها) بضمة طويلة (واو الضمير) من صَلِي (يصلى) بفتح اللام .

(ن) - الفعل : (يغنوا) من قوله تعالى :

* الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ... * الأعراف / ٩٢ .

رسم المصحف : (يَغنَوا) بضمة طويلة (واو الضمير) ، من (غنيت) بكذا عن غيره من باب تعب إذا (استغنيت به) .[(٣)]

---

(١) اللسان : (ع ث ى) ١٥ / ٢٩ . وينظر المصباح المنير : ٢ / ٣٩٣ .

(٢) ما تلحن فيه العامة : ١٣٦ .

(٣) المصباح المنير : ٢ / ٤٥٥ .

(ش) ـ الفعل : (واخشوا) من قوله تعالى :

﴿... وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ...﴾ لقمان/ ٣٣.

رسم المصحف : (اخشوا) بضمة طويلة(واوالضمير) ،من خَشِى الرجل (يَخشَى) خشية.[1]

(ق) ـ الفعل : (يلقون) من قوله تعالى :

﴿... وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾ الفرقان / ٧٥.

. قرأ ابن عامر و حمزة والكسائي : (ويَلْقَوْنَ) مفتوحة اليـاء ساكنة اللام خفيفة القاف.[2] ،بضمة طويلة (واو الضمير).

" ولقيته ألقاه من باب تعب " تعبا " ... وكل شيء استقبل شيئا أو صادفه فقد " لقيه ".[3]

أى أن الفعل في الماضي : (لَقِيَ) على (فَعِلَ) والمضارع (يلقَى) على (يَفعَل) . وحذف آخره عند اسناده الى واو الضمير .

---

(١) اللسان : (خ ش ى) ١٤ /٢٢٨.

(٢) السبعة : ٤٦٨ ، وينظر النشر : ٢/ ٣٣٥ ،والتيسير : ١٦٥ والإتحاف : ٣٣ والبحر ٦/ ٥١٢ .

(٣) المصباح المنير : ٢/ ٥٥٨ وينظر اللسان : (ل ق ى) ١٥/ ٢٥٤.

- قراءات شاذة :

(ل) - الفعل : (يحلون) من قوله تعالى :

﴿... يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ...﴾ الحج / ٢٣.

قرأ ابن عباس (1) : (يَحْلَوْن) بسكون الحاء وفتح الياء واللام وتخفيفه بضمة طويلة (واو الضمير).

من (حَلِيَ يَحْلَى) اذا صار ذا حلى (2).

فالفعل من (حَلِيَ يَحلَى) على (فَعِلَ يَفْعَل) ، وفي دلالته واشتقاقه يقول ابن جنى : " هذا من قولهم : لم أحْلَ منه بطائل ، أى : لم أظفر منه بطائل ، فيجعل ما يُحَلَّون به هناك أمرا ظفروا به ، وأوصلوا إليه والحِلية راجعة المعنى إليه ، وذلك أن النفس تعتدها مظفورا به موصولا إليه (3) ".

وانتهى ابن جنى الى أن القراءة مأخوذة من الحلية ، لأن الحِلْيَة من الحَلِي فهي من (الياء) ومن ذلك قولهم : امرأة حالية ، أى ذات حَلْي بالياء . ومنها (يَحْلَوْن) . والقراءة بذلك أقوى من ما حليت منه بطائل ، لأنه لا يستعمل إلا مع النفي .

وقد أورد ابن مالك في دلالة الفعل اليائي ما يؤكد رأى ابن جنى فقال : حَلِيَ الرجل بالشيء : ظفر ، والعيش ، وغيره : استحلاه والشيء : حَسُن ، والمرأة : لبست الحلى (4) ".

---

(1) شواذ القراءات للكرماني : ورقة : ١٦٢ وينظر شواذ القراءات لابن خالويه : ٩٤.

(2) إعراب القرآن للنحاس : ٣٩٥/٢.

(3) المحتسب : ٧٧/٢ وينظر البحر المحيط : ٣٦٠/٦ والحجة لأبي زرعة : ٤٧٤.

(4) إكمال الإعلام بتثليث الكلام : ١٦١/١ وينظر الأفعال لابن القوطية : ٢٤٦-٢٤٧ وتصحيح الفصيح : ٢٤٧/١.

فالفعل : (يَحلَون) على صيغة (يَفعَل) بالفتح في المستقبل والكسر في الماضي (فَعِل) من أصل يائي . وقد نبه ابن جني في موضع آخر على الفرق بين اليائي والواوي من هذا الفعل فقال : " ومن ذلك قولهم : (حَلا) الشيء في فمي يحلو ،و (حَلِي) بعيني ، فاختاروا البناء للفعل على (فَعَل) فيما كان لحاسة الذوق ،لتظهر فيه الواو ،وعلى (فَعِل) في (حَلِي) يَحلَى لتظهر الياء والألف ،وهما خفيفتان ضعيفتان إلى الواو ".(١)

فكل صيغة اختصت بدلالة ،أي أنهم فرقوا بين الدلالتين بتغيير صوائت الصيغة ، وكان الصوت الأقوى للمعنى الأقوى والصوت الأضعف للمعنى الأضعف .

(ق) - الفعل : (تلقونه) من قوله تعالى :

* إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ ... * النور / ١٥

قرأ ابن السميفع : (تَلْقَونه) بفتح التاء والقاف ،وسكون اللام، مضارع (لقى) .(٢)

---

(١) المحتسب : ٢/١٩ .

(٢) البحر المحيط : ٦/٤٣٨ ،وينظر المحتسب : ٢/١٠٤ .

في هذه المجموعة من الأفعال سقطت الألف (لام يَفعَل)،
(واو الضمير)
لوقوعها بين فتحة قصيرة وضمة طويلة،/فتلتقى الفتحة القصيرة بالضمة الطويلة، مكونة بذلك حركة مزدوجة (ـَـو) .

ج : تقصير (لام) يَفعَل :

- قراءات متواترة :

(ن) - الفعل : (يغن) من قوله تعالى :

* ... فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ... * يونس/ ٢٤.

رسم المصحف : (يغنَ) بفتح (النون) من الفعل المعتل اللام : غَنِى (يَغْنَى).

(س) - الفعل : (تنس) من قوله تعالى :

* ... وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ... * القصص / ٧٧.

رسم المصحف : (تنسَ) بفتح السين من النسيان، بكسر النون : ضد الذاكرة الحفظ، نسيه نسيا ونسيانا ونسوة ونساوة ونساوة، الأخيرتان على المعاقبة.(١)

وبذلك يكون مستقبل الفعل معتل اللام بالألف من نَسِي (يَنسَى).

لقد أدى الجزم إلى سقوط الصامت الثالث من يفعل (الألف)، أى أن الحركة الطويلة قصرت واكتفى بالحركة القصيرة (الفتحة).

---

(١) اللسان : (ن س ى) ١٥/ ٣٢٢.

الطائفة الثانية :

أ - إحلال الياء (كسرة طويلة) محل المقطع الأخير في (يفعِل)من (فعَل) .

- قراءات متواترة :

(م) - الفعل : (ترمي) من قوله تعالى :

﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴾ المرسلات / ٣٢.

رسم المصحف : (ترمي) بكسرة طويلة ، من رمى (يرمي) رميا فهو رام".[1] و" الرمي يقال في الأعيان كالسهم والحجر".[2]

(و) - الفعل : (تهوى) من قوله تعالى :

﴿... فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ..﴾ إبراهيم / ٣٧.

قرأ الجماعة : (تهوِي إليهم) بكسرة طويلة .[3]

وقد تعقب ابن جني دلالة الفعل فقال : " تَهوِي إليهم " بكسر الواو فتميل إليهم ، أي تحبهم ، فهذا في المعنى كقولهم : فلان ينحط في هواك ، أي يخلد إليه ، ويقيم عليه ، وذلك أن الإنسان إذا أحب

---

(١) اللسان : (رمى) ١٤/ ٣٣٥.

(٢) المفردات في غريب القرآن : ٢٩٦. للراغب الأصفهاني (تحقيق د / محمد أحمد خلف الله ، مكتبة الأنجلو المصرية) .

(٣) المحتسب : ١/ ٣٦٤.

شيئا أكثر من ذكره ،وأقام عليه ،فإذا كرهه أسرع عنه وخفّ إلى سواه ..."[1].

وتناوله أبو حيان فقال[2] : " (تهوِى إليهم) تسرع إليهم وتطير نحوهم شوقا و نزاعا ".

ومن تتبع دلالة الفعل (تهوى) في لسان العرب[3] نجده ورد بمعنى : (سقط) و (أسرع) ثم انتهى إلى معنى الميل والحب كما هو في الآية . (توسع دلالي).

والفعل (تهوى) كما هو في القراءة لفيف مقرون[4] عينه ولامه حرفا علة ولا يكون إلّا على (فَعَل يفعِل) و (فعِل يفعَل).

وفي هذه القراءة ورد الفعل اللفيف المقرون على (يفعِل) بكسر (الواو) إلّا أن الإعلال عرض للام الصيغة ،فقد أدّى اجتماع الكسرة وضمة الرفع إلى سقوط (الياء) لتنافر الحركتين المتتابعتين ، ثم أدغمت الضمة في الكسرة وأشبعت الكسرة (تَهوِيُ) ← (تَهوِي).

---

(١) المحتسب : ١/ ٣٦٤.

(٢) البحر المحيط : ٥/ ٤٣٣ وينظر : الكشاف : ٢/ ٣٨٠.

(٣) ينظر اللسان : (هـ و ى) ١٥/ ٣٧١ وينظر الصحاح : ٦/ ٢٥٣٨.

(٤) سمى اللفيف " لاجتماع حرفي علة فيه يقال للمجتمعين من قبائل شتى : لفيف . وأما المقرون : فلمقارنة الحرفين لعدم الفاصل بينهما " شرح مختصر التصريف العزي : ١٥٧.

(ل) - الفعل : (يغلى) من قوله تعالى :

* كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * الدخان / ٤٥.

رسم المصحف : (يَغلى) بكسرة طويلة ، من غلا (يغلى)

من باب ضرب ... وفي لغة : غليت (تغلى) من باب (تعب) ...

والأولى هى الفصحى ، وبها جاء الكتاب العزيز (١).

(ز) - الفعل : (تجزى) من قوله تعالى :

* وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا..* البقرة / ٤٨.

رسم المصحف : (تَجزى) بكسرة طويلة من جزى الأمر (يجزى)

جزاء مثل : قضى يقضى قضاء وزنا ومعنى (٢).

الأفعال السابقة : يرمى ، يهوى ، يغلى ، يجزى ،

سقطت منها (لام) الفعل وهي (الياء) وعوض موقعها بكسرة

طويلة .

---

(١) المصباح المنير : ٢/ ٤٥٢-٤٥٣.

(٢) السابق ١/ ١٠٠ وينظر ديوان الأدب : ٤/ ٨٤.

والتفسير الصوتي لسقوط (لام) الفعل وقوعها بين حركتين متباعدتين هما : الكسرة والضمة (ـِ ى ـُ) الكسرة حركة (العين) والضمة حركة الإعراب. ففي هذه الحالة سقطت الياء تخلصا من الثقل لاجتماع الياء والضمة التي تليها ،ثم أدغمت الضمة في الكسرة إدغام تأخري (١) وعوض موقع الياء بطول الكسرة . فالياء في الأفعال السابقة ما هي إلا كسرة طويلة وليست لام (يفعل) وقد تم التعويض بحركة طويلة مماثلة لحركة العين .

وبذلك حافظت الأفعال السابقة على وزن الصيغة (يفعِل) باستبقاء كسرة العين مع سقوط لام (يفعِل).

وقد أحس القدماء بثقل الضمة على ياء مكسور ما قبلها فحذفوها . (٢)

ب -: إحلال واو الضمير محل المقطع الأخير: (يَفْعِل) من (فَعَل) :

- قراءات متواترة :

(و) - الفعل : (تلووا) من قوله تعالى :

﴿... وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾

النساء / ١٣٥.

* اختلفوا في(...تلووا) : فقرأ ابن عامر وحمزة : (تلُوا) بضم اللام وواو ساكنة بعدها . وقرأ الباقون : (تلْووا) بإسكان اللام ،

---

(١) التصريف العربي : ٥٢.

(٢) ينظر شرح الملوكي : ٣٤٥.

وبعدها واوان ،أولاهما مضمومة والأخرى ساكنة".(١)

أمامنا قراءتان ،الأولى : معتلة الفاء واللام من (ولى يلي) لفيف مفروق ،والثانية : معتلة العين واللام من الفعل (لوى يلوى). لفيف مقرون . وكلاهما على فعَل (يفعِل).

ولذلك فحجة من قرأ بواو واحدة : "أنه جعله من الولاية يريد : وإن تلوا ذلك ،أو تتركوه . معناه : أو تعرضوا عنه تاركين له ، وأصله : (تَوْلِيُوا) فخزلت الواو الأولى لوقوعها بين ياء وكسرة ،وخزلت الياء لوقوع الحركة عليها ، وضمت اللام لمجاورة الواو ."(٢)

فالفعل من (ولى يلي) عند الإسناد حذفت (فاؤه ولامه). وأقيم الفعل على صوت العين ، بسبب الإعلال . ثم ضمت اللام لمناسبة الواو ، لتصبح ضمة طويلة .

أما القراءة الثانية فالحجة لمن قرأ بواوين : جعله فعلا من : (لويت حقه) ، وأصله : (تَلْوِيُوا) فاستثقلت الضمة على الياء فحذفت ، وخزلت الواو (الياء) لالتقاء الساكنين ، ثم ضمت الواو الأولى لمجاورة الثانية ."(٣)

----

(١) النشر : ٢٥٢/٢ . وينظر : السبعة : ٢٣٩ ،وغيث النفع : ١٩٦ ، والتيسير : ٩٧ . والاتحاف : ١٩٥.

(٢) الحجة لابن خالويه : ١٢٧. وينظر الكشف : ٣٩٩/١.

(٣) الحجة لابن خالويه : ١٢٧ وينظر الكشف : ٤٠٠/١ ، والحجة لأبي زرعة : ٢١٥.

فالواو الأولى عين الفعل ، والثانية واو الجماعة وتتوسطهما الضمة لمناسبة واو الجماعة على هذه الصورة (ـُ و + ـُ و) ، فهذه الواو الأخيرة تعد من الناحية الصوتية ضمة طويلة (ـو) وقد نتج ذلك عن حذف لام الفعل تخلصا من اجتماع الساكنين .

فالقراءتان تعرضت أصواتها لحالتين من السقوط (إعلال بالحذف) . فالقراءة الأولى (تلوا) من (ولى) سقطت فاؤها ، تأثرا بصائت الكسر من (يَفعِل) ، كما سقطت لامها ، والثانية (تلووا) من (لوى) ، احتفظت بعين الصيغة (الواو) وسقطت لامها .

وقد رجح أن القراءتين بمعنى واحد من (اللي) ، لأن "(اللى) في الشيء العوج فيه ، والعوج في الحق الإعراض عن اقامته "(1) .

(ن) ـ الفعل : (يزنون) من قوله تعالى :

﴿... وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ...﴾

الفرقان / ٦٨ .

رسم المصحف : (لا يَزْنُونَ) من " زنى الرجل (يزنى) زِنىً مقصورة ، وزناء ممدودة "(2) والفعل (يزنون) بضمة طويلة (واو الضمير) .

ـ الفعل : (أتبنون) من قوله تعالى :

﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً ... ﴾ الشعراء / ١٢٨ .

رسم المصحف : (أَتَبْنُونَ) بضمة طويلة (واو الضمير) من " بنى (يبنى) "(3) .

---

(1) الكشف : ١/٣٩٩ وينظر : اللسان : (ل و ى) ١٥/٤١٣ ، والتهذيب : ١٥/٤٦٢ .

(2) اللسان : (ز ن ى) ١٤/٣٥٩ .

(3) السابق : (ب ن ى) ١٤/٩٤ وينظر ديوان الأدب : ٤/٨٨ .

- الفعل : (يثنون) من قوله تعالى :

* أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ...* هود / ٥٠

قرأ الجمهور : (يَثْنُون) على فتح الياء وضم النون مضارع (ثنى) .(١)

فالفعل بضمة طويلة(واو /) الضمير من ثنى الشيء : ردّ بعضه على بعض ... وثنيت الشيء ثَنيا : عطفته .(٢)

(ر) - الفعل : (يشرون) من قوله تعالى :

* فَلْيُقَـٰتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ...* النساء / ٧٤٠

رسم المصحف : (يَشْرُونَ) بضمة طويلة(واو/) الضمير من شرى الشيء (يَشْريه) شرى وشراء ... باعه ".(٣) وهذا الفعل من الأضداد .(٤)

(ك) - الفعل : (ولا تبكون) من قوله تعالى :

* وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ * النجم / ٦٠٠

رسم المصحف : (تَبْكُونَ) بضمة طويلة(واو/) الضمير من " بكى (يبكى) بكاء وبكى ،قال الخليل من قصره ذهب به إلى معنى الحزن ، ومن مده ذهب به إلى معنى الصوت ."(٥)

فالفعل في الآية بمعنى الحزن.

---

(١) البحر المحيط : ٥/٢٠٢ وينظر : إملاء ما من به الرحمن : ٢/ ٣٤٠

(٢) اللسان :(ث ن ى) ١٤/ ١١٥٠

(٣) اللسان : (ش ر ى) ١٤/ ٩٤ ،وينظر ديوان الأدب : ٤/ ٨٨٠

(٤) الأضداد لابن السكيت : ١٨٥ ضمن ثلاثة كتب في الأضداد .

(٥) اللسان : (ب ك ى) ١٤/ ٨٢ وينظر ديوان الأدب : ٤/ ٨٧٠

هذه الأفعال كسابقتها معتلة الآخر بالياء ولكنها منتهية بواو الجماعة مُشكِّلة بذلك ضمة طويلة ،في حين انتهت الأفعال السابقة بكسرة طويلة .

والتفسير الصوتي لنهايات هذه المجموعة من الأفعال أن(الياء) لام (يَفعِل) وقعت بين كسرة وضمة طويلة (واو الجماعة) فثقل النطق بالياء مما أدّى إلى سقوطها و بالتالي سقوط الكسرة السابقة لها ،أي " سقطت اللام مع المزدوج بعنصرية "[1] لتلتقي بعد ذلك عين (يَفعِل) بواو الجماعة فتحركت بالضم على سبيل المماثلة تأثر رجعي) .

ج : تقصير الكسرة الطويلة :

- قراءات متواترة :

(ف) - الفعل : (يشف) من قوله تعالى :

﴿... وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴾ التوبة / ١٤ .

رسم المصحف : (يَشْفِ) بتقصير الكسرة الطويلة من الفعل :

" شفى الله المريض يشفيه من باب رمى شِفاءً : عافاه "[2].

(ن) - الفعل : (ابن) من قوله تعالى :

﴿... يٰهٰمٰنُ ابْنِ لِى صَرْحًا...﴾ غافر / ٣٦ .

رسم المصحف : (ابْنِ) بتقصير الكسرة الطويلة ،وأصل الفعل :

---

(١) المنهج الصوتي للبنية العربية : ٩٢ .

(٢) المصباح المنير : ٣١٩/١ وينظر اللسان : (شرف ى) ٤٣٦/١٤ .

(بنى يبنى) بالياء .

(د) - الفعل : (اهدك) من قوله تعالى :

*... فَاتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * مريم / ٤٣.

رسم المصحف : (أَهْدِك) بتقصير الكسرة الطويلة ، وأصل الفعل : (هدى يهدي) بالياء .

(ض) - الفعل : (فاقض) من قوله تعالى :

*... فَاقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ... * طه / ٧٢.

رسم المصحف : (فَاقْضِ) بتقصير الكسرة الطويلة وأصل الفعل : " قضى (يقضي) قضاء فهو قاض إذا حكم وفصل ".(١)

في هذه المجموعة من الأفعال قصرت الكسرة الطويلة لتصبح كسرة قصيرة . ويرجع هذا التقصير إلى تأثير عامل الجزم الذى يؤدى إلى حذف آخر الفعل المعتل.(٢)

---

(١) اللسان : (ق ض ى) ١٥ / ١٨٦.

(٢) سيرد تفسير هذه الحالة في الصيغة التالية : (فَعَل يفعُل).

الطائفة الثالثة :

أ - إحلال الواو (ضمة طويلة) محل المقطع الأخير في (يفعُل)
من (فعَل) :

- قراءات متواترة :

(ب) - الفعل : (ليربوا) من قوله تعالى :

﴿ وَمَا ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا.. ﴾ الروم / ٣٩.

« كلهم قرأ : (لِيَرْبُوَا) بالياء مفتوحة الواو ». (١)

والفعل : (ليربوا) بضمة طويلـــــة ، من ربا الشيء (يربو)
رُبُوّاً ... زاد ونما ». (٢)

---

(١) السبعة : ٥٠٧ وينظر التبصرة : ٢٩٢ والعنوان : ٥١ ،
والتيسير : ١٧٥ والكشف : ٢/ ١٨٤.

(٢) اللسان : (ربى) ١٤/ ٣٠٤ وينظر ديوان الأدب : ٤/ ٧٠

(ل) ـ الفعل : (تبلو) من قوله تعالى :

﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ...﴾ يونس / ٣٠.

رسم المصحف : (تبلوا) بضمة طويلة . يقال : بلاه يبلوه بلواً اذا جرّبه واختبره.(١)

(ج) ـ الفعل : (يرجو) من قوله تعالى :

﴿... فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ...﴾ الكهف / ١١٠.

رسم المصحف : (يرجو) بضمة طويلة من رجاه يرجوه (رجوا) (٢) والفعل من الاضداد ، فالرجاء يكون طمعا ويكون خوفا وقد جاء في القرآن في معنى الطمع ، ومنه قوله تعالى : ﴿ويرجون رحمته﴾ الإسراء/ ٧٥ . وفي معنى الخوف : "يرجو لقاء ربه" بلهجة هذيل وكنانة ونصر وخزاعة (٣) ، قال الهذلي :

إذا لسعته النَّحلُ لم يَرْجُ لسعَها
وحالفَها في بيت نُوبٍ عواملِ.(٤)

أى لم (يخف) لسعها .

(ك) ـ الفعل : (أشكو) من قوله تعالى :

﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ...﴾ يوسف / ٨٦.

رسم المصحف : (أشكو) بضمة طويلة من "شكاه يشكوه شكاة يستعمل في المَوجدة والمرض".(٥)

---

(١) اللسان : (ب ل ى) ١٤/ ٨٣.
(٢) القاموس المحيط : ٤ / ٤٣٩.
(٣) الاضداد للسجستاني: ٨٠ ضمن (ثلاث كتب في الاضداد) وينظر اللغات في القرآن : ٣٤.
(٤) لابي ذؤيب الهذلي ، ديوانه : ١٤٣ ، والبيت من البحر (الطويل) . وينظر غريب القرآن لابن قتيبة ٢٧١ ومعاني القرآن للفراء : ١/ ٢٨٦.
(٥) اللسان : (ش ك ى) ١٤/ ٤٣٩.

ب : إحلال واو الضمير محل المقطع الأخير في (يَفْعُل) من (فَعَل) :

- قراءات متواترة :

(ف) - الفعل : (تعفوا) من قوله تعالى :

﴿... وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ...﴾ البقرة / ٢٣٧.

رسم المصحف : (تَعْفُو‌ا) بضمة طويلة (واو/ الضمير) يقال : عفا يعفو عفوا ، فهو عافٍ وعفو . . . وكل من استحق عقوبة فتركتها فقد عفوت عنه . . . مأخوذة من قولهم عفت الرياح الآثار إذا درستها ومحتها.(١)

ويبدو أن دلالة الفعل تطورت من الأمر المادي : المحو إلى الأمر المعنوي وهو محوها في النفس .

(د) - الفعل : (لا تعدوا) من قوله تعالى :

﴿... وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ...﴾ النساء / ١٥٤.

رسم المصحف : (تعدوا) بضمة طويلة (واو/ الضمير) : من عدا عليه يَعْدُو عَدْوا وعُدُوّا . . . ظلم وتجاوز الحد .(٢)

(ط) - الفعل : (يسطون) من قوله تعالى :

﴿... يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا...﴾

الحج / ٧٢.

رسم المصحف : (يَسْطُون) بضمة طويلة (واو / الضمير). سطا به

---

(١) اللسان (ع ف ى) : ١٥/ ٧٢ وينظر : ديوان الأدب : ٤/ ٧٨.

(٢) المصباح المنير : ٢/ ٣٩٧.

(يسطو) سَطْواً وسَطْوَةً : قهره وأذله وهو البطش بشدة.[1]

وقيل : فلان يسطو على فلان أي يتطاول عليه.[2]

(ل) - الفعل : (تغلوا) من قوله تعالى :

﴿... لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ...﴾ النساء / ١٧١.

رسم المصحف : (لا تغلو) بضمة طويلة (واو/ الضمير) ، من "غلا في الدين والأمر (يغلو) غُلُوّاً : جاوز حدّه".[3]

(ج) - الفعل : (ارجوا) من قوله تعالى :

﴿... اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ...﴾ العنكبوت / ٣٦.

رسم المصحف : (ارجوا) بضمة طويلة (واو/ الضمير) من رجا (يرجو).

*

- قراءات شاذة :

(غ) - الفعل : (والغوا) من قوله تعالى :

﴿... لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ...﴾ فصلت / ٢٦.

قرأ عبد الله بن بكير السلمي وابن أبي إسحاق وعيسى :

(والغُوا فيه) بضم الغين[4] على أنه لهجة كما يقول أبو حيان :

"بضم الغين مضارع (لَغَى) بفتحها ، وهما لغتان".[5]

---

(١) المصباح المنير : ١/ ٢٧٦ وينظر ديوان الأدب : ٤/ ٧٦.

(٢) اللسان (س ط ى) : ١٤/ ٣٨٤.

(٣) اللسان (غ ل ى) : ١٥/ ١٣٢.

(٤) ينظر شواذ القراءات : ١٣٣.

(٥) البحر المحيط : ٧/ ٤٩٤.

وكان الأخفش موفقا عندما حكم لهذه اللهجة بالقياس فذكر بأن "(لغَا يلغَى) بفتح الغين وقياسه الضم لكنه فتح لأجل حرف الحلق ".(١)

وبالوقوف على مادة الفعل في اللسان نقرأ : " ولغَا في القول (يَلغُو) و (يَلغَى) لغوًا ولغِي بالكسر (يَلغَى) لغا وملغا : أخطأ وقال باطلا ".(٢)

فالفعل (لغا) وردت في مستقبله ثلاث لهجات :

الأولى : بالضم على الأصل والقياس (لغا يلغو) على (فعَل يفعُل).

الثانية : بالفتح ، روعي فيها صوت الحلق (لغَا يلغَى) على (فعَل يفعَل).

الثالثة : بالفتح على المغايرة (لغِي يلغَى) على (فعِل يفعَل).

وكلها متفقة الدلالة من " اللغو واللغا : السقط وما لا يعتد به من كلام وغيره ".(٣)

فالقراءة بضم (الغين) في الفعل الحلقي (العين) المعتل (اللام) جاءت على الأصل والقياس في مغايرة المستقبل للفعل الماضي (لغا) بالفتح على (فعَل) . ومما يعزز القياس في لهجة الضم كون الفعل لازماً غير متعد .

---

(١) البحر المحيط : ٧/ ٤٩٤.

(٢) اللسان : (ل غ و) ١٥/ ٢٥٠.

(٣) السابق (ل غ و) ١٥/ ٢٥٠.

(غ) ـ الفعل : (تطغوا) من قوله تعالى :

﴿... وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي...﴾ طه / ٨١.

" قرأ زيد بن علي : (ولا تطغُوا فيه) بضم الغين ."[1] من "طغا يطغَى و (يطغُو) طغيانا ،أى جاوز الحد ".[2] فالفعل المعتل اللام بالواو حلقي العين ، مضمومها على القياس والأصل على (فعَل يفعُل).

فالضم في جميع الأفعال السابقة قياسي بالإجماع" إن كان (فَعَل) معتلا ، وكانت عينه أو لامه واوًا لزم المستقبل منه (يَفعُل) بضم العين نحو : قال يقول ،وقام يقوم ،وغزا يغزو ،ورجا يرجو ."[3]

وقد ضمت العين في بعض الأفعال (لغَا يلغُو) و (طغَا يطغُو) وعينها حلقية مما يترتب عليه الفتح اتباعا لصوت الحلق ، إلّا أن سيبويه أجاز مجيء حلقي العين أو اللام على الأصل[4] خلافا لابن مالك الذى اشترط في التسهيل[5] لضم عين المضارع مما لامه واوا إلّا تكون عينه حرف حلق ،وزعم أنه إن كانت عينه حرف حلق فتحت في مضارعه أيضا.[6]

---

(١) البحر المحيط : ٢٦٥/٦.

(٢) اللسان : ٧/١٥ وينظر القاموس المحيط : ٣٥٦/٤.

(٣) التبصرة والتذكرة : ٧٤٤/٢ وينظر شرح الشافية : ١١٨/١ وشرح الملوكي : ٥٩ .

(٤) الكتاب : ١٠٢/٤-١٠٣.

(٥) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد : ١٩٧.

(٦) شرح بحرق اليمنى بهامش أحمد الرفاعي : ٣٩.

وقد ردّ أحد شراح اللامية رأي ابن مالك هذا قائلا : " فإني لما تتبعت مواده من الصحاح والقاموس وجدت غالب حلقي العين مضموما كدعا يدعو، ولغا يلغو، ولها يلهو ، وسخا يسخو ، وصحا الجو يصحو ".(١)

وقد أدى تتابع حركتين متماثلتين (ضمتان بينهما واو) إلى نوع من الثقل فسقطت الواو للتخفيف - ويرجع ذلك إلى طبيعة الصيغة (يفعل) التي توجب ضم (العين) الصامت الأوسط .

ففي هذه الأفعال التي قرئ بها : (يربو ، تبلو ، ترجو ، أشكو) غير المسندة وقعت (الواو) بين حركتين متماثلتين (ضمة + و + ضمة) أي (ـُ و ـُ) وللتخفيف حذفت الواو ، فالتقت الضمتان القصيرتان مكونة ضمة طويلة فالواو المنتهية بها مجموعة الأفعال (غير المسندة) ضمة طويلة ، وليست لام الفعل (الصامت الثالث) . هذا ما يقوله التفسير الصوتي الحديث .

على حين ذهب القدماء إلى أن المحذوف هو الضمة الأخيرة (علامة الإعراب) . يقول ابن عصفور : " وما كان من هذه الأفعال المضارعة في آخره (واو) أو (ياء) فإنه يكون في موضع الرفع ساكن الآخر نحو (يغزو) و (يرمي) فتحذف الضمة لاستثقالها في الياء والواو ، لأنها مع الواو بمنزلة واوين ، ومع الياء بمنزلة ياء وواو . وذلك ثقيل ".(٢)

---

(١) شرح بحرق اليمني : ٣٩ .

(٢) الممتع : ٢/٥٣٥ .

فالقدماء أحسُّوا بثقل التتابع بين أصوات اللين . فحذفوا الضمة وبذلك تكون (الواو) في نهاية الفعل عندهم هي (لام الكلمة) بينما هي عند المحدثين (ضمة طويلة) ،ففي التفسير الصوتي الحديث لا تسبق الواو بضمة ، لأنّ الواو حينئذ تكون هي (الحركة) إلا أنها أكثر في كميتها من الضمة ولذلك تسمى بالضمة الطويلة .

فالاختلاف بين الطرفين جذرى وإن اتفقا في النهاية حول رسم الكلمة . وحسب القدماء احساسهم بثقل الصيغة ونزعتهم إلى التخفيف . معتمدين في ذلك على الملاحظة الشخصية . بينما تقوم دراسة المحدثين على نتائج معملية .

أما الواو المنتهية بها مجموعة الأفعال المسندة فهي واو الجماعة ." وقد سقطت اللام مع المزدوج بعنصرية ،وقد كان الموجود قبل الإسناد هو العنصر الأول من المزدوج ،أى أن الفعل بلا لام حتى قبل الإسناد . ولكن عين الفعل أصبحت حركتها هي (واو الجماعة أو ياء المخاطبة) فيما لا مه ياء أو واو ." (١)

وقد جاءت تعليلات القدماء قريبة من تفسيرات المحدثين حيث تسقط لام الصيغة عند الاسناد . الا أنهم يشترطون ضم ما قبل واو الجماعة لمناسبة الواو .

----

(١) المنهج الصوتي للبنية العربية : ٩٢ وينظر التصريف العربي : ٥١ - ٥٢ .

ثج : تقصير الضمة الطويلة :

- قراءات متواترة :

(ف) - الفعل : (اعف) من قوله تعالى :

﴿... وَاعْفُ عَنَّا واغْفِرْ لَنَا ...﴾ البقرة / ٢٨٦.

رسم المصحف : (اعفُ) بتقصير الضمة الطويلة ، من (عفا يعفو) .

(د) - الفعل : (تعد) من قوله تعالى :

﴿... وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ...﴾ الكهف / ٢٨.

قرأ الجمهور : (ولا تَعْدُ) بتقصير الضمة الطويلة من عدا (يعدو) عدوا.(١) على نسبة الفعل إلى العينين (٢) أى لا تصرف عيناك النظر عنهم .(٣)

(ل) - الفعل : (واتل) من قوله تعالى :

﴿ واتْلُ عَلَيْهِم نَبَأَ ابْنَيْ ءَادَمَ .. ﴾ المائدة / ٢٧.

رسم المصحف : (اتلُ) بتقصير الضمة الطويلة من تلا (يتلو) تلاوة يعنى قرأ قراءة .(٤)

---

(١) المصباح المنير : ٣٩٧/٢ .

(٢) إملاء ما من به الرحمن : ١٠١/٢.

(٣) البحر المحيط : ١١٩/٦.

(٤) اللسان : (ت ل ى) ١٠٤/١٤ وينظر ديوان الأدب : ٧٩/٤.

(ل) ـ الفعل : (يخل) من قوله تعالى :

﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ... ﴾ يوسف/ ٩

رسم المصحف : (يَخْلُ) بتقصير الضمة الطويلة من " خلا المكان والشيء (يخلو) خُلُوًّا وخلاء وأخلى إذا لم يكن فيه أحد ولا شيء فيه ، وهو خال . "(١)

(ش) ـ الفعل : (يعش) من قوله تعالى :

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا... ﴾ الزخرف/ ٣٦.

قرأ الجمهور : (يَعْشُ) بضم (الشين) ، أي يتعامى ويتجاهل عن ذكره ".(٢) من عشا يعشو : إذا لحقه ما يلحق الأعشى ، قال الخليل : العشو هو النظر ببصر ضعيف ،(٣) وأنشد :

متى تَأْتِهِ تَعْشُو إلى ضَوْءِ نارِهِ
تَجِدْ خيرَ نارٍ عندها خيرُ مُوقِدِ ".(٤)

(ع) ـ الفعل : (فادع) من قوله تعالى :

﴿... فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ... ﴾ البقرة / ٦١.

رسم المصحف : : (فَادْعُ) بتقصير الضمة الطويلة من " دعا (يدعو) دعوة ودعاء ".(٥) ومعناه في الآية : سل .

----

(١) اللسان : (خ ل ى) ١٤/ ٢٣٧.
(٢) البحر المحيط : ٨/ ١٥ وينظر الكشاف : ٣/ ٤٨٧.
(٣) تفسير القرطبي : ١٦/ ٨٨ وينظر البحر المحيط : ٨/ ١٦.
(٤) البيت للحطيئة من البحر (الطويل) ورد في الديوان : ١٦١ بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني (تحقيق نعمان أمين طه ، ط: أولى ، مطبعة البابي الحلبي بمصر ، ١٩٥٨ م) ، وإصلاح المنطق : ١٩٨ ، وديوان الأدب : ٤/ ٧٥ واللسان : (ع ش ى) ١٥/ ٥٧.
(٥) اللسان : (د ع ى) ١٤/ ٢٦١.

في هذه الطائفة من الأفعال (أعد) (تعد) (واتل) (يخل) (فادع) (يعش) .

أدى الجزم إلى تقصير صوت المد (الواو) (الضمة الطويلة) والانتقال من المقطع الطويل المفتوح (ص + ح + ح) إلى المقطع القصير المفتوح (ص + ح) .

وقد اختلف الصرفيون في تأثير الجازم على هذه الأفعال كما ذكر ابن يعيش : "فقال قوم : إن الجازم حذف الضمة المقدرة في (يغزو) و (يرمي) و (يخشى) ، وحذف الواو والياء إنما كان لينفصل لفظ المجزوم عن لفظ المرفوع ، ولا يستويان ، كما كان ذلك في الصحيح نحو قولك : (يضربُ) و (لم يضربْ).

وقال قوم : - وهو المذهب - إن الجازم حذف هذه الحروف أنفسها ، لأنهن وإن كن من أنفس الكلم فقد أشبهن الحركات ، من حيث أن مخارج هذه الحروف هي الحركات ، وهن أصول للحركات عندنا ".(١)

فالجزم في المعتل يتم بإحدى الصورتين :

١ - حذف الحركة المقدرة وحذف (الواو والياء) من آخر الفعل .

٢ - حذف صوت العلة مباشرة من آخر الفعل . وهو ما يتفق مع التفسير الحديث .

---

(١) شرح الملوكي : ٣٤٦ وينظر : الممتع : ٢/٥٣٥ وديوان الأدب : ٤/ ٨١ .

فالرأى الأول يعامل (الواو والياء) وكأنهما صوامت.

وقد تم الجزم فيه على مرحلتين :

١ - حذف الصائت (الضمة المقدرة).

٢ - حذف الصامت (الواو أو الياء) للفرق بين المجزوم والمرفوع وهو تعليل لا يستند إلى أساس صوتي ،كما أنه بعيد عن واقع اللغة ، خاصة وأن هناك فرق بين الصحيح والمعتل من حيث الأصل والتركيب المقطعي .

على حين وجدنا الرأى الثاني أقرب إلى التفسير الصوتي الحديث . فالواو والياء في آخر الفعل (حركات طويلة) وليست صوامت، ولذلك حذفت مباشرة لأنها بمثابة الحركة ولو أنه قال قصرت الحركة جاء متفقا تمام الاتفاق مع التفسير الحديث .

وحسب ابن يعيش هذا الإحساس الصوتي في زمانه .

أما التفسير الصوتي الحديث فيذهب في هذه الحالة إلى تقصير الحركة الطويلة في آخر الفعل ،لأن لام الفعل عنده سقطت لأسباب مقطعية كما ذكرنا. وعوض موقعها بحركة قصيرة .

رابعا : في المقطع الأخير من صيغ المماثلة :

أ - إحلال الألف (فتحة طويلة) محل المقطع الأخير في (يفعَل) من (فعَل) :

- قراءات متواترة :

(ع) - الفعل : (ولتصغى) من قوله تعالى :

﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ... ﴾

الأنعام /١١٣.

رسم المصحف : (لتصغى) بفتحة طويلة (الألف) ، من صغا اليه يصغى ... مال ".(١)

(ع) - الفعل : (تسعى) من قوله تعالى :

﴿ ... لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ طه / ١٥.

رسم المصحف : (تسعى) بفتحة طويلة (الألف) ، من سعى يسعى سعيا ... قال الزجاج : أصل السعي في كلام العرب التصرف في كل عمل ".(٢) وهذا أحد الوجوه التي ورد عليها هذا الجذر (س ع ى) في القرآن وهي : (١- الاسراع في المشي ، ٢ - المبادرة بالعزم ، ٣ - العمل .(٣)

(ح) - الفعل : (لا تضحى) من قوله تعالى :

﴿ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ طه / ١١٩.

رسم المصحف (تضحى) بفتحة طويلة (الألف) من ضَحَى يَضحَى ضَحْواً وضُحُوّاً وضُحِيّاً برز للشمس ، وضحا الرجل وضَحِيَ (يَضحَى) في اللغتين معا ضُحُوّاً وضُحِيّاً : أصابته الشمس ".(٤)

---

(١) اللسان : (ص غ ى) ١٤/ ٤٦١.

(٢) السابق : (س ع ى) ١٤/ ٣٨٥.

(٣) الأشباه والنظائر للثعالبي ١٦٩- ١٧٠.

(٤) اللسان : (ض ح ى) ١٤/ ٤٧٧.

هذه الألف في نهاية كل فعل لا تمثل لام الكلمة الأصلية وإنما الأصل فيها الياء . وقد سقطت الياء وعوض عنها بطول حركة العين .

والتفسير الصوتي لهذا السقوط هو انزلاق الياء بين فتحة وضمة وتخلصا من ثقل اجتماع الياء وبعدها ضمة سقطت الياء أحد عنصري المزدوج وعوض عنها بطول حركة العين (الفتحة) (ـَ ـ ـُ) ← فتحة طويلة .

أما تفسير الصرفيين للمعتل الآخر فيما كان حلقي العين نحو قولك : (صغا يصغا) و (طغى يطغى) ... وقالوا (محا يمحا) وأن المضارع منها جاء على (يَفعَل) بالفتح واللام (واو)، لمكان حرف الحلق ،وانقلبت الواو والياء (ألفا) لتحركها وانفتاح ما قبلها.(١)

فالفعل في الأصل عندهم إمّا (واوي) و إمّا (يائي).

ب : إحلال واو الضمير محل المقطع الأخير من (يفعَل) وتكوين المزدوج :

- قراءات متواترة :

(غ) - الفعل (والغوا) من قوله تعالى :

﴿ ... لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْءَانِ وَالْغَوْا فِيهِ ... ﴾

فصلت / ٢٦.

* قرأ الجمهور والفرا :- (والغَوا)- بفتح الغين ،مضارع لغِى بكسرها. (٢) بضمة طويلة (واو الضمير).

---

(١) بغية الآمال : ٥٥.

(٢) البحر المحيط : ٧/ ٤٩٤.

إلّا أن العكبري [١] نصّ على أن قراءة الفتح من لغَا يلغَا ، أي بالفتح في الماضي والمضارع . وبهذا قال النحاس : " ويقال لغَى يلغَى ، لأنّ فيه حرفا من حروف الحلق ". [٢]

فالراجح أن تكون قراءة الجمهور مفتوحة العين في الماضي والمضارع وإن جاء القياس بخلاف ذلك كما ذهب الأخفش : " يقال لغَا يلغَى بفتح الغين وقياسه الضم . لكنه فتح لأجل حرف الحلق ". [٣]

ولغَا في القول (يلغُو) و (يلغَى) لغوا ... أخطأ وقال باطلا ... قال الكسائي : لغا في القول يلغى ". [٤]

فالقراءة على (فَعَل يفعَل) وعلى (فَعَل يفعُل) حيث قرىء [٥] باختلاف البنية واتفاق الدلالة .

- الفعل : (ولا تطغوا) من قوله تعالى :

﴿ ... وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ... ﴾ طه / ٨١.

رسم المصحف : (تطغَوا) بالفتح في مستقبل (فَعَل).. بضمة طويلة (واو الضمير).

---

(١) إملاء ما من به الرحمن : ٢/ ١٢٢.
(٢) إعراب القرآن للنحاس : ٣/ ٣٧.
(٣) البحر المحيط : ٧/ ٤٩٤.
(٤) اللسان : (ل غ ى) ١٥/ ٢٥١.
(٥) ينظر صيغ المغايرة صيغة (فَعَل يَفعُل).

جاء في المصباح المنير : " طغا : طَغْوًا من باب (قال)و (طَغِى) (طَغىً) من باب (تَعِب) ومن باب (نَفَع) لغة أيضا فيقال (طَغيت) . والاسم الطغيان : وهو مجاوزة الحد.[1]

فالفعل يرد على صيغتي المغايرة (فَعَل يَفعُل) و (فَعِل يَفعَل) وعلى صيغة المماثلة (فَعَل يَفعَل) لهجة ،مراعاة لصوت الحلق .

ونص السيوطي على أن الفتح في حلقي العين بائي اللام محفوظ نحو : ينهى ،ويسعى ويطغى .[2] أى أن الفتح سماعي وعلى خلاف القياس .

وقد قرئ الفعل (تَطغُوا) [3] بضم (الغين) على (فَعَل يَفعُل) قياسا فالقراءتان على (فَعَل يَفعَل) و (فَعَل يَفعُل) باختلاف البنية واتفاق الدلالة .

(ع) - الفعل : (وارعوا) من قوله تعالى :

﴿ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ ... ﴾ طه / ٥٤ .

رسم المصحف : (وارعَوا) بضمة طويلة (واو / الضمير) ،من رعى (يرعى) رعيا .[4] من الرعى ،وهو في الأصل : حفظ الحيوان - إما بغذائه الحافظ لحياته وإما بذب العدو عنه .[5]

---

(١) المصباح المنير : ٢/ ٣٧٣ - ٣٧٤ .
(٢) المزهر : ٢/ ٣٩ .
(٣) ينظر : صيغ المغايرة صيغة : (فَعَل يَفعُل) .
(٤) اللسان : (رعى) ١٥/ ٧ .
(٥) المفردات : ٢٨٨ .

- الفعل : (فاسعوا) من قوله تعالى :

﴿...فَاسْعَوا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ...﴾ الجمعة / ٩.

رسم المصحف : (فاسعَوا) بضمة طويلة (واو / الضمير) ، من سعى يسعى) [1]. والسعي هنا بمعنى المبادرة بالنية والعزم.[2]

يلاحظ أن هذه الأفعال كسابقتها معتلة اللام بالألف إلا أنها اتصلت بواو الجماعة ، وهذا يعني أن الحركة الطويلة قد سقطت وحلت محلها (واو الضمير) . وذلك لثقل اجتماع الألف التي تشكلت في الفعل غير المسند بعد سقوط لام الفعل (الياء) مع واو الجماعة فسقطت الألف للتخفيف .

---

(١) اللسان : (س ع ى) ١٤/٣٢٥.
(٢) الأشباه والنظائر : ١٦٩.

المبحث الثالـــــث

المعاقبة بين الواو واليـــاء

تختص بالتداول بين الواو والياء في إطار الصيغة . فهـــي اصطلاح للتحول من الواو إلى الياء [٢] . ويتم هذا التحول لغير علـــة كما يقول ابن سيده " فأما ما دخلت فيه الواو على الياء ،والياء على الواو لعلة فلا حاجة بنا إلى ذكره في هذا الكتاب ،لأنه قانون من قوانيـــن التصريف ". [٣]

والمعاقبة ظاهرة لهجية تحدث في القبيلة الواحدة . وفـــي القبيلتين. [٤] وقد عزى كثير مما جاء بالياء إلى (أهل الحجاز) [٥] ، كما انتهى أستاذنا الدكتور الجندى إلى أن : الحجاز تؤثر (اليـــاء) بينما تؤثر تميم (الواو) [٦] فهي والحالة كذلك ظاهرة لهجيـــة في لغتنا العربية كما وجدت في العاميات. [٧]

---

(١) تحدث عنها ابن السكيت في إصلاح المنطق : ١٣٥-١٤٤ ،والسيوطي في المزهر : ٢/٢٣٩-٢٤٠ وابن قتيبة في أدب الكاتب : ٤٥٩ ، وابن سيده في المخصص : ١٤/١٩-٢٥.

(٢) مجلة البحث العلمي : ٦/٨٠ من مقالة (ثلاثة مصطلحات في دراسة اللهجات) للدكتور أحمد علم الدين الجندى .

(٣) المخصص : ١٤/١٩.

(٤) السابق : ١٤/١٩.

(٥) ينظر معاني القرآن للفراء ١/١٠٩ ،وإصلاح المنطق : ١٣٧ ،وديوان الأدب : ٣/٣٨٨ ،والمنصف : ٢/١٨ والمحتسب : ١/١٥١ ، والمخصص : ٣/٢٢ ،٨/٦٢ ،١٢/٣١ ، ١٤/١٩ والمزهر : ٢/٢٧٦.

(٦) اللهجات في التراث : ١/٤٠٣.

(٧) مجلة البحث العلمي : ٦/٨٦.

وهذه مجموعة من القراءات تحتمل المعاقبة :

في المقطع الثاني من الصيغة :

ـ قراءات متواترة :

(و) ـ الفعل : (فصرهن) من قوله تعالى :

* ... فَخُذْ أَرْبَعَةً من الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ... * البقرة / ٢٦٠.

* قرأ حمزة وحده : (فَصِرْهُن)[(١)] بكسر الصاد . وقرأ الباقون : (فَصُرْهُنَّ) بالضم".[(٢)]

فما الوجه الاشتقاقي لكل قراءة ؟! من قرأ بالكسر أخذه من (صار يصير) ومن قرأ بالضم أخذه من (صار يصور) ، قيل : "هو يصوره ويصيره ،أي : مال به وعطفه".[(٣)] و "صرت عنقه (أصورها) ،وصيرته (أصيره) : أملته".[(٤)]

قال الكسائي : وهما لغتان ،وأنشد :[(٥)]

وفَرْعٌ يُصَيِّرُ الجِيدَ وحفٌ كأنه
على الليثِ قنوانُ الكرومِ الدوالِحِ

---

(١) سبق دراسة القراءة باستيفاء في فصل المغايرة (فَعَلَ يَفعِل يَفعُل).

(٢) السبعة : ١٩٠ ، وينظر الحجة لأبي زرعة : ١٤٥.

(٣) الإبدال لأبي الطيب : ٢/ ٤٨٤.

(٤) إصلاح المنطق : ١٣٧.

(٥) الابدال لأبي الطيب : ٢/ ٤٨٥ ،ومعاني القرآن للفراء : ١/ ١٧٤ ،واللسان : (ص ي ر) ٤/ ٤٧٨ ، وقوله : (فرع) شعرها قد أمال عنقها من كثرته ،و (الليث)جانب العنق ، و (القنوان) جمع قنو ،يريد به العنقود ،شبه ضفائرها بالعناقيد السود المتدلية ،و (الدوالح) المثقلة بالحمل . الألفاظ : (٥٥٣). والبيت من البحر الطويل ويعزى الى أبي وجزة : تهذيب اللغة ١٢/ ١٩٥.

في معنى بصوره .

فالقراءتان على المعاقبة بين الواو والياء في عين صيغتي المغايرة (يَفعِل) و (يَفعُل) . وقد سقطت الواو والياء بسبب الجزم .

(و) - الفعل : (هادوا) من قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا ... ﴾ البقرة / ٦٢ .

قرأ الجمهور : (هادُوا) بضم الدال[1] . وخرجت القراءة على وجهين :

الأول : إن مادتها : (هاء) و (واو) و (دال) .

والثاني : (هاء) و (ياء) و (دال)[2] .

فالوجه الأول من "هاد يهود هودا : تاب ورجع إلى الحق فهو هائد"[3] .

والوجه الثاني من "هاده يهيده هيدا .. : حركه وأصلحه"[4] .

فالوجهان متقاربان في الدلالة ، وقيل : "إنا هُدنا إليك" بمعنى تبنا إليك ، وافقت لغة العبرانية"[5] وهذا يشير إلى استعارة العربية لألفاظ من شقيقاتها الساميات .

فالفعل : إمّا (واوي) العين وإمّا (يائي) العين . ولعل هذا يحملنا على أن نخرج القـــراءة على المعاقبة.

---

(١)،(٢) البحر المحيط : ٢٤١/١ وينظر : تفسير القرطبي : ٤٣٣/١ .

(٣) اللسان مادة (هـ و د) : ٤٣٩/٣ .

(٤) السابق مادة (هـ ى د) : ٤٤١/٣ .

(٥) اللغات في القرآن : ٢٥ .

- قراءات متواترة بالواو وشاذة بالياء :

(و) - الفعل : (تعولوا) من قوله تعالى :

﴿ ... ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا ﴾ النساء / ٣.

رسم المصحف : (أن لا تَعُولُوا) معتل العين بالواو من عال يعول . "وقرأ طلحة : (أن لا تَعيلوا) بفتح التاء ،أي : لا تفتقروا من العيلة ".(١) من عال .

وقيل : " (عال يعيل) إذا افتقر ،و (عال يعول) إذا جار".(٢) . وهذا يعني أن الدلالة مختلفة بين الصورتين إلا أنه "روى عن الشافعي أنه فسر قوله تعالى (أن لا تعولوا) بمعنى أن لا تفتقروا ولا يريد (أن تعولوا) من مادة تعيلوا من (عال يعيل) إذا افتقر".(٣)

وحسم ابن سيده المسألة فقال : " ويروى : عيال وعوال ،فأما : عوال فمن عال عولا ،وأما عيال - فلا أعرف ماهي إلا أن يكون على المعاقبة التي بين الياء والواو بغير علة - وهي حجازية ".(٤)

وعليه فالقراءتان على المعاقبة بين الواو والياء .

---

(١) البحر المحيط : ٣/١٦٥.
(٢) أدب الكاتب : ٢٧٥.
(٣) البحر المحيط : ٣/١٦٥ وينظر اللسان : (ع و ل) : ١١/٤٨٢.
(٤) المخصص : ٨/٦٢.

- قراءات شاذة :

(و) - الفعل : (لا يضركم) من قوله تعالى :

﴿ ... عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ... ﴾

المائدة / ١٠٥.

" قرأ الحسن :-(لا يضُركم)-(١) بضم (الضاد) وسكون (الراء) ،من ضار يضور ،وقرأ النخعي : (يضِركم) بكسر الضاد وسكون الراء من ضار يضير وهي لغات ".(٢)

فالفعل بالكسر معتل العين (بالياء) ،وبالضم معتل العين (بالواو) . وذكر ابن فارس أن الفعل بالواو هو الأصل قال : " الضاد والواو والراء أصل صحيح ،وفيه بعض الإبدال ، فالتضور : الصياح والتلوى عند الضرب ،ويقال الضور : الجوع الشديد ، وأما الإبدال فقال الكسائي : لا يضورني كذا بمنزلة لا يضيرني : أى لا يضرني ".(٣)

فالضور أصل والضير إبدال منه . قال الشاعر :(٤)

وقالوا لا يضيرُك نأىُ شهرٍ
فقلت لصاحبيّ : فمن يضُور ؟(٥)

فالقراءتان تحتمل المعاقبة بين الواو والياء .

---

(١) سبقت دراستها في فصل المغايرة (فَعَل يَفعِل يفعُل).

(٢) البحر المحيط : ٣٧/٤ وينظر : المحتسب : ٢٢٠/١.

(٣) مقاييس اللغة : ٣٧٨/٣.

(٤) قيل هو رجل من خزاعة ،وقال الرياشي : هو سليمان بن أبي دباكل الخزاعي ،وقال دعبل : هما لأبي سعيد الأسلمي . هامش الإبدال : ٤٨٩/٢.

(٥) الإبدال : ٤٨٩/٢ وينظر الأمالي لأبي علي : ٢٠٢/١. ويعزى إلى جميل بن معمر . والبيت من البحر الوافر .

في المقطع الثالث من الصيغة :

ـ قراءات متواترة بالواو وشاذة بالياء :

(و) ـ الفعل : (تذروه) من قوله تعالى :

﴿ ... فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ... ﴾ الكهف / ٤٥.

" قرأ العامة : (تَذروه) ... وقرأ عبد الله (١) : (تَذْرِيه) " (٢).

وهما من " ذروت وذريت لغة " (٣). وذرت الريح التراب تذروه وتذريه : أى طيرته " (٤).

تعقيب :

وجدنا في القراءات السابقة تبادل صوتي اللين (الواو والياء) في مواضع مختلفة من الصيغة الفعلية مع اتحاد الدلالة أو قربها ، لأن " ما اختلفت فيه الدلالة لا يكون من المعاقبة في شيء . كقولهم : (الكور) المبنى من الطين ، و (الكير) : الزق الذى ينفخ فيه " (٥).

---

(١) مصحف ابن مسعود : ٥٦ (المصاحف / جفرى).

(٢) إعراب القرآن للنحاس : ٢ / ٢٧٨ وينظر البحر المحيط : ٦ / ١٣٣.

(٣) معاني القرآن للفراء : ٢ / ١٤٦ والإبدال لأبي الطيب : ٢ / ٥٠٩.

(٤) اللسان : (ذ ر ى) ١٤ / ٢٨٢ - ٢٨٣.

(٥) مجلة البحث العلمي : ٦ / ٨٤ مقالة بعنوان (ثلاثة مصطلحات في دراسة اللهجات).

والمعاقبة ظاهرة فسرت في ضوء التطور اللغوي (Linguistic change) يقول في ذلك أستاذنا الدكتور الجندى : " كذلك نرى أن الصيغة الواوية هي الأصل لما ورد في اللسان. وتثنية الرضا (رضوان) و (رضيان) الأولى على الأصل والأخرى على المعاقبة . وإنما كانت الواو هي الأصل كما أرجح ،لكثرة استعمال الصيغ الواوية كما أن اشتقاق الصيغ جاء منها ، وإنما تحولت الواو إلى الياء ،لأن الياء أخف من الواو ، والضم وهو الواو الصغيرة - كما يرى علماء العربية يحتاج إلى جهد عضلي أكثر ، لأنه يتكون بتحريك أقصى اللسان ، على حين يتكون الكسر بتحريك أدنى اللسان ، وتحريك أدنى اللسان أيسر من تحريك أقصاه ،ولهذا مالت الحجاز وهي بيئة متحضرة إلى الكسر ،والكسرة رمز المؤنث ، وهي كما يقول علماء العربية - الياء الصغيرة - ومن هذا المنطلق،فإن البيئات المتحضرة شاركت الحجاز في الياء ".(١) إلا أن الدكتور الجندى نبه على أن المعاقبة ليست بلازمة في لهجات الحجاز ،ومن سار على نهجها وإلا خلت من منطقهم الواوات ،فالمعاقبة ليست بمطردة في كلامهم .

أما مبرر التبادل بين صوتي الواو والياء فيرجع إلى العلاقة الصوتية بينهما فكلاهما من أصوات اللين الضيقة . كما يرجع إلى كثرة شيوعهما العربي ، ونظرية الشيوع تنادى بأن الأصوات التي يشيع تداولها في الاستعمال تكون أكثر تعرضا للتطور من غيرها ولهذا وقع التعاقب وتطورت الواو إلى الياء في الأفعال ".(٢)

---

(١) مجلة البحث العلمي : ٦/ ٨١ . مقالة بعنوان (ثلاثة مصطلحات في دراسة اللهجات) للدكتور أحمد علم الدين الجندى.

(٢) السابق : ٦/ ٨٤.